

فرانشيسكو غابرييلي

F R A N C E S C O G A B R I E L I

المؤرّخون العرب للحروب الصليبيّة

STORICI ARABI DELLE CROCIATE

إعداد وتحقيق وترجمة:
نبيل رضا المهائني

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

رفع

مكتبة تاريخ وأثار دولة المماليك

المؤرّخون العرب للحروب الصليبيّة

Storici Arabi delle Crociate

المؤرخون العرب للحروب الصليبية

Storici Arabi delle Crociate

فرانشيسكو غابرييلي

Francesco Gabrieli

إعداده وتحفيظ وترجمته:
نبيل رضا المهاني
Nabil R. Mahaini



الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc. s.a.l.

الطبعة الأولى

1436 هـ - 2015 م

ردمك 3-1392-01-614-978

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.



عين الشدة، شارع المظلي، فوق حكمة، بناية قريم

هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (+961-1)

ص.ب: 17-5574 شورين - بيروت 1102-2040 - لبنان

فاكس: 786230 (+961-1) - البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

المواقع على شبكة الإنترنت: <http://www.asp.com.lb>

يمنع نسخ أو استئصال أي جزء من هذا الكتاب بنية ومصلحة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية
بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مبرومة أو بنية ومصلحة نشر
أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الدار العربية للعلوم ناشرون ر.م.د.

لوحة الغلاف: Jan van Huchtenburgh

تصميم الغلاف: سامح خلف

التكليف وفهرز الألوان: أهد غرافيكس، بيروت - هاتف 785107 (+9611)

الطباعة: مطابع الدار العربية للعلوم، بيروت - هاتف 786233 (+9611)

إهداء

إلى أولئك الذين اختلستُ منهم وقتاً أمضيته في القيام بهذا العمل
وفي غيره من أعمالٍ كثيرة سابقة، وسأَمْضِيهِ في تلك اللاحقة،

غَيْبَتَنِي فَعَلَتِي الشَّيْعَةُ - البديعة عنهم،

غَبِثْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَغَبِثْتُ نَفْسِي حَقَّهَا فِي أَنْ نَعِيشَ سَوِيَّةً،

وَنَتَمَتَّعَ سَوِيَّةً بِنِعْمَةٍ ثَمِينَةٍ هِيَ نِعْمَةُ الْوَقْتِ فِي صِحَّةٍ وَعَافِيَةٍ،

إلى أولئك الذين أَحَبَبْتُهُمْ فِي سَرِّي وَلَمْ تُظْهَرْ لَهُمْ

عَلَانِيَتِي كَثِيراً مِنْ ذَلِكَ الْحَبِّ

إِلَّا مَا ظَنُّوهُ ظَنًّا وَهُمْ يَشْعُرُونَ بِبَعْضِ دَفءِ تَجَلِّيَّاتِهِ فِي حَيَاتِهِمْ،

إلى أولئك الذين غَمَضْتُهُمْ حَقَّهُمْ وَأَنَا أَمْنَحُهُ لَهُمْ، وَمَنْحَتُهُ لَهُمْ

وَأَنَا أَسْلِبُهُمْ إِيَّاهُ،

إِلَيْهِمْ جَمِيعاً أَهْدِي فِي سَلَّةٍ وَاحِدَةٍ جَهْدَ هَذَا الْعَمَلِ، وَمَاسْبِقَهُ،

وَمَاسْبَاقِي بَعْدَهُ مِنْ أَعْمَالٍ لَمْ أَقْصِدْ بِهَا وَاللَّهُ إِلَّا هَا:

أَنْ تَكُونَ كَامِلَةً صَحِيحَةً سَلِيمَةً قَوِيمَةً، وَفِي هَذَا مَرْضَاةَ اللَّهِ

الَّذِي هُوَ مِنْ وَرَاءِ كُلِّ قَصْدٍ. فَعَسَى أَلَا أَكُونَ قَدْ ضَلَلْتُ أَوْ أَخْطَأْتُ.

إِلَيْهِمْ: زَوْجَتِي الْغَالِيَةُ وَأَوْلَادِي وَذَوِيهِمْ، أَحِبَّائِي،

الشُّهُودُ عَلَى عَشْرَاتِ دَرِيٍّ، رِفَاقِي.

نبيل

المحتويات

13	مقدمة المؤلف - مقدمة الطبعة الإيطالية والثالثة.....
27	مقدمة المحرر.....
31	الأعزل - رسالة من غريغلي.....
33	ملاحظات بيبيوغرافية.....
37	المؤلفون والكتب.....
	ابن القاسمي - ابن الأثير - كمال الدين - أسامة - بهاء الدين - عماد الدين -
	أبو شامة - مناقب رشيد الدين - ابن واصل - صبط ابن الجوزي - تاريخ المتصوري -
	ابن عبد الزاهر - تشريف - المقرزي - ابن الفرات - الحيني - أبو القداء - أبو المحاسن

القسم الأول

من كندفري إلى صلاح الدين

- 1 -

55	استيلاء الفرنجة على أنطاكية.....
58	ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان بينهم.....
60	ذكر ملك الفرنج مغزاة المغناني.....
61	ذكر ملك الفرنج، لعنه الله، ألبيت المقدس.....
63	ذكر طغر المسلمين بالفرنج - الطغر بيمند صاحب أنطاكية.....
64	ذكر ما ملكه الفرنج من الشام - موت كندفري وانتصارات الفرنجة أخرى.....
65	ذكر خال مسجل الفرنج وما كان بينه في حصار طرطوس.....
66	تحرير بيمند وانكسر بالدين في الرملة وذكر ما فعله الفرنج.....
67	ذكر ملك الفرنج جيلة وعكا من الشام.....

- 2 -

68	ذكر غزو صفاح وجزيرة الفرنج.....
70	بالدين أرضها وطنكري أنطاكية.....

74 سقوط طرابلس
76 سقوط بيروت
77 سقوط صيدا
78 أثر أحداث الشام في بغداد
79 حصار صور

- 4 -

84 هزيمة سرجال صاحب إبطكية وموته
88 صفات بنحوين الثاني وموته

- 5 -

89 زنكي، قائد هائلة الأكراد لنصرة الإسلام في سورية
91 التحالف الإفريقي - الممثلة ضد زنكي

- 6 -

95 زنكي يفتح الرها
99 ذكر فضل أتابك جنك الذين زنكي وشيخه من بيوتته

- 7 -

101 الحملة الثانية وحصار دمشق
-----	---------------------------------

- 8 -

107 انتصارات نور الدين وهوزه بدمشق
111 وفاة نور الدين محمود بن زنكي - رحمة الله

- 9 -

115 فرسية الفرنجية
116 فرصة الفرنجية
117 الطب الافريقي
118 الفرنجة والغيرة الزوجية
119 فرنج مستشرقون
120 النبوية في القدس
121 شراء الأسرى
122 عرض لإرمال ابن إلى لوزة
123 باز عكا الكبير
123 الخشوع الإسلامي والخشوع المسيحي

القسم الثاني صلاح الدين والحملات الثلاثة

- 1 -

127	صورة صلاح الدين الإحلاقية
132	ذكر عنه رحمه الله تعالى
134	ذكر طرف من كرمه رحمه الله
135	ذكر شجاعته نفس الله رحمه
137	ذكر اهتمامه بأمر الجهاد
139	صبره واحتسابه رحمة الله عليه
142	ذكر نبذ من حلمه وعفوه رحمه الله
144	ذكر محافظته على أساليب العرومة

- 2 -

148	وقائع حطين
149	ذكر غدر الرئيس زناط
150	ذكر حصر صلاح الدين المرقية
151	ذكر الملقاة على يد صفا
151	ذكر عود صلاح الدين إلى عسكره ونحوه إلى الفريج
152	معركة حطين
154	ذكر الولايم الفريج بحطين
157	ذكر عود صلاح الدين إلى طبرية، وملك قلعتها مع المدينة
157	دخول أسس صلاح الدين بالعسكر إلى ديار الفريج
160	فتح طبرية
69	الحبيب وأعظم والإستيلاء عليه يوم الفصاف
166	ذكر فتح حصن طبرية
166	ذكر ما عظمه في الأمور النبوية والأسبوعية من ضروب رقابهم
67	ذكر فتح أبيب المقدس
74	ذكر كريمة فدا
76	وصف أبيب المقدس
82	ذكر يوم الفتح وهو صليح عشرين رجب

- ٨٢ ذكر ما جرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس
- ٨٩ ذكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنة ومضاء من السيئات
- ٨٨ وصف للصخرة المحطمة عرشها الكسرى
- 191 ذكر محارب دلود عليه السلام وغيره من المشاهد الكرام وتبديل الكنائس وإنشاء المدارس

- 3 -

- 93 ذكر خروج المركب إلى صور
- 194 ذكر جبي صلاح الدين إلى صور ومحاصرتها
- 96 ذكر الزجيد عن صور إلى عك وتطريق القسطنطينية

- 4 -

- 199 ذكر مسيرة الفرنج إلى عكا ومحاصرتها
- 202 ذكر رفعة أخرى رفعة العرب
- 203 ذكر الرفعة الكثرى على عكا
- 215 ذكر رجل صلاح الدين عن الفرنج وشكبه من حصر عكا
- 206 ذكر وصوله عنقر مصر والأنطون المصري في البحر
- 207 ذكر المصاف الأعظم على عكا
- 212 ذكر إخراج الأراج رفعة الأنطون
- 214 ذكر الحيلة والدخل بطيه بيروت إلى الجند
- 214 ذكر قصة العوام هيمى
- 215 ذكر رفعة الكمين
- 216 رفعة قلب السلطان وبنائنه
- 217 بناء بدة وبناء حرب بير الإفرنج

- 5 -

- 220 المركب كوراك والحملة الثانية
- 221 ذكر وصول ملك ألماني (هنريك باريلوتا) إلى الشام وموته
- 223 وصول ملك فرنسا وملك انكلترا ذكر وصول الصليبيين والإسلامية والملك الفرنجى
- 224 بدء صلاح الدين لقتال الصليبيين
- 226 قوة الرجف واستسلم عك
- التيار عك وحولها في معارك مع الإفرنج ذكر ما آل إليه أمر البلاد من ضعف ووقوع العراسلة
- 228 بعد أهل البلاد والإفرنج
- 230 ذكر كتب وصلت من البلاد

- 23 ذكر مصالحة أهل البلاد ومصالحتهم على قلوبهم
- 23 ذكر استيلاء المو على عكا.
- 232 ذكر قتل المسلمين الذين كانوا يحكمونهم الله
- 6 -
- 234 مشروبات المنج وعقد ذكر رسول الملك العادل إلى الأتراك
- 7 -
- 245 هلاك المركب (كورك) بصور
- 8 -
- 251 مرض صلاح الدين ووفاته مرضه رحمة الله عليه

القسم الثالث

الأيوبيون والهجمات على مصر

الحملة الخامسة

- 1 -

- 261 تجمع الفرنجة في سورية ورجعهم على مصر والاستيلاء على دمياط ثم استعادة المسلمين بها ..
- 260 ذكر حصار الفرنج لدمياط إلى أن ملكوها
- 263 ذكر ملك المسلمين بمناطة من الفرنج
- 267 تفصيل آخر عن هزيمة الفرنج

- 2 -

- 271 هدم الإمبراطور هينريك - ملك الفرنج - إلى حكا
- 272 تسليم القدس إلى الفرنج.
- 275 اسف المسلمين في دمشق هينريك في القدس
- 277 الملائكة الأيوبية - السوابية وأواخر السوابية
- 281 رسالة فرسيف الغريفياني.

- 3 -

- 286 حملة سان بولس ووصول الفرنج إلى الدار المصرية وتملكهم نهر دمياط
- 287 رحيل المسلمين الملك الصالح إلى المصورة ورجعهم بها
- 288 تخم الفرنج ورجعهم قبالة عسكر المسلمين
- 290 معاقبة المسلمين في المصورة ومقتل الأمير فخر الدين يوسف ثم انتصار المسلمين ..
- 292 وقوع أسطول المسلمين على مراكب الفرنج وصعب الفرنج

293	هزيمة الفريخ واستئصالهم والقبض على ملكهم ريخترنس.....
295	مقتل الملك المعظم غياث الدين طغرل شاه.....
296	الاتفاق على ملكك لاسر العلي، ولادة خليل، شجرة الدر وعز الدين قتركمشي ليكون غياثك المسكر
297	فتح بسات
299	موقعة حملة من لويس وحاصروا.....
30	سار لويس في لويس.....

القسم الرابع

المماليك وصغرة المماليك

- 1 -

305	بيبرس ضد هنريش وأتراكه ورسالة إلى بيبرس الساس.....
310	الاتفاق مع أرك الثالث، ملك قبرص.....
313	ذكر بعض أخبار حصن الأكراد وفتح.....
316	التهجم الفاش على قبرص.....

- 2 -

318	اتفاق ثلاثين مع ديوي طرطوس.....
320	الاتفاق مع عكا.....
326	صبيحة اسم السلطان في هذه الهدنة.....
327	صبيحة اسم الإمبراطور.....
328	فتح حصن المرقب.....
332	فتح مرقنة.....
334	سقوط هنريش.....

- 3 -

337	سقوط عكا.....
343	جدول لأسماء الأعلام العربية والأجنبية المعربة.....
367	مصادر المرحلة الأولى من الكتاب العربي.....
373	موجز سيره المدرج - نيل رضا المهدي.....

مقدمة المؤلف

يهدف هذا الكتاب إلى مساعدة القارئ العربي على النظر إلى فترة الحروب الصليبية من "الجانب الآخر"، أي من وجهة نظر الحِصَم آنذاك.

لأنك إن هذه عملية معقدة ومهمة على الدوام، لكنها تبدو أكبر هبة وأعظم أهمية في حالتنا هذه، أي حالة الصدام بين المسيحية والإسلام خلال العهد الوسيط؛ حصارنا لا لاختلاف جذرياً بينهما في ذلك الوقت، بل لوضع - وبحق - أن كليهما مبنيتان على موقف روحي واحد وعلى طبقات ذهنية متشابهة في جوهرها، لكن التجربة الدينية التي خاضها الطرفان كانت مختلفة عن تطلعاتهما وطموحاتهما الشاملة، فاندفعت الواحدة ضد الأخرى ليرداد تشدد طرفين.

ومعروف أن زياد التشدد يزيد التعصب ويؤدي إلى بروز تطرف يشتد خلال الأزمات على وجه الخصوص، وإذا كان هذا التعصب قد تلاشى الآن، لدينا على أقل تقدير، فإنه تحول إلى تناقضات من نوع آخر ليست في جوهرها (لا تناقضات دينية، إنه لانجد اليوم أحداً يستخدم "الحناجر" و"المطارق" في الدفاع عن علوم مسيحية، بل وعلى العكس، فقد أصبح تقليداً لدى الجانب المسيحي الكاثوليكي الموقف المنكهم نحو الإسلام، لكن الجانب الآخر لم يقابل على الأرجح هذا الموقف بنفس الروح. مع هذا كله فإن الغناء القديم يظهر عيباً وحالاً عندما يعود ويطرح صفحات مؤرخي وجدليي العهد الوسيط. وهكذا فإننا مائلين بدأ بتتبع أحداث الحروب الصليبية حتى نجد أنفسنا مساقين وراء حقد لاهوتي وعصري - تعمقه ولاشك صراعات أخرى وتريده حدة - حتى إننا يكاد نرى "العدو" مثريصاً هناك، أي في الطرف الآخر: في معسكر سليمان والرهاة^(١) وأنذي لم يكن إلا

(١) من شخصيات ملحمة القدس المحتلة و"القدس المحررة" للشاعر الإيطالي بوركواتو تاسو (1544-1595) [المترجم]

لابد أن الشعر وحدها أن تنتزع كلوريندا⁽¹⁾ منه لتأتي وتموت في مصكر مطمئة هائلة في حايا عبيتنا.

إن رؤية تاريخية مثالية تسعى للإحاطة بالجانبين معاً تستفيد على الأرجح من عملية التعرف عن قرب على الأشكال الأصلية لعظية ومثل وطرق الحياة والحرب لدى أعداء للصليبيين، أعداء لا يبدون في صفحات مؤرخيهم أقل قيمة، في نكح والكيف. من أولئك العربيين. وسنرى هذه الصفحات بالطبع أن لوحة القيم قد انعكست، معادل للكلاب المسلمين⁽²⁾ سجد الحنازير المسيحيين، ومعادل النخلع نحو كنيسة القيامة هناك نطلع نحو الصخرة المقدسة حيث وضع النبي قدمه في معجزة إسرائه الليلي، وعوضاً عن ألقى كنسرى هناك الورع صلاح الدين.

إننا سنبتعد هنا عن الأحكام ذات الطابع السبي والأخلاقي، لأن ما يهمنا تقديمه للمؤرخ أو لهاوي التاريخ هي معلومات تدور حول الظروف، الأخر، وتكمل لوحة التي تقدمها لنا عادة المصادر الغربية.

لقد أصابت الغزوات الصليبية الإسلام في لحظة حرجة من لحظات تاريخه، أي في وقت كانت الموجة العربية فيه قد بدأت ومن زمن بعيد تنحسر، أو أنها بدأت تتراجع إلى مواقع الدفاع، بينما كانت الموجة التركية في طريقها لتدعيم نفسها وتنظيم مواقعها في أحصن الأوطان الإسلامية والأوطان المجاورة، ذلك قبل أن تنتقل بسلوب منظم إلى مواقع الهجوم ضد العالم المسيحي.

كان الإسلام قد عرف فيما مضى هجمات مصادرة قام بها الجانب المسيحي خلال الحروب المرمية ضد البيزنطيين، خاصة عند شطوطا خلال القرن العاشر؛ لكن هجوم قوى الغرب الثلاثيني - الذي تم صراحة تمت شعرات دينية حربية واضحة - باغت على حين غرة مجتمعات إسلامية منقسمة من الناحية السياسية على نفسه وغير منسقة أو مهياً لمجابهة حملة منسمة فعالة

(1) من شخصيات الملحمة المذكورة. [المنزج]

(2) كانوا يسمون المسلمين لتلك Saracins Cam [المنزج]

على هذا الأساس نرى أن المعادلة التي طرحها Grousset¹ عن بروز قوصى (أبركية) إسلامية مقابل نظام ملكي إفرنجي، توصلت إلى حد بعيد معالم الوضوح الذي كان قائما في سورية بين نهاية القرن الحادي عشر وأولى عقود القرن الثاني عشر : حيث تجرأت البلاد في إمارات تركية متناحرة فيما بينها، يترعها أناسك للملحوقيين وعساكرهم وأتباعهم، هذا فيما كان حكم فاطمي مصر يتزعج في فلسطين. أما في بغداد فقد خضع الطبيعة العاصي لإمرة السلطان التركي وأصبح مجرد ظل لسؤد الإسلام الذي ظهر أيام المصور والمأمون.

وبهذا نشأت الحروب للصليبية تقش بقعة الزيت رعد أن أمرء سورية الشمالية وولاة الفاطميين في القدس والقدس الساحلية حاولوا أن يقاوموا ما ستعدوا إلى ذلك سبيلا - أي أنهم فشلوا. أما الحملة التي انظروها على غير طائل من بغداد قد أظهرت مس للبدلية وهما وعجرا.

لكن ما إن أهل العقد الرابع من القرن الثاني عشر حتى بدأت المقاومة لإسلامية تشد، وحدث هذا بفصل 'أرتوق' ماردين و'طعنكين' دمشق، بل وقبل الجميع، بفصل أدبكة الموصل التركي وبور الدين، الذين أوقفا تقدم حملة كريت الرها قبل أن يصعد الشام بصب عيونهما ويعملا على تحقيق هدفهم المردوج الساعي إلى توحيد البلاد تحت سبذتهما ورفع العرجة نحو البحر.

بدأت العروبية حينها تتراجع إلى الخط انطفي مر حيث هي قوة سياسية، مغلفة المجال لحسر التركية في برعم حركة المقاومة. ومع أن هذا حدث صمر محيط بيئة عربية من الناحية الثقافية فقد كان لهذه صبغة تركية من السحيثين العسكرية والاجتماعية.

وم يكن نوصول سلاح الدين إلى الحكم إلا أن يؤدي إلى إيفاف عملية التريك هه، لكن من ناحية معينة فقط، إذ أنه عمل من ناحية أخرى على استمرارها. هذا الأيوبي العظيم كردي الأصل، تركي/عربي اللغة وسريية،

(1) René Grousset (1885-1952)، مستشرق ومؤرخ فرنسي. من أهم مؤلفاته في مجال تاريخ الحروب الصليبية ومملكة القدس [الفرنجية]. [المترجم]

المسلم المنفي في عهده وأفعاله جعل من مصر مركز سلطانه وأعادها للمذهب السني، كما أنه أعاد للعروية هيبتها من جديد.

وعندما تلاقت المملكتان سقط على سعيد حطين تاج القدس اللاتيني. لكر الحملة الصليبية الثالثة أتت نقصد للطريق على للهجوم الإسلامي ولندعم وصنع الدويلات للصليبية للمنداعية في للساحل.

ومع هذا فقد استطاع الأيوبيون بفصل العدل ولكامل أن يحفظوا بالطرق النبلماسية حيناً وبالطرق للحرية حيناً آخر، على توازن دلم بين اللعريقين نصف قرن من الزمان: فهم نحرروا الحملة الخامسة، وحيدوا هردريك الثاني، لكنهم لم يفلحوا في مجابهة الدويلات الساحلية الصليبية المتبقية مجابهة فعالة. أما من أفلح في الأمر فكانوا سلاطين المماليك، وهم عبيد أتراك من أهالي روسيا الجنوبية والقوقاز، كان من جملة نجاحاتهم أن تمكنوا في منتصف القرن الثالث عشر من أن يحلوا محل آخر الأيوبيين عندما بدلوا بتضعضهم في مصر، بل إلى الإسلام مدين هؤلاء الجنود الحسنيين الأقطاط بصد الغزو المنغولي (بعدما خلصوا سورية بنشازاعهم النصر في موقعة عين جالوت عام 1260) وتتصعية الصليبيين أيضاً. حقق للمماليك هذا كله بعد أن تمكنوا من تطوير النظم الإقطاعي العسكري الذي أدخله السلجوقيون وواصل الأيوبيون العمل به.

أما على الجانب الآخر فنجد أن العرب لم يعد قادراً على مواصلة دعمه للكيانات التي اصطنعها في ما وراء البحار: فالبايوية - التي جنحت خلال الحملات الصليبية الأولى بالدافع للديمي السلمي وحولته نحو مطامعها في ترسيخ هيمنة أوربا وسيطرتها، والتي استخدمت للصليب راية لقوات مسيحية حاربت قوات مسيحية أخرى ممثلة مثلها (حملة صليبية ضد الألبانج، محاربة الهوهنشتاوفن^(١))

(١) Albigensian أو Albigesi هم سكان منطقة ألبى جنوب فرنسا استقروا هه وشكلو في العهود الوسطى طائفة دينية افتتحت عن تعاليم الكنيسة، ولهؤلاء أصول تعود إلى شبه جزيرة البشقر. جهزت الكنيسة حملة صليبية صدهم عام 1208، إلا أن الصراع معهم استمر طيلة النصف الأول من ذلك القرن. أما الهوهنشتاوفن Hohenstaufen فهم سلالة الكهنة لألمان حكمت خلال العهود الوسطى، كما حكمت مملكة صقلية عام 1194 [عن موسوعة ويكيبيديا]

كان عليها، أي على هذه البابوية، أن تراقب وهي مكتوفة الأيدي احتصر كل من أنطكيه وطرويلس وعكا، أي على للمراحل الثلاث المهمة من سيطرة المسلمين على الساحل خلال النصف الثاني من القرن الثالث عشر. كما بد أن دفاع جماعة النوبة في الأراضي المقدسة عن أنفسهم كان يعبر أيضاً وبطريقة غير مباشرة عن بداية للأساسة التي تعرضوا لها في الغرب.

كان هذان قرنان ملينان، بالتاريخ، تاريخ يتعلق بصورة متساوية بمصائر كل من المسيحية اللاتينية والرومية الشرقية (التي كانت ضحية سلبية وبرينة لدروب والأخطاء، بلاتينية)، ومصير الإسلام فوق أراضٍ يعتبرها منذ خمسة قرون أرضيه الخصمة. وكان لأحداث هذين القرنين أن انعكست انعكاساً كبيراً على التاريخ الإسلامي (الستوريوعرافيا الإسلامية) في ذلك العهد بل وفيما تلاه مباشرة من قرون.

فقد التاريخ الإسلامي ولم نقل العربي وذلك اعتباراً للأصول غير العربية التي كان ينحدر منها بعض مؤلفيه ومؤرخيه، لكن يمكننا أن نسميه عربياً دون شك إذا ما أخذنا بعين الاعتبار اللغة المستعملة (فالتاريخ بالفارسية وما تبعه من تاريخ بالتركية لا يصيفان شيئاً لتاريخ الحروب الصليبية) وأن نسميه أيضاً عربياً- إسلامياً عندما نعتبر قوى العقيدة والفكر التي تحركه وتكمن وراءه. ولا يمنع هذا وجود بعض المساهمات النابوية مما قدمه عربٌ مصر المسيحيين.

إن غزو الفرنجة (كما كان العرب يسمون مسيحيي الغرب لتمييزهم عن الروم البيزنطيين) وما لحقه بالإسلام من دمار ومذابح وأضرار، ثم المقاومة التي أبدتها هذا الأخير والتي تكلفت في النهاية بالنصر، لم تكن من المواضيع التي عالجها التاريخ الإسلامي في العصر الوسيط بصورة منفصلة ضمن دراسات منفردة. فرغم أن ذلك التاريخ كان يعطي أهمية عظمى لتلك الطواهر، فإنه كان على النوم يصعبها ضمن إطار للصوغ الأدبية التي اعتاد أن يهتم الأمور من حلاتها وأن يعرضها بواسطة، مما يجعلها تصبح ضمن سجلات السير والحوادث المعروضة، أو تختص ضمن إطار معالجات لا تركز بالطبع على أفعال الأعداء بل على بعض الشخصيات أو الحملات الإسلامية التي تشعب

هنا وهناك قيمة على حماية الدين والعقيدة. هذا مما يجعل عيباً البحث في التاريخ الإسلامي عن تاريخ واحد ومنظم يستعرض للحروب ضد الفرنجة ويدور بصورة كاملة حول مواضعها.

على أنه باستطاعتنا نحن أن نجد الآن صياغة مثل تلك المواضع صريحة افتراضية بواسطة موازنة ومقارنة وجمع للمواد الموجودة في مختلف أنواع المؤلفات المتعلقة بتاريخ ذلك العهد. إننا نتكلم عن مؤلفات للتاريخ للعلم التي تناول العالم الإسلامي، كمؤلف ابن الأثير الكلاسيكي المشهور أو مؤلفات أخرى أقل شهرة كالتي كتبها سبط ابن الجوزي وابن الفرات، أو التصنيفات المتأخرة أو أخبار المدن والأقاليم كمؤلفات ابن الفلاس أو كمال الدين المتوفى بسورية شمالية ومنطقة ما بين النهرين، أو حتى مؤلفات تتعلق بالأخبار المحلية والسلالات الحاكمة، كمؤلف ابن واصل والمقرزي، أو تلك الخاصة بالسلالة الحاكمة كتصنيف أبو شامة، أو في النهاية كتب للسيرة الجيوسياسية المحصورة، أو تلك التي تركز على مآثر بطل ما، مثلما هو الحال مع مؤرخي صلاح الدين أي بهاء الدين وإمام الدين، ثم كتب السيرة الرسمية لأوائل سلاطين المماليك، كمؤلفات ابن عبد الزاهر.

هناك أيضاً كتاب السيرة الذاتية للامعة لمؤلفه أسلمه وهو كتاب فريد من نوعه من الناحية الأدبية، بل حتى من الناحية التاريخية كما سنرى لاحقاً. تختلف هذه المؤلفات فيما بينها بشكل - الحد الأدنى - أو المستلح بفرقت السجع أحياناً أخرى - أو بالتأخر التاريخي، أو بالدكاء والسعة، أو بالسطحية، السقيمة والتصنيفية للسلبية التي يتصف بها مختلف المؤلفين. لكن وكما هو متوقع فإنها تشترك كلها رغم تلك الاختلافات في موقفها العدائي الذي يردري العريب النكار الذي أتى ليعزو بلاد الإسلام مدفوعاً بتعصبه الأعشى (لأن كل طرف يرى تعصب الطرف الآخر).

لكنه من النادر أن نجد مناقشات أو تحليلات للأهداف الحربية العملية التي يبيتها العدو، فهذه المناقشات لم تظهر إلا خلال مشاورات الصلح أثناء الحملة الثالثة.

إن وجود التفكير مسلحاً فوق الأرضي الإسلامية هو أمر لا يمكن مجابهته إلا بالسلاح بل إن للمسلم من الناحية النظرية حفاً شرعياً في حمل السلاح إلى بلاد الكفر ومقاتلتهم حتى الموت أو حتى يشهروا إسلامهم أو يحضروا الدين الحق به، لا يمكن أصلاً التحدث عن إقامة أي سلام مع الإفرنج أو مع الكفرة بصورة عامة، لكنه يمكن التحدث عن هدنة مؤقتة عندما تدعو الحاجة إليها. لهذه فف عارضين كثيرين في المعسكر الإسلامي الصلح أو الهدنة الشهيرة التي إنعقدت عام ١٠٩٢، بين ريتشارد وصلاح الدين. هنا كله من الناحية النظرية البحتة، أما من الناحية العملية، فلم يكن من المستطاع أن تنفسي متناً عنم من الحملات الصليبية في حرب دائمة مستمرة، وهكذا فإنه لم يكن لدينا فترات هدنة وحسب، بل إنها وجدت في القرن الثاني عشر "تحالفات ضاللة" عننت بين مسلمين وصليبيين ضد اتباع نفس الدين من هؤلاء وأولئك، ممن كانوا في وقت معين أعداء مشتركين (وقد وصفا ابن القلانسي بكل صراحة على مجرى أحداث أكثر تلك التحالفات فسيحة أي تحالف أبده جلسته الدمشقيين مع الفرنجة من أجل صد غزو ريكى عام ١١٤٠).

لكن فترات السلم ليست موضوعاً مفصلاً من قبل التاريخ الإسلامي، وربما من قبل أي تاريخ كان، وهكذا فلم يكن التاريخ الإسلامي للحروب الصليبية لا مقارنة متواصلة للسلاح وتتابعاً مستمراً للمعارك. يجري أغلب الأحيان على ذات لونيّة، وليس إلا معاوشات ومحاصرات وغزوات. لذلك فإن أفعالاً مثل "قتل"، "لهب"، "اقتحم" كانت هي الأفعال الأكثر تصريعاً في مجرى حكاية الحروب المقدسة المتبادلة. وكانت الأدوار هي التي تتغير فقط، فالمؤرخون لأقدمون كتبوا عن إسسلام مدن الساحل السوري الإسلامية لعصار الفرنجة وعن اندباح وذهب والحرق، وكذلك فقد تكررت في الطرف المقابل عن المناظر لكن سادوار معكوسة، بل إن التعبير جرى أحياناً بنفس الكلمات خلال الحديث عن مرحلة انتصاح لإسلامي. "لأن كل الذين يأخذون السيف بالسيف يهلكون" ومع

(١) انجبر متى ٢٦/٢٦ وهي باللاتينية Qui gladio furit gladio perit ووردت ترجمتها لانكليزية for al, who take the sword will perish by the sword مثل الإيطالية: tutti quelli che mettono mano alla spada periranno di spada، [مترجم]

هذا فإن الشجاعة والتضحية بغيران مكرمتين يعجب بهما الطرفان ولا يقصا أب
منهما.

في قمة الأمثلة، أي في الحملة الثالثة، تجابهت شخصيات بارزة من كلا
الجانبيين، وتطورت المعارك تطوراً مأساوياً واسعاً (حطين، حصار عكا)، وبينما
كانت سيرة الوقائع العسكرية تسير على وتيرة واحدة، فإنها انفتحت بعد ذلك ببس
أرحب، لتقدم لنا أوصافاً تتشح أحياناً بشاعرية دينية وهي ترسم يوم صبرية
والصدامات المعيرة تحت أسوار عكا وكز صلاح الدين وهزه.

وقد كانت مهمة أيضاً، وإن كانت مملة في تفاصيلها المصطنعة وسمناقصة
هالباً، سجلات المشاورات الطويلة التي تدور حول ذلك السلام، ومن المؤسف
ألا يكون النص الأصلي قد بقي، كما يغت فصول أخرى عن معاهدات
السلام أو الهدنة بعد أن حفظها مؤرخو المماليك حتى عهد متأخرة (معاهدات
قلاوون).

كانت إذن حراً مستمرة لكن من الناحية النظرية البحتة، لأن كثيراً من الهدن
الهشة قد تداخلت بينها: هذه هي صورة الوصع الرسمية التي سادت خلال فترتين
من تعايش الإسلام والنصرانية في الأرض المقدسة. وقد انعكست الصورة بالطبع
على التاريخ الإسلامي لتمد أفاقه على وتيرة واحدة. انعم كذلك لدى المؤرخين
المسلمين أي اهتمام بالتنظيم في الدول الإفريقية وحياتهم الاقتصادية
والاجتماعية وثقافتهم.

لكن نمر من حين إلى آخر على توثيق لبعض الحالات، التي لا تدري إن
كانت قد سُجلت إعجاباً أو ازدراءً، والتي يشاهد فيها أن الثقافة والمعادن
الإسلامية قد أثرت بالعدو، ذلك كما حدث مع أمير شقبة عربون الذي أحترف
مؤرخو صلاح الدين أنه كان يتكلم العربية ويهتم بالأدب العربي والشعر
الإسلامي، رغم أنه حاول أيضاً استغلال معارفه لخداع العدو (وقد اكتفى الكريم
صلاح الدين بسجنه). كما أننا لا نجد أي اهتمام بعادات وأفكار وحياء العدو لدى
كبار المؤرخين، هذا وإن كان باستطاعتنا أن نجد ملامح لهذا الاهتمام لدى مؤرخ
غير تقليدي مثل سامية، لهذا حاولنا هنا الاستشهاد بقرائن من مؤلفاته.

أما عندما يتكلم المسلمون عن المسيحية وعن العقيدة والطقوس النصرانية، فإنهم يقدمون صورة كرنفالية مشوهة (ولتقرأ صفحات عماد الدين حول نهاية «قدس الصليبية»)، لا يمكن مقارنتها إلا بالصورة الأخرى التي تعرضها عليه بصوص أدبيبة التي كتبت في القرون الوسطى عن الطقوس والعقيدة الإسلامية هذا، مما يحولنا اختصار القول وتأكيد أن كل جهة كانت تكافئ الأخرى نفس العملية، وأن الحروب الصليبية لم تكن أبداً ذات جدوى في تعريف المسيحيين والمسلمين بما هي العقيدتين من نواح نبيلة سامية.

لكن إن نحن عدنا إلى ذلك التداخل المادي والروحي الذي لا شك أنه كان موجوداً، وقد ماربعنا المصادر الإسلامية فتعرف أن لأمجال لمقدرة ما عرف وماأرأه الإسلام أحذه عن الفريجة مع مأأخذ الفريج عن الشرقيين. فصاحب طربلس لإفرنجي المدعو غوليم تعلم العربية وأحد عن مصادر عربية تأريخه المقفود والمعروف باسم تاريخ الشرق، وأصبح ظاهرة ليس لها مثيل في الجانب المقابل، لكن المؤرخين العرب للحروب الصليبية لم يهتموا بالحد فقط، بل انصب اهتمامهم بصورة أساسية على المقاومة الإسلامية وأبطالها، وهذا مايسمح له نور شك أن نجد جانباً يتمم للتاريخ العربي.

لقد أثار العرب أنفسهم وبكل وصوح إلى أن انقساماتهم كانت هي السبب الأساسي في انتصار الحملة الصليبية الأولى (وهذا إشارة مريرة في كتاب بكمال الدين تبيين أن الأمراء المتنافسين في سورية قد رحبوا بالتدخل الإفرنجي، بل إن أنانيتهم العمياء دفعتهم لاستغلاله لمصالحهم الخاصة)، لكنهم أبعدوا بعدها ارتياحاً كبيراً، تنشوبه أحياناً شيء من الخيبة مصب تبليص الخلفيات، عندما شاهدوا بروز أبطال كبار استطاعوا توحيد المقاومة ضد الصليبيين، تلك مثل طعنكين وريكي ونور الدين وسلاح الدين.

في هذا السياق برزت المقاومة الرائعة التي أجهتها دمشق ضد حصار عام 1148 لتتكون فصلاً مشرقاً من فصول مقاومة الغزو اللاتيني بل من أكثر الحروب البلدية أو المحلية تشويقاً. بعدها مباشرة بل وقيل ذلك أحياناً، أحد الركيون والأوروبيون والمماليك على عاتقهم توحيد المقاومة، وهذا ماكان من واجب

حليقة يغداد أن يفطن، من للقاحية النظرية على أقل تقدير . لكن هذا الحليقة أصبح مجرد مظهر شكلي وتلاشت هيئته بشكل مهين خلال للحروب الصليبية بالذات عندما لم يتمكن القيام بأي نور سوى إلقاء الخطب وإقامة الصلوات ورفع الأدعية وإرسال رسائل للتهنئة إلى الأبطال المنصرين من أهل السنة لذلك فإن من استحوى أمجاد محاربة الصليبيين كانت دويلات وأسر إسلامية كبرياء أو أخرى أقل شأناً دعمت جميعها الحرب المقدسة عن قناعة أو لأسباب سياسية، بل إن هناك من تلقى وكرس كل حياته في ذلك السبيل . ونفهم أن بعض مؤرخي تلك الدويلات والأسر وإحلاصهم لها واعترافهم بجميل حكامهم راد من تهجيل أوبك الحكام وتكذيبهم من ثمة بأكاذيب النصر . لكن صورة صلاح الدين ارتفعت عالية فوق الجميع، حتى أنها فرصت إعجاب العدو بالذات . فهو بأصونه البسيطة وبمسيرته التي لم تحل أولى هزتها من العموض والعبث استطاع أن يجسد قيم بعد خلال انتصاراته وغيرها هبة وإنسانية وفروسية للحضارة الوسطى في الشرق، ذلك إلى جانب رفعة عالية وتصميم بالغ لواء العقيدة والسنة . وقد تركه لنا كل من بهاء الدين وعلاء الدين صورة واضحة تمثل صلاح الدين أميراً مسلماً مثالياً يتمتع بصفات تعميها المسحة الإنسانية أكثر من الفروسية . رغم هذا كله فإن الصورة التي رسموها لا تستطيع أن تبرر تحريراً كاملاً للمحبة الكبيرة التي كلها لذلك الرجال المعاصرون والمتأخرون في المعسكر الإسلامي أو في المعسكر المعادي على النساء . بيد أن الأسطورة التي أعطته مكاناً في اليرنج الدائري وفي أشعر ودويلات غربية عديدة بقيت بكفاء عنه في لونه التي كزمت من كان أدنى منه درجات من اللامحة الإنسانية، أي بييرس⁽¹⁾، نجد على كل أن المصادر التاريخية العربية احتفظت لبطلاني الجهاد الإسلامي هذين بذكرى حية

(1) وفيه -أي البيجري صلاح الدين في اليرنج بين العظماء الصالحين . ويمكن محض نصالحين من غير المسيحيين والأطفال الذين معوا قبل أن يتم تعبيدهم وجاء في الشيد انريخ 129 من كتاب "الجحيم" في للكوميديا الإلهية : (رأيت صلاح الدين، كان وحيد ، على طرف) . قال دانتى إنه وحيد لأنه من بين آخر ، لكنه ذكره بين الحكام الذين استحوى المعجى بسبب سداء روحهم ، ووضع مع الأرواح للضميمة Spirti Magni . [المترجم]

(2) بمعنى أنه لم يكتب عن صلاح الدين أسطورة مثلاً كتب عن بييرس في كتاب النجدة

ذلك كما فعلت مع زكي ونور الدين والكمال والآخرين من كبار خصوم الفرنجة والحقيقة أن أسل فضائل التاريخ الإسلامي نجدها هي أمانة وزوعة تصديقاته، التي ترتقي أحياناً وإن بمشاعر معادية على صفات مهمة لشخصيات من «معسكر الأحرار» وهكذا فبتنا نقرأ عن دهاء بالدوين الثاني وشجاعة قلب الأسد وإقدام كوبرا ودبلوماسيته فريدريك الثاني وشكوكه الساحرة وذلك ضمن بعض الملاحظ ب السيرة في صفحات للمؤرخين المعاصرين. غير أننا إن قبل بهذه الصفات فمن الأفضل استعداداً لقبول وتأكيد أوصاف أخرى كمال «هاكر» الحيث التي وصف بها الملك القديس لويس التاسع (ومع هذا فما أجمل مقالته ابن راضي عنه حين صورته بكل وده وأتسه في صورة حية خلال حوار مع المبعوث المصري في سجن المنصورة. أما إن يقال عنه إنه حيث محبك؟ وهو الذي ذهب في قبض نصيف مع الحملة للطائفة على ثورس لينهي حياة اتصفت بالإيمان المتكشف والمثالية الدوكيشوتية!

إن غنى مواد التاريخ العربي للحروب الصليبية وكثرة بياناته التاريخية (وإن لم تكن مثبقة دائماً فيما بينها، ولا مطابقة على الدوام مع المصادر الغربية) ثم روعة وصفه وتصنيفاته تؤهله حقاً للتفوق عند مقارنته بالتاريخ المسيحي المعاصر له. من ناحية أخرى نحن لا نرغب في أن يطالب هذا التاريخ بالموضوعية ونفهم العدو ولا بأصانة أو عمق الرؤية أي بالصفات التي كان يحتاج إليها بصورة عامة التاريخ العربي في العصر الوسيط الذي كان يتأرجح بين النزعاتية العملية وبين ثيولوجية إيمانية آلية. لكن هناك شخصية مؤرخ حقيقي قد تبرر بين العديد من شخصيات المؤرخين المجتهدين، ألا وهي شخصية ابن الأثير، رغم أن هذا المؤرخ لم يحظ، من ناحية أخرى، بسمعة ملائمة لدى مستشاري العهد الحديث كمؤرخ للحروب الصليبية، وذلك بسبب استعماله المزاجي والمنحيز للمصادر التي أحدها. لكن إن دعنا هذه الملاحظة لعدم الاعتماد عليه كثيراً إلا اعتماد من الناحية الوثائقية، فهي تؤكد لنا على أصالته كمؤرخ عراقي يدرر بين سببه المصنفين النابعة. يعتقد الجانب العربي إن في هذه الحقبة إلى شخصية مميزة كشخصية غوليلمو صاحب صيدا، نكتنا إذا تركنا هذه للشخصية النائرة جانباً فإن

متوسط مستويات المؤرخين العرب للحروب الصليبية يبدو أعلى من مستوى المؤرخين الإفريق. لكن الآخرين يتمتعون، في كثير من الحالات، بحرية مهية أعظم، أي بما يمكننا تسميته بالضمير المهني الحذر. خاصة وأن ساريح الإسلامى من جهته ليس، في أغلب الأحوال، وكما أسلفنا، إلا جانباً من معالجة تاريخية ومن تجربة عامة أوسع.

إن محاولة عوص تاريخ الحروب الصليبية من خلال وجهة نظر "الجهة الأخرى" ليست بالمحاولة الجديدة في العرب. فمذ أكثر من قرن مضى، وبعد انتهاء Michaud - Bibliothèque des croisades فإن الأستاذ للصليبي Reimund أستاذ Michele Amari قد وضع مؤلفاً اسمه Chroniques arabes (باريس 1829)، جمع فيه ضمن نص متتابع بعض الإصدارات والنصوص المجددة المأخوذة عن المؤرخين العرب لتلك الفترة، خاصة وأن كثيراً من تلك النصوص لم تكن آنذاك مطبوعة، بل كانت محفوظة في "Bibliothèque du Roi". غير أن ذلك العمل الريادي، الذي ما زال يحتفظ حتى اليوم بفائدته الكبيرة بالنسبة للمؤرخين غير المستشرقين، كان يهدف إلى تقديم رواية متكاملة عن الأحداث مستقاة من مصادر شرقية للحروب الصليبية، ذلك بدلاً من تقديم تلك المصادر المتبعثرة بعلامها المميزة. وهذا ما تم اقتراحه خلال النصف الثاني من القرن الثامن عشر في باب Historiens orientaux في Recueil des Historiens des Croisades والذي نشر برعاية Accademie des Inscriptions et Belles Lettres وأعتنى بأجزائه لشرقية Barbier de Meynard وهو يحتوي في مجلداته الخمسة المطبوعة (باريس 1872-1906) على نصوص وأقوال لمختلف المؤرخين، كابن الأثير وبيهاء الدين وأبو القسام وأبو الفداء... الخ. لكن هذا العمل الرائع (وإن كان غير صليبي وغير ملائم للقراءة المتواصلة) كثيراً ما تم انتقاده بسبب التحيزات غير الموقفة وغير الأمينة للنصوص بل بسبب بعض أخطاء التفسير أيضاً، ومع هذا فإنه يبقى مرجعاً دراسياً مهماً يستعمله المستشرقون والمختصون بالقرون الوسطى على السواء.

يعتبر عملنا هذا شديد التواضع أمام العاملين للذين استشهدوا بهما للتو. وإن كنا قد استفدنا في محاولتنا هذه من كلا المؤلفين، فإن مراجعنا الأساسية هي

النصوص المختلفة، التي أصبح أكثرها مشهوراً الآن، أما تلك التي لم تنشر بعد فيمكن مراجعتها بسهولة ضمن المجموعات القرونغرافية المصورة للمخطوطات التاريخية المحفوظة في "مؤسسة كايناتي للدراسات الإسلامية" Fondazione Caetani Per gli studi musulmani في روما. للنصوص التي استشهد بها مأخوذة عن سبعة عشر مؤلف، وهي إن لم تشكل كل المصادر الإسلامية لتاريخه عن الحروب الصليبية، فإنها تشمل أكثرها أهمية، وتشكل محاولة لتقييم إطار متكامل بما فيه الكفاية يستعرض مختلف النماذج والاتجاهات التاريخية ولأدبية مما قدما عنه لمحات مزجعة... أما الأحكام التي تتبعها في اختيار النصوص فكانت نزاعية، كما هو يدهي، أهمية الموضوع التاريخية من ناحية، ثم البحث من ناحية أخرى عن طابع إنساني وأبدي يكون حيواً وذا شأن ضمن المؤثرة العامة للمصادر. أي عن بعض التفاصيل التصويرية البارزة، التي وإن لم تكن ذات أهمية تاريخية دقيقة فإنها تتطبع بسهولة في الذاكرة وتبقى حية فيها. والحقيقة أن العديد من المؤرخين الشرقيين يميلون لمثل هذه التفاصيل التي عرفت أنها امتلكت مشاعر مصنفهم العالي لرصاصاً. نجد على ضوء هذا أن القسم الثاني المخصص لصالح الدين والحملة الثالثة قد مال بين ما اختاراه حصة الأسد، وكان هذا بسبب أحد الحكماء المستشهد بهما رغم أنه يتمتع بالحق لأدلى في ذلك. بيد أن ما أمله هو أن تبرز من خلال هذه الصفحات الرؤية العامة والتفاصيل التي أضطانا إياها المسلمون من ذلك العهد، وكذلك توجهات كل منهم، حينما وجدت، وحصلت من أساليبهم.

ولأن، وبعد نصف قرن من شهر عديدة قضيتها في صحبة مؤرخي الحروب الصليبية أولئك، وبعد محاولتي سماع أصول حادة للبر، معالية في عداها لعقيدة أبائنا، شديدة العبرة للدينية وعميقة للمحبة لتقليدهم المتوارثة، فورية التعاطف مع نكباتها والإعجاب بإبطالها للشهداء الذين صحوا في سبيل الدفاع عنها، بعد كل هذا ظننمخ لجامع هذه النصوص بأن يعترف بمحبة وحضام حصارة كرس سنوات طويلة من عمره لدراستها، رغم أنه لم يتمكن من الاقتراب منها كما يجب ونعمها في أعماقه حق النعم. ومع هذا فإنها لم تظهر له أنداً

قبل هذا الحيز بكل ما فيها من قوة تلهم الصبر وتكريس الذات والتصحبة ومرونة
فائقة ومقدرة على الاتبعات، ساعة تعاكسها الأقدار، وإيماناً حديباً صلب لا يلبس
بالمكورت السامي للمطلق، هذا إلى جانب ما فيها من عيوب وسلبيات ليس هناك
الأى ضرورة للإصرار عليها. لما وقد اعتكنا أن نصنع كل المزايا المذكورة بتعبير
توحى بالعيوب والنواقص والمساوئ عندما نعرف أنها تنطق بـ "الجهة الأخرى"،
فانعمل الآن إلى على تسميتها ولو لمرة واحدة بإسمها الحقيقي على الأكر شيئاً
من أهميتها وبدون أي تورج أو خوف.

ف.ع.

روما، أيلول/سبتمبر 1957

تم في هذه الطبعة الثالثة من الكتاب تصويب بعض الأخطاء وتحديث
بعض بيانات المراجع.

ف.ع.

روما، آب/أوغست 1969

مقدمة العرب

ألت علي فكرة إعداد هذا للكتاب بالعربية منذ معرفتي به للمرة الأولى بالإيطالية. وفكرت أنه سيكون كتاباً قديماً و'حديثاً' في آن واحد، كتاب عن الحروب الصليبية بقلم مؤرخي العهد وقد لبس لباس عصرنا وتحلى بروح حننه. وقد قرأ أن غابرييلي مال في مقدمته إنه عمل على إعادة صياغة مواضيع عمله صياغة افتراضية، فوازي وقلبي ودمج مواد مختلف المذاهب التي كتبها مسلمون في ذلك العهد عن تاريخ ذلك العهد. هذا بهدف (مساعدة القارئ العربي على النظر إلى فترة الحروب الصليبية من 'الجانب الآخر' أي من وجهة نظر الخصم آنذاك). لهذا اعتقدت أن إخراج هذا للكتاب بالعربية سيساعد القارئ العربي هذه المرة على معرفة شيء عن الرؤية العربية للمعاصرة حول مجمل الأمر: كتاب عن الحروب الصليبية بقلم مؤرخين عرب لتلك الحقبة إن، لكنه منسق ومنظم بطريقة علمية حديثة، ومن قبل غربي يحاول أن يكون موضوعاً في رؤيته وعمله.

وتكلمت آنذ مع الأستاذ غابرييلي، وبدأت بالعمل. ولم يكن بالسهولة التي تخيلتها بدئ ذي بدء؛ لكن بالعمل يمكن تجاوز كل صعوبة.

وقد وجهني الأستاذ غابرييلي آنذ إلى أمين مكتبة كاتباتي (الذي أصبح بعدها عميد كلية الدراسات الإسلامية في المعهد الشرقي في جامعة روما) وذلك لأتمكن من الحصول على صور لتصفحات ذات الصلة في المخطوطات ومجموعات. كان من السهل تصوير بعض الكتب والمخطوطات بأجهزة ميكروكوبية؛ لكن استعمال الميكروفيلم كان ضرورياً لتصوير بعضها الآخر. كان علي إيجاد الكتب والمخطوطات المعنية في أرشيف المكتبة الصحن، ثم البحث في كل منها عن الصفحات التي تهمني والتي أشار إليها غابرييلي في كتابه الذي نقلت عنه. خرجت بعدها بمصنف واسع يضم صوراً لكل الصفحات الأصلية

فجمعها ورببها بحسب ماوردت في كتاب غابريلي الإيطالي. وترجمت بالطبع كل ماكتبه غابريلي من مقدمات وهوامش وفهارس وأضعتها إلى ذلك المصنف كما أضفت إلى النصوص العربية للمقطعة للتواريخ الميلادية التي وضعها غابريلي إلى جانب التواريخ الهجرية الموجودة في النصوص الأصلية أورد في نهاية هذا الكتاب نماذج من صور طبق الأصل (فوتوكوبي) وميكرو فيلم التي شكلت أساس المصنف المذكور وقوامه أكثر من 100 صفحة. وهي نماذج عن صور الصفحات الأصلية التي جمعها ورببتها بحسب ماوردت في كتاب غابريلي الإيطالي.

لم يكن يمكن لأي ناشر أن يقبل تقديم الكتاب على أساس مصنف يجمع صوراً تصعب في كثير من الأحيان قراءة ما فيها. وهكذا كان لابد من تضيق الكتاب من جديد. طلل بي الرمان وأنا على هذه الحال إلى أن توفر في العالم الكمبيوتر ومن بعده الانترنت. فحاولت منذ فترة قريبة استعمال هذه التسهيلات وتمكنت من العثور على كثير من المواد المصدقة في مواقع الانترنت، وهكذا بدأت رحلة ثانية أقل صعوبة من الأولى لكنها ليست أقل تعقيداً. بحثت ووجدت ملفات كثيرة للكتب المعينة، وكان علي أن أستخلص من كل منها المقاطع المطلوبة. بعد لأي تمكنت من تجميع كثير من تلك المقاطع، لكن كثيراً منها أيضاً لم يكن موجوداً على الانترنت، أو لأنها كانت موجودة بطريقة لا يمكن نسخها أي بصورة PDF. وهكذا فإنه لم يكن أمامي إلا العمل على تضيق المقاطع الناقصة⁽¹⁾ انطلاقاً من صور المصنف القديم.

تكررت في الهوامش أسماء أهم المواقع التي أخذت منها للمقاطع المعينة⁽²⁾.

(1) أشعر هنا بضرورة توجيه الشكر للمهندس جهاد العماد على مساعدته تقنيه في هذا المجال
(2) من أهم المواقع المستعملة: موقع المكتبة الشاملة <http://shamela.ws/index.php> وقد رجعت فيه مقاطع منها كتب مثل الكامل في التاريخ لابن الأثير، وكتاب الفوائد السلطانية والمحدثين البيهقي، كنجوم الزاهرة، نيل تاريخ دمشق، وهناك موقع المشكاة <http://www.almeshkat.net> حيث وجدت كتاب نعية الطيب في تاريخ حلب ثم موقع <http://www.anti-rafaida.com/sunnabook/tareekh> الذي وجدت فيه كتاب ربه الحب في تاريخ حلب. وهناك أيضاً موقع "المصطفى" www.al-mostafa.com وفيه كتاب الحب [المترجم]

وعلى ها أن أسجل أن صفحات مقاطع الانترنت تحلف عن تلك الأصلية المستشهد بها. يتناول الاختلاف كلمات وعبارات بل وجملاً كاملة تزيد ها أو تنقص هناك. ويندو أن الطباعات التي أخذت عنها بعض مواقع الانترنت تحلف عن تلك التي نقل عنها غابرييلي كتابه. لذلك لابد أن تكون أرقام الصفحات التي أوردها غابرييلي، ونقشها أنا بالطبع في هذا الكتاب، تحلف عن بعض الذي أخذته ها أيضاً عن الانترنت. لكن المهم بمزيد من المتابعة عليه أن يعتمد الطباعات التي استشهد بها غابرييلي.

لقد بدأت بأعداد هذا الكتاب في روما خلال عشرينيات القرن الماضي وتحت إشراف مؤلفه الأستاذ غابرييلي، وعادت العمل فيه على فترات متقطعة، إلا أنه لم يتح لي أن أنهيه إلا الآن وأنا في دمشق التي نشهد اليوم فترة عصيبة لا تحلو من بعض امتدادات ذلك العزو الأفريقي الذي نحن بصددده، والذي عاد صد فترة ليست قصيرة ليلأوش كثيراً من بلداننا العربية. ومن ها - مرة أخرى - أهمية مثل هذا الكتاب في هذه الفترة من التاريخ.

الأعزل

صورة للرسالة التي كتبها لي البروفيسور فرانسيمكو غابرييلي عام 1972،
حول مقابلة أجريتها معه ونشرت في حينه. أسوقها هنا مع ترجمة لها بالعربية،
مع أنه يوسفني أنني لم أتمكن من العثور على نص المقالة. أشير إلى أن معايير
الكتابة المستحبة والأعزل التي أثار إليها وردت في سياق المقابلة المذكورة.

الترجمة:

معهد الشرق

روما

مكتب البريد روما 14.9.1972

عزيزي سيلي

سبب الثقافة ومراة سرور بديع معاشك (وقد أسمع حول الكتابة حتى سـ
كادت مشغله، لأننا المستعرب لن يتمكن أبداً من التحدث بلهجة العربي
الأصين، م لقد أعجب ببقه وأمانه هناك وتميزك حتى على أدق تفاصيل
محادثة، أشكرك لذلك مع ودي الصافي.

أرجو أن جنس في نشاطات شعري، وأحييت بكى ود

فرانسيمكو غابرييلي

كأعزل

ISTITUTO PER L'ORIENTAMENTO

ROMA 10

VIA P. BASSANO 10

12. 10. 1972

ROMA

Roma, 14 XI 72

Caro Nelli,

ho ricevuto la Stampa, ho letto con gran piacere la tua intervista (si ha solo sostituito un po' le parole, che pur sustituisce; ma è facile che un monte'rip non possa mai parlare come un grat puro..). Ho apprezzato la precisione e fedeltà con cui lei ha raccolto e reso sin nelle sfumature quella nostra conversazione; la ringrazio perciò con vera gratitudine.

Spere in altre occasioni di incontro, e lo saluto intanto esuberantemente

con affetto
Nelli

ملاحظات ببليوغرافية (1)

هناك كتابان شريحيان كاملاً وحديثاً للبحث يدوران حول الحروب الصليبية، دون أن يكون واضعاهما من المستشرقين، لكنهما اعتمدا على أي حال على Recueil وReinard وهما:

- R.GROUSSET Histoire des Croisades et du royaume franc de Jerusalem, Paris 1943 -36.
 - 2- ST.RUNCTMAN, A History of the Crusades, Cambridge 1951 - 54.
- يقع كل من هذين المؤلفين في ثلاثة مجلدات تحتوي على ببليوغرافية واسعة (وقد قدم R GROUSSET نفسه ملخصاً عاماً سهلاً في L'épopée des Croisades طبعة باريس 1939). أما عن كتاب History of the Crusades لتواسع والذي أتمه العديد من المساعدين بإشراف La Monte و Setton، فلم يصدر منه حتى الآن إلا جريان في The first hundred years و The later Crusades 1189-1311، هيلينيف 1955-1962. كما أن هناك كتاب عن الببليوغرافية الإسلامية وأشكالها المختلفة لـ P ROSENTHAL وهو A History of Muslim Historiography of Muslim Historiography طبعة 1952 Leiden. لكن الاستعراض والتقييم العميقين للمؤرخين العرب للحروب الصليبية جدهما لدى CL.CAHEN في كتاب:

La Syrie du Nord n° 1 "époque des Croisades et la principauté francque d'Antioche. (Les sources arabes, طبعة باريس 1940، الصفحات 33 - 93

وهناك معالجة محدثة أجراها CAHEN نفسه في مقالته Croisades في Encyclopedie de l'Islam. 1961، الصفحات 64 67 من الطبعة الثانية لـ H istorography of المعنى بوضوح مراجعة مقارنتاً في الصفحات 98 107 فصل

the Crusades من مجلد Historians of the Middle East لوكسورد 1962 وكذلك مقالتنا بالإيطالية L'Islam nella storia طبعة باري 1966، الصفحات 199-209. ويرى أنه من غير المفيد إيراد بيبليوغرافية شاقة وخصوصية جداً عن كل المؤلفين وعن كل المواضيع على أفراد، ولذلك فإننا سنذكر فقط الدراسات الثلاث المهمة لـ H.A.R. GIBB ألا وهي:

Note on the arabic materials for the history of the early Crusades -

الموجودة في (Bulletin of the school of Oriental Studies)، العدد السابع (1935)، الصفحات 739 - 754

The arabic sources for the life of Saladin - في (speculum العدد 29

(1950)، الصفحات 58 - 72

The achievement of Saladin, (Bulletin of the John Rylands -

Library) العدد 35 (1952)، الصفحات 44 - 60

وفيما يتعلق بصلاح الدين تمكن مراجعة ما كتبه عنه في كتاب Storia e

civiltà musulmana طبعة نابولي 1947 وثم طبعة فلورنسة 1948 Firenze، ثم

Der Sturz des (1187 - 583) في der Darstellung في J KRAMER

Wiesbaden 1952 des Imad ad-din al - طبعة Konigraiches Jerusalem

B Lewis The sources for the history of the Syrian ثم Katib al Iskhani

assassins في (Speculum) 27 (1952) الصفحات 475 - 89 ثم F GABRIEL،

C'li Ospitalieri di S. Giovanni negli storici musulmani del e Crociate

(annuario delle R.scuola archeologica d. Atene) الصفحات 345 - 56

(.929) 9 - 8

ملاحظات ببليوغرافية (2)

- رايت أن أورد هنا الإضافات الببليوغرافية التي وردت في الطبعة الثالثة الإيطالية للكتاب عام 1969
- صدرت ترجمة إيطالية لكتاب L'epopee des Croisades السابق الذكر ميلانو 1968
- صدر لـ A WASS كتاب Fre burg - Geschichte der Kruzzuge الجزء الثاني 1956
- Storia delle crociate - P.egrasso ميلانو 1967
- Histoire des Croisades - Z.OLDENBOI باريس 1967
- صدر الجزء الثاني من The first hundred years the Later Crusades 1109-1311 فيلادلفيا 1962
- صدرت طبعة ثانية من كتاب A History of Muslim Historiography لندن 1968 Leiden
- معانجة لـ CAHEN السابق الذكر في المقار Crusades in Encyclopedie del Islam من ص. 64 - 76 الطبعة الثانية 1961
- وهناك فصل لعابرييلي قصة في كتاب Histor ens of the Middle East أوكسفورد 1962 من ص. 98 - 107
- وفي الإيطالية في كتاب Bari - L'Islam nella storia باري 1966 ص 195 - 209
- وكتاب The Assassins - لندن 1967

المؤلفون والكتب

ابن القلاسي⁽¹⁾

هو أبو علي حمزة بن أحمد التميمي، المشهور بابن القلاسي (دمشق، حوالي 465 1073 - 555/1160). وهو أقدم مؤرخ عربي تناول الحروب الصليبية وذلك في تاريخه المشهور بـ "كامل تاريخ دمشق" (إشارة لتاريخ يحمل نفس العنوان لـ هلال الصابي).

يذهب هذا التاريخ الذي وصلنا عبر مخطوطة فريدة - من عدد 974/363 وحتى عام 555/1160، أي نفس العام الذي توفي فيه المؤلف، وقد روى فيه أحداث تلك ما بين الرافدين، ولكن، وهو كل شيء، تاريخ سوريا ودمشق حيث تقلد ابن القلاسي مناصب إدارية وثنية. وقد تناول في تاريخه، المأخوذ عن مصادر مباشرة، الحملتين الصليبيتين الأولى والثانية وذلك حتى أوائل العهد الذي دخل فيه نور الدين إلى دمشق.

الجدير بالذكر أن روايته شامخة محيطية وامتعة وتحتوي على بعض التفاصيل حول أمراء دمشق من أسرة ضعيفين. وهي مكتوبة بأسلوب جاف وموضوعي، عذ عن بعض النصوص حيث يوجد أثر مرخوف.

يتسم تاريخ ابن القلاسي بالموضوعية عامة، كما أن معاصره المؤلف للحوادث المزوية ووجود بعض الوثائق في الكتاب تجعل من هذا التاريخ مرجعاً أساسياً حول أقدم عهد من عهود الحروب الصليبية.

النص: طبعة 1908 Leiden. Amedroz.

وردت المقتطفات في الصفحات التالية:

45-52، 55-56، 58-64، 67-69، 72-75.

(1) من مريد هدد الإشارات عدا الأولى منها إنما هو وهو الترتيب الذي يظهر فيه المؤلفون في الكتاب وهو لا يتوافق إلا بصورة إجمالية مع الترتيب الزمني.

ابن الأثير

هو عمر الدين ابن الأثير (جزيرة ابن عمر 1160/555 الموصل 1233/630)، أشهر إخوة ثلاثة من عائلة كانت تقطن بلاد ما بين الرافدين، واشتهرت بثقافتها العربية الإسلامية. أهم أعماله هو "كامل للتواريخ"، وهو تاريخ لكل العالم الإسلامي يبدأ بالأسطورة والتاريخ العربي العربي السبق رسالة محمد، وحتى عام 1231/628. يكرر بشكل عام في قسمه القديم (حتى أوائل القرن العاشر بعد الميلاد) الأحداث الواردة في المجموعة التاريخية الكبرى لابن الصبيري، لكنه يعتبر مصدراً مهماً جداً فيما يتعلق بالقرون الثلاثة الأخيرة وعلى لأخص بالنسبة للحقبة التي عاصرها المؤلف. ويتميز الكتاب بشمولية الرؤية وتوارى سبين وغنى المراد المجمعة، وأخيراً وليس آخراً، بوجود رؤية تاريخية صلبة وشخصية واضحة متميزة. يجعل هذا من ابن الأثير "المؤرخ الحقيقي الوحيد" العربي في هذا العهد، لكن هذه الشخصية الفذة ولدت عيوباً وهنات مثل تعاطفه أحياناً مع العائلة التركية العراقية (زكي ونور الدين ولتأنيها)، كما أنه يبدو أحياناً أخرى غير دقيق في معالجة مصادرهم. ولكن رغم هذه التحفظات فإن بنية كتابه تدعو للإعجاب، فهو مؤلف يحيط بكامل العالم الإسلامي بدءاً من بلاد ما وراء النهر وحتى بلاد المغرب وأسباب. كما يرى أنه يتابع أسباب الأحداث ويربطها، ويجيد تصنيفها في عرض واضح فعال وذلك رغم هيكلية الحواشي المتبعة. أما فيما يتعلق بتاريخ الحروب الصليبية فإن ابن الأثير كان شاهد عيان، ولم يكن دائم الإعجاب بفصائل صلاح الدين، ويعتمد في بحوثه على مصادر مثل ابن الفلاني وبهاء الدين وإمام الدين (راجع عنهم المصنفات التالية). وقد كان لوصوح أسلوبه الذي يقصد جوهر الأحداث بعيداً عن وحشي الكلام ومزخرفه أن ساهم في جعله مؤرخاً رئيسياً لأوائل العهد المتوسط الإسلامي.

النص، طبعة Tornberg. المجلدات 10 11 12، 64-853. Leiden

ورنت المقطعات في المصنفات التالية:

63-65، 69-70، 75-77، 103-110، 117-122، 138-148، 152-153،

158-160، 179، 187-193.

كمال الدين

هو كمال الدين ابن العديم (حلب 1192/588 - القاهرة 1262/660) كان مؤرخاً لمدينة موطنه، وخاصة من خلال مؤلف صخيم دي طابع وصفي، وهو "بعية الطلب" الذي لم يصل منه إلا قسم ما زال غير منقور. قام بعده بتجميع المواد من تاريخ محلي هو "زبدة الحلب في تاريخ حلب"، والذي يصل حتى عام 641 243، ويشكل هذا الكتاب بالعمدة لحلب في القرنين الثاني والثالث عشر من شكله بالنسبة لدمشق في القرن الثاني عشر تاريخ ابن الفلاس. أما فيما يتعلق بتاريخ الحروب الصليبية، فإن هذا الكتاب يهمل قبل كل شيء كشهادة عربية حول حوادث سوريا الشمالية.

النص، طبعة سامي الدغلي، الجزء الثاني، دمشق 1954
وردت المقتطفات في الصفحات التالية:

55-53

أسامة

هو أسامة بن منقذ، أمير شيزر (شيزر 1099/488 - دمشق 1188/584)، من أهم شخصيات المعركة السورية في عهد الحروب الصليبية. رجل سياسة وأدب، درس وصياد، رجل قول وفعل، سياسي مختل قليل الوسواس، أمضى حياته الطويلة في علاقاته مع الفرنج وأمراء سورية وخلفاء مصر الفاطميين، مات بعد، مبنية ضامصة في قمة الانتصارات صلاح الدين. تعود شهرته لكذب عن سيرته الذاتية هو أنه كذاب الاعتراف، والذي وصلنا ناقصاً عبر مخطوطة عن لايسكوريال، وهو عبارة عن صورة صليبية عنه نفسه، كما أنه كذب من الأحرار بحجة انحصار ببعض معاصريه من الإسلام والفرنج. ولم يصلنا من إنتاجه لأدبي والفني إلا الجزء لليمير، ومن بينه "كتاب العصا"، وهو مجموعة كتب بالطريقة العربية وصممت ألواناً والقصاصات ولقشعرات والأمنال حول العصي وعنه أخذنا آخر مقتطفاتنا.

النص طبعة Derenbourg باريس 1886 (والنص الأخير ، H Derenbourg
O sama ibn Mounkidh; Un emir syrien au premier siecle des Croisades
Paris 1893- PP 528/24)

وردت للمقطعات في الصفحات التالية:

84-78

بهاء الدين

هو بهاء الدين بن شتاد (الموصل 1145/539 - حلب 1234/632)، حل
عام 1188 في خدمة صلاح الدين الذي عينه قاضياً للجيش، وبقي مخلصاً له
حتى وفاته. وقد أصبح، تحت حكم لوائل من طغوه. كبير قصاة حلب، وسيرته
عن صلاح الدين 'النوادر السلطانية والمحامس اليوسيفية' (يوسف هو الاسم
الشخصي لصلاح الدين) إنما هي من أجود المصادر التاريخية والتصنيفية، وقد
أملأه عليه تفاه الصادق وأعجابه انشائي من أي حروع أو محابة أو مذهبة.
وهي تعتمد في قسم كبير منها على التجربة المباشرة للمملاء بأسلوب سهل خال
من المحسسات الأدبية، كما أنها تعطي صورة كاملة عن هذا البطل من الجانب
الإسلامي، فضلاً عن كونها تاريخ حي عن الحملة الصليبية الثالثة.

لنص في، Recueil des Historiens des Croisades, Historiens
Orientaux, الجزء الثالث، باريس 1884.

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

86-102، 148-152، 153-155، 158، 160-161، 162-168، 169-.

174، 182-185.

عماد الدين

وهو إمام الدين الأصمهاني (أصمهان 1125/519 - 1201/597)، كن كتب
ور الدين ومن بعده صلاح الدين، وقد كان يعمل تحت إمرته القصي تفاصيل
في ديوان إنكشانة. وهو أديب وخطيب فحل، ألف كتاباً فيه مجتازات قيمة من

اشعرء العرب في القرن الثاني عشر ، فضلاً عن مؤلفات تاريخية مختلفة، كتبها بأسلوب منسق مطرز بالإنشيع وينثر مسجوع وموزون، وعبر سلسلة متواصلة من التشابيه والصور والتلاعب بالألفاظ لكن هذا الأسلوب للصعب والعث سرعان ما دفع بعض المصنفين كآبي الشامة (راجع للصفحة التالية) لاستخلاص لأحدث من صمن العصور المرحرفة المجونة في الأصل، لكنه علينا أن يعود دأماً إلى ذلك الأصل كلما أردنا أن نعرف أموراً تاريخية مهمة يصعب العثور عليها في مخصصات التصديف. وقد وصل إلينا كاملاً، وهو الآن مطبوع، مؤلفه عن فتح القدس والذي يصل حتى وفاة صلاح الدين. وهو "الفتح القسي في الفتح القسي" (نرى أن السلاعب بالألفاظ بدأ منذ العصور)، أما كتاب "البرق الشامي فلم يصل إلينا كاملاً كما أنه مازال غير مطبوع، وهو يتناول حياة ومكالم صلاح الدين منذ عام 1175. على أن الدراسات الحديثة بدأت تجد تحت شكل هذين المؤلفين الذي لا يطاق مصدراً واسعاً لمسيرة الأيوبي الكبير والحوادث التي كان هو بطلها في سوريا وما بين النهرين، كما أنها رأيت في إمام الدين مؤلفاً قيماً دقيقاً وأميناً وخبيراً بالمعلومات المهمة، لكننا سرى في المقاطع التي اعتمدها كيف أن المعطيات البسيطة مغمورة في بحر مزعب من الثمرات.

الطبع طبعة 1888 Leiden-Landberg

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

110-117، 122-137، 155-157، 174-176.

أبو شامة

هو شهاب الدين أبو القاسم أبو شامة (نمشق 1203/599 - 1267/665)، باحث ومعلم، كان مصنفاً "مكتيباً"، جمع في مؤلفه كتاب الروصنين (الذي يدور حول أسرى نور الدين وصلاح الدين) كثيراً من المواد التاريخية التي تعرف الآن أكثرها من خلال مصانيرها الأساسية. كان كثير الاستشهاد بالمصادر المأخوذة عن ابن الفلامني وإمام الدين (بعد وضعه في شكل سهل مقبول) ويهء الدين وابن الأثير إلح. ويهء أكثر ما يهءا هه استشاداته بمؤلفات مفقودة للمؤرخ الشيعي

الحلي ابن أبي الطي، الذي ألف هو أيضاً كتاباً عن سيرة صلاح الدين، وقد حفظ لنا كتاب الروصتين" وثائقاً كثيرة كانت في ديوان السلطان صلاح الدين، جمعها كاتبه الأول القاضي الفاضل والذي قام أيضاً بتنسيق مجموعات خاصة للرسائل

النص، مطبعة للقاهرة 1870/1287

وردت للمقطوعات في الصفحات التالية:

162

مناقب رشيد الدين

يشير تحت هذا العنوان إلى مؤلف فريد من نوعه أذاً عن طائفة الاسماعيليين في سورية (الحشاشين). وهو عبارة عن مجموعة من التكريات والموارد عن "الشيخ الأعظم" رشيد الدين مسان، الذي عاصر صلاح الدين وترجم الطائفة في سورية عندما كانت على جانب كبير من الهيبة. نجد في الكتاب مواد عن القيم والأخلاقيات أكثر من المواد التاريخية التي يمكن الاعتماد عليها. وقد جمعها كلها عام 1324 أحد أتباع الطائفة المجهولين، وهو الشيخ أبو فراس من مأنفة، كانت قوة الاسماعيليين في ذلك الوقت قد شارفت منذ حين بعيد على الغيوب. ويمكننا أن نرى في النص الذي اقتطفناه شيئاً عن مقتل ملك فرنسا ريد، فرس كونراد" لكن تحت كثير من التلويح للبلاغي.

النص في: سلسلة Journal Asiatique، الجزء السابع، الصفحات 324 - 489

(S.GUYARD, Un grand Maître des Assassins au temps de Saladin)

وردت المقطوعات في الصفحات التالية:

179-181

ابن واصل

وهو جمال الدين بن واصل (حملة 1207/604 - 1298/697)، حصل على مناصب عديدة في أواخر عهد الأيوبيين وأوائل عهد المماليك، عين عام 1261 سفيراً لبيبرس لدى مغريد، ثم أصبح كبيراً لقضاة مسقط رأسه حماه. أهم مؤلفاته

"مفرح الكروب في أخبار بني أيوب" الذي يدور حول أسيرة صلاح الدين، ولكنه تناول أيضاً من سبقها من السلالة الرنكية، ومن تلاها من الأسرة المملوكية وذلك حتى عام 1282/680. لهذا يعتبر الكتاب من أهم المصادر حول الحروب الصليبية في القرن الثاني عشر (الحملة الخامسة، رحلة فرديريك الثاني، حملة سان لويس)، وعنه أخذ لواخر للمصنفين. لكن هذا الكتاب لم يدل ما يستحقه من اهتمام جليل وقت طويل من الزمان وبقي غير مطبوع، حتى تم نشره من رمن قريب.

النص: مخطوطة عربية - ms.Ar. باريس 1702 (صور ضيق الأصل في مكتبة كابتاني).

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

198-193، 200-203، 206-216

سبط ابن الجوزي

وهو حميد (سبط) المؤرخ ابن الجوزي، كان خطيباً مرموقاً، عاش مدة طويلة في دمشق في قصور الأيوبيين (بغداد 1186/582 - دمشق 1256/654). ووصل إليه مؤلفه بالشامل الضخم والدفيق 'مرآة الرمان' في نسختين، وتعود أهميته، قبل كل شيء، لمؤلفه ولما يذكره عن الحوادث في سوريا؛ فبفضله على سبيل المثال نعرفنا إلى التفاصيل المهمة حول زيارة فرديريك إلى القدس، ونعرفنا كذلك إلى تفصيل تصويرية تعود إلى القرن الأسبق وتصور حول حصار دمشق أيام الحملة لثانية.

النص: طبعة نافسة Jewett، شيكاغو 1907 (494 - 654 هـ). أما النص حول حصار دمشق، فوطبعت في هامش في كتاب ابن الفلانسى. طبعة Amedroz

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

70-71، 199-200.

(1) صدر منه حتى الآن ثلاثة أجزاء (القاهرة 1962/1954) يشرف م. شبال

تاريخ المنصور

تاريخ يصل حتى عام 1233/631، لمؤلف معمر من حاشية أمراء لاويين في سورية، وهو أبو الفصل من حماة. للكتاب مكرس لملك المنصور ملك حمص (وهذا ما يدل عليه عنوان الكتاب). وهو مهم بسبب ما فيه من أخبار عن فردريك الثاني في الأراضي المقدسة، وتضمن رسائله العربية بعد أن عد إلى إيطاليا مباشرة، وكذلك عن أحر أخبار المسلمين في صقلية، والتي وصلت إلى الشرق مع مهاجرين ومبعوثين عرب - صقليين. وقد نشر ميكيل ماري MICHELE AMARI هذه المقطوعات الثمينة المأخوذة من المخطوطة الفريدة غير المطبوعة والم محفوظة في المتحف الأسبوري في بطرسبرغ (السيبراد).

النص في الملحق الثاني لـ Biblioteca Arabo-Sicula, Seconda Appendice,

Leipzig 1887

وردت المقطوعات في الصفحات التالية:

205-203

ابن عبد الزاهر

وهو محي الدين بن عبد الزاهر (الفاخرة 1233/620 - 1293/692)، كان كاتباً عند السلطانين المملوكيين بيبرس وقلاوون، ومحدوفاً للأحداث الرسمية في ديوانهم، ومن ثم أصبح مؤرخهم ومدون سيرهم من معلومات جمعها لكنه لم يبق لها من سيرة بيبرس المصممة لسيرة الملك الظاهر، إلا بعض النصوص الأساسية فصلاً عن منخصص لها حرره شافع الصقلاني قريب المؤلف. وهناك قسم كبير من سيرة قلاوون في تشریف الأيام والعصور بسيرة السلطان الملك المنصور، كتب بن عبد الزاهر أيضاً سيرة ابن قلاوون، الأشرف وهو فاتح عكا، ولم ينشر منه حتى الآن إلا جره يسير. وكل ما تبقى من أعمال للكاتب ما زال حتى الآن غير منشور، ذلك رغم ماله من أهمية كشاهد مباشر عن الأحداث المروية، ونشر لوثائق رسمية قيمة (رسائل، أخبار ... إلخ..). يبقى على أي حال أمره ضاعياً أن تدفع مواقفه ومديحه لسلطانه إلى التحويل في الاستفادة التاريخية منه

النصر 'مختصر شافع حول حياة بيمرس'، مخطوطة عربية ms.an باريس 1707 وتشریف (حياة قلاوون) مخطوطة عربية ms.ar باريس 1704 (عن صور طبق الأصل في مكتبة كلباني).

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

224 221، 226، 231 235.

تشریف

(رجع ابن عبد الزاهر)

المقرزي

وهو نقي الدين المقرري (القاهرة 766/1364 - 845/1442)، باحث وعالم ضليع يهتم بالأكريات، جمع مواداً هامة حول نصارى مصر التاريخية. به أهمية خاصة بالنسبة للفترة التي نحن بصددنا بفضل أحد كتبه التاريخية، الذي يكاد يعتمد كلية على تصديف مقطعات من (ابن واصل، سبط ابن الجوزي، ابن عبد برهر، ومصادر أخرى أقل أهمية)، ويبقى كذلك مهماً وضرورياً على ما نعرف حالياً، بفصل كتابه الآخر: "كتاب الملوك في معرفة تاريخ الملوك"، الذي يتناول تاريخ الأيوبيين والمماليك من عام 577/1181 حتى عام 840/1436. ولهذه الكتاب أهمية خاصة لتناوله الحملتين الصليبيتين على مصر والانتصارات المملوكية النهائية في سورية.

نصر: طبعة م ريادة، الجزء الأول، القاهرة 1934

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

216 219، 241-242.

ابن القرات

وهو نصر الدين بن القرات (القاهرة 735/1334 - 807/1405)، يحبر مثله مثل المقرري وأكثر المعاصرين مصعباً كبيراً. تتبع أهميته عن أهمية المصادر التي نقل

عنه. أما مؤلفه تاريخ الدول والملوك فلم يصلنا كاملاً ومازال قسم كبير منه غير
مضبوط وهو يصل حتى للقرن الرابع عشر، وهذه مؤلف مهمة تتناول عهد أول
المماليك، من مزايا ابن الفرات الأخرى اعترف بها مدد حين أنه استشهد مسلم
فعل أبو شامة بالمؤلف المفقود لابن أبي طي حول عهد صلاح الدين.

النص مخطوطة عربية قبيبا ms.Ar. 814 A.F. المجلدين 4.6 (عن
صورة طبق الأصل في مكتبة كلتياني)

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

225-226، 227 229، 236-237.

العيني

وهو بنر الدين العيني (عقاب 1360/762 - القاهرة 451/855) سياسي
وموظف لدى المماليك، عالم ودبلوماسي لتشرينات السنية، الف تاريخ عاماً "قد
الجمان في تاريخ أهل الزمان"، تبع أهميته - كالعادة بسبب المصادر التي أحد
عها، سواء لم تكن معروفة بعد أو غير متوفرة.

النص في: Recueil des Historiens des Croisades, Historiens Orientaux

الجزء الثاني، باريس 1887

وردت المقطعات في الصفحات التالية:

229-230.

أبو الغداء

وهو أبو الغداء إمام الدين إسماعيل بن علي الأيوبي، وهو (أبو الغدا) لدى
مستعري المغربي الثامن والتاسع عشر (دمشق 1273/672 - حماة 1331/732)
أمير أديب ضريف، يذكر: بعض القضيء بأسماء. وهو أحد أفراد العائلة الأيوبية،
برر عدم بدأت تقف قوتها الذاتية المستقلة، وبعد أن هزمها المماليك في ك من
مصر وسورية. لكنه انتزع اعتراف العائلة به ليعمل تحت سلطتهم سيداً على
مدينة أجدده حماة، وقد حكمها تحت لقب الملك المؤيد حتى وفاته. أهم موهبته

كتاب "مختصر تاريخ البشر" التاريخي، وكتاب "تغويم البلدان" الجغرافي، وكان هذان الكتابان من أوائل الكتب الأسيية العربية التي عرفت ونشر بعضها في أورب منذ بداية عهد الاستعراق الحديث. هذا مما أدى إلى إعطاء هذين التصنيفين أهمية أكبر مما يستحقان، إلا أن هذا بقي أمراً مؤقتاً رآل بعد التعرف إلى كتب أقدم وأكثر أصالة. أهم ما في تاريخه هو ما كتبه عن أحداث عاصرها هو المؤلف الذي ساهم منذ صباه في حروب المماليك ضد طرابلس وعكا، فكان شاهد عيان لخاتمة المماليكية للحروب الصليبية.

النص في: *Recueil des Historiens des Croisades, historiens orientaux*

الجزء الأول، باريس 1872

وردت المقتطفات في الصفحات التالية:

241-244.

أبو المحاسن

وهو أبو المحاسن بن طغر بيردي (القاهرة 1411/813 - 1469/874)، وهو أيضاً من جملة العلماء في عهد المماليك. ويعتبر تاريخه "النجوم الزهرة في ملوك مصر والقاهرة" أوسع تاريخ عام عن بلده منذ الفتح العربي حتى عام 1453/857، لكن هذا الكتاب أيضاً يقوم على التصنيف. إن كتاب أبو الفداء، ثم ما أملاه له أبو المحاسن عن حصار ومجررة عكا تحت قيادة الأشرف (الذي يعتمد بكل تأكيد على مصادر معاصرة) يعتبر أهم نص إسلامي وصلنا حول هذا الحدث، خاصة وأن الأمر لم يذكر في القسم المطبوع من سيرة ابن عبد الزاهر عن ذلك السultan.

النص: مخطوطة عربية - ms.Ar - باريس 1873 (عن صور طبق الأصل

في مكتبة كايماي)⁽¹⁾

وردت المقتطفات في الصفحات التالية:

244 246.

(1) لا توجد في الطبعتين تفريش (Matthies-Popper) لكتاب النجوم لشراء إلى تلك العرة. ولم يمكن من الوصول إلى طبعة القاهرة.

المؤرخون العرب للحروب الصليبية

القسم الأول

من كندفري إلى صلاح الدين

س لافلاسي وليس الأثير هما المصدران الرئيسيان في روايتك هذه عن الحملة الصليبية الأولى. ستلاحظ أن المؤرخ اللاتيني يكتفي بتقديم رواية إخبارية عن الأحداث، بينما يعمل ابن الأثير على ربط ظاهرة الحملات الصليبية بحركة الهجوم المسيحي على الإسلام (من تطورات استعادة اسبانيا إلى استيلاء النورماند على صقلية). على هذا الأساس يقدم لنا مؤرخ مابين النهرين، وبطريقة شاملة وفعالة ومباشرة، رواياته عن سقوط أنطاكية والقدس في أيدي الصليبيين ثم تقديمهم في الأراضي المقدسة وكنائسك زناد الفعل الإسلامية الأولى.

استيلاء الفرنجة على أنطاكية

ابن الأثير (1085/10-1188)⁽¹⁾

كَانَ ابْتِدَاءَ سُهُورِ نُوْلَةِ الْفَرَنْجِ، وَاسْتَدْرَكَ أَمْرَهُمْ، وَخُرُوجَهُمْ إِلَى بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَاسْتِيلَاتِهِمْ عَلَى بَعْضِهَا، مِثْلَ ثُمَالٍ وَشُعَيْنَ وَأُرَيْمُوسَ، (1085-1086 م) فَمَلَكَوْا مَدِينَةَ طَنْطَلَةَ وَغَيْرَهَا مِنْ بِلَادِ الْأَنْطَلَسِ، وَهَذِهِ مَقْدَمُ دِكْرِي ذَلِكَ. ثُمَّ قَصَدُوا سَنَةَ أَرْبَعٍ وَخَمْسِينَ وَارْبَعْمِئَةَ (1091)، حَبِيزَةَ صَقْلِيَّةَ وَمَلَكُوْهَا⁽²⁾، وَهَذِهِ دِكْرَتُهُ أَيْمَنَا، وَتَطَرَّقُوا إِلَى أَطْرَافِ إِفْرِيقِيَّةَ، فَمَلَكَوْا مِنْهَا شَيْئًا وَأَحَدَ مِنْهُمْ، ثُمَّ مَلَكَوْا غِرْدَ عَلَى مَا بَرَدَ. فَلَمَّا كَانَ سَنَةَ ثَمَانِينَ وَارْبَعْمِئَةَ (1097 م) خَرَجُوا إِلَى بِلَادِ ائِشَامِ، وَكَانَ سَبَبُ خُرُوجِهِمْ أَنَّ مَلِكَهُمْ بَزْدَوِي⁽³⁾ جَمَعَ جُفَاءً كَثِيرًا مِنَ الْفَرَنْجِ، وَكَانَ يُسَيِّفُ زُجْجَارَ الْفَرَنْجِيِّ الَّذِي

(1) كرر لي كل أرقام تصفحات هذه ها وفي كل الكتاب تشير إلى صفحات الطباعات

المذكورة في فصل التملّص والكتّاب [المترجم]

(2) مر الواضح أن هذا التاريخ يشير إلى نوبة الغزو النورماني.

(3) بزدوي ها (بافرويي الأون) شخص خيالي، نتج عن القبلان بين أسماء العديد من أشخاص يصدر

هذا الاسم في القلائد والعقود، لو أنه لو بزدوي ثم تحوله خطأ على أنه ملك من ملوك العرب

منك صليته فأرسل إلى رَجَّار يَقُولُ لَهُ: قَدْ جَمَعْتُ جَنْعًا كَثِيرًا، وَأَنَا وَصَلْتُ إِلَيْكَ. وسانر من عندك إلى إفريقية أُنْصَحُهَا، وَلَكُونُ مُجَاوِرًا لَكَ. فجمع رَجَّارُ أَصْنَدَهُ، وامتسار في ذلك، وَقَالُوا: وَحَقُّ الْإِنْجِيلِ هَذَا حَبَّةٌ لَنَا وَلَهُمْ، وَنُصْنِخُ سِلَاحَ بِلَادِ «نُصْرَانِيَّةٍ» هَرَفَ وَجَلَّةٌ وَحَبِيقٌ حَبَقَةٌ عَظِيمَةٌ وَقَالَ: «وَحَقُّ دِينِي، هَذِهِ حَبَّةٌ مِنْ كَلَامِكُمْ»^(١) قَالُوا: «كَيْفَ ذَلِكَ؟» قَالَ: «إِذَا وَصَلُوا إِلَيَّ أَصْحَاخُ إِلَى كُنْفِهِ كَثِيرَةٌ، وَمَرَكَبٌ نَحْمِلُهُمْ إِلَى إفريقية، وَعَسَاكِرُ مِنْ عُنْدِي لِيَصْنَأَ، فَإِنْ فَخَّخُوا لِمَلَدٍ كَانَتْ لَهُمْ، وَصَارَتْ الْمُثْبُوتَةُ لَهُمْ مِنْ صِبْغِيَّةٍ وَيَنْقَطِعُ عَنِّي مَا يَصِلُ مِنَ الْمَالِ مِنْ ثَمَرِ الْعَلَاتِ كُلِّ سَنَةٍ، وَإِنْ لَمْ يَفْلَحُوا رَجَعُوا إِلَيَّ بِلَادِي، وَتَلَدَيْتُ بِهِمْ، وَيَقُولُ ثَمِيمٌ:^(٢) غَزَاتِ بِي، وَلَقَصَنْتَ عُنْدِي، وَتَنْقَطِعُ لَوَصْنَةُ وَالْأَسْفَارُ بَيْنَنَا، وَبِلَادُ إفريقية بَاقِيَةٌ لَكَ، مَتَى وَجَدْنَا قُوَّةً أَخَذْنَاهَا». وَأَخْصَرَ رِسُولَهُ، وَقَالَ لَهُ: «إِذَا عَرَضْتُمْ عَلَى جِهَادِ الْمُسْلِمِينَ، فَأَفْضَلُ ذَلِكَ فَتَحُ بَيْتِ الْمَقْدِسِ، تُحْلَسُونَ مِنْ أَيْدِيهِمْ وَيَكُونُ لَكُمْ الْعَطَرُ، وَأَمَّا إفريقية فَبَيْنِي وَبَيْنَ أَهْلِهَا أَيْمَانٌ وَعَهْدٌ، فَجَهِّزُوا، وَحَرِّجُوا إِلَى الشَّامِ، وَقِيلَ: إِنْ أَصْحَابُ مِصْرَ مِنَ الْعُلَوِيِّينَ، لَمْ رَأَوْا قُوَّةَ الدَّوْلَةِ السُّلْجُوَانِيَّةِ، وَتَمَكَّنَتْ وَاسْتَبْلَاهَا عَلَى بِلَادِ الشَّامِ إِلَى غُرَّةٍ، وَلَمْ يَبْقَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مِصْرَ وَبِلَادٍ أُخْرَى تَمْلِكُهُمْ، وَدُخُولِ الْقَيْسَرِ^(٣) إِلَى مِصْرَ وَخَصْمِهَا، خَافُوا، وَأُرْسِلُوا إِلَى الْفَرَجِ يَدْعُوهُمْ إِلَى الْخُرُوجِ إِلَى الشَّامِ لِيَمْلِكُوهُ، وَيَكُونُوا بِهِمْ وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ»^(٤) (وَاللَّهُ أَعْلَمُ).

فَلَمَّا عَرِمَ الْفَرَجُ عَلَى قَصْدِ الشَّامِ، وَسَارُوا إِلَى الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ لِيُغِيرُوا الْمَجَازَ إِلَى بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ، وَيَسِيرُوا فِي الْأَنْزِ، فَيَكُونُ أَسْهَلُ عَلَيْهِمْ، فَلَمَّا وَصَلُوا إِلَيْهَا

(١) من الموصف أر يتم في بداية هذه الصفحات تصوير للكويك "أكبر بربرية" بهذا الشكل. لكن هذا أمر تقليدي، سواء بسبب الطبيعة الحقيقية المبتكرة التي يتكلم بها عادةً أولئك المسلمون من أعدائهم، أو لأن هذا المصطلح الخيالي يصور بامانة بالغة الحقبة السياسية التي يعتمد بها روجر

(٢) وهو سلطان تونس الزيري، تميم بن معر (1061-1107).

(٣) قائد عسكري تابع للسلطان السلجوقي مالك شاه، وكان قد غرر مصر عام 1076 انطلاقاً من فلسطين.

(٤) القاطنون هم بالطبع مسلمون أيضاً. لكنهم طائفة منشقة، وقد تم وضعهم هنا في تناقض مع الإسلام السني.

مسعهم ملك الروم من الاختيار ببلاده، وقال: لا أمكنكم من العبور إلى بلاد الإسلام حتى تحلفوا لي أنكم تستلمون إلي أنطاكية، وكان قصده أن يحنثهم على الخروج إلى بلاد الإسلام. فلما مئة ألفهم أثرك لا يتقون منهم أحداً، لم رأى من صرهم وملكهم البلاد. فأحاثوه إلى تلك، وعبروا الخليج عند القسطنطينية سنة تسعين [أربعمائة] (1097م)، ووصلوا إلى بلاد قليج أرسلان بن مسعهم بن قتلش، وهي قديمة وعزها، فلما وصلوا إليها لعينهم طيح أرسلان في خروعه، ومعههم. فقاتلوه فمروهم في رجب سنة تسعين وأربعمائة (تموز - يوليو 1097م)، وأجازوا في بلاد ابن الأرمي⁽¹⁾، فسلكوها، وخرجوا إلى أنطاكية لحصروها.

ولم سمع صاحبها باغي سوار يتوجههم إليها، خاف من النصارى الذين به، فأخرج المسلمين من أهلها، ليس معهم عزهم. وأمرهم بحفر الخندق، ثم أخرج من الغد النصارى لعمل الخندق أيضاً، ليس معهم مسلم، فعملوا فيه إلى العصر، فلما أردوا دخول البلد مسعهم، وقال لهم: أنطاكية لكم شهونها لي حتى انظر ما يكون بنا ومن الفرنج، فقالوا له: من يحفظ أبنائنا ونساءنا؟ فقال: أنا أخلفكم فيهم، وأمسكوا، وأقاموا في عسكر الفرنج، فحاصروها تسعة أشهر.

وظهر من شجاعة باغي سوار، وجودة رأيه، وحزمه، واختياضه ما لم يشاهد من غيره، فهلك أكثر الفرنج (موتاً)، ولو بقوا على كثرتهم لبي خرجوا فيهم بطبقوا بلاد الإسلام). وحفظ باغي سوار أهل نصارى أنطاكية الذين أخرجهم، وكف الأيدي المنتظفة إليهم.

فلما حال مقام الفرنج على أنطاكية أرسلوا أحد المستخفين للأبراج، وهو رزّ يعرب بزور، وبنلوا له مالا وأطعماً، وكان يثوئي حفظ برج يلي الوادي، وهو مني عنى شيك في الوادي، فلما تفرز الأمر بينهم وبين هذا المسع لوزلا، جاءوا إلى الشاك فتحوه، وحظوا منه، وصعد جماعة كثيرة بالجدال، فلما رادت عنهم على حصانة صربوا البوق، وتلك عند السحر، وقد تعب الناس من كثرة الشهر والحراسة، فاستيقظ باغي سوار، فسأل عن الحال، فعيل. إن هذا البوق من

(1) ذلك كم دار للمروحي العرب يسعون لرميتا الصغرى للكليلية.

القلعة، ولا شئ لئنها قد ملكت، ولم يكن من القلعة، وإنما كان من ذلك البرج، فدخله الزعب، وفتح باب البلد، وأخرج هارباً في ثلاثين غلاماً على وجهه، فجاء نائبه في حط البلد، هال عنة، فقبل إنة هرب، فخرج من باب آخر هرب، وكان ذلك معونة للفرنج، ولو ثبت ساعة لهلكوا. ثم إن للفرنج دخلوا البلد من الباب، وبهتوا، وهتوا من فيه من المسلمين، وتلك في حضارى الأولى (ب) يسر
 يبر / أبريل - ماي 1098 م (491/491) ⁽¹⁾ ولما راجع ميان فانه لما طلع حينه النهار رجع إليه عتله، وكان كقوتهم، ورأى نفسه وقد قطع عدة فراسخ ⁽²⁾، فقال لمن معه، "أول أنا؟" فقول: على أربعة فراسخ من أنطاكية، فقدم كيف حلص سالم، ولم يقتل حتى يرثهم عى البلد أو يقتل، وجعل يتلهم، ويسترجع على ترك أهله وأولاده والمسلمين، فمعدة ما لحقه سقط عن فرسه مخشياً عليه. هذا سقط إلى الأرض أراد أصحابه أن يركبوه، فلم يكن فيه منعة (فانه كن) قد قرب الموت فتركوه وساروا، عنة، واجتار به إنسان أزمى كان يقطع الحطب، وهو بأخر رمق، فقتله وأخذ رأسه وحمته إلى الفرنج بأنطاكية. وكان الفرنج قد كثروا صديج حلب، ودمشق، بأننا لا نقتل غير البلاد التي كانت بيد الزوم، لا نطلب سواها، مكرراً منهم وخديعة، حتى لا يساعدوا صاحب أنطاكية.

ذكر مسير المسلمين إلى الفرنج وما كان منهم

(ابن الأثير 188/10-190)

لما سمع قوام الدولة خزوقاً ⁽³⁾ بحال الفرنج، وملكهم أنطاكية، جمع العساكر وسار إلى الشام، وأقام بمزح دابق، واجتمعت معه عساكر الشام، تركها وعربها سوى من كان بحلب، فاجتمع معه ثقات من ثقات ⁽⁴⁾ وصغار من أتابك، وحب ح

(1) حسب المصدر العربية: 3 حزيران - يونيو.

(2) الفرسه حوالي 6 كيلومتر

(3) يسر للموصل التركي.

(4) صاحب عشق السلجوقي، وسرعان ما حله وبعث من قواد جيشه أتابك طمكيز فغير بعده مباشرة يصبح من أعنف خصوم الفرنجة خلال هذه المرحلة الأولى من المعركة.

الثَّوْلَةُ، وَصَاحِبُ حَنْصَرٍ، وَأَرْسَلَانُ ثَلَاثٌ، صَاحِبُ سَنْجَرٍ، وَتَلِيمَانُ بْنُ أَرْثُقٍ، وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْأَمْراءِ مِمَّنْ لَيْسَ مِنْهُمْ، فَلَمَّا سَمِعَتْ الْفَرَنْجُ عَظُمَتِ الْأُمُصِيَّةُ عَلَيْهِمْ. وَحَافُوا لِمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْوَهْشِ، وَقِلَّةِ الْأَقْوَاتِ عِنْدَهُمْ، وَسَارَ الْمُسْلِمُونَ، فَتَارَلَوْهُمْ عَلَى أَنْطَاكِيَّةَ، وَأَمَاءَ كَرْيُوقَا السَّيْرَةِ، فِيمَنْ مَعَهُ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَأَغْصَبَ الْأَمْراءُ وَتَكَثَّرَ عَلَيْهِمْ طَنًا مِثْلَهُ لَنَّهُمْ يَقْعَمُونَ مَعَهُ عَلَى هَذِهِ الْحَالِ، فَأَغْصَبَهُمْ ذَلِكَ، وَأَصْمَرُوا نَفْسَهُ فِي أَنْفُسِهِمُ الْغَضْرُ، إِذَا كَانَ هَذَا، وَحَرَمُوا عَلَى إِسْلَامِهِ عِندَ مُصْنُوقِهِ. وَأَمَّا الْفَرَنْجُ بِأَنْطَاكِيَّةَ، يَغْدُ أَنْ مَاتُوهَا، اثْنَيْ عَشَرَ يَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ مَا يَأْكُلُونَهُ، وَتَلَوْتُ الْأَقْرِيَاءَ بِنَوَابِهِمْ، وَالضُّعَفَاءَ بِأَلْمِيَّةِ وَوَرِقِ الشَّجَرِ، فَلَمَّا رَأَوْا ذَلِكَ أَرْسَلُوا إِلَيَّ كَرْيُوقَا يَطْلُبُونَ مِثْلَ الْأَمَارِ لِيُخْرِجُوا مِنَ الْبَلَدِ، فَلَمْ يُعْطِهِمْ مَا طَلَبُوا، وَقَالَ: "لَا تَخْرُجُونَ إِلَّا بِالسَّيْفِ"، وَكَانَ مَعَهُمْ مِنَ الْمُتَوَكِّلِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَهْبٍ، وَكَانَ مَعَهُمْ زَاهِبٌ مَطَاغٌ فِيهِمْ. وَكَانَ دَاهِيَةً مِنَ الرِّجَالِ، فَقَالَ لَهُ: "إِنَّ الْمَسِيحَ، عَلَيْهِ السَّلَامُ، كَانَ لَهُ حَزْبَةٌ مَقْبُوءَةٌ بِالْقُسَايَا الَّذِي بِأَنْطَاكِيَّةَ"، وَهُوَ بَاءٌ عَظِيمٌ⁽²⁾، "فَإِنْ وَجَدْتُمُوهَا فَإِنكُمْ تَطْفَرُونَ"، وَإِنْ لَمْ تَجِدُوهَا فَالْهَلَاكُ مُشْتَقٌّ".

وَكَانَ قَدْ نَفَرَ قَبْلَ ذَلِكَ حَزْبَةٌ فِي مَكَرٍ فِيهِ، وَعَفَى أَرْهَاءَ، وَأَمَرَهُمُ بِالصُّومِ وَالتَّوْبَةِ، فَفَعَلُوا ذَلِكَ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ، فَلَمَّا كَانَ الْيَوْمُ الرَّابِعُ أَتَتْهُمْ الْمُؤَصِّصُ جَمِيعُهُمْ، وَمَعَهُمْ عَامُتُهُمْ، وَالصَّنَاعُ مِنْهُمْ، وَحَرَمُوا فِي جَمِيعِ الْأَمْكَانِ هَوَجُودَهَا كَمَا ذَكَرْنَا، فَقَالَ لَهُ: "أَتَسْرَوْنَ بِالطَّافِرِ"، فَخَرَجُوا فِي الْيَوْمِ الْخَامِسِ مِنَ الْبَابِ مُتَفَرِّقِينَ مِنْ خَمْسَةِ، وَسِتِّ، وَخَرُوا ذَلِكَ، فَقَالَ الْمُسْلِمُونَ لَكَرْيُوقَا: "يَتَّبِعِي أَنْ تَقْعِدَ عَلَى الْبَابِ، فَتَقْشِ كُلَّ مَنْ يَخْرُجُ، فَإِنْ أَمَرَهُمُ الْآنَ، وَهُمْ مُتَفَرِّقُونَ، سَهْلٌ فَقَالَ "لَا تَفْعَلُوا، أَمَهُوهُمْ حَتَّى يَتَكَامَلَ خُرُوجُهُمْ هَقْلَهُمْ"، وَلَمْ يُمْكِنَ مِنْ مُعَاجِلَتِهِمْ، فَقَتَلَ قَوْمٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ جَمَاعَةً مِنَ الْخَارِجِينَ، فَجَاءَ إِلَيْهِمْ هُوَ بِنَفْسِهِ، وَمَدَّ يَدَهُمْ، وَبِهِمْ فَلَمَّا

(1) وهو Bandon du Hong ويصحح يدهم بالتدوين الثاني.

(2) كنيسة من بطرس الأنطاكية، واسمها في المصائر العربية قسطنطين، على اسم شخص حتى مار بطرس له ابنة.

(3) معجزة "الرمح المقدس" التي جعلها Pierre Barthelémy، عروية هذا من خلال محصور علاني إسلامي.

تُكْمَلُ خُرُوجُ الْفَرَنْجِ، وَلَمْ يَتَّقِ بِأُتْطَاكِيَةِ أَحَدٍ مِنْهُمْ، ضَرَبُوا مَصْنَفًا عَظِيمًا، فَوَلَّى
 الْمُسْلِمُونَ مِنْهُمْ مَرِيضِينَ، لَمَّا عَامَلَهُمْ بِهِ كَرَبُوقًا أَوَّلًا مِنْ الْأَسْتِغْنَاءِ بِهِمْ وَالْإِعْرَاصِ
 عَلَيْهِمْ، وَثَانِيًا مِنْ مَنَعِهِمْ عَنْ قَتْلِ الْفَرَنْجِ، وَتَمَّتِ الْهَزِيمَةُ عَلَيْهِمْ وَلَمْ يَصِرْ أَحَدٌ
 مِنْهُمْ بِسَيْفٍ، وَلَا طَعَسَ بِرُمَحٍ، وَلَا زَمِيَ بِسَهْمٍ، وَاجْرُ مِنْ أَتَاهُمْ مِنْهُمْ بَرُ أَرْثُقَ.
 وَجَنَاحُ الدَّوْلَةِ، لِأَنَّهُمَا كَانَا فِي الْكَمِيِّ، وَلَهَزَمَ كَرَبُوقًا مَعَهُمْ. فَلَمَّا رَأَى الْفَرَنْجُ ذَلِكَ
 طَنُوهَ مَكِيدَةً، إِذْ لَمْ يَجْرُ قِتَالٌ يَنْهَزِمُ مِنْ مِثْلِهِ، وَحَاقُوا أَنْ يَشْبَعُوهُمْ، وَثَبَتَ جَمَاعَةٌ
 مِنَ الْمُجَاهِدِينَ، وَقَاتَلُوا حَصْبَةً، وَطَلَبُوا لِلشَّهَادَةِ، فَقَتَلَ الْفَرَنْجُ مِنْهُمْ أَلْفًا، وَغَنِمُوا مِنْ
 فِي الْعَسْكَرِ مِنَ الْأَكْوَاتِ وَالْأَمْوَالِ وَالْأَثَاثِ وَالْخَوَابِ وَالْأَسْلِحَةِ. فَصَلَحَتْ حَالُهُمْ،
 وَغَادَتْ إِيَّاهُمْ قُوَّتُهُمْ.

بَكَرَ مِنْكَ الْفَرَنْجُ مَعَرَّةَ النُّصَانِ

(ابن الأثير 190/18)

لَمَّا فَعَلَ الْفَرَنْجُ بِالْمُسْلِمِينَ مَا فَعَلُوا سَارُوا إِلَى مَعَرَّةِ النُّصَانِ، فَتَارَ لِيَوْمًا،
 وَحَصَرُوهُ، وَقَاتَلَهُمْ أَهْلُهَا قِتَالًا شَدِيدًا، وَرَأَى الْفَرَنْجُ مِنْهُمْ شِدَّةً وَتِكَايَةً، وَلَقُوا مِنْهُمْ
 الْحِجْ فِي حَرْبِهِمْ، وَالْإِجْتِهَادَ فِي قِتَالِهِمْ، فَعَبَلُوا عِنْدَ ذَلِكَ بَرْجًا مِنْ خَشَبٍ يُؤَارِي سَوْرَ
 الْمَدِينَةِ، وَوَلَعَ الْقِتَالَ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَصُرْ الْمُسْلِمِينَ ذَلِكَ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ خَافَ قَوْمٌ مِنَ
 الْمُسْلِمِينَ، وَبَدَاخَلَهُمُ الْفُتُلُ وَالْهَلِجُ، وَطَنُوا أَنَّهُمْ إِذَا تَحَصَّنُوا بِنُغْضِ الدُّوَرِ الْكِبَارِ
 امْتَنَعُوا بِهَا، فَهَرَلُوا مِنَ السُّورِ وَأَخْلَوْا الْمَوْضِعَ الَّذِي كَانُوا يَحْظَرُونَهُ، فَرَأَاهُمْ صَائِعَةً
 أُخْرَى، فَظَنُّوا كَمْعَلَهُمْ، فَحَلَا مَكَانَهُمْ لَيْصًا مِنَ السُّورِ. وَلَمْ تَزَلْ تَنْتَبِغُ طَائِعَةً مِنْهُمْ الَّتِي
 ثَلِيَتْ فِي السُّورِ، حَتَّى حَلَا السُّورُ، فَصَعِدَ الْفَرَنْجُ إِلَيْهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ، فَلَمَّا عَلَوْهُ
 تَحِيرَ الْمُسْلِمُونَ، وَدَخَلُوا دُورَهُمْ، فَوَضَعَ الْفَرَنْجُ فِيهِمْ لِسَيْفَ ثَلَاثَةِ أَلْفٍ، فَقَتَلُوا مَا يَرِيدُ
 عَلَى مِائَةِ أَلْفٍ، وَسَدُّوا السَّبِيلَ لِلْكَثِيرِ، وَمَلَكَوْهُ وَأَقْلَمُوا أَرْبَعِينَ يَوْمًا، وَسَارُوا إِلَى عَزَقَةِ
 فَحَصَرُوهُ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ، وَتَقَبَّلُوا سُورَهَا عِدَّةَ تَقَوُّبٍ، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا، وَرَاسَهُمْ مِنْهُ،
 صَاحِبُ شَيْزَرٍ، فَصَالَحَهُمْ عَلَيْهَا، وَسَارُوا إِلَى حَنْصِ وَحَصَرُوَهَا، فَصَالَحَهُمْ
 صَاحِبُهَا جَنَاحُ الدَّوْلَةِ، وَخَرَجُوا عَلَى طَرِيقِ التَّوَقُّفِ إِلَى عَكَا، فَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَيْهَا.

ذكر ملك الفرنج، لعنه الله، البيت المقدس

(ابن الأثير 193/10-195)

كان البيت المقدس لئاج الدولة ثقتي⁽¹⁾، وأقطعه للأمير سُقمان بن أرتق التركماني، فلما طهر الفرنج بالأتراك على أنطاكية، وقتلوا فيهم، صغفوا، ونحرقوا، فلما رى المصريون صعب الأتراك ساروا إليه، ومقمتهم الأقصل بن بدر الجمالي⁽²⁾، وحصروه، وبه الأمير سُقمان، وليلعاري لبنا أرتق، وابن عتبه سونج، وابن أجهيم يافوتي، ونصنوا عليه نيقا وأربعين منجيقا، فهدموا مواضع من سوريه، وقائلهم أهل البلد، فدام القتل والجصائر نيقا وأربعين يوما، وملكوه بالأصاب في شعبان تسع وثمانين وأربعمائة (آب/أوغست 1096⁽³⁾). أحسن الأقصل إلى سُقمان وإيلعاري ومن معهم، وأجزل لهم العطاء، وسيرهم فسرّوا إلى دمشق، ثم عتروا الفرات، فأقام سُقمان ببلا الرها وسار إيلعاري إلى العراق، واستناب المصريون فيه رجلا يعرف بالفتح التولية، وبقي فيه إلى الآن.

للسنده الفرنج، بعد أن حصروا عكا، فلم يقدروا عليها، فلما وصلوا إليه حصروه نيقا وأربعين يوم، ونصنوا عليه أربعين أحدمنا من ناحية صهيون، وأخرقه المسلمون، وقتلوا كل من به. فلما فرغوا من إخرقه أتاهم المستعيب بأن المدينة قد ملكت من أجناب الآخر، وملكوها من جهة الشمال منه صفوة نهار الجمعة يسبع بقين من شعبان (15 تموز/أولوية 1099م/492)، وركب الدلس الشيف، وأبى الفرنج في البدة أسنوعا يقتلون فيه المسلمين، ولحتمى جماعة من المسلمين بمضارب راب⁽⁴⁾، فاعترضوا به، وقائلوا فيه ثلاثة أيام، فبذل لهم للفرنج الأمان، وسلموه إليه،

(1) مسجدي من سوريه. أبو السلطان منك تدا.

(2) وزير عاصي.

(3) به تنتهي العلاقة العشار إليها أعلاه باللاتينزم التركي تحت لطاكية، لكن الخط في الواقع

هو في تاريخ العام، إذ أن القدس قد أخذت من المصريين في شهر آب 908

(4) يرجع محارب رابود: تلي تدعو المصادر لفرعية يرج رابود، في مدينة القدس. لكن لابد من

عبيره عن معبد صغير يحمل نفس الاسم في منطقة المعبد المعبر

ووفى لهم العرنج، وخرجوا ليلًا إلى غنقلان فألقوا بها. وهَلَّ العرنج، بالمسجد الأقصى، ما يريد على منيعين ألقا، منهم جماعة كثيرة من أئمة المسلمين، وعلمائهم، وعبادهم، ورؤسائهم، ممن قازق الأوطان وجاور بذلك الموضع الشريف، وأحد من عند الصخرة⁽¹⁾ نيقا وأربعين قنديلًا من القصّة، وزن كل قنديل ثلاثة آلاف وستمائة درهم، وأخذوا من القناديل الصغار مائة وخمسين قنديلًا بقرّة، ومن الذهب نيقا وعشرين قنديلًا، وعموا مئة ما لا يقع عليه الإحصاء.

ورزق المستنفرون من الشام، في رمضان، إلى بغداد منحة القصي أبي سعد الهروي⁽²⁾، فأوردوا في الديوان كلامًا أنكى الحيون، وأوجع القلوب، وقدموا بالجمع يوم الجمعة، فاستغلثوا، ونكثوا وأبكوا، وذكر ما دهم المسلمين بذلك لئلا الشريف المعظم من تلك الرجال، وسني الحريد والأولاد، ويذهب الأموال، فلبثوا أصابعهم أظفروا.

واختلف السلاطين على ما نكرو، فتمكن العرنج من البلاد، فذل أبو المنظر الأبيوزدي، في هذا المعنى، أبياتا منها:

مرجنا دماء بالخروج المشواجم	فلم يبق لنا غرضة للمراحم
ونزل سلاح المزمع بغير يمينه	إذا الحرب شبت نازها بالصوامير
فأبى، ببي الإسلام، أن وراءكم	وقائع يحرق الكرى بالفتاسم
أثوية في ظل أمن وخطبة	وعيش كنوار الخيل لاسم
وخيفت تمام العين من جفوبها	على حقوات أيقظت كل نائم
وإخروكم بالفتام منحي مقبلاهم	فلهور المذاكي، أو بطون الفتاح

(1) وهي الصخرة التي صعد منها علي ما يعتقد المسلمون محمد (صلى الله عليه وسلم) إلى اسمه وقد أقيم عليها المعبد المسمى بمسجد حمراء وهو لكبر صرح إسلامي في القدس، وفيه أقدام المنصورين عرشهم. ويوجد قريبا للمسجد الأقصى، لكنه مميّز عنه، وهناك شجرة العسل حسب رواية ابن الأثير هذه. علما أن المصنف للترقية والغربية تحطت عادة بين هدير المنيعين.

(2) شاعر عراقي عاش بين القرنين 11-12

تُسْمِيَهُمُ الرُّومَ الْهَوَا، وَأَنْتُمْ
وَكَمْ مِنْ دِمَاءٍ قَدْ أُبِيخَتْ، وَمَنْ نَعَى
بِحَيْثُ لَسِيوْفُ الْبَيْضِ مَحْمَرَةُ الظُّبَى
، سِنَّ اخْتِلَامِ اللَّحْمِ وَالصَّرْبِ وَفَقَّةٌ
وَبَلَدٌ حُرُوبٌ مَنْ يَعْذُ عَنْ عَمَلِهَا
سَلْتَنٌ بِأَيْدِي الْمُشْرِكِينَ قَرَاظِيَا
يَكْدُ لَهُمُ الْمُسْتَحْجُ بِطَبِيبَةِ بَنَارِي
أَرَى أُمَّتِي لَا يَشْرَعُونَ إِلَى الْعَدَى
وَيَحْشَبُونَ النَّارَ حُرْقًا مِنَ الرُّدَى
أَتَرْضَى مَنَادِيَهُ الْأَعْرَابِ بِالْأَدَى
نَجْرُونَ تَيْلَ الْخَفِصِ قَعْلَ الْمَسَالِمِ
تَوَارَى حِبَاءُ حُمْنُهَا بِالْمَعَاصِمِ
وَسَقَرُ الْعَوَالِي تَامَزَلَتْ الْهَادِمِ
تَقْلُ لَهَا الْوُلْدَانُ شَيْبَ الْفَوَادِمِ
لِيَعْلَمَ، يَفْرَحُ بِغَدَاهَا مَنْزُ نَادِمِ
سَتَعْمَدُ مِنْهُمْ فِي الطَّلَى وَالْجَمَاعِمِ
يَأْخُذُ لِلصَّوْتِ يَا أَلْ هَاشِمِ (1)
رِضَاخَةً، وَلِلدُّنَى وَاهِي الدُّعَائِمِ
وَلَا يَحْصُونَ الْعَزَّ ضَرْبَةً لِأَزِمِ
وَيُقْضَى عَلَى كُلِّ كُنَاءٍ الْأَعَاجِمِ

نُكْرَ ظَفَرِ الْمُسْلِمِينَ بِالْفَرَنْجِ - الظفر ببيمتد صاحب انطاكية

(ابن الأثير 203/10-204)

فِي دِي نَعْفَةِ مِنْ هَذِهِ السَّنَةِ (أَيْلُون/سبتمبر 1100م/493). لَقِيَ كُسْتُكِينُ بْنُ
لُدَاشْتُمُكَ طَائِلًا، وَإِنَّمَا هُنَّ لَهُ أَنَّ الْأَشْمُكَدَ لِأَنَّ أَبَاهُ كَانَ مُعَلِّمًا لِلتُّرْكَمَنِ وَتَقَلَّبَتْ
بِهِ الْأَحْوَالُ، حَتَّى مَلَكَ، وَهُوَ حَاجِبٌ مَلَطِيَّةَ وَسَيَوَاسَ وَغَيْرَهُمَا، بِيَمْتَدَ الْفَرَنْجِي،
وَهُوَ مِنْ مُقَدَّمِي الْفَرَنْجِ، قَرِيبٌ مَلَطِيَّةَ، وَكَانَ صَاحِبُهَا (الْمَايُوق) تَذْكَاسَةً، وَاسْتَقْدَمَهُ
إِلَيْهِ، فَزَيَّرَ عَلَيْهِ فِي حَفْصَةِ آفَافٍ، فَلَفِيهِمْ أَنَّ الْأَشْمُكَدَ، فَتَنَاهَمَ بِيَمْتَدَ وَأَسْرَعَ
وَصَلَ مِنَ الْبَحْرِ سَبْعَةَ قِمَامَصَةٍ مِنَ الْفَرَنْجِ، وَأَرْادُوا تَخْلِيصَ بِيَمْتَدَ، فَزَيَّرَ سَيَّ قَلْعَهُ
تَمَعَّى تَكُورِيَّةً، فَأَحْدَوْهُ وَقَتَلُوا مِنْ يَدَيْهِ مِنَ الْمُسْتَعِينِ، وَسَارُوا إِلَى قَلْعِهِ أُخْرَى فِيهَا

(1) أَي صَوْتِ النَّبِيِّ (صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) يَنْبَغَتْ مِنَ الْعَبْرِ لِيُجْرَ أَفْرَاقُ عَقْدَتِهِ (أَلْ هَاشِمِ)
وَالْمُعَافَاتِينَ عَنْ أَنْاءٍ وَلِجِبِهِمْ لَحْصَ قِيَامٍ فِي مَحَارِبَةِ الصُّلَيْبِيِّينَ.

إسماعيل بن الدائم، وحضرها، فجمع ابن الدائم جنوداً كثيراً، وفي الفرنج، وجعل له كميناً، وقتلهم، وأخرج للكمين عليهم، فلم يفلت أحد من الفرنج، وكانوا ثلاثمائة ألف (١)، غير ثلاثة آلاف هربوا ليلاً وأفلتوا مجروحين وسار الدائم إلى ملطية، هناك وأمر أصحابها، ثم خرج إليه عنكر الفرنج من أنطاكية، فلبسهم وكسرهم، وكانت هذه الوقائع في شهر قريب.

نكر ما ملك الفرنج من الشام

موت كنفري وانتصارات إفرنجية أخرى

(ابن الأثير 222/10)

في (١٠٠ م/٤٩١). سار كنفري، ملك الفرنج بالشام، وهو صاحب البيت المقدس، إلى مدينة عكا، بساحل الشام، فحصرها، فأصابه منهم قتل (٢)، وكان قد عمر مدينة يافا وسلمها إلى قسطنطين من الفرنج اسمه: طنكري، فلما قتل كنفري سار أخوه بغدوين إلى البيت المقدس في حسمانة فارس ورجل، فبلغ الملك دقاق، صاحب دمشق، خبره، فهصر إليه في عنكره، ومعه الأمير جنداح الدولة (صاحب حمص) في جنوده، فقاتله، فحصر على الفرنج.

وفيها ملك الفرنج مدينة سروج من بلاد الجزيرة، وسبب ذلك أن الفرنج كانوا قد ملكوا مدينة الرها بمكشبة من أهلها ذكراً أكثرهم لؤماً، ونهب بها من المسلمين، إلا القليل، فلم يكن ذكر جمع منقمان بسروج جنوداً كثيراً من التركمان، رغب إليهم، فلقوه وقتلوه، فهزموا في ربيع الأول (كانون الثاني/يناير/شعبان)، فلم تستطع الهرمية على المسلمين سار الفرنج إلى سروج، فحصرها وتسلموها، وقتلوا كثيراً من أهلها وسبوا حريمهم، وتهدوا أموالهم، ولم يستلم إلا من مصى منهم.

وفيها ملك الفرنج مدينة حيفا، وهي بالقرب من عكا على ساحل البحر، ملكوه عنوة، وملكوا لؤسوف بالآمان، وأخرجوا أهلها منها. وفيها، في رجب (ابر/مايو)، ملكوا مدينة قيسارية بالسيف، وقتلوا أهلها، وسبوا ما فيها.

(١) تجمع كل المصادر الإسلامية على أن كنفري مات في القتل.

نُكْرُ خَالِ صَنْجِيلِ الْفَرَنْجِيِّ وَمَا كَانَ مِنْهُ فِي حِصَارِ طَرَابُلُسَ

(ابن الأثير 10 236 237)

كَانَ صَنْجِيلُ الْفَرَنْجِيِّ^(١)، نَعْسَةُ الْآلَةِ، قَدْ لَقِيَ قَلَجَ أَرْسَلَانَ بْنِ مَلِكِ بْنِ
قَلَمَشَ، صَاحِبِ قُوَيْهَ، وَكَانَ صَنْجِيلُ فِي مِائَةِ أَلْفِ مُقَاتِلٍ^(٢)، وَكَانَ قَلَجُ أَرْسَلَانَ
فِي عَدَدِ قَلِيلٍ. فَاقْتَتَلُوا، فَاتَّهَرَمَ الْفَرَنْجُ وَقُتِلَ مِنْهُمْ كَثِيرٌ، وَأَسْرَ كَثِيرٌ وَعَدَّ قَلَجُ
أَرْسَلَانَ بِالْعِثَامِ، وَالْظَهْرِ الَّذِي لَمْ يَخْصِيهِ.

وَمَضَى صَنْجِيلُ مَهْرُومًا فِي ثَلَاثِيَّةٍ، فَوَصَلَ إِلَى الشَّامِ، فَارْتَدَلَ فَخَرُ الْمَلِكِ بْنِ
عِمَارٍ، صَاحِبِ طَرَابُلُسَ، إِلَى الْأَمِيرِ يَاحْزَ، خَلِيفَةِ صَاحِ الدَّوْلَةِ عَلَى حِمَصَ، فَبِإِلَى
الْمَلِكِ (عَلَى دِمَشْقَ) نَقَلَ بْنِ تَشَّسَ. يَقُولُ: مَرَّ الصُّوْنِبُ أَنْ يُعَاجِلَ صَنْجِيلُ إِذْ هُوَ
فِي هَذِهِ الْعِدَّةِ الْقَرِيبَةِ، فَخَرَجَ الْأَمِيرُ يَاحْزَ بِنَفْسِهِ، وَسَيَّرَ كُفَّاقَ لَلْقِي مُقَاتِلَ، وَأَنْتَهَمَ
لِلْإِمْدَادِ مِنْ طَرَابُلُسَ، فَاجْتَمَعُوا عَلَى بَابِ طَرَابُلُسَ، وَصَالُوا صَنْجِيلُ هُنَاكَ، فَأَخْرَجَ
مِائَةَ مِنْ عَسْكَرِهِ إِلَى أَهْلِ طَرَابُلُسَ، وَمِنَ الْإِلَى عَسْكَرَ دِمَشْقَ، وَخَمْسِينَ إِلَى عَسْكَرِ
حِمَصَ، وَبَقِيَ هُوَ فِي خَمْسِينَ. فَأَمَّا عَسْكَرُ حِمَصَ فَابْتَدَأَ الْكُسْرَ عِلْدَ الْعَشْرِ هَذِهِ،
وَوَلُّوا مَلْهَازِمِينَ، وَتَبِعَهُمْ عَسْكَرُ دِمَشْقَ. وَلَمَّا أَهْلُ الْخَيْلِ ذَاعَتْهُ عَلَى حِصَارِهَا، وَكَذَلِكَ
أَهْلُ السُّوَادِ، وَأَكْثَرُهُمْ نَصَارَى، هَانَتْ مِنْ بَيْهَا أُنْدُ قَاتِلَ. فَهَتَلَ مِنَ الْفَرَنْجِ ثَلَاثِيَّةٌ، ثُمَّ
إِلَى هَانَتْهُمْ عَلَى مَاتِ وَخَيْلَ، فَوَجَلَ عَنْهُمْ إِلَى مَدِينَةِ أَنْطَرَسُوسَ، وَهِيَ مِنْ أَغْصَالِ
طَرَابُلُسَ، فَحَصَرَهَا، وَشَمَعَهَا، وَهَتَلَ مِنْ بَيْهَا مِنْ الْقُسْنَمِيِّينَ. وَوَجَلَ إِلَى حِصْنِ الطُّوَيَّانِ
وَهُوَ بِقَرِيبِ رَقِيبَةٍ، وَمُتَدَمِّمُهُ يَقَالُ لَهُ إِنَّهُ لِلْعَرِيسِ، فَهَاتَلَهُمْ، فَحَصَرَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْحِصْنِ،
وَأَسْرَ ابْنُ الْعَرِيسِ مِنْهُ فَرَسًا مِنْ الْأَكْبَرِ فُرُوسَاتِهِ، فَهَتَلَ صَنْجِيلُ فِي فِدَانِهِ عَشْرَةَ أَلْفِ
سِيَارٍ^(٣) وَأَلْفَ أَسِيرٍ، فَلَمْ يُجِبْهُ لَنْهُ الْعَرِيسُ إِلَى ذَلِكَ.

(١) وهو زيموند بن جيل، كون طولوز ومؤسس الفرقة الطرابلسية

(٢) لابد من اتساع إلى السلفاة الحيالية في هذه الأرقام، وهي ظاهرة متبعة في التاريخ
(إسلامي أم لا)

(٣) البديع عنه نهية كانت تستعمل بشكل متعلق خلال العهد المموسم الإسلامي، وكان وزن
البديع من النوع (المتونني) 4 25 غرام ذهب صافي

تحرير بيمند وانكسار بالدوين في الرملة ونكر ما فعله الفرنج

(ابن الأثير 237/10-238)

في هذه السنة (102م/495). أطلق الناصب بيمند الفرنجي، صاحب أنطاكية، وكان قد أسره، وقد تقدم ذكر ذلك، وأخذ منه مائة ألف دينار وشرط عليه إطلاق ابنه ياغي سنان الذي كان صاحب أنطاكية، وكانت في أسره. ولم يخلص بيمند من أسره إلا إلى أنطاكية، فقويت نفوس أهلها به، ولم يستقر حتى أُرسل إلى أهل المواسم وقنسرين وما جاورها يطالبونهم بالإفاداة. فورد على المسلمين من تلك ما ضمن المعتمد التي بقاها الكائنة.

وفيها سر صنجيل إلى حصن الأكراد⁽¹⁾ فحصره، فجمع جناح الدولة عسكرة ليسير إليه ويكسبه، فقتله باطنبي⁽²⁾ بالمشهد الجامع (في حمص)، فقيل: إن العتق رسول ربيبه وصنع عليه من قتله. فلما قتل صبح صنجيل حصص من الغد، ولما زلها، وحصر أهلها، ومثك أعمالها.

ونزل القمص على عكة في جمادى الآخرة السنة (نيسان/نيس 102م). وصيق عليها، وكاد يأخذها، ونصب عليها المنجنيقات والأبراج، وكان له في البحر ست عشرة قطعة، فاجتمع المسلمون من سائر السواحل، وتووا إلى منجنيقاتهم، وأبراجهم، فأخروها، وأخروا منفيهم أيضا، وكان ذلك نصرا عجباً أن الله به الكفار. وفيها صار القمص للفرنجي، صاحب الزها إلى بوزوت من ساحل الشام، وحصره وصيغها، وأطال المقام عليها، فلم ير فيها ضمعا مرحل عنها.

وفيها، في رجب (أيار/مايو 102م). خرجت عسكرة مصر إلى عسقلان فيضعوا الفرنج عما بقي في أيديهم من البلاد الشامية، فسمع بهم يردويل، صاحب

(1) Krak des chevaliers. حصن متبع شمال شرق طرابلس، وقد احتل مكة له مهمة في تاريخ الحروب الصليبية

(2) أي من أتباع الطائفة النبطية أو الإسماعيلية أو الحشاشين، وقد شكل إرهابهم، الذي جرى منته منه، كابوساً جاثماً على صدر الفرنجة والمسلمين لسنة خلال الحروب الصليبية

أنفس، فسار إليهم في سبعمائة فارس، وقتلهم، فحصر الله المسلمين، وأهزم
فرنج، وكثر القتل فيهم، وأهزم برديون، واخفى في أجمة قصب، فأخرقت تلك
لأجمة، ولحق الثور بعص جديب وتجا منها إلى الزملة، فتبعه الفرس،
وأحاطوا به فتكر، وخرج منها إلى يافا، وكثر القتل والأثر في أصحابه.

ذكر ملك الفرنج جينلا وعكا من الشام

(بن الأثير 255/10)

في هذه السنة (1104-1103م/497). وصلت مراكب من بلاد الفرنج إلى
مدينة المدقية، وفيها التجار، والأجناد، والعجاج، وعير ذلك، واستنوع بهم
صنابل الفرنج على حصار طرابلس، فحاصروها مدة برا وبحرا، وضيقوها،
وقاتلوا أروما، فلم يروا فيها مفعما، فحلوا عنها إلى مدينة جبيل، فحاصروها،
وقاتلوا عنها قتلا شديدا، فلما رأى أهلها عجزهم عن الفرنج أخذوا أمد، وسلموا
اليكاليون، فلم تبق للفرنج لهم بالأمس، وأخذوا أموالهم، واستنقذوها بالعقوبات
والوعاء العذاب، فلما فرغوا من جبيل ساروا إلى مدينة عكا، استنجدهم الملك
برديون، ملك الفرنج، صاحب القدس على حصارها، فقاتلوها، وحاصروها في البر
والبحر.

وكان الوالي بها اسمه بيا، ويقرب برهم الدولة الجيوشي، نسبة إلى ملك
الجيوشي الأصيل، فقاتلهم أشد قتال، فزحفوا إليه غير مرة، فعجز عن حفظ اليكاليون،
فخرج منه، وملك الفرنج اليكاليون بالمشيف قهرا، وفعلوا بأهله الأفعال الشيمة، وسر
الوالي به إلى دمشق، فأقام بها، ثم عاد إلى مصر، واعتذر إلى الأصيل بعبث
عنه.

نقلت الصعوبات القتالية عن ابن الأثير أيضاً، وأصبحت أهما تروي بحديث ردة العمل الإسلامية على قدام للعريجة بالمرافقة على حرار، ثمر ما بين البهريين على طريق بغداد. تكن أهميتها الأكبر تهرر بسبب ما تبع ذلك من تحالف قوى إسلامية - فريجية كانت تتقاتل فيما بينها: ذلك أن عدوى ترجيح المصالح الخاصة لدى المسلمين، والتي سهلت انتصار العريجة، انتقلت إلى المتصيرين أنفسهم. وهكذا رأينا كيف أن بالنزول الرها وطكري أنطكية لم يترددا عن المشاركة في التحالفات المتصارعة التي أقامها الأمراء المسلمون المتخاصمون.

نُزْرُ حُرُو سَقْمَان وَجُكْرَمَنْشُ الْفَرْنَجِ

(ابن الأثير 256-257/10)

لَتِ اسْتِطَالَ الْفَرْنَجُ، خَدَلَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى، بِمَا مَنَعَهُ مِنْ بِلَادِ الْإِسْلَامِ، وَاتَّقَى لَهُمُ اسْتِغْثَالُ عَسَاكِرِ الْإِسْلَامِ وَمُلُوكِهِ، يَقَالُ بِفَضْلِهِمْ بِغَضَا، تَعَرَّفَتْ جَيْشُهُ بِالْمُسْتَمِيرِ الْأَرْزَاءِ، وَلَحْتَلَفَتْ الْأَهْوَاءُ، وَتَعَرَّفَتْ الْأَمْوَالُ. وَكَانَتْ حُرَّانُ لِمَمْلُوكٍ مِنْ مَمَالِيكَ مَلِكْشَاهِ اسْمُهُ قُرَاجَةُ، فَلَسْتَحْلَفَ عَلَيْهَا إِنْسَانًا يَقَالُ لَهُ مُصَدَّدُ الْأَصْبَهَانِيِّ، وَحَرَّحَ فِي نَعَامِ الْمَاصِي، فَعَصَى الْأَصْبَهَانِيُّ عَلَى قُرَاجَةَ، وَأَعْلَنَ أَهْلُ الْبَلَدِ لَصَلَمَ قُرَاجَةَ وَكَارَ الْأَصْبَهَانِيُّ جُنَاءَ شَهْمًا، فَلَمْ يَتْرَكْ بِحُرَّانِ مِنْ أَصْحَابِ قُرَاجَةَ سِوَى عَلَامِ تَرْكِي يُعْرِفُ بِحَاوَلِي، وَجَعَلَهُ أَصْغَرَهُنَّ لَارَ الْهَنْكِرِ، وَأَسْرَبَهُ، فَجَلَسَ مَعَهُ يَوْمَ اللَّشْرَبِ. وَتَقَى جَاوَلِي مَعَ خَالِدٍ لَهُ عَلَى قَتْلِهِ قَتْلَاءٌ وَهُوَ سَكْرَانٌ. فَعَدَّ بَدَكَ سَارَ الْفَرْنَجِ إِلَى حُرَّانِ وَحَصَرَهَا.

فلما سمع معين للدولة سقماء، وشتموا الدولة جكرمش⁽¹⁾ تلك، وكان بينهم حرب، وسقماء يطالب بقتل ابن أخيه، وكل منهما يستعد للقاء صاحبه، ولما أكر سبب قتل جكرمش له، إن شاء الله تعالى، أرسل كل منهما إلى صاحبه بدعوة إلى الاجتماع معه لتلافي أمر حرب، ويظن أنه قد بذل نفسه لله تعالى، ونواه، فكل واحد منهما أجاب صاحبه إلى ما طلب منه، وسارا فاجتمعا على الخانور، وبحالهما وسارا إلى لقاء الفرنج. وكان مع سقماء منعة ألف فارس مع التركمان، ومع جكرمش ثلاثة آلاف فارس من الترك، والعرب، والأكراد، فالتقوا على نهر البليخ، وكان المصاف بينهم هناك، فاشتكوا (ليار/مايو 1104م). فأمهل المسلمون الأكراد، فبعثهم الفرنج نحو فرسخين، فعاد عليهم المسلمون فقتلوهم كيف شاءوا، وأملا أن يترك التركمان من الخاتم، ووصلوا إلى الأموال العظيمة، لأن سواد الفرنج كان قريباً، وكان بينهم صاحب أنطاكية، وطكري، صاحب الساحل، قد تقردا وراء جبر ليأتيا المسلمين من وراء ظهورهم، إذا اشتدت الحرب، فلما خرج رأيا الفرنج منهمير، وسوادهم منوراً، فلقاهما بالليل، وهربا فبعثهما المسلمون، وقتلوا من أصحابهما كثيراً، وأسروا كذلك، وألقيا في سيرة فرسان، وكان القمصر يزديول، صاحب الزها، قد انيرم في جماعة من قمامصتهم، وخاصوا لهر البليخ، فوالت حيوئهم، فجاء التركمان من أصحاب سقماء فأخذهم، وحمل يزديول إلى جيم صاحبه. وقد سار هيمر معه لاقباج بينهم، فرأى أصحاب جكرمش أن أصحاب سقماء قد استولوا على مال الفرنج، ويزجفون هم من الغنيمة بغير طائل، فقاتلوا لجكرمش: أي منزلة تكون لنا عند الناس، وعند التركمان إذا انصرفوا بالقتال دوننا؟ وصنوا له أخذ القمصر، فأخذ القمصر من جيم سقماء، فلما عاد سقماء شق عليه الأمر، وترك أصحابه سقماء، وذهبهم وقال لهم: "لا يقوم فرخ المسلمين في هذه الغزاة بقتلهم باحتلاها، ولا يؤثر شعاع عيطي بشتمة الأعداء بالمسلمين". ورحل لوقته، وأخذ سلاح الفرنج، ورايتهم، وأسس أصحابه أنفسهم، وأزكيتهم خيلهم، وجعل يأتي حصون شبحل، وسها الفرنج، فيخرجون طناً منهم أن أصحابهم نصروا، فيقتلهم ويأخذ الجصن منهم. فعل ذلك

(1) لار ه أمير حصن كيا في ديور بكر. وقد سبق ذكره. أما الثاني فقد كان أمير المصلى

بعدهُ حصون. وأما جكرميشُ فأتتهُ سائرُ إلى حرّان، فقسّمها، واستخلف بها صاحبه. وسار إلى الرها، فحصرها خمسة عشر يوماً، وغاد إلى الموصل ومعه القمصر الذي أخذهُ من حياض سُفُل، فقاتله مخصية وثلاثين ديناراً، ومائة وسين أسيراً من المسلمين، وكان عدُّ القتلى من الفرنج يقاربُ اثني عشر ألف قتيل.

بالدوين الرها وبتكري أنطاكية

(ابن الأثير 10/326-321)

لما هرب إيلعاري من جاولي⁽¹⁾ سار جاولي إلى الرخبة، فلما وصل إلى ماكيسين أطلق القمصر الفرنجي، الذي كان أسيراً بالموصل، وأخذهُ معه، وسمعه بزدويل، وكان صاحب الرها ومزوج وغيرهما، ويقر في الحبس إلى الآن (108م)، وبذل الأموال الكثيرة، فلم يطلق، فلم كان الآن أطلقهُ جاولي، وخرج عليه، وكان مقلته في السج ما يقارب خمس سنين⁽²⁾، وقرر عليه أن يفدي نفسه بحال، وأن يطلق أسرى المسلمين الذين في بيته، وأن ينصرهُ متى أَرَادَ ذلك منه بنفسه وعسكره وماله. فلما اتفقا على ذلك سار القمصر إلى قلعة جعبر، وسلمه إلى صاحبها سالم بن مالبك، حتى ورد عليه ابنُ خاتته جوسلين، وهو من فرسان الفرنج وشجعانها، وهو صاحب ثل باشر وغيره، وكان أسير مع القمصر في تلك الواقعة، ففدى نفسه بعشرين ألف دينار، فلف وصل جوسلين إلى قلعة جعبر أقام رهبة جوص القمصر، وأطلق القمصر، وسار إلى أنطاكية. وأخذ جاولي جوسلين من قلعة جعبر فأطلقه، وأخذ عوضه لُحاً زوجته، وأحاً زوجة القمصر، وسيره إلى القمصر ليقرى به، وليحثه على إطلاق الأسرى، ولتقاذ المال وما صمده، فلف وصل جوسلين إلى مدح أعار عليها ونهتها، وكان معه جماعة من أصحاب جاولي، فأنكروا عليه ذلك، ونسبوه إلى الغر، فقال: إن هذه المدينة ليست لكم

(1) أمير تركي استولى على الموصل متربعا يابا من جكرميش والذي أسره بالدوين صاحب

الرها، كما رأينا

(2) من عام 1104، كما رأينا سابقاً

(نُكِرَ ما جرى بينَ هذا القمّص وبينَ صاحب أنطاكية)

مما أُلْطِقَ القمّصُ وسارَ إلى أنطاكية أعطاه طنكري صاحبها ثلاثين ألف دينار، وحبلاً، وثياباً، وغير ذلك، وكان طنكري قد أخذ للزّها من أصحاب القمّص حين أسر، فحاطبة الآن في ردها عليه، فلم يفعل، فخرج من عنده إلى تلّ بشر فلما قدم عليه جوسني، وقد أطلقه جاولي، مرّهُ تلك، وفرح به. وسار إليهم طنكري، صاحب أنطاكية، بخساكره ليحاربهما، قبل أن يقوى أمرهم، ويجمع عسكره، ولحق بهما جاولي ويّجدهما، فكانوا يقتتلون، فأبى فرغوا من قتال جتمّوا وكل بغصهم مع بعضٍ وتخاذلوا. "

وُلْطِقَ القمّص من الأسرى المسلمين مائة وستين اسيراً كلهم من سود حلب، وكسائهم وسيرهم. وعد طنكري إلى أنطاكية من غير فصل حالٍ في معنى الزّها، وسار القمّص وجوسني وأغاراً على حصون طنكري صاحب أنطاكية، وألّج إلى ولاية كوسيل، وهو رجلٌ أرمسي ومعه خلقٌ كثيرٌ من المُرثدين وغيرهم، وهو صاحب رغبان، وكوسوم، وغيرهما من العلاع، شمالي حلب، فالتجّد القمّص بالف قريش من المُرثدين، وألّقي راجل، فمصدّم طنكري، فتنازعوا في أمر الزّها، فتوسّط بينهم البطريرك الذي لهم، وهو عندهم كإمامٍ الذي للمسلمين، لا يخالف امرأة، وشهد جمعةً من المصارنة والفنيسين: أن يمتدّ حال طنكري قال له، لما أريد زكوب البحر، والعود إلى بلاده، لينجد للزّها إلى القمّص. إذا خلص من الأسر، فأعادها عليه طنكري فاص صر (29 أيلول 1108م) (501..). وعبر القمّص الفرات، ليسلم إلى أصحاب جاولي المال، والأشياء، فملّطوه في طريقه خلف كثيراً من الأسرى من حرّال وغيرها، وكان بسروخ ثلاثمائة مسلم صغرى. فعمر أصحاب جاولي مساجدهم، وكان رئيس سروج مسلماً قد ارتد، فسمعه أصحاب جاولي يهون في الإسلام فولا تسبعا، قصروا، وجرى بينهم وبين الفرنج بسببه نزاع، وذكر ذلك لقمّص، فقال: هذا لا يصلح لنا ولا للمسلمين، فقتله.

(بَكرُ الحزبِ بينَ جاولي والفرنج)

... وفي هذه السنة، في صفر (أيلول 1109م/502)، كلَّس المُصافَّ بينَ جاولي سفاوُ وبيش طنكري الفرنجي، صاحب أنطاكية. وسنَّب ذلك أنَّ الملك رصوان (صاحب حلب) كَتَبَ إلى طنكري، صاحب أنطاكية، يُعرِّفه ما هو جاولي عليه من العذر، والمكر، والخداع، ويَحذِّره منه، ويَعلمُه أنَّه على قصد حب، وأنَّه إن ملكه لا يبقى للفرنج معة بالشَّام مَقَام، وطلَّب منه الثَّمنَ والإثَّاق على مَنعهِ فأجابهُ طنكري إلى مَنعهِ ويرز من أنطاكية، فأرسلَ إليه رصوان ستمئة فارس، فلفَ مَنعَ جاولي الحبر لُرسلَ إلى القمصر، صاحب الرِّها، يَسُدُّعِيهِ إلى مُساعدته، وأصلَّقَ له ما بقي عليه من مال المُعاداة، فسارَ إلى جاولي فلقَّ به، وهو على منبج، فوصلَ الحبرَ إليه، وهو على هذه الحال، بِشِّ المُوصل قد استولى عليها السُّلطان⁽¹⁾، وملكوا حرَّته وأمواله، فاشتدَّ ملكُ عليه، وفرقه كثير من أصحابه منهم لثابك رنكي بِنُ القسطنطين، وبكتاش التهلوندي، وبقي جاولي في ألف فارس، وانضمَّ إليه خلقٌ من المملوكة، فحلَّ بثلَّ باشر. وثَّارَ بهم طنكري، وهو في ألب وخمسمئة فارس من الفرنج، وستمئة من أصحاب الملك رصوان، سوى الرِّجالة، فجعلَ جاولي في ميمته الأمير القسطنطين، والأمير التلوش الأبري، وغيرهما، وفي الميسرة الأمير بذران بن صدقة، وأصبهيد صبلوة، وسنقر دراز، وفي القلب القمصر، وجومليل الفرنجيين، ووقعت الحزب، فحصل أصحاب أنطاكية على القمصر، صاحب الرِّها، واشتدَّ القتال، فأزاح طنكري لقلب عن موضعه، وخمَلت ميمزة جاولي على رجالة صاحب أنطاكية، فقتلت منهم خلق كثير، ولم يبق غير هريمة صاحب أنطاكية، فحريقَ عذ أصحاب جاولي إلى جانب القمصر، وجومليل، وغيرهما من الفرنج، فركبوا وأنهرموا، فمضى جاولي وراءهم ليرُدَّهم، فلم يرحفوا، وكانت طاعته قد زالت عنهم حين أحت الموصول منه، فلمَّا رأى أنَّهم لا يعنون معة أمتة تفسد، وخاف من المَقام فاسدهم، وسهم باقي عنكره، فأما أصبهيد صبلوة فسار نحو للشَّام، وأما بذران بن صدقة فسار

(1) السلطان السلجوقي محمد بن ملك شاه (1104 - 1117)، كبير سدة الإقطاعيين بين هؤلاء الأمراء

إلى قلعة جعبر، وأما ابن جكزمتش فقصده جزيرة لنن عمز، وأما جولي فقصده
لرحبة، وقُتل من المسلمين خلق كثير، ونهب صاحب أنطاكية أموالهم وأشغالهم،
وعظم البلاء عليهم من الفرنج، وهرب القمص وجوسلين إلى تل بآشر والنحا حتى
كثير من المسلمين، فعلا معهم للجميل، ونالوا الجزى وكسوا العرة، وسيراهم
إلى بلادهم.

تُبرر الصفحات التالية المنقولة عن ابن الفلانس تفاصيل حيه ومدشرة عن سقوط مدن الساحل السوري (طرابلس، بيروت، صيدا، كما عن الحصار لقائد على صور)، وكذلك عن رنود للعمل التي حثت داخل عاصمة الإسلام الروحية بغداد على العزو الإفرنجي وتوسعه، خاصة وأن الرأي العام الإسلامي قد ثار بتأثير من الملاحين السوريين وبدأ يطالب بعمل عسكري مناسب تقوم به السلطات المركزية (أي الخليفة والسلطان السلجوقي)، التي عادة ما "تعد خيراً".

سقوط طرابلس

(ابن الفلانسى 163-164)

وفي شعبان من هذه السنة (502/أيار/بمنزى 1109م) وصل ريموند بن صنجيل⁽¹⁾ الذي كان يزل على طرابلس من بلاد الإفرنج في جملة سبئى مركباً في البحر مشحوناً بالافرنج والجنود. فحل على طرابلس ووقع بيته ربيع السرداسي بن أخت صنجيل مشاجرة، ووصل طنكري صاحب طنكية إليه لمعونه للسرداسي، ووصل الملك بعدوين صاحب بيت المقدس في عسكره فأصلح بينهم، وعاد السرداسي إلى عرقه ووجد بعض الافرنج في زرعها، فأراد هزبه فضربه لافرنجي فقتله. ولما بلغ الخبر ريموند بن صنجيل، وحه من تسلم عرقه من أصحابه، وزل الافرنج بصوعهم وحشدهم على طرابلس، وشرعوا في قتاله.

(1) يذكرها ريموند قبل اسم ريموند وفي هذا خلط مع اسم الأب Raimon de Saint-Gilles ريموند صنجيل الذي مات عام 1105 دون أن يتمكن من أخذ طرابلس المحاصرة وقد حظه برحمة قريبته أي Guillaume Jourdain كوفت منطقة سرطس الواقعة بين بيروت وصيدا (وتسميها المصادر العربية سارطس) وذلك حتى وصل برتراند لوطالب بالورقة

ومصافيه أهلها منذ أول شعبان إلى الحادي عشر من ذي الحجة من سنة 6) أدار بهارس 12 آب/أوغست 1109)، وأسندوا أبرجهم إلى السور. فلما شاهد الجند والموتله أهل البلد، سقط في أيديهم وأيقنوا بالهلاك ودفن يوسف، لاستئصال اليأس من تأخر وصول الأسطول للمصري في البحر والميرة والدجدة. وقد كانت غلة الأسطول أربحت وسير الرياح تزدل لما يريد الله تعالى من بهاء الأمر المتقضي. فشد الأفرنج قتال عليها وهجموها من الأتراج فملكوها بالسيف في يوم الاثنين لإحدى عشرة ليلة ظلت من ذي الحجة من السنة (12 تموز/أولية 1109 م)، وبهرو ما فيها وأسروا رجالها وسبوا نساءه وأطفالها وحصل في أيديهم من أمتعتها ودخايرها وذهب دالر عليها⁽¹⁾ وما كان منها في خزائن أربابها ما لا يحصى عدده ولا يحصى هزرك. وسنم التوالي بها، وجماعة من جمده كانوا للتمسوا الأمن قبل فتحها. فلما ملكت أظفروا ووصلوا إلى دمشق بعد أيام من فتحها، وعرف أهلها واستصغيت موائلها واستثبوت شعائرهم من مكانها ودل بهم أشد البلاء ومولم العذاب.

وتقرر بين الأفرنج والجنوبيين على أن يكون للجويين الثلاث من البلد وما نهب منه والثلاثان لريمند بن مسجل وأقرباء للملك بغدوين من الرسط ما رضى به.

وكان طنكري لما لم يدل ما أراد من بصرة السرياني قد عاد ونزل بهارس وفتحها وأمن أهلها في شوال من السنة (آيار/مايو 1109) ودل على ثغر جبيل⁽²⁾ ربه فخر الملك ابن عمار (أمير طرابلس) والقوت فيه برز قليل، فلم يزل مصافحاً له ولأهله إلى يوم الجمعة الثاني والعشرين من ذي الحجة (23 تموز/أولية 1109 م) فراسلهم وبذل لهم الأمن بينهما، (وبهذا خرج فخر الملك سالماً)، وقد وعده بأحسن النظر والقطع.

ووصل عيب ملك الأسطول المصري وتم يكن خرج للمصريين فيما تقدم مثله كثرة رجال ومراكب وعدد وغلال لحماية طرابلس وتقويتها بالعدة الكثيرة

(1) دار العلوم، مكتبة ومترسة علمية، وقد كتبت فحراً لأمرأ طرابلس من بني عمار

(2) المعصوم مدينة جبلة لأن الأفرنج استولوا على مدينته جبيل عام 1104

والرجال والمال ثمنة ستة مع تقوية ما في المملكة المصرية من ثغور الساحل وأهله ووصل إلى صور في يوم الثلاثاء من فتح طرابلس وقد فأت الأمر فيه للعصء السارل بأهلها وأقام بالساحل مدة وقرت العلة في جهاتها وتمسك به أهل صور وصيدا وببيروت وشكوا أحوالهم وضعفها عن محاربة الأفرنج وبم يمكن الاصطون المدام فأكلع علئدا عند استقامة للريح إلى مصر -

سقوط بيروت

(ابن العلاءسي 167-168)

وفي هذه السنة (1109/503-1110) خرج طنكري من أنطاكية في حشده ولقيفه المخذول إلى الثغور الشامية فللك طربوس وما والاها وأخرج صاحب ملك الروم منها وعاد إلى أنطاكية ثم خرج إلى شبرر وقرر عليها عشرة آلاف دينار مقطعة تحمل إليه بعد أن عات في عملها ودرل على حصص الأكراد فتسلمه من هله وتوجه إلى عرقة وكان الملك بعنوين وابن مسجول قد نزل على ثغر بيروت براً وبحراً فعاد طنكري إلى أنطاكية وسار جوسلين صاحب تل بشر إلى ثغر بيروت لمعاولة النازلين عليه من الأفرنج واستجد بهم على عسكر الأمير مودود الدراين على أرها، وشرع الأفرنج في عمل البرج ونصبه على سور بيروت فحين سجز وزحفوا به كسر بحجارة المناجيق وأقمدا فشرعوا في عمل خيره وعمل ابن مسجول برجاً آخر.

ووصل في الوقت من اصطول مصر في البحر تسعة عشر مركباً عربية فظهروا على مركب الأفرنج وملكوا بعضها ونخلوا بالميرة إلى بيروت فهيبت بها بعوس من فيها من الرعية. وأنعذ للملك بعنوين إلى المونين¹ يستجد بمن فيها من الجنوبية في مراكزهم فوصل منها إلى بيروت أربعون مركباً مشحمة بالمقاتلة فرحب الأفرنج في البر والبحر إليها بأسرهم في يوم الجمعة 2 شوال (3، أيار/مايو 1110)، و[انصبوا] أعلى السور برجين واشتدوا في القتال فقتل مقدم

(1) مرقاً أنطاكية

الاصطول المصري وخلق كثير من المسلمين ولم ير الاقرنج من ما نفع وتأخر أشد من حرب هذا. واتخذ النمل في اليك وأيقنوا بالهلاك فهجم الاقرنج على البلد حر بهار هذا اليوم فملكوه بالسيف قهراً وعلنة. وهرب الوالي الذي كان فيه في جماعة من أصحابه وحمل إلى الاقرنج فقتل ومن كان معه وغنمو ما كان امصحبه من المال ونهب البلد وسبي من كان فيه وأسر واستصعبت أموالهم ودحائهم. ووصل عيب ذلك من مصر ثلاثمائة فارس بجدة لبيروت فحين حصروا الأرض خرجت عليهم فرقة من الاقرنج بعشرة الف فانهزم منهم إلى اجبال فهلك منهم جماعة. فلما تقرر أمر بيروت رحل الملك بعدوين في الاقرنج ونزل على ثغر صيدا وراسل أهله يلتزم منهم تسليمه فاستمهلوه مدة عيوف فأجابهم إلى المهنة بعد أن قرر عليهم سنة آلاف دينار تحمل إليه مفاصة وكانت قبل ذلك ألفي دينار ورحل عنها إلى بيت المقدس للحج.

مقوط صيدا

(ابن الفلاس 171)

وردت الأخبار فيها (1109/503-1110) بوصول بعض ملوك الاقرنج¹ في البحر ومعه ثيف ومستوى مركبة مشحونة بالرجال لقصد الحج والغزو في بلاد الاسلام فقصد بيت المقدس وتوجه إليه بغنوين واجتمع معه وتقرر بينهما قصد البلاد الاسلامية. فلما عادا من بيت المقدس نزلا على ثغر صيدا في ثالث شهر ربيع الآخر سنة 504 (19 تشرين أول/أكتوبر 1110) وصافوه برأ وبحرأ وكان الاسطول المصري مقيم على ثغر صور ولم يتمكن من اتحاد صيدا فعمسوا البحر ورحلوا به إليها وهو ملبس بحطاب الكرم في عدة أيام متفرقة فإذا كان يوم الحرب وقرب من الصور رحلوا به وفيه للماء والحل لطعي النار وألة الحرب فلم عاب من بصيدا هذا الأمر صعقت نفوسهم وأشعوا من مثل بونة بيروت فأخرج إليها قاضيها وجماعة من شيوخها وطلبوا من بعدوين لأمن

(1) ملك النروج Sigurd

فجاءهم إلى ذلك وأسفهم العسكرية معهم على النفوس والأموال وإطلاق من أراد
لخروج منها إلى دمشق واستحلفوه على ذلك وتوثقوا منه وخرج ألوسي والرمام
وجميع الأجناد والعسكرية وحلق كثير من أهل البلد ونوجهوا إلى دمشق لعشر
بغير من جمادى (الأولى) سنة 504 (4 كانون أول/ديسمبر 1110) وكانت مدة
الحصار سبعة وأربعين يوماً. ورتب بغدوين الأحوال بها والحافظين لها وعاد إلى
بيت المقدس ثم عاد بعد مدة يسيرة إلى صيدا فقرر على من أقام به سبع
وعشرين ألف دينار فأفقرهم واستعرق أحوالهم وصادر من علم أن له بقية منهم.

أثر أحداث الشام في بغداد

(ابن الفلانسى 173)

وفيها (1110/504) وصل السلطان غياث الدين محمد بن ملك شاه
من همدان إلى بغداد في جمادى الأولى منها وورث للكتب والرسل إليه من الشام
بأنهاء الحال وما جرى من الأقربج بعد عردهم عن الفرات وبوية صيدا ولأثر حرب
وأعمال حلب. ولما كان أول جمعة من شعبان حضر رجل من الأشراف
الهاشميين من أهل حلب وجماعة من الصوفية والتجار والفقهاء إلى جامع
السلطان ببغداد فاستعاضوا وأنزلوا الخطيب عن السير وكسروا وصاحوا وبكوا لما
لحق الإسلام من الأقربج وقتل الرجال وسبي النساء والأطفال، ومنعوا الناس من
الصلاة، وأنجموا المقدمون يعدونهم عن السلطان، بما يسكنهم من أبعاد العساكر
والانتصار للإسلام من الأقربج والكفار. وعانوا في الجمعة الثانية، فمسير إلى
جامع الخليفة وفعنوا مثل ذلك من كثرة البكاء والضحيج والاستغثة والنجيب.
ووصلت غيب ذلك الحائزون السيدة أخت السلطان روجة الخليفة إلى بغداد من
أصفهر ومعها من التجميل والجواهر والأموال والآلات وأصنعت المراكب وبنو ب
ولأثاث وأبوع الملابس الفاخرة والحنم والظلمان والجوار والحواشي ما لا يدركه
حرر فيحصر ولا عد فيحكر، ولتفت هذه الاستغثة فتكدر ما كان صافي من
الحال والسرور بمفهمها. وأنكر الخليفة المستظهر بالله أمير المؤمنين ما جرى

وعزم على طلب من كان الأصل والسبب ليقع به المكروه، فجمعه السلطان من
سك وعذر الناس فيما فعلوه وأوعز إلى الأمراء والمقننين بالعود إلى أعمالهم
والتأهب للمسير إلى جهاد أعداء الله للكفر⁽¹⁾.

وفي جمادى الآخرة منها (كانون أول/ ديسمبر 1110 - كانون ثاني/ يناير
1111) وصل رسول من ملك الروم⁽²⁾ بهدايا وتحف ومراسلات مصمومها البعث
على قصد الإفراج والإيقاع بهم والاجتماع على طردهم من هذه الأعمال وترك
البراهي في أمرهم واستعمال الجذ والاجتهاد في التمسك بهم قبل اعصال خطبهم
واستفحال شرهم، ويقوى أنه قد منعهم من العبور إلى بلاد المسلمين وحربهم، فرب
طمعوا فيها بحيث تتواصل عساكرهم وامدادهم إلى البلاد الإسلامية حتج إلى
مدرائهم واطلاق عبوزهم ومساعدتهم على مقاصدهم واغراضهم لتصورات القادة
إلى ذلك ويبالغ في الحث والتحريض على الاجتماع على حربهم وقلعهم من هذه
الديار بالاتفق عليهم.

حصار صور

(ابن القلائسي 181-178)

وفي هذه السنة (1111/505-1112) جمع بمديون الملك من أمثله جمعه
من لافريج وقصد ثغر صور هاجر عر الملك واليه وأهل البلد بمراسلة ظهير
النبي تسك بدمشق يستصرحون به ويستجدونه ويبدلون تسليم البلد إليه ويستولونه
المبصرة والتعجيل بنقاد عدة وافرة من الأتراك تصل إليهم سرعة لمعونتهم وتقويتهم

(1) كان يفسد الحكم أن في بعضاكن من طبيعة العباسي وهو السلطان الاسمي ورجع
انفسهم السعة والسلطان السلجوقي، وهو السلطان الفعلي في كل من إيران وسجود مع
مروء الفصحي الشام. ولم يكن الاعتراف الموجود بين السلطين كمالا وعم الرجااب السعد.
بين الأسرى بنهيها أن يرى في هذا التناقص، تظهر في هذه الصفحات بالصفحات
التالية، صورة لبطاليا في العرشلة. فالتحية وقيل اكتمان الحكم العائلي، حيث كان عذر
الحكم الملك فكتور علفوقيل والدوتشه عوموليبي

(2) Alessio Comneno (1110-1108)

وإن انحدرت للمعوية عنهم فانتهم الضرورة إلى تسليمه إلى الأفرنج ليأسه من
 نصرة الأفضل صاحب مصر⁽¹⁾ فبادر أتابك بانتهاذ جماعة واقرة من الأتراك بالعد
 الكاملة يريد على العائتين فرساناً رماة لخطأاً فوصلت إليهم وأتت أهل صور
 رجالة كثيرة من صور وجبل عامل، وغبوا في تلك مع رجالة من دمشق وصلوا
 إليهم وحصلوا عددهم وشرع أتابك في إنعاده عدة أخرى. فحين عرف بعون ما
 تقرر بين أتابك وأهل صور بادر للثبول عليها فيمن جمعه وحشد في اليوم
 الخامس وعشرين من جمادى الأولى سنة 505 (29 تشرين ثاني/نوفمبر 1111)،
 وتقدم بقطع الشجر والسهل وبنى بيوت الإقامة عليها وزحف إليها فقاتل عدة
 نفعات ويعود حاسراً لم يزل منها غرضاً وقيل أن أهل صور رشقوا في بضع أيام
 مقاتلتها في يوم واحد بعشرين ألف سهم.

وخرج ظهير الدين من دمشق حين عرف برولهم على صور وهيم ببأس
 وبث سراياه ورجالة الحرامية في أعمال الأفرنج وأطلق لهم النهب والقتل والسلب
 والأخرب والحرق طلباً لأزعاجهم وتربحهم عنها فتدخل العدة الثانية إلى صور فلم
 يتمكن من الدخول. ونهض ظهير الدين إلى الحبيس الذي في السويداء وهو حصن
 مسيخ لا يُرام، فشد القتال عليه وملكه بالسيف قهراً، وقتل من كان فيه قسراً، وشرع
 الأفرنج في عمل برج خشب لترحف بهما إلى سور صور، وزحف ظهير بدين
 إليهم عدة نفعات لينشطه بحيث يخرج عسكر صور فيحرق البرجين. وعرف
 الأفرنج قصده في ذلك وخشدوا عليهم من جميع الجهات ورتبوا على الحدود
 الرجال بالأسلح لحفظه وحفظ الأبراج. ولم يحظوا بما يفعل وما يجري على
 أعينهم من انعارات عليها والتفتك بمن فيها. وهجم ليلئاء فلم يصر بالأفرنج لأنهم
 كانوا نزلوا في أرض رملية صلبة والأتراك بالضد من ذلك قد كانوا من معهم
 شدة عطية ومشقة مؤلمة إلا أنهم لا يحلون من غارة وفائده وقطع ميرة عن
 الأفرنج ومادة وأخذ ما يحمل إليهم.

(1) انور بن أطمعي الذي سبق ذكره والذي كل عليه أن ينفذ هذه التغرور الواقعة من الناحية
 الشكليه تحت السيادة المصرية.

وقطع الأتراك الجسر الذي كان يُعبر عليه إلى صيدا ليعطع الماسة أبيض
عنه فعدلوا عند ذلك إلى استدعاء الميرة في البحر من جميع الجهات ففطر
طهير النهر لذلك ونهض في فريق من الصكر إلى ملحية صيدا وعبر على
ظاهره فقتل جماعة من البحرية وأحرق ثقيف عشرين مراكباً على الشط وهو مع
ذلك لا يهتم إصدار الكتب إلى أهل صور بتقوية قلوبهم وتحريضهم على
استعمال المصاهرة للأفريق والجد في قتالهم.

وتم عمل الترحيل وكباشهما أنتي فكون هيهما في ثقيف خمسة وسبعين يوماً
وشرع في تقسيمهما والرحف بهما في عاشر شعبان (11 شعبان/فبراير) وقرباً من
سور البلد واشتد القتال عليهما وكان طول البرج الصغير منهما سباً وربعين ذراعاً
والكبير يزيد على الخمسين ذراعاً. ولما كان أول شهر رمضان (2 آذار/مارس)
خرج أهل صور من الأبراج بالنفط والحطب والقطران وآلة الحرق فلم يتمكنوا من
الوصول إلى شيء منهما فالتقوا النار قريباً من البرج الصغير بحيث لم يتمكن
الأفريق من دفعها فهبت ريح وألفت النار على البرج الصغير فاحترق بعد
المجارية الشديدة عليه والمكافحة المضنية عه ونهب منه رزميات كثيرة وطوارق
وغير ذلك واتصلت الدار بالبرج الكبير. واتصل العبر بالمستمنين بأن الأفريق قد
هجروا حربة البك للاستعمال بحريق البرج وانتوا عن المقاتلة على الأبراج، وشد
لأفريق عليهم وكشفهم عن البرج وأطلقوا ما علق به من النار ورتبوا عدة وافرة
من بطائهم لحفظ البرج والمنجنيقات من جميع الجهات.

ورابطوا الرحف إليها إلى آخر شهر رمضان، وقربوا البرج إلى بعض أبرج
البلد وطمروا الثلاثة الحنادق التي أمامه، وعند أهل البلد إلى تعليق حائط البرج
لدي براء برج الأفريق وأطلقوا النار هيه، فاحترق التعليق⁽²⁾ وسقط وجه الحائط
في وجه البرج، فمض من تقسيمه إلى الصور والرحف به وصلوا الموضع الذي
قصدوه قصيراً، وأبراج البك تحكم عليه، وبطل تقسيمه من ذلك الوجه، وكشف
لأفريق الردم وحرروا إلى برج آخر من أبراج البلد ودفعوه إليه وقربوه من سور

(1) أي قاذف وألواح (ترجمة عن الإيطالية)

(2) للدعائم (ترجمة عن الإيطالية)

البلد، وصدموه بالكباش التي فيه السور، فزعزعوه، ووقع منه شيء من الحجارة،
وشرف أهل البلد على الهلاك. فعمد رجل من مقدمي البحرية، عارف بالصناعة
من أهل طرابلس له فهم ومعرفة بأحوال الحرب، إلى عمل كلاب حديد بمسك
الكباش إذا طُح به السور من رأسه ومن جانبه، بحبال يحددها الرجال حتى يكاد
البرج الخشب يميل من شدة جذبهم بها، فتارة تكسره الأقربح خوفاً من سرح، وتارة
يميل أو يهتز، وتارة ينكسر بصخرتين تلقى عليه من البلد مشدوده أحد هاتين
الأخرى. فعملوا عدة من الكباش وهي تكسر على هذه الصناعة واحد بعد واحد،
وكان طول كل واحد منها ستين ذراعاً معلقاً في البرج الخشب بحبال، في رأس
كل واحد من الكباش حديد يزين ورية على عشرين رطلاً. فلما طُل تجند الكباش
وقربوا البرج من السور عمد هذا الرجل البحري المقدم بكرد إلى حشبة طويلة
جافية قوية أقامها في برج البلد الذي بإزاء برج الأقربح وهي رأسها حشبة على
شكل الصليب⁽¹⁾ طولها أربعون ذراعاً تدور على بكر بلولب كيف ما أرد المتوليها
على مثال ما يكون في الصواري البحرية وفي طرف الحشبة التي تدور سهم حديد
وفي طرفها لأخر حبال مدارة بها على ما يريد متوليها، وكان يرفع فيها جرر
الكدر والنجاسة فيشعلهم بطرح تلك عليهم من البرج عن الكباش. وضاق الأمر
بالناس وشغلهم ذلك عن أمورهم وأنعالهم وعمد البحري المذكور إلى سلال العنب
والقفاص فيجعل فيها الزيت واللقيز والرافة والفتودية وفشر الفصص ويطلق فيها
النار فإذا هلفت بذلك وقع ذلك في الآلة المذكورة حتى يوارى برج الأقربح فتقع
النار في أعى البرج فيبأروا بطفائها بالحل والماء، فيبأروا برفع أخرى، ومع هذا
يرمي أيضاً بالزيت المغلي في قنور صغار على البرج فيعظم الوقيد. فلما كثرت
النار وحمل بعضها بعضاً وقويت قهرت الرجلين للمتولين لرأس البرج. وفعل
أحدهما وانهزم الآخر وجرل منه فتمكنت النار من رأسه وبرلس إلى الطعة الثانية
من رأسه ثم إلى الوسطى وعمت في الخشب وقهرت من كل حوله في انطبقت
وعجزوا عن إطفائها، وهرب كل من فيه وحوله من الأقربح، وخرج أهل صور إليه
لهبوا ما فيه وغنموا من السلاح والآلات والعدد ما لا يحده وصف

(1) صليب على شكل T

فبعد ذلك وقع يأس الأفرنج منه وشرعوا في الرحيل عنه وأحرقوا البيوت التي
 كانوا قد عمروها في المنزل لسكنائهم وأحرقوا كثيراً من المراكب التي كانت لهم
 على الساحل لأنهم كانوا أخذوا صواريخها وأرطها والآنها للأبراج وكانت عندهم
 تقدير مائتي مركب كثيراً وصغروا منها تقدير ثلاثين مركباً حربية وحملوا في
 بعضها ما حفر من أنقالتهم ورحلوا في العاشر من شوال من سنة (١١١٢).
 (١) (يوسس أبريل ١١١٢) وكانت مدة إقامتهم على محاصرة صور أربعة أشهر ونصف
 شهر. وقصدوا عكا وتفرقوا إلى أعمالهم. وخرج أهل صور وعمومها فطعموا به
 منهم. وعانت الأتراك المنسوبون لاسعلاهم إلى دمشق، وقد فقد منهم في الحرب
 نحو عشرين رجلاً وكان لهم فيها التجربة^(٢) والواجب في كل شهر. ولم يتم على
 برج من أبراج الأفرنج في القنيم والحدث مثل ما تم على هذا البرج من حرقه
 من رأسه إلى أسفله والذي اعان على هذا هو شادي البرجين^(٣) في الارتفاع ولو
 طال أحدهم على الآخر لهلك أقصرهما. وكان عدد المعقبين من أهل صور
 أربع مائة نفس ومن الأفرنج في الحرب أيضاً على ما حكى الحاكمي العارف بتقدير
 ألفي نفس. ولم يف أهل صور بما كانوا بذلوه لطهير الدين أتاتك من تسليم البلد
 إليه ولم يظهر لهم في ذلك قولاً وقال: إنما خُطب ما فعلت لله تعالى وللمسلمين
 لا لرغبة في مال ولا مملكة. فكثر الدعاء له والتكبر بحسن فعله ووعدهم أنه
 متى ذهبهم خُطب مثل هذا سارع إليه وباع في المعونة عليه، وصد إلى دمشق
 بعد مكيدة المشقة في مدينة الأفرنج إلى أن خرج الله عن أهل صور. وشرع أهل
 صور في ترميم ما شغته الأفرنج من سورها وأعادوا الصادق إلى حالها ورسمها
 بعد طمئنها وحصنوا البلد وتفرق من كان فيه من الرجال^(٤).

(١) ليس من الباصح فيما إذا كانت غيرة نجي في دمشق - حفل العودة، أو أنها نهي خلال
 الحرب أي في صور قصود أيام الحصار.

(٢) أي البرج المنحدر وسنجد وكلاهما مشار إليهما بنص الكلمة كما لا يما ع على الوصف

(٣) بعد هذا الدفاع الناجح، تم إلقاء صور مرات عديدة أخرى من قبل طعنك، تلك من أن

سقط نهائياً في أيدي الصليبيين عام ١١٢٤

لكن أول ضربة قاسية على الفريجة لم تأت من بعده، بل جاءت بعد أن تحرك كل من إيلعاري لمير ماردين وأتاتك دمشق طعنيين، فقد ناجأ إيلعاري عام 1911 في بلاط (أو سرمداً شرق حلب) الأمير النورماني روجر صاحب بطاكية فهرمه شر هزيمة وقتله. وهما يلي رواية حول هذه الحادثة كتبها المؤرخ الحلبي كمال الدين، وهو الذي تابع أحداثها بصورة مباشرة وقدم لنا صدى صادقاً عنها. يورد بعد ذلك رواية ابن القلاسي الذي لم يفته أن يشير إلى عدم انشغال المسلمين فرصة استعادة إنطاكية رغم أنها كانت آتت سهلة المال.

(كمال الدين 187/2-190)

هزيمة سرجال صاحب إنطاكية وموته

(وقعة تل عرين)

وتوجه إيلعاري إلى ماردين ومعه أتباعه (طعنيين)، وراسلاً من بعد ولزب من عساكر المسلمين والتركمان، فجعلوا حصناً عظيماً، وتوجه إيلعاري في عسكر يزيد عن أربعين ألفاً في سنة ثلاث عشرة وخمسمائة، وقطع الفرات من هبر بدايا ومعجزة⁽¹⁾.

وميت عساكره في أرض تل ناشر وتل خالد وما يقربهما، بهل وسهب وباسر، وغمروا كل ما قدروا عليه، ووصل من رسل حلب من يستحثه على

(1) في معجم البلدان لياقوت 162/3: نتيجة: يفتح أوله وسكون ثانيه ثم جيم قال لأبي م هر عظيم لا يتبيناً خوضه لأن قراره رمل سيال كلما وطنه الإنسان يرجه سال به معرقه، وهو يجري بين حصر منصور وكيسوم وهما من ديار مصر بالصلا المعجزة

لوصول لتواصل غارت الفرنج من جهة الأتارب. وأياس أهلها من أنفسهم، صار
بني مرج دانق ثم إلى المسلمية، ثم إلى قسرين في أواخر صفر من سنة ثلاث
عشرة وخمسمائة (حزيران يونية 1119).

وسارت سرايا⁽¹⁾ في أعمال الروج والفرنج يقتلون ويأسرون، وأحسوا حصر
فصلوا في الروج، وجمع سرحال⁽²⁾ صاحب أنطاكية للفرنج والأرمن وغيرهم،
وخرج إلى جسر الحديد (على العاصي)، ثم رحلوا ونزلوا بالبلاط بين جبين، مم
بلي درب سرمد⁽³⁾، شمالي الأتارب، وذلك في يوم الجمعة التاسع من شهر ربيع
الأول (20 حزيران يونية 1119).

وضجر الأمراء من طول المقام، وإيلغازي ينتظر أتابك طعنكس ليصل إليه
ويتفقا على ما يفعلانه، فاجتمعوا وحثوا إيلغازي على مهاجرة العدو فجدد إيلغازي
الأيمان على الأمراء والمقدمين أن يهاضخوا في حربهم، ويصليروا في قتال العدو،
وأنهم لا يكلون ويبدئون مهاجمهم في الجهاد، فطفوا على ذلك بنفوس طيبة.

وبسار المسلمون جرايد، وحفروا الحيام بنفسرين، وذلك في يوم الجمعة
السادس عشر من شهر ربيع الأول (27 حزيران يونية 1119)، هبأوا قريبا من
الفرنج وقد شرعوا في عمارة حصن مطل على تل عفرين والفرنج يترهسون أن
المسلمين يدركون الأتارب أو زردا، فما شعروا عند الصباح (لا رأيات المسلمين
قد ألبت، وأحاطوا بهم من كل جانب.

(1) هناك في المخطوطة جملة مكررة ((وقطع تمرات من عر - وسارت)) ولا مجال لوجودها،

وقد كتبت فوق الجملة بخط دقيق ((من لاء... إلى)) وهي دالة المنص، وبدونها تستقيم
الجملة، على أن يبدل الكلمة في الأصل وهي ((مزلوهر)) صريشها ((سرايا)) متابعه سياق

(2) سرحال هو سير روجير ((Sir Roger)) ملك أنطاكية - وفي ابن قلائسي (1) 2، ((وورمت
الأخبار برؤوس روجير صاحب أنطاكية منها فمس جسمه وحشده من طوائف الأفرنج ورجال
لأرمن)) - في الفهرست 289/8 سرحال.

(3) هي ابن قلائسي 201 ((قد درلوا في الموضع المعروف بشرما وقيل داليت البعل بين
انصكية وحيد)) وفي معجم البلدان لياقوت 82/3: ((سرمد - بلعظ السرمد، اندم - موضع
من عمال حلب)) - في دوسو 221 أنها من الحروب المصرية العظيمة يسمى Sarmad
أو Sarmeda وهي عند المؤرخين الفرنجة Sarmet. (الهامش الأربعة السابعة من النص
لأصلي، غير مذكورة عند غابرييلي)

وأقبل القاصي أبو الفضل بن الخطاب يحرض الناس على القتال، وهو
ركب على حجر ويده رمح، فراه بعض العسكر فارداً وقال: إنما جئنا من
بلادنا تبعاً لهذا المعمم⁽¹⁾ فأقبل على الناس، وحطبتهم حطبة بلعة استهص فيها
عرائسهم، واسترهبهمهم بين الصفيين، فأبى الناس وعظم في أعينهم
ودار طعان أرسلان بن نملاح⁽²⁾ من ورائهم ونزل في خيامهم، وقتل من فيها
وبهدها، وألقى الله النصر على المسلمين، وهرب من انهرم من الفرج وقصر
الخيام قتل.

وجعل الترك بأسرهم حملة واحدة من جميع الجهات صدقوهم فيها، وكانت
السهم كنجراد، وتكثر ما وقع في الحيل والسواد من السهام عانت منهمة وحبست
فرسانها، وطحنت للرجالة والأتباع والغلمان بالسهام، وخذوهم بأسرهم أسرى.
وقتل سرجال في الحرب⁽³⁾، وفهد من المسلمين عشرون نفراً (لقطاً) منهم
سليمان بن مبارك بن شيد، وسلم من الفرج مقدار عشرين قرأ لا غير، ونهرم
جماعة من أعيانهم وقتل في المعركة ما يقارب خمسة عشر ألفاً من الفرج،
وكانت الواقعة يوم السبت (28 حزيران يوبية). وقت الظهر، فوصل البشير بن
حلب بالنصر، والمصاف قائم، والناس يصلون صلاة الظهر بجامع حلب، سمعوا
صيحة عظيمة بذلك من نحو العرب، ولم يصل أحد من العسكر إلى نحو صلاة
مصر.

وأحرق أهل القرى القلبي من الفرج، فوجد في رماد فارس واحد أربعون
بصل نشاب، وبرز إيلغاري في حيمة سرجال، وحمل إليه المسلمون ما غنموه، فلم
يأخذ منهم إلا سلاحاً يهجه لملوك الإسلام، ورد عليهم ما حملوه بأسره.
ولم يحصر الأسرى بين يدي إيلغاري، كان فيهم رجل عظيم الحامه مشتهر
بالعوة، وأسره رجل ضعيف قصير قليل السلاح، فلما حصر بين يدي إيلغاري قال

(1) العصاة يصنعها رجل اثنين والشرع لدى المسلمين.

(2) أمير لوزن في الجزيرة، من أمراء إيلغاري.

(3) في بن الأثير 289/8. (ولما سرجال صاحب الخطبة قعه قتل وحصل رأسه) (دمش من
النصر الأصلي).

له التركمان: أما تمتحي بأعرك مثل هذا الضعيف وغيبك مثل هذا الضعيف. فقال
والله ما أحدى هذا، ولا هو مولاي وإنما أخنني رجل عظيم أعظم مني وأقوى.
وسلمني إلى هذا وكان عليه ثوب أحضر وتحتة قميص أحمر.⁽¹⁾

(ابن القلائسي 200: 1)

ولم وصل مطهر الدين أتابك إلى جنب للاجتماع مع نجم الدين (إلغارلي)
على الأمر المعروف بينهما بعد مصي الأجل المعين عليه بتبديلهما وجد التركمان
قد جتمعوا إليه من كل فج وكل صوب في الأعداد الدثرة الوفرة والوفرة العظيمة
كأنهم لاسود بطلب فرسها والشواهد إذا حامت على مكاسرها. وورث الأخبار
ببروز روجير صاحب انطاكية منها في من جمعه وحشده من حوائف الافرج
ورجاله الأرمن من سائر أعمالتهم وأطرافهم بحيث يزيد عددهم على عشرين ألف
فارس وزاجل سوى الأتباع وهو العدد الكثير في أتم عدة وأكمل شكة وإبهم قد
نزلوا في الموضع المعروف بـشرداء، وقيل دانيث البطل بين انطاكية وحلب، فحين
عرف المسلمون ذلك طاروا إليهم باجحة الصفور إلى حماية الوكر، لم كان
بأسرع من وقوع العين، وتغارب الفريقين حتى حمل المسلمون عليهم وأحاطوا بهم
من جميع الجهات وسائر الجنبات، هرب بالسيوف ورشقا بالسهم، ومنح الله
تعالى سيرة أحمد - حزب الاسلام النصر على المردة الطغام، ولم تمض ساعة
من نهار يوم السبت السابع من شهر ربيع الأول من سنة 513 (28 حزيران يولية
1118)، إلا والافرج على الأرض سطحة واحدة فارسهم وزاجلهم بحيلهم وسلاحهم
بحيث لم يفلت منهم شخص بغير خبزهم، ووجد مقنمهم روجير صريماً بين
القتلى ولعد حكي جماعة من المشاهدين لهذه الواقعة إنهم طافوا في مكان هذه
المعركة ينظروا آية الله تعالى الباهرة وإنهم شاهدوا بعض التحول مصرعة
كثيرة من كثرة الشباب الواقع فيها. وكان هذا للفتح من أحسن الفتح والنصر
المعجزة لم ينفق مثله للإسلام في سالف الأعوام ولا الأنف من الأياد ويعت

(1) انظر لأحضر الفرنسي لا يترك محالاً شك بأن الحديث يدور عن الرسول (صلى الله عليه
وسلم) أو عن سبعة آخر من السماء، فلي يساعد المسلمين على النصر

إطاعة شدة عزة خائبة من حمايتها ورجالها خاوية من كماتها وأبطالها هريسة سوث
 هرة الطالب، فوق التعادل عنها نعية ظهير الدين أتاك عن هذه الوقعة لتسرع
 للتركمان إليها من غير تأهب لها للأمر النافذ والقدر النازل واشتعال النيران
 حرار العنائم التي امتلأت بها الأيدي وقويت بها النفوس وسرت بحسبها القلوب
 هناك بيوتهم حاوية⁽¹⁾ وللصد لله رب العالمين.

صفات بغويين الثاني وموته

(ابن اللاتسي 233)

في هذه السنة (1131/526-1132)⁽²⁾ ورد الخبر من ناحية الأفرنج بهلاك
 بغويين الرويس ملك الأفرنج صاحب بيت المقدس بعدا في يوم الخميس الخامس
 والعشرين من شهر رمضان منها (8 آب/أغسطس 1132) وكان شيخاً قد عركه
 الرمان بحوادثه وعانى الشدائد من بوائبه وكوارثه ووقع في أيدي المسلمين عدة
 ولغات أسيراً في محارباته ومصافاته، وهو يتخلص منهم بحيلة المشهورة، وخدعه
 المخبورة، ولم يخلف فيهم بعده صاحب رأي صائب ولا تدبير صائح. وقدام فيهم
 بعده الملك القومص الجديد الكنايخور⁽³⁾، الواصل إليهم في البحر من بلادهم،
 فم يتسدد في رأيه، ولأصايب في تدبيره، فاضطربوا لهقه واحتلوا من بعده.

-
- (1) استشهداً بعبارة قرآنية (قرآن كريم 27، 28) مطبعة هنا على الأعداد المهرومية ويستحسن
 المؤلف في النص السجع والمحسنات النجوية الأخرى تناغماً مع سمو الموضوع
 (2) يجد تبين هذا التاريخ سنة كاملة لأن بغويين الثاني مات في الواقع في نفس في 2،
 آب/أغسطس 1131 الموافق لـ 1 25 رمضان 525.
 (3) وهو Conq d'Anjou.

بدأ الهجوم الإسلامي المعاكس بصورة فعلية حليفة عندما سجل مسرح لأحداث أتابك الموصل وحلب نور الدين زنكي، التركي الأصل، (والذي حكم بين 1129-46)، وقد لعبت مواقف أبي نور الدين الحربية أصداء احتفالية لدى ابن الأثير الذي كان موظفاً ومؤرخاً مخلصاً لسلالة الزنكية التي لم يطل حكمها في بلاد ما بين النهرين وسورية؛ لقد هيأت الأقدار لركي - بحسب الرؤية الدينية الأثيرية للتاريخ - وراثته طعنكين ثمق الذي توفي عام 1128 بعد أن كان أول حصم معتبر للصليبيين.

زنكي، فائز هينئة الأقدار لنصرة الإسلام في سورية

(ابن الأثير 10/458)

وَلَوْلَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى مِنْ عَنَّا الْمُسْلِمِينَ بِمُلْكِ أَتَابِكِ بِبِلَادِ الشَّامِ، لَمَلَكْتَ الْفَرَنْجُ، لِأَلَّهِمْ كَانُوا يَخْصُرُونَ مَخَصَ الْبِلَادِ الشَّامِيَّةِ، وَإِذَا عَمَ ظَهِيرُ الدِّينِ طُغْتَكِينُ بِمُلْكِهِ جَمَعَ عَسَاكِرَهُ، وَاقْبَدَ بِلَادَهُمْ وَحَصَرَهَا، وَأَعْلَزَ عَلَيْهَا، فَيَضْطَرُّ الْفَرَنْجُ إِلَى الزَّحِيلِ لِنَجْعِهِ عَنْ بِلَادِهِمْ، فَفَتَرَ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ تُوُفِّيَ فِي هَذِهِ السَّنَةِ (1128/522)، فَخَلَا لَهُمُ الشَّامُ مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِ مِنْ رَجُلٍ يَهْوَ بِحُصْرَةِ أَهْلِهِ، فَطَلَعَ اللَّهُ بِالْمُسْلِمِينَ بِوَفَايَةِ عَمَدِ النَّيْبِ (ركي)، فَعَمِلَ بِالْفَرَنْجِ مَا فَتَكَرُوا لِيَنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

ذكر ملك زنكي قلعة بغيرين (حصن الفرنجة) وهزيمة الفرنج

(ابن الأثير 11/33-34)

وفي هذه السنة في شوال (531/تموز/أولاية 1137) صار أتابك ركي من الموصل إلى الشام، وحصر قلعة بغيرين⁽¹⁾، وهي تغرب مدينة حماة، وهي من

(1) سمى الصليبيون Mont L'errand، وهي بين طرطوس وحماة.

أَمَعَ مَعَادِلَ الْفَرَجِ، وَأَخْصَنَهَا، فَلَمَّا نَزَلَ عَلَيْهَا قَاتَلَهَا وَزَحَفَ إِلَيْهَا، فَجَمَعَ الْفَرَجَ
 وَرَاحِلَتَهُ، وَسَارُوا فِي قَصَبِهِمْ وَقَصِيصِهِمْ وَمُلُوكِهِمْ وَقِمَامِصِنَهُمْ وَكُنُودِهِمْ إِلَى
 أَدَبِكَ رَتَكِي لِيُزَحِّلُوهُ عَنْ بَغْرَيْنِ، فَلَمْ يَزَحِّلْ، وَصَبِرَ لَهُمْ إِلَى أَنْ وَصَلُوا إِلَيْهِ، فَلَقِبَهُمْ
 وَقَاتَلَهُمْ أَشَدَّ قِتَالٍ رَأَى النَّاسُ، وَصَبِرَ لِلْعَرِيقِ، ثُمَّ أَجَلَّتِ الْوَقْعَةُ عَنْ هَرِيمَةِ الْفَرَجِ،
 وَأَحْدَثَتْهُمُ سَيُوفُ الْمُتَمَلِّمِينَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَأَحْطَمَى مُلُوكَهُمْ (١)، وَفَرَسَانَهُمْ بِحَصَرِ
 بَغْرَيْنِ بَقَرِيهِ مِنْهُمْ، فَحَصَرَهُمْ رَتَكِي فِيهِ، وَمَنَعَ عَنْهُمْ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى لَأَحْبَرُ، فَكَانَ
 مِنْ بِهِ مِنْهُمْ لَا يَعْلَمُ شَيْئًا مِنْ أَخْبَارِ بِلَادِهِمْ لَشِدَّةِ صَنِطِ الطَّرِيقِ وَهَيْسَةِ عَلَى جُودِهِ.
 ثُمَّ بَيْنَ الْقُسُوسِ وَالزَّهْبَانِ دَخَلُوا بِلَادَ الرُّومِ وَبِلَادَ الْفَرَجِ وَمَا وَلَاهُ مُسْتَعْرِبِينَ
 عَلَى الْمُسْتَعْرِبِينَ، وَأَعْلَمُوهُمْ أَنَّ رَتَكِي إِنْ أَخَذَ قَلْعَةَ بَغْرَيْنِ وَمَنْ فِيهَا مِنْ الْفَرَجِ مَلِكٌ
 جَمِيعِ بِلَادِهِمْ فِي أَمْرٍ وَقَبْ، وَأَنَّ الْمُتَمَلِّمِينَ لَيْسَ لَهُمْ هِمَّةٌ إِلَّا قَتْلُ الْبَيْتِ
 الْمُقَدَّسِ، فَحِينَئِذٍ اجْتَمَعَتِ الْتُصْرَابِيَّةُ، وَسَارُوا عَلَى الصُّخْبِ وَالذَّلُولِ، وَاقْصَدُوا
 الشُّدْمَ (٢)، وَكَانَ مِنْهُمْ مَا تُذَكِّرُهُ. وَلَمَّا رَتَكِي قَاتَلَهُ جَدُّ فِي قِتَالِ الْفَرَجِ فَصَبَرُوا، وَقَالَتْ
 عَلَيْهِمُ النُّخِيرَةُ، فَإِنَّهُمْ كَانُوا غَيْرَ مُسْتَعْدِينَ، وَلَوْ يَخُونُوا يَعْتَقِدُونَ أَنَّ أَحَدًا يَقُومُ
 عَلَيْهِمْ، بَلْ كَانُوا يَتَوَقَّعُونَ مَلِكَ بَاقِي الشَّامِ، فَلَمَّا قَاتَلَتِ النُّخِيرَةُ أَكْلُوا دِيُونَهُمْ، وَدَعَلُوا
 بِالنَّسْلِيمِ لِيُؤْمِنَهُمْ وَيُتْرَكَهُمْ يَخُودُونَ إِلَى بِلَادِهِمْ، فَلَمْ يُجِبْهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَلَمَّا سَمِعَ
 بِاجْتِمَاعِ مَنْ فِي الْفَرَجِ، وَوُضُولِ مَنْ قَرَّبَ إِلَيْهِمْ، أُعْطِيَ نَعْمٌ فِي الْحَصَنِ
 لَأَمَّاسٍ، وَتُرِّرَ عَلَيْهِمْ خَمْسِينَ أَلْفَ دِينَارٍ يَصْلُونَهَا إِلَيْهِ. فَأَجَابُوهُ إِلَى ذَلِكَ فَأَطَاعُوهُمْ،
 فَخَرَجُوا وَسَمُّوا إِلَيْهِ. فَلَمَّا فَارَقُوهُ بَلَغَهُمْ اجْتِمَاعُ مَنْ اجْتَمَعَ بِسَبَبِهِمْ، فَهَدَمُوا عَلَى
 النَّسْلِيمِ حَيْثُ لَا يَنْفَعُهُمُ التَّدْمُ، وَكَانَ لَا يَصِلُهُمْ شَيْءٌ مِنَ الْأَخْبَارِ الْبَيْتَةِ قَلْبًا،
 سَلَّمُوا.

وَكَانَ رَتَكِي فِي مَدَّةٍ مَقْلِبَةٍ عَلَيْهِمْ قَدْ فَتَحَ الْمَعْرَةَ وَكَطَرَطَابَ مِنَ الْفَرَجِ فَكَانَ
 أَهْلُهُمْ وَأَهْلُ سَائِرِ الْوَلَايَاتِ الَّتِي بَيْنَ حَلَبَ وَحِمَاةٍ مَعَ أَهْلِ بَغْرَيْنِ فِي الْحَرْبِ، لِأَنَّ
 الْحَرْبَ بَيْنَهُمْ قَدَمَةٌ عَلَى سِلَاقٍ، وَالنَّهْبُ وَالْقَتْلُ لَا يَزَالُ بَيْنَهُمْ، فَلَمَّا مَلَكَهُمُ أَمْسَ
 سِنَاسٌ، وَعَمَرَتِ الْأَلْدَادُ وَعَظُمَ نَحْلُهَا، وَكَانَ قَتْحًا مَيِّثًا، وَمَنْ رَأَى عِلْمَ صَحَّةِ قُوَّتِي

(١) ملك القدس Falen ومن تبعه من القبارونات (جميع بطون).

(٢) ومنك مع الامبراطور البيزنطي Giovanni Il Comneno (1118 - 1143).

ومن حسب الأفعال وأغفلها من عمله زككي مع أهل المعرفة، فإن الفرنج لف ملكو المعرفة كانوا قد أخذوا أموالهم وأموالهم، فلما فتحها زككي أذن حصر من بقي من أهلها ومعهم أغفلات من ذلك، وظلوا أملاكهم، فطلب منهم كتبها، فقالوا: إن الفرنج أخذوا كل ما لنا، والكتب التي للأملاك فيها، فقال: اطلبوا دوتر حسب، وكل من عليه حراج على ملكي يسلم إليي، ففعلوا ذلك، وأعاد على الناس أملاكهم، وهد من أحسب الأفعال وأغفلها.

التحالف الإفرنجي - الدمشقي ضد زككي

(ابن القلاسي 73-270)

وفي أول هذه السنة المباركة مستهل المحرم (1139/534-1140) ⁽¹⁾ ورد الخبر بفراغ عماد الدين أتابك من ترتيب أمر بعلبك وقتلها وترميم ما تشعث منها وشروعه في التأهب للفرول على مدينة دمشق لمضايقتها وورد عقب ذلك الخبر برحيله عنها في العسكر ورسوله في البقاع ⁽²⁾ في شهر ربيع الأول سنة (تشرين أول/أكتوبر 1139) وأنفذ رسوله إلى الأمير جمال الدين محمد بن تاج الملوك بوري بن أتابك ⁽³⁾ صاحبها في التماس تسليم البند إليه ويعوض عنه بم وقع الاختيار والاقتراح عليه فلم يجب إلى ما رغب فيه فرحل عن البقاع وبرزل على دارب ظهر دمشق في يوم الأربعاء ثالث عشر ربيع الآخر منها (6) كانون ثاني/يناير)، وكان عد بروله على داريا قد التقت انطلائع فطفر بجماعة ولهزم النافور إلى البك ورحل بعد ذلك إلى البلد في عسكر من ناحية المصلى ⁽⁴⁾ في يوم الجمعة الثامن وعشرين من شهر ربيع الآخر من السنة فطفر بجماعة وأهرة من أحداث البلد والمعزلة وأطلق للسيف فيهم فمهم من مصى قتيلا وأسير ومهم من عاد إلى البك مدالما وحريحا وأشرف البك في هذا اليوم على الهلاك لولا لصف

(1) غابرييلي: وفي هذه السنة..

(2) كر يسمى في الفصح Ctesiria بين سلطنتي لبنان الشرقية والعربية

(3) حيث طعنين وربع خليفة له على إمارة دمشق.

(4) مكار إقامة صلاة الجمعة

الله تعالى وعاد إلى مخيمه بمن أسر بعد من قتل وأمسك أياماً عن الحرب^(١) وتابع لمراسلة والتلطف في تسليم البلد وأخذ للعروض عنه بعلبك وحمص وم يقترح معهما فأثر جمال الدين محمد بن تاج الملوك التحول في هذا الأمر ثم فيه من الصلاح وحسن النماء وعمارة الأعمال وسكون الدهماء وإدعاء غيره عند الاستشارة فيه وحمل يزحف بعسكره في أيام متفرقة بحيث لم يصدق في القتال ولا بالعد في التصديق والبرال اتفاقاً من عفاك الدهماء كالكتاب المسالم والمناهي في الوقائع والمعالم. وابتدأ بجمال الدين محمد ابن تاج الملوك مرصراً انصرف به في جمادى الأولى من السنة فصار يخف ثارة ويقتل ويمضي ويعود ويقل ويريد إلى أن اشتد به اشتداداً وقع اليأس معه ولم يكن له فيه طيب ولا راق ولم يزل على هذه الحال إلى أن قصى محتوم بحبه وصار إلى رحمه ربه في ليلة الجمعة الثامن من شعبان منها (29 آذار مارس 1140) في الوقت الذي أصيب فيه أحوه شهاب الدين محمود بن تاج الملوك رحمه الله فعجب الناس من ذلك واتفاق الوقت والساعة وسبحوا الله وقسموه وجهر ونفى في ثرية جدته بالمراديس⁽²⁾.

فاجتمع رأي المتقدمين وأصحاب الأمر من بعده على سد ثمة فقد نهى بطلب ولده الأمير عصف الدولة أبي سعيد ابن جمال الدين محمد في مكانه وأخذت له بذلك الوعود المؤكدة بالأيام المشددة على الاحلاس في الطاعة والصدق في الخدمة والمنصحة فاستقام الأمر وصلاح للتبوير وزل الخلف وسكنت الأمور بعد اضطرابها وقرت العيون بعد استحيائها. وحين عرف عماد الدين أتابك هذه القصية رحب في عسكره إلى البند طامعاً في خلف يجري بين المعنمين بوفاته فينال به بعض طلباته فكان الأمر بالصمد مما أمل والحال بالعكر فيم طر ولم يصاحب من أجناد دمشق وأحداثها إلا للثبات على الفراع والصير على المدونة ومصراع فعاد منكفئاً إلى عسكره وقد صنعت نفسه وصاق لهذا الأمر حسره. وقد ذكر تقرير الأمر مع الاقترنج على الاتفاق والاعتصام والموازنة والاسعاد والامتزاج

(١) قال المارقي إن في هذه القصة منك أثبات وتكي قطة بعلبك يدل على عشق وحاصره مدة ثم حكموا إليه قطة نصري - (عن شخص الأصلي).

(2) باب المراديس من أبواب دمشق

في نفعه و لاحتلاط في صده عن مراده ومنعه ووقعت المعاهدة على سلك
بلايمس المؤكدة والضماني ثلوعاء بما بذلوه والتمسوا على تلك مالا معيباً يحمل
إليهم ليكون عوياً لهم على ما يحاولونه وقوة ورهاناً نسكن بها نفوسهم وأجيبوا إلى
ذلك وحنن إليهم المال والرهائن من أقارب المقدمين وشرعوا في التأهب للاستعداد
و الاستعداد للمزاوررة والاسعاد وكتب بعضهم بعضاً بالبعث على الأجتماع من
مدائر المعاقلة والبلاد على إبعاد أتابك وصده عن نيل الأرب من دمشق والمراد
قبل استعجال أمره واعصال خطبه وقوة شوكته واستظهاره على عصب الأفرنج
وقصد بلادهم.

فحين نيف صورة الحال في هذا العزم وتجمعهم لقصد مع عسكر دمشق
رحل عن منزله بذاريا في يوم الأحد الحامس من شهر رمضان طالباً ناحية
هوزن للقاء الأفرنج إن قرئوا منه وطلبهم إن يعدوا عنه وأقام على هذا الاعتزام
مدة ثم عاد إلى ناحية خرطة دمشق⁽¹⁾ وبرز بعثاء يوم الأربعاء لتست يقين من
شوال (12 حزيران/يونيه) وأحرق عدة صباغ من المرج والخرطة إلى حرسنا التين
ورحل يوم السبت تالي متشاملاً حين تحقق برول الأفرنج بالمدان في جموعهم.
وكان الشرط مع الأفرنج أن يكون في جملة المبدول لهم انتزاع ثغر بانياس من يد
ابراهيم بن طرخت وتسليمها إليهم فاتفق أن ابراهيم بن طرخت واليه كان قد نهض
من أصحابه إلى ناحية هوزن للاشارة عليها فصادفه ريمند⁽²⁾ صاحب أنطاكية في
قصدته واصلاً إلى اسعاد الأفرنج على انجاد أهل دمشق فالتفت فكسره وقتل في
الوقعة ومعه نفر يسير من أصحابه وعاد من بقي منهم إلى بانياس فتمسكوا بها
وجمعوا إليها رجال راندي التيم وغيرهم ومن أمكن جمعه من الرجال لذب عنه
ونمرماده نوبها فنهض إليها الأمير معين الدين⁽³⁾ في عسكر دمشق وبرز عليها
ولم يزل محارباً التمهيقات ومصايقاها بأنواع للمحاربات ومعه فريق وافر من

(1) المرمية منصفه حسنة كلها بساتين وجزائن تحيط بدمشق وهي ثغرات التي وردت هنا اسماءها

(2) Raimondo da Poirier

(3) معين الدين أشر (Aynard) في المصادر الفرنجية، فقد عسكر في تركيا كس برعم من
الناحية العملية ليمارة دمشق في هذه السجلات، وذلك يضم الأمير القنبل أبي Abaq

عسكر الافريج عامة شوال (ايار - حزيران/مايو - يونية 1140).

وورد الخبر بأن الأمير عماد الدين أتابك قد نزل على بطبك وأبى يستدعي التركمان من مطابهم كذا في شوال لقصد بانياس ودفع المارلين لها عنها ولم نزل الجالية جارية على هذه القضية إلى آخر دي الحجة من السنة.

... ولم نزل بانياس على حالها في المضايقة والمحصرة إلى أن نزلت منها الميرة وقت موت للمفلثة فسلمت إلى معين الدين وعرض عنها الوالي أبي كاس بها بع أرصاه من الاقطاع والاحصال وسلمها إلى الافريج ووفى لهم بالشروط ورحل عنها منكباً إلى دمشق ظاهراً بأمله خامداً لعمله في أواخر شهر شوال.

وفي صبيحة يوم السبت السابع من ذي القعدة من السنة (22 حزيران/يونية) حصل عماد الدين أتابك بعسكره جريئاً بظاهر دمشق ووصل المصلى وقرب من سور البلد ولم يشعر به أحمد لكون الناس في أعقاب نومهم فلما تبج الصباح وعرف خبره طئت الجلبة والصباح وبعر الناس واجتمعوا إلى الأسوار وفتح الباب وخرج الخيل والرجالة وكان قد فرق عسكره إلى حوزان والحوطة والمرج وسائر الأطراف للغارة وولف هو في خواصه بزء عسكر دمشق بحيث لا يمكن أحداً من أصحابه في اتبع أحد من خيله المغيرة ونشبت الحرب بينه وبين عسكر دمشق وخرج من العريقين جملة وافرة وأحجم عنهم لامتعاله بمن سته من سراياه في الغارات وحصل في أيديهم من خيرى الجشار⁽¹⁾ والأغنام والأحصان والأبقار والأثاث ما لا يحصى كثرة لأنهم جاءوا على غفلة وغرة ونزل من يومه بسرج راسط إلى أن اجتمعت الرجال والغنائم وسار عائداً على الطريق الشمالية بالمئات الذرة المتكاهية هي الكثرة.

(1) حيول للمراعي (عن الايطالية)

بعد أن حذب أمله في دمشق استعداد ريكى للرجاء بفتح الزحف (41) (ربحهظيم موطعها المحطبة، فأصبحت أول مازال من الدويلات النصرانية لأربع
تتي شدت حال الحمئة الأولى. بورد في النهاية صبعحات من ابن نقلاسي ثم
من بن لأثير الذي، وإن كذب بأسلوب الحكايات والروايات، فإنه ينطق به أيضاً
من الحوادث اليومية المحلية ليتفي نظرة شاملة أوسع على مسرح الصراع القائم
بين الغرب والإسلام. غير أن زكى ماثيث أن قتل بعد عامين على تحقيق ذلك
لانتصار وهو يحارب ضد غيره من المسلمين. وقد ورث برامجه لسياسي-
لعسكري أبه مور الذين سلطان حلب. يرى هذا أن مدائح ابن لأثير لريكى
تبيّن- بعيد عن الطلال العاطفية- انبعاث التاريخة الهامة التي كانت تسير هذه
لشخصية العظيمة.

زكى يفتح الزها

(ابن القلاسي 80-279)

وفي هذه السنة (1144/539) ورث الأخصار من ناحية الشمال بأن الأمير
عماد سين أفتتح مدينة الزها بالسيف مع ما هي عليه من القوة والحصانة
والامتدح على فاضليها والحمولة على طائفيها من الصفاكر الحمة ومدرسها، وأن
السبب في ذلك أن الأمير عماد الدين أتابك ثم يرل لها صاليداً وفي مملكه راغبا
ولانتهر الفرصة فيها مترقباً لا يرح نكرها جائلاً في حله وسره وأمره، مثلاً في
حصاره وقلبه إلى أن عرف أن جوساير (الثاني) صاحبها قد حرج منها في حل
رجاله وعين حماته وأبطته لأمر اقتصاد وسبب من أسباب إلى البعد عنها دعه
لأمر المعصي والفكر للنازل فحين تحقق ذلك بادر بعصدها وسارع إلى السرول في

العسكر الدثر عليها لمصليقتها والحصر امن فيها وكلفت طوائف التركمان بالاستدعاء لهم للمعونة عليها والاستعداد وأثناء فريضة الجهاد فوصل إليه منهم الحلق الكثير والنجم للغير بحيث أحاطوا بها من جميع الجهات وحاولوا فيها وبين ما يصل إليها من المير والأقوات والطاقر لا يكاد يقرب منها خوفاً على نفسه من صوائف سهم مازلها وبفظة المصيقين عليها ونصب على أسوارها للمناجيق ترمي عليها دسما والمخارية لأهلها مضراً ومواطياً. وشرع للحراسانيون والخطيون انصارهم بمواضع النقوب الماصون فيها فتقبوا في عدة مواضع عرفوا أمرهم ويتقو بغير وصرها ولم يزنوا على هذه الحال في الإيعال في النقب والتمادي في بحر الأرض إلى أن وصلوا إلى تحت أساس أبراج السور فحققوا بالأحشاش المحكمة والآلات المنتخبة وفرغوا من ذلك ولم يبق غير إطلاق النار فيها، فاستأدوا عماد الدين أتاك في تلك فادن لهم بعد أن دخل في النقب وشاهد حاله واستعظم كونه وهاله، فلم أصقلت النار في تطبيق النقوب، تمكنت من أحشائها وأبادتها فوقع السور في أحوال وهجم المسلمون البلد بعد أن قتل من الجبهتين الحلق الكثير على الهدم وقتل من الأقربج ولأمرهم وجرح ما أوجب عنيتهم عنه وملك البلد بالسيف في يوم السبت سادس وعشرين من جمادى الآخرة منها (23 كانون أول/ديسمبر 1444)، صحوة النهار⁽¹⁾ وشرع في النهب والقتل والأسر والسبي وامتألت الأيدي من المال ولأثاث والدواب والغنائم والسبي ما سرت به النفوس وانتهجت بكثرة النقوب وشرع عماد الدين أتاك بعد أن أمر برفع السيف والنهب في عمارة ما انتهزم وترميم ما تشعث ورثب من رآه لتدبير أمرهم وحفظها والاجتهاد في مصالحها وطيب نفوس أهلها ووعدهم بجمال السيرة فيهم وبسط المعذلة في أفانصهم وأدانيهم ورجل عنها وقصد سرور وقد هرب الأقربج منها فملكها وجعل لا يمر بعمل من أعماله ولا معقل من معاقلها فيبرل عليه إلا سلم إليه في الحال.

(1) قال القرقي في تاريخه: أنه فتحها عوة في 20 من جمادى الآخرة وكان 7 كانون الأول من السنة وكان أصبتها الأقربج بعد موت حاج الدولة في سنة 492 ثم رجل عنها بعد ما رتب أمرها ورجل على قبيرة فحاصرها مدة وكاتب القصارى يقولون في أنك جعل بينه الميثان وكانوا منتظرين ذلك وكان فتحها ليلة الميثان وسلم أترك وكذبوا (هــ) من عمر النصر الاصلي.

في هذه السنة منادى جمادى الآخرة^(١)، فتح أتابكك جمادى للشين رثكي بن
استقر مدينة الرها من الفرنج، وفتح غيرها من حصونهم بالجزيرة أبص، وكان
صرههم قاعاً عميقاً بلاد الجزيرة، وشربهم قد استطاز فيها، ووصفت غلاتهم إلى أتابكها
وقاصبها. وبلغت آمد، ونصيبين وزأس عين، والرافقة. وكانت مملكتهم بهذه النهر
من قريب ماردين إلى الفرات مثل الرها، وسروج، والبيرو، وسن أني عظيم.
وحملين، وسمرور، والفراتين وغير ذلك. وكانت هذه الأعمال مع غيرها من هو
غرب الفرات نجوسين، وكان صاحب رأي للفرنج والمنظم على عسكريهم، ياف هو
عليه من الشجاعه والمكر. وكان أتابكك يعلم أنه متى قصد حصنهم، جمع إليهم
من الفرنج من يثمنها، فيعذر عليه منكمها لما هي عليه من الحصانة، فاشتغل
بديار بكر يومهم الفرنج أنه غير مستقر لقصد بلادهم. فلما رآوا أنه غير قادر على
ترك الملوك الأتقيّة وغيرهم من ملوك ديار بكر، حيث إنه محارب لهم، اطمأنوا،
وفرق جوسين الرها وعبر الفرات إلى بلاد الفريضة، فهاجت غيرة أتابكك إليه
فأخبرته فندى هي العسكر بالرجيل، وأب لا يتحلف عن الرها أحد من غد يومه،
وجمع الأمراء عنده، وقال: قدّموا الطعام؛ وقال: "لا يأكل شيء على مائدة هذه
إلا من يطمئن غداً معي على باب الرها"، فلم يبق منهم إليه غير (أمير) واحد وصبي
لا يعرف، لم يطمئن من إقامته وشجاعته، وأن أهدا لا يقدر على مساواته في
الحرب. فقال الأمير لذلك الصبي: "ما أنت في هذا المقام؟ فقال أتابكك: دعه،
فوالله إنني أرى وخيلاً لا يتحلف عني. وسار والمساكر معه، ووصل إلى الرها،
وكان هو أول من حمل على الفرنج ومعه ذلك الصبي. وحمل فارس من حباله
الفرنج على أتابكك عرصاً، فاعترضه ذلك الأمير فطعنه فقتله^(٢)، وسلم المشهيد،
ونزل ابنك، وقاتله ثمانية وعشرين يوماً، فرحب إليه عنه دعوات. وكنتم النقيبين
هتقو مرور البلد، ونح في قتاله خوف من اجتماع الفرنج والمسيير إليه واستعداد بيك

(١) لاجد ر كلمه ((عشور)) قد سقطت منها لأن التاريخ الصحيح هو الذي ذكره تاريخ ابن

العتاسي من قبل أي الحيف 26 حصدي الثاني عام 539 73 كانون ثوى 44

(2) يقول غابرييلي إن النص يحتمل تفسيرين حول أي منهما قتل الآخر.

منه، فسقطت السنة التي فيها التعلُّون، [وأخذ] ليلند عتوة وقَهْرًا، وحصر قلعه
 فملكها أنصاء، وبهت الثَّلاثُ الأموال وسبوا للذرية وقتلوا الرجال. فلما رأى نيك
 البلد أعصية، ورأى أن تخريب مملكه لا يحوز في السياسة، فأمر فتودي في
 عساكر برد من أحتوة من الرجال والنساء والأطفال إلى تيوتهم، وإعادة ما عموه
 من ثيابهم وأمتعتهم، فردوا للجميع عن أخيه لم يفتد منهم أحد، إلا الشد الترس
 الذي أخذ، ومارق (من أحدة) الجنكر، فعلا البلد إلى حاله الأول، وجعل فيه
 عسكرًا بخرطة، وسلم منبئة مزوج وسائر الأماكن التي كانت بيد الفرج شرقي
 الغرب، ما عدا لبيرة⁽¹⁾، فربها حصبة مبيعة وعلى شاطئ الأنرات، فسار بيها
 وحصرها، وكانوا قد أكثروا مبرتها ورجالها، فبقي على حصارها إلى أن رحل
 عنها، على ما شكره بن شاء الله تعالى.

حكى أن بعض العلماء بالأنساب والتواريخ قال: كان صاحب جزيرة صقلية
 قد أرسل سرية في البحر إلى طرابلس الغرب وشك الأغال، فتهبوا وقتلوا وكان
 بصقلية إلسان من العلماء الفضليين، وهو من أهل الصلاح، وكان صاحب
 صقلية يكرمه ويحترمه، ويرجع إلى قوله، ويضمة على من عتده من القسوس
 والزهاد، وكان أهل ولايته يقولون إنه مسلم بهذا السب.

ففي بعض الأيام كان جالس في منطرة له يسرف على البحر، وإذا قد قيل
 مركب لطيف، وأخبره من فيه أن عسكره دخلوا بلاد الإسلام، وطمسوا وقتلوا
 وطغروا، وكان المسلم إلى جانبه وقد ألقى، صال له الملك: يا فلان! أما سمع ما
 يقولون؟ قال: لا! قال: إنهم يخبرون بكذا وكذا. أين كان محمد عن تلك البلاد
 وأهلها؟ فقال له: كان قد غلب عتته، وشهد فتح الزها، وقد فتحه المسلمون الآن!
 فصحك منه من هناك من الفرج، فقال الملك: لا تصحكوا، فوالله ما يقول إلا
 الحق! بعد أيام وصفت الأخبار عن فرج السالم بفتحها⁽²⁾، وحكى لي جماعة من

(1) وهي Birecik التركية حاليا.

(2) هناك برس غير دقيق مع حملة صغرى عام 1142، لو مع تلك النتيجة التي جرت عام

146 صيد طرابلس والحائنة بركة. ها نسمح رجس النحي المنصور للمسلمين في المسلم

المذكور الذي كان غلبا هذا يكون الإدريسي يكتات.

أَهْلِي السُّبُلِ وَالصَّلَاحِ أَنْ إِنْسَانًا صَالِحًا رَأَى الشَّهِيدَ فِي مَنَاجِهِ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ
 قَتْلُكَ بَكَ؟ قَالَ: غَفَرَ لِي بِفَتْحِ الرَّهَاءِ.

ذَكَرَ قَتْلَ أَتَابِكِ عِمَادِ الدِّينِ زَنْكِي وَشَيْءٍ مِنْ سِيرَتِهِ

(ابن الأثير 11 74-72)

فِي هَذِهِ السَّنَةِ (541)، لَخْمَنِي مَضِيرٌ مِنْ رَجَبِ الْآخِرِ (14 أَيْلُول/سبتمبر
 146)، قَتَلَ أَتَابِكِ الشَّهِيدَ⁽¹⁾ عِمَادَ الدِّينِ زَنْكِي بْنَ أَهْمَنْقَرٍ، صَاحِبَ الْمَرْمِيلِ
 وَالشَّامِ، وَهُوَ مُحَاصِرُ قَلْعَةِ جَعْفَرٍ، عَلَى مَا ذَكَرْنَا، قَتَلَهُ جَمَاعَةٌ مِنْ مَمَالِيكِهِ لَيْلًا
 غَيْبَةً، وَهَرَبُوا إِلَى قَلْعَةِ جَعْفَرٍ، فَصَاحَ مِنْ بِهَا إِلَى الصُّنُكْرِ يُغْلَمُونَهُمْ بِقَتْلِهِ،
 وَأُظْهِرُوا الْهَرَجَ، فَخَفِزَ أَصْحَابُهُ، فَأَتَرَكُوهُ وَبِهِ رَمَقٌ، حَدَّثَنِي وَالِدِي عَنْ بَقِصِ
 خَرَّاصَتِهِ، قَالَ: دَخَلْتُ إِلَيْهِ فِي الْحَالِ وَهُوَ خَرِيٌّ، فَجِئْتُ رَأَيْ طَرُفَ أَلْيِ أُرِيدُ قَتْلَهُ،
 فَأَشَارَ إِلَيَّ بِإِصْبَعِهِ الْمُنْبَاةِ وَسَتَعَطَفَنِي، فَوَقَعْتُ مِنْ هَيْبَتِهِ، فَقُلْتُ: يَا مَوْلَايَ مَنْ
 فَعَلَ بِكَ هَذَا؟ فَلَمْ يَقْدِرْ عَلَى الْكَلَامِ، وَدَاسَتْ نَفْسُهُ بِوَقْتِهِ، رَحِمَهُ اللَّهُ.

قَالَ: وَكَانَ حَسَنَ الصُّورِ، أَسْمَرَ اللَّوْنِ، مَلِيحَ الْعَيْنَيْنِ، قَدْ وَخَّطَهُ الشَّيْبُ،
 وَكَانَ قَدْ زَادَ عُفْرُهُ عَلَى مِائَتَيْ سَنَةٍ؛ لِأَنَّهُ كُنَ لَمَّا قُتِلَ وَالِدُهُ⁽²⁾ صَغِيرًا، كَمَا ذَكَرْتَهُ
 قَبْلُ، وَلَمْ يَكُنْ يَفْقَهُ بِالزُّفَةِ. وَكَانَ شَخِيدَ الْهَيْبَةِ عَلَى عُنُكِهِ وَرَعِيَّتِهِ، عَظِيمِ
 السَّيِّئَةِ، لَا يَقْبِرُ الْفَرِيءَ عَلَى ظُلَمِ الضَّعِيفِ، وَكَانَتْ أُنْبُلَاؤُهُ قَتَلَ أَنْ يَمْلِكَهَا خَرَابًا
 مِنْ الظُّلَمِ، وَتَقْبَلُ الْفُؤَادَةَ، وَمُجَاوِزَةَ الْفَرَجِ، فَعَمْرُهَا، وَامْتَلَأَتْ أَهْلًا وَسَكَنًا. حَكَى لِي
 وَالِدِي قَالَ: رُبْتُ الْمَوْصِلَ وَأَكْثَرَهَا خُرَابًا، بِحَيْثُ يَهْبُ الْإِنْسَانُ قُرْبَتِ مَحَلَّةِ
 الطُّبَّالِينَ وَبَرَى الْجَامِعِ الْعَتِيقِ، وَالْعَرَصَةُ، وَدَارُ الْمُطْلُطِلِ، لَوْسَ بَيْنَ ذَلِكَ عِمَارَةٌ؛
 وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْدِرُ عَلَى الْمَشْيِ إِلَى الْجَامِعِ الْعَتِيقِ إِلَّا وَمَعَهُ مِنْ يَحْمِيهِ، لِيَعْدَهُ
 عَنْ عِمَارَتِهِ، وَهُوَ الْآنَ فِي وَسْطِ الْعِمَارَةِ، وَلَيْسَ فِي هَذِهِ النِّعَاجِ الْمَذْكُورَةِ كُلِّهَا

(1) مع ابن سريكي قد قتل وهو يحارب مسنتين آخرين (الطوقاني صاحب جيز)، في ابن الأثير

المنحصر له يدعوها وفي نسخة أخرى بالشَّهِيد. تلك تكللحه لتمرير صد العرج

(2) لاسير فسفر، والذي تمرد عام 1094 على سلطان حلب تثنى قتلته هنا

أرض برح، وحشني أيضاً أنه وصل إلى الجزيرة في الشتاء، فنزل الأمير عز
 النير النيسبي، وهو من أكابر أمرائه، ومن جملة أقطاعه مدينة بثوة، ومن في
 دار إسبان يهودي، فاستغاث اليهودي إلى أتابك، وأنهى حاله إليه، فطمر إلى
 النيسبي متأخر، ونحل البلد وأخرج بركة وحيامه قال: فلقد رأيت علامة بنصير
 حياضه في الرحل، وقد جمعوا على الأرض بيتاً يعيهم الطي، وخرج فرلهم، وكنت
 ساسنة إلى هذا الحد. (1) وكاتب الموصل من لكل بلاد الله فأبهمه، فصارب في
 أمه، وما بعدها، من أكثر البلاد قواكه وزياجين وغير ذلك، وكان أيضاً سيد
 العورة ولا سيما على نساء الأجداد، وكان يقول: إن لم تحفظ نساء الأجناد بالهنية،
 ولا فسد لكثرة عيبة أزواجهن في الأمصار. وكان أشجع خلق الله، أما قيل أن
 يملك فيكبيه أنه حصر مع الأمير مؤدود صاحب الموصل مدينة طبرية، وهي
 للفرنج، فوصلت طغنة باب البلد وأثر فيه، وحمل أيضاً على قلعة عفر النسيدي،
 وهي على جبل عال، فوصلت طغنة إلى عتريها، إلى أشياء أخر. وأما بعد الملك
 لقد كن الأعداء مخيفين ببلاده، وكلهم يقصدونها ويريد أخذها، وهو لا يفتح
 يحفظها، حتى إنه لا يتقصي طنبه عثم إلا ويفتح من بلادهم. فلقد كان الخليفة
 المسترشد بالله مجاوره في ناحية تكريت، وقصد الموصل وحصرها، ثم إلى
 جايه، من ناحية شهرزور وتلك الناحية للسلطان مسعود؛ ثم ابن سلطان صاحب
 جلاط؛ ثم داؤد بن سلطان صاحب حصن كيم؛ ثم صاحب آمد وماردين؛ ثم
 الفرنج من مجاورة ماردين إلى دمشق؛ ثم أصحاب دمشق، فهذه الولايات قد
 أحاطت بولايته من كل جهاتها، فهو يقصد هذا مرة وهذا مرة، ويأخذ من هذا
 ويصانع هذا، إلى أن ملك من كل من يلية طرفاً من بلاده، وقد أتب على أخباره
 في كتاب "الدهر" في تاريخ دولته ودولة أولاده (2)، فيطلب من هناك.

(1) ومدح كل المؤرخ على الإطراق ركي يسيب رعيته ونفاعة عن مباحبه صد عاف
 ونصوصية الجور. ويعرف المؤرخ الطي كمل النير، أنه عينا كل وخرج من المجه، في
 الجور بظيرون وكانهم يسيرون بين مستطين طوائف، وذلك لعرضهم على ألا يوسو شيك
 من الزرع لأفهم يطمون أنه لا مزاج مع الأتابك.

(2) وهو ذريح أتابكة الموصل، حيث غير ابن أنير عن حبه وإحلاصه ومصرفه لشعابه الزكيه

كان حصار دمشق للفصير والفاشل (1148) أبرز أحداث جلال الحملة الصليبية الثانية التي لم تظهر أي جذارة خاصة وأنها بدلت تحت وهم يقول بسقوط الره. نرى هنا أن رواية شاهد العيان ابن الفلانسى تؤكد رواية ابن الأثير وتكملها، وبعد أيضاً صفحات بلاغية أخرى كتبها مؤرخ متأخر آخر هو ابن الجوزي. كما نقرأ كيف ترمز ميقة للعدلاوي الفقيه الشيخ الكبير شهيداً في سبيل الدين والوطن إلى المقاومة الإسلامية في مظهرها الأنبل والأشد صرامة.

الحملة الثانية وحصار دمشق

(ابن الفلانسى 297-304)

وفي أوائها (1148/543) تواترت الأخبار من سائر الجهات بوصول مراكب الفرنج المقدم ذكرهم إلى ساحل البحر وحصولهم على سواحل الشغور الساحلية صور وعك وجماعهم مع من كان بها من الفرنج ويقال إنهم بعد ما قتل منهم بالقتل وبمرض والجوع تقدير مائة ألف عناق وقصدوا بيت المقدس ولعبسوا مقرض حجهم وعاد بعد ذلك من عاد إلى بلادهم في البحر. وقد هلك منهم بالموت وبمرض الحلق العظيم وهلك من ملوكهم من هلك وبقي المراكب أكبر ملوكهم ومن هو ذوبه واحتلفت الأراء بينهم فيما يقصدون محاربتهم من بلاد الإسلامية والأعمال الشامية إلى أن استقرت الحال بينهم على مبارزة مدينة حشق وحشنتهم بوسعهم الحبيثة بملككتها وتبايعوا ضياعها وجهانها، وتواصلت لأحد سبائك وشرع عتولي أمرها الأمير معين الدين أكر في التأهب والاستعداد لحربهم

لأميرصور كوردا قتلت أما مشاركة لوس السبع منك فربما ظم يكن لها ذكر كبير في المصادر الإسلامية.

ورفع شهرهم وتحصين ما يحشى من الجهات وترتيب الرجال في الصفات والمساقد وقطع مجاري النيرة إلى منازلهم وطم الآثار وعى للمهازل وصرفوا أعتنهم إلى حبه دمشق في حصدهم وحدهم وحتيدهم في الخلق للكثير على ما يقال تكسير الخمسين ألف من الحيل والرجل ومعهم من السواد والجمال والأبقار ما كثروا العدد الكثير ونما من البلد وقصدوا المنزل المعروف بمنازل العساكر فصادوا الماء معذباً فيه معطوفاً عنه فقصدها ناحية المزة فخيماً عليها لقربها من الماء ورجعوا إليه بحيلهم ورجلهم. ووقف المسلمون بإزائهم في يوم السبت السادس من شهر ربيع الأول سنة 43 (24 آب/أغسطس 1148) وبشيت الحرب بين الفريقين واجتمع عليهم من الأجداد والأكرام القتال وأحداث البلد والمطوعة والغزاة الجم الغفير واشتجر القتل بينهم واستظهر الكفار على المسلمين بكثرة الأعداد والعدد وغلبوا على الماء وانتشروا في البساتين وخيماً فيها وقربوا من البلد وحصلوا منه بمكان لم يتمكن أحد من العساكر قديماً ولا حديثاً منه. واستشهد في هذا اليوم الفقيه الإمام يوسف القندلاوي المائكي رحمه الله⁽¹⁾ قريب الزبوة على الماء لوقوفه في وجوههم وترك الزجوع عنهم أتباعاً لأوامر الله تعالى في كتابه الكريم⁽²⁾ وكذلك عبد الرحمن الحلولي الزاهد رحمه الله جرى أمره هذا المجري.

وشرعوا في قطع الأشجار والتحصين بها وهدم القاطر وبنوا تلك الليلة على هذه الحال وقد لعق الناس من الارتياح لهول ما شاهدوه والروع بما عاينوه ما صطفت به القلوب وخرجت معه الصدور وباكروا الظهور إليهم في غد ذلك اليوم وهو يوم الأحد تاتيه ورجعوا إليهم ووقع الطراد بينهم واستظهر المسلمون عليهم وأكثروا القتل والجراح فيهم. وأبلى الأمير معين الدين في حرمهم بلاء حسناً وظهر من شجاعته وصبره وبسالته ما لم يشاهد في غيره بحيث لا ينفي في ذلالتهم ولا يفنى عن جهدهم ولم تزل رهي الحرب دائرة بينهم وخيل للكفار محيطة من الحملة المعروفة لهم إلى أن تهيأ الفرصة لهم إلى أن ماتت الشمس إلى الغروب وأقبل

(1) وفي كتاب البحر للناظر النحوي: هو أبو الحجاج يوسف بن دويلب المغربي القندلاوي، قتل شهيداً في حصار الفرنج مقيلاً غير منير. والدعاء عند قبره خارج الباب الصغير مستجاب (ماض من النص الأصلي)

(2) إشارة إلى عموم الآيات القرآنية المتعلقة بالجهاد..

الليل وطشت النعوس الراحة وعدا كل منهم إلى مكانه ويات الجند بإرائهم وأمرهم على أسرارهم للحرس والاحتياط وهم يشاهدون أعداءهم بالقرب منهم وكسب المكنونات قد تعدت إلى ولاية الأطراف بالاستصراح والاستنجد وحصت حيل التوكلان تتواصل ورحلة الأطراف تتتابع ويأمرهم المسلمون وقد هرب بنفوسهم ورائ رؤسهم وشتوا بإرائهم وأطلقوا فيهم السهام وحل لجرح بحيث تنبع في محبتهم في رجل أو فارس أو فرس أو حمل.

ووصل في هذا اليوم من ناحية النفاذ وغيرها رجاله كثيرة من الرماة فرأى بهم العدة ونصب على العدة والحصل كل فريق إلى مستقره هذا اليوم ويأمرهم من عبده يوم الثالث كالبزاة إلى تعاقب الجبل والقشواهم إلى مطار الحبل وأحاطوا بهم في مخيمهم وحول مخيمهم وقد تحصنوا بالشجار اليساين وأمسوها رشقا بالشباب وحفا بالأحجار. وقد أحجموا عن البرور وحافوا وقتلوا ولم يظهر منهم أحد وظن بهم أنهم يعملون مكيدة ويندرون حيلة ونم يظهر منهم إلا للفر ليسر من الحيل والرجل على سبيل المعركة والمناوشة خوفا من المهاجمة إلى أن يجدوا لحملتهم مجالا أو يحسوا نفورهم احتيالا وليس يدنو منهم أحد إلا صرع رشقا أو طعنة وطمع فيهم نفر كثير من رجاله الأحداث والصباغ، وجعلوا يرصدونهم في المسالك وقد انشؤا فيقتلون من طرؤا به ويحسرون رؤوسهم لطلب الجوائز عبا وحصل من رؤوسهم العدد الكثير وثوارت إليهم أخسر المعسكر الإسلامية بالنعوف إلى جهادهم والمعارعة إلى استئصالهم فأيقنوا بالهلاك وتبار وحلوا النمار واعملوا الأجزاء بينهم هم بجسوا بنفوسهم خلاصا من الشبكة التي حصلوا فيها والهمة التي ألها بنفوسهم إنبها غير الرحيل منحر يوم الأريحاء المتالي مجطين والهرب محدولين مغلولين. وحين عرف المسلمون ذلك وانبأ لهم آثارهم في الرحيل برزوا لهم في بكرة هذا اليوم وسارعوا بحورهم في آثارهم بالنهار بحيث قتلوا في أعقابهم من الرجال والحيول والدواب العدا الكثير ووجد في آثار صاريهم وطرقاتهم من دفائن قتلاهم^(١) وقأمر حيولهم ما لا عدد

(١) يحبر من شوسكو غابريلى أنه قد يكون بين هؤلاء القتلى واحد من شخصيات الكوميين إليه الذين هزوا للشاعر الإيطالي الكبير دانتي أنهم قصوا خلال الحروب الصليبية عدد منهم منهم يدافعون عن قبر المسيح. ولم هذه الشخصية هو Caccagunda.

له ولا حصر يلحقه بحيث لها أرائح من جيعهم تكذب نصرع الطيور في الجو وكانوا قد أحرقوا الزبد والعبه للممتونة في تلك الليلة واستبشر الناس بهذه النعمة التي أسعها الله عليهم وأكثروا من الشكر له تعالى ما لوأاهم من إجابة دعائهم الذي واصلوه في أيام هذه النعمة فله على ذلك الحمد والشكر.

ذكر حصر الفرنج دمشق وما فعل سيف الدين غازي بن زكي

(ابن الأثير 11، 86-85)

في هذه السنة (1148/543) سار ملك الأمان من بلاده في خلق كثير وجيش عظيم من الفرنج عازماً على قصد بلاد الإسلام، وهو لا يشك في ملكه ويسر قتال لكثرة جموعه، وثوفر أمواله وعنده. فلما وصل إلى الشام قصد من به من الفرنج وخدموه، وانتقلوا أمره ونهيه، فأمرهم بالمسير معه إلى دمشق ليحصروها ويملكها برزخه، صاروا معه ونارلوا وحصروها.

وكان صاحبها مجير الدين أبق بن توري بن طعنكين، ويش له من الأمر شيء، وأما الحكم في البلاد لمعين الدين أنر، منلوك جده طعنكين، وهو الذي أقام مجير الدين، وكان معين الدين عاقلاً، وعادلاً، خيراً، حسن السيرة، فجمع العسكر وبخبط البلد، وأقام الفرنج يحاصرونها، ثم إنهم رجعوا سالين ربيع الأول (24) ثور/بوليه) بدريسهم وراجلهم، فخرج إليهم أهل البلد والعسكر فعالتوهم، وصبروا لهم، وهيمن خرج للقتال للقبه حجة الدين يوسف بن دي داس القندلاوي المغربي، وكان شيخاً كبيراً، فيها عتمة، فلما رآه معين الدين، وهو راجل. قصده وسلم عليه، وقال له: يا شيخ، أنت معذور بكبر سنك، وتحزن تقوّم بالنسب عن المسلمين، وسأله أن يغود، فله يفعل وقال له: قد بغت واشترى مني، فوالله لا أقبله ولا استغفنه، فعسى قول الله تعالى: [لئن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة] [النوبة 111] وتقدم قتال حتى قيل عند القريب نحو صنف فرسخ عن دمشق

وقوي الفرنج وصنف المسلمون، ففتح ملك الأمان حتى نزل الميدان الأخضر، فأيقن الناس بأنه يملك البلد. وكان معين الدين قد أرسل إلى سيف

السَّيِّبِ عَزْرِي تَبِ أَتْلَبُكَ رَكْبِي يَدْعُوهُ إِلَى تُصْرَةِ الْمُسْلِمِينَ، وَكَفَّ الْخُلُوعَ عَنْهُمْ، فَجَمَعَ
عَسَاكِرَهُ وَمَسَّارَ إِلَى الشَّامِ، وَاسْتَنْصَحَ مَعَهُ أَهْلَهُ نُورَ الدِّينِ مَحْمُودًا مِنْ حَلَبَ،
فَرَأَوْ بِمَدِينَةِ حَمَصَ، وَأَرْسَلَ إِلَى مُعِينِ الدِّينِ يَقُولُ لَهُ: قَدْ حَصَرْتُ وَمَعِيَ كُلُّ مَنْ
يَحْمِلُ السَّلَاحَ فِي بِلَادِي، فَأَرِيدُ أَنْ يَكُونَ نُوَلِّيِي بِمَدِينَةِ دِمَشْقَ لِأَخْصِرَ وَالْفَرَجَ
الْفَرَجَ، فَإِنْ أَتَيْتُمْ نَحَلْتُ أَنَا وَعَسَاكِرِي الْبَلَدَ وَخَضَعِيَا بِهِ، وَإِنْ ظَفَرْتَ قَالِبَكَ لَكُمْ
لَا أُبْرِعُكُمْ فِيهِ. وَأَرْسَلَ إِلَى الْفَرَجِ يَهْدِيهِمْ إِنْ لَمْ يَزَحَلُوا عَنْ الشَّامِ، فَكَفَّ الْفَرَجَ
عَنِ الْقِتَالِ حَزَنًا مِنْ كَثَرَةِ الْجِرَاحِ، وَرِغْمًا اضْطُرُّوا إِلَى قِتَالِ سَيْفِ الدِّينِ، فَأَبْقَوْا
عَلَى نَفْسِهِمْ. فَقَوِيَ أَهْلُ الْبَلَدِ عَلَى حِفْظِهِ، وَاسْتَرَاخُوا مِنْ نُزُومِ الْحَرْبِ، وَأَرْسَلَ
مُعِينُ الدِّينِ إِلَى الْفَرَجِ لِلْغُرَبَاءِ: إِنَّ مَلِكَ دِمَشْقَ قَدْ خَصَرَ، فَإِنْ رَحِمْتُمْ، وَلَا
سَلَّمْتُ الْبَلَدَ إِلَيْهِ، وَحِينَئِذٍ تَنْتَفِعُونَ؛ وَأَرْسَلَ إِلَى الْفَرَجِ الشَّامَ يَقُولُ لَهُمْ: يَا أَيُّهَا عَقْلُ
شُعَدَاؤِ هَؤُلَاءِ عَلَيَّ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ إِنْ مَلَكَوْا دِمَشْقَ أَخَذُوا مَا بِيَدَيْكُمْ مِنَ
الْبِلَادِ السَّاحِلِيَّةِ، وَأَمَّا أَنَا فَإِنْ رَأَيْتُ الْمَشَقَّ عَنْ حِفْظِ الْبَلَدِ سَلَّمْتُهُ إِلَى سَيْفِ
الدِّينِ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ مَلِكَ دِمَشْقَ لَا يَنْقِي لَكُمْ مَعَهُ مَقَامَ فِي الشَّامِ، فَأَجَابُوهُ إِلَى
الْتِحَالِي عَنْ مَلِكِ الْأَلَمَانِ، وَبَذَلُوا لَهُمْ تَسْلِيمَ حَصَنِ بَانِيَّاسَ إِلَيْهِمْ. وَاجْتَمَعَ السَّاحِلِيُّونَ
بِمَلِكِ الْأَلَمَانِ، وَخَرَفُوهُ مِنْ سَيْفِ الدِّينِ وَكَثَرَةِ عَسَاكِرِهِ وَتَقَبُّعِ الْأُمْدَادِ إِلَيْهِ، وَأَنَّهُ رَمَى
أَخَذَ دِمَشْقَ وَتَصَفَّقَ عَنْ مُقَاوَمَتِهِ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهِ حَتَّى رَجَلَ عَنِ الْبَلَدِ، وَتَسَلَّمُوا قَلْعَهُ
بَانِيَّاسَ، وَعَادَ الْفَرَجُ الْأَلَمَانِيَّةَ إِلَى بِلَادِهِمْ مِنْ وَرَاءِ الْقُسْطَنْطِينِيَّةِ، وَكَفَى اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ شَرَّهُمْ. وَهَذَا ذِكْرُ الْحَافِظِ أَبُو الْقَاسِمِ بْنِ عَسَاكِرَ فِي تَارِيخِ دِمَشْقَ: أَنَّ
بَعْضَ الْعُلَمَاءِ حَكِيَ نَهْ أَنَّهُ رَأَى الْقُدْلَاوِيَّ فِي الْمَنَامِ، فَقَالَ لَهُ: مَا فَعَلَ اللَّهُ بِكَ؟
وَأَبَى نَسْتُ؟ فَهَانَ: عَزْرِي، وَأَنَا فِي جَنَابِ عَزْرِي عَلَى سُرُرِ مُتَقَابِلِينَ.^(١)

(سبط ابن الجوزي، 300)

وكان رمان العولكة، فنزل الفرج وأكلوا منها شيئا كثيرا، فأحنت أجوافهم
ومات منهم خلق كثير. ومرص للفقير. ولما صابق بأهل دمشق الحال، أخرجوا
مصافات بالأموال، على قدر أحوالهم، واجتمع للناس في الجامع، الرجال والنساء

(١) عن الآية الكريمة 42/43 من السورة 37 (الصافات)

والصليبان، ونشروا مصحف عثمان⁽¹⁾ وحثوا الرماة على رؤوسهم ونكرو وبصرعوا،
 فاستجاب الله لهم. فكان مع الإفرنج قسيس كبير طويل النحية يقتدون به، فأصبح
 في يوم العاشر على نرولهم نعتق. فركب حماره وعلق في عنقه صليباً، وجعل
 بين يديه صليبين، وعلق في رأس حماره صليباً، وجمع بين يديه الأجير
 والصليبان والكتب، والحياة والزحاة، ولم ينحلف من الفرجية أحد إلا من يحفظ
 الحياض. وقال لهم القسيس... قد وعدني المسيح أنني أفتح اليوم، وفتح المسلمون
 الأبواب واستسلموا للموت، وغاروا للإسلام وحملوا حملة رجل واحد، وكان يوم لم
 يزل في الجاهلية والإسلام مثله، وقصد واحد من أحداث نعتق القسيس، وهو في
 أول القوم، فضربه فأبلى رأسه وقتل حماره، وحمل الباقون فانهرم الإفرنج، وقتلوا
 منهم عشرة آلاف وأحرقوا الصليبان والحياة بالنفط، وبعوهم إلى الحياض وحال
 بينهم الليل، فأصبحوا وقد رحلوا ولم يبق لهم أثر.

(1) نسخة قيمة من القرآن الكريم تعود لعهد تطبيقه عثمان (رضي الله عنه) عندما جرت أولى
 محاولات جمع القرآن (الكريم) (644 - 56). ويرجح أنها كتبت أيضاً للنسخة التي كان يدور
 فيها عندما قتل.

بعد مضي ستة أعوام على المقاومة الناجحة التي أسندتها دمشق ضد الصليبيين حقق نور الدين ابن زنكي في عام 1154 حلم أبيه العديم وملك العاصمة السورية بون عمارلة ولاحرب. انطلق نور الدين من دمشق وكذلك من حلب " قاعدة أسلافه، وبدأ بتنظيم قوى جديدة يقاوم بها الصليبيين، وقد امتدت هذه المقاومة حوالي عشرين سنة بين نجاح وفشل، ثم إنه مات بعدها عام 1174. لكنه عندما كان فقط أنفاسه الأخيرة كان نجم صلاح الدين أحد ضباط جيشه المجهولين قد استطاع بالفعل ليستشر مد بعض الوقت في لواء مصر ويتزوج قرب من مصرع لمسلمين المرير ضد العراة الصليبيين. يرى أن ابن الأثير سطر عن نور الدين صفحات حالية تلك كما فعل من قبل مع أبيه. ويضيف نحن هنا أن نور الدين كان يتمتع على خلاف ركني بروحانية أشد صفاء وبفكر أصمق من الإنسانية.

انتصارات نور الدين وفوزه بدمشق

(ابن الفلانسى، 340-342)

ووصل نور الدين إلى البلد المحروس⁽¹⁾ في يوم الخميس السابع والعشرين من شهر ربيع الأول (552/أيار/مايو 1157) لتقرير الأمر في إخراج الالاب تحرب ونجهيزها إلى العسكر بحيث يفهم ألياماً يسيرة وينوجه في الحال إلى راحبه لعسكر بمجموعة من التركمان والعرب للجهاد في الكفرة الأصداد والله بسهل سبب الإدالة منهم ويعجل للولول وللهلك لهم إن شاء الله تعالى.

(1) دمشق.

وفي وقت وصوله شرع في إخراج ما وصل لأجله وأمر بتجهيز ما يحتاج إليه من المساحيق والسلاح إلى العسكر المنصور بالنساء في اللدا المحروس في العرة والمجاهدين والأحداث المتطوعة من قتيان البلد والغرياء بالتأهب والاستعداد لمجاهدة الأفرنج لؤني الشرك والآلحاد. وباندر المسير في الحال إلى عسكره المنصور معدا غير معلوم ولا مغرث في يوم السبت انسلاخ شهر ربيع الأول، وبعده بين الأحداث والمتطوعة والعصاة والصوفية والمتديسين العدد الكثير، المشر المباهي في الوفور والكثرة، فإله تعالى يقرن آراءه وعزماته بالنصر المشرق، يسر وانظر بحرب المردة الكفار ويعجل لهم أسباب الهلاك والبوار بحيث لا تبقى لهم باقية ولا يرى لهم راحة ولا غلبة، وما ذلك على الله تعالى القادر القاهر عزيز.

ولما كان يوم السبت السابع من شهر ربيع الآخر (18 أيار/مايو) تالي اليوم المتقدم ذكره غيب نزول الملك العادل نور الدين علي بن أيمن في عسكره المنصور ومضايقته لها بالمجيبات والحرب سقط الطائر⁽¹⁾ من العسكر المنصور بظاهر بانياس، يتضمن كتابه الإعلان بوزود المبعثر من معسكر أسد الدين⁽²⁾ بساحة هونين في التركمان والعرب بأن الأفرنج خذلهم الله أنهصو سرية من أعيان مقدميهم وأبطالهم تزيد على مائة فارس سوى أتباعهم تكس المذكورين طناً منهم إنهم في قل ولم يعلموا إنهم في ألوف فلما دنوا منهم وثبوا إليهم كشيوت إلى رؤسهم فأنطبقوا عليهم بالقتل والأسر والسلب ولم يفت عديم إلا اليسير ووصلت الأسرى ورووس الفتلى وعددهم من الحيول المنتعبة والطورق والقناريات إلى البلد في اليوم الاثنين تالي اليوم المذكور وطيف بهم فيه، فسُرت انقلوب بمش هنتهم وأكثروا الشكر لله على هذه النعمة للمسهلة بعد الأولى المتمكنة، والله المأمول لتعجيل هلاكهم وبوارهم، وما ذلك على الله بعزيز. وتنبؤ هذه الموهبة الجديدة سقوط الطائر من المعسكر المحروس ببانياس في يوم الثلاثاء يتلو المنكور، بذكر اقتراح منبذة بانياس بالسيف قهراً، على مضي أربع ساعات من يوم الثلاثاء المنكور، عند تنامي النعب وإطلاق النار فيه وسقوط الجرح المنسوب،

(1) كان برر الدين أول من نظم حملة برود نظامية باستعمال أحماء الزنجل

(2) أسد الدين شيركوه كردي من خلفاء نور الدين وعم صلاح الدين.

وهجوم الرجال فيه، ونزل السيف في قتل من فيه، ونهب ما حواه، وأبهرم من سم إلى القعدة واحصارهم بها، وإن أخذهم بمنية الله تعالى لا يبطئ والله يسهله ويعجله.

واتفق بعد ذلك للأقصية المفترقة إلى الأفرنج تجمعوا من معاقلم عزمين على مستعد الهنري⁽¹⁾ صاحب بانياس ومن معه من أصحابه الأفرنج المحصورين بقلعه بانياس وقد أشرفوا على الهلاك وبلغوا في السؤال للأمان للمولى نور الدين ويسمى ما في أيديهم من القعدة وما حوته ليدجوا سالمين فلم يجبههم إلى ما سألوه ورغبوا فيه، فلما وصل ملك الأفرنج⁽²⁾ في جمعه من الفارس والراجل من ناحية الجبل على حين غفلة من العسكرين النزلين على بانياس لحصارها، وأمدل على الطريق لمنع التواصل إليها، وانقضت السياسة الانتفاع عنها بحيث وصلوا إليها واستحصروا من كان فيها، فحين شاهدوا ما عم بانياس من خراب سورها ومدن سكناها، بنوا من عمارتها بعد حرابها، وذلك في أيام من العشر الأخير من شهر ربيع الآخر (وانزل حزيران/يونية 1157) وفي يوم الأربعاء التاسع من جمادى الأولى (19 حزيران/يونية) سقطت الأطلار بالكتب من المعسكر المحروس النوري تتضمن الأعلام بأن الملك العادل نور الدين، أعز الله بصره، لم عزب من معسكر الكفرة الأفرنج على الملاحية بين طبرية وبانياس بهن في عسكره المنصور من الأتراك والعرب رجلاً في السير. فلما شافهم وهم غزور، وشاهدوا رياته قد أظنتهم، نادوا نحب السلاح والزكوب وأهرقوا أربع عرق وحموا على المسلمين، فعند ذلك ترجل الملك نور الدين وترجلت معه الأبطال وأهتوهم بالسهم وحرصوا الرماح، فما كان إلا كلاً ولا، حتى تزلزلت بهم الأقدام ودهسهم البوار والحمام، وأمر الله العزيز الفهار بصره على الأولياء الأبرار وخدلاسه على المرء الكفر، وتعتكنا من قرسانهم قنلاً وأسراً واستأصلت السيوف الرجال، وهم بعد الكثير والجسم العبير. ولم يظت منهم على ما حكاه الحير نصابق غير عشرة نفر ممن شبطه الأجل وأطار قلبه الوجل، وقيل إن ملكهم لعنهم الله فيهم

(1) Montroi de Toroa

(2) عالدوين الثالث

وقيل إنه هي جملة القتلى ولم يعرف له خبر والطلب مجتهداً، والله المعتبر على الأقطار به، ولم يفقد من عسكر الإسلام سوى رجلين؛ أحدهما من الأبطال المذكورين قتل أربعة من شجعان الكفرة، وقتل عند حضور أجله وانتهاء مهله. والآخر غريب لا يُعرف، فكل منهما مصى شهيداً مثلاً مأجوراً رحمه الله. وامتلاك أيدي العسكرية من حيولهم وعددهم وكراعهم وأثاث سوادهم شيء، الذي لا يحصى كثرة وحصلت كنيستهم في يد الملك نور الدين بالإنها المشهور، وكان فتحاً من الله العادر للناصر، عزيزاً ونصراً ميباً أعز الله بهما الإسلام وهذه وأول الشراك وحربه.

ورسالت الأسرى ورؤوس القتلى إلى دمشق في يوم الأحد ثاني يوم الفتح وقد رتبوا على كل جمل فارسيون من أبطالهم ومعهم راية من رايتهم مشورة، وفيها من جلود رؤوسهم بشعرها عدة، والمقدمون منهم وولاد المعاقل والأعمال كل واحد منهم على فرس، وعليه الزرجة والحدودة وفي يده راية والرجالة من السرجندية والدركيولية كل ثلاثة وأربعة وأقل وأكثر في جبل، وخرج من أهل البلد الخلق الذي لا يحصى لهم عدد من الشيوخ والتجار والنسوان والصبيان لمشاهدة ما منح الله تعالى ذكره كافة المسلمين من هذا النصر المشرق الأعلام وأكثروا من التسبيح ومواصلة التقديس لله تعالى، مولى النصر لأوليائه ومدبليهم من أعدائه، وواصلوا الدعاء الخالص للملك العادل نور الدين المحامي عنهم والمزمي ذوبهم والثناء على مكرمه والوصف لمحاسنه ونظم في ذلك أبيات في هذا المعنى وهي:

مثل يوم تعرج حين طيقتهم	ذلة الأسر والبل والشقاء
وبريماتهم على العيس رفا	بين ذل وحصرة وعاء
بمس عمر لهم وهيبة نكر	في مصاف الصرور والهيجاء
هكذا هلك الأعاني	عد شئ الاعبارة لشعواء
شوم أحد الجشار وكان وبالاً	عنهم في صياحهم والمساء

[1] الدركيوية طياء الأثران كانوا جنوداً موقنين ومطيعين في الجيوش الصفينية.

بعضوا هدبة للصلاح بجهل	بعد تكليدها بحصر الوفاء
فلفوا عيهم مصا كان فيه	من هداد بجلهم واعتداء
لا حمى الله شملهم من شدات	بمواضى تفوق حد مصدا
فجزاء الكفور قل وأسر	وحراء للشكور حير الحبراء
ولرب تعاد حمداً وشكر	دلتهم مع نواصيل المعبراء

وفاة نور الدين محمود بن زنكي - رحمه الله

(ابن الأثير 11، 264-267)

في هذه السنة (1174/569) توفي نور الدين محمود بن زنكي بن أسنقر، صاحب الشام وديار الجزيرة ومصر، يوم الأربعاء خادي عشر شوال (15 أيار مايو)، بعلة الحوائيق، ودون بقلمه دمشق، ونقل منها إلى المدرسة التي أنشأها بدمشق، عند سوق الخواصين. ومن عجيب الاتفاق أنه زكب شين شوال وإلى جانبه بعض الأمراء الأخيار، فقال له الأمير: «سبحان من يعلم هل نجتمع هنا في العام المقبل أم لا؟» فقال نور الدين: «لا تقل هكذا، بن سبحان من يعلم هل نجتمع بعد شهر أم لا؟» فمات نور الدين - رحمه الله - بعد أخذ عشر يوماً ومات الأمير قبل الحول، فأخذ كن منهنما بما قلته. وكان قد شرع بشهر للدخول إلى مصر لأخذها من صلاح الدين يوسف بن أيوب⁽¹⁾. فإنه رأى أنوراً في غزو الفرنج من دحيته، وكان يعلم أنه إنما يمتنع صلاح الدين من الغزو خوفاً منه ومن الاجتماع به، فإنه يؤثر كون الفرنج في الطريق ليعتصم بهم على نور الدين. فأرسل إلى الموصل وديار الجزيرة وديار بكر يطلب للمعسكر للفرقة، وكان عزمه

(1) صلاح الدين قد ذهب إلى مصر كقائد في جيش سور السور، وهناك أنعى الخلاف الفاصميه واستولى على البلاد، رغم أنه لم يعل الاتصال رسمي عن تعيينه حور الدين، من ه فقد سمى الأخير في هذا السياق صاحب مصر، إلا أنه لم يكن يمارس هناك به سلطة مباشرة.

أن يتركها مع ابن أخيه سيف الدين غازي، صاحب الموصل بالشام، ويسير هو
بمسارحه إلى مصر، فبينما هو يتجهز لذلك أتاه أمر الله الذي لا مرد له
حكى لي طبيب يعرف بالطبيب الرحبي وهو كان يخدم نور الدين، وهو من
حدائق الأطباء، قال: استدعاني نور الدين في مرضه الذي توفي فيه مع عييري
من الأطباء، فدخلنا إليه وهو في بيت صغير بقعة ممتدة، وقد تمكنت نحو يمين
منه، وفارب الهلاك، فلا يكاد يسمع صوته، وكان يحلو فيه الشغل، وبدأ به
المرض، فلم ينقل عنه، فلما تحكنا ورأينا ما به قلت له: كان ينبغي أن لا يوهن
إحصارنا إلى أن يشك بك المرض الآن، وينبغي أن نعمل الانتقال من هذا
الموضع إلى مكان صحيح مهيأ، فله أثر في هذا المرض، وشرعت في علاجه،
وأشرفنا بالعقد، فقال ابن سئين: لا يقصد، واستمع منه، فعالجناه بعيره، فلم يلجج
إليه الدواء، وعظم الآفة، ومات رحمه الله رزقني الله

وكان أسمر، طويل القامة، وليس له لحية إلا هي حكة، وكان واسع الجبهة،
حسن الصورة، خلوا العيون، وكان قد أشع منكهة جدا، وخطب به بالحرمين
الشريفيين وباليمن لما دخلها من قبله من الأوب وملكها⁽¹⁾، وكان مؤدبه سنة
إحدى عشرة وخمسمائة (1117)، وضيق نكرة الأرض بحسن سيرته وعليه. ولقد
طالعت سير الملوك المتكبرين، فلم أر فيها بعد الخلفاء الراشدين وعمر بن عبد
العزيز⁽²⁾ أحسن من سيرته، ولا أكثر نحرًا منه للعدو. وقد أتينا على كثير من
ذلك في كتاب الباهر من أخبار دولتهم⁽³⁾، ولندكر هنا نبذة مختصرة لعل يفت
عليها من به حكم فيفتدي به: فمن ذلك زهده وعبادته وعلمه، فإنه كان لا يأكل ولا
يلبس إلا يتصرف في الذي يخصه إلا من ذلك كان له قد اشترى من ماله

(1) يرى هذا أيضا أنها كانت شكلية بصفة سلطة نور الدين على تيجان (المنشورين المعنيين)
في مكة والمدينة وعلى اليمن الذي سولى عليها أخو صلاح الدين، والواقع أن هذه البلاد
كانت تحت السلطة الأيوبية.

(2) انصفه الراشدين هم الخلفاء الأربعة الذين جاءوا بعد محمد (صلى الله عليه وسلم)، أي أبو
بكر وعمر وعثمان وعلي (وصي الله عنهم) ويجمع معهم عادة الخليفة عمر بن عبد العزيز
(عمر الثاني 717-719)، ويعبرون جميعهم في معاهم السنة النبطية الخلفاء المثاليين من
انموذج الحكم الصالح.

(3) تاريخ أئمة الموصل لسليبي ذكره.

من العيمة ومن الأتوال المُرصدة لمصالح المستنمين، وأتت شكت إليه زوجته من الصائفة، فأعطاه ثلاث نكاكين في حنص كانت له، منها وخصن له في السنة حو عشرين ديناراً، فلما استغلها قال: ليس لي إلا هذا، وجميع ما بيدي أب فيه حارس للمسلمين لا أخوتهم فيه، ولا أخوص من جهنم لأهلك، وكان بصني كثيراً بالليل، وله فيه نورا حصنة، وكان كما قيل:

جمع الشجاعة والخشوع ليزنه ما أحسن المحراب⁽¹⁾ في المخراب

وكان عريفاً بالغة على مذهب أبي حنيفة، ليس عنه فيه تعصب، وسمع الحديث، وأسمعه طائفاً للأخبار. وأما عدله، فبنة لم يترك في بلاده، على سبعتها، مكساً ولا عسراً بل أطلقها جميعها في مصر والشام والجزيرة والمزصل، وكان يعظم الشريعة، ويقف عند أحكامها، وأخضرة إنسان إلى مجلس الحكم، فمضى معه إليه، وأرسل إلى القاضي كمال الدين بن الشهرزوري يقول: قد جئت معكم، فاستأجرتني ما شئت مع الخصوم، وظهر الحق له، فوهبه الخصم الذي أحضره، وقال: أريد أن أترك له ما يدعيه، إنما خفت أن يكون البعث لي على ذلك الكنز ولأنه من الخصور إلى مجلس الشريعة، فحضرت، ثم رتبته ما يدعيه. وبلى دار العدل في بلاده، وكان يحضر هو والقاضي فيها بالنصف المظلوم، ولو أنه يهودي، من الظالم ولو أنه ولده أو أكبر أمير صده، وأم شجاعته، فإنها النهاية، وكان في الحرب يأخذ قوسين وتزكشيين⁽²⁾ ليقاتل به، فقال له القبط النصارى الصبية: يتلوه عليك لا تطأ بنفسك وبالإسلام والمسلمين، فبرز أصبث في معركة لا يبقى من المستنمين أحد إلا أخذه السيف، فقال له نور الدين: ومن مخطو حتى يقتل له هدا؟ من قبل من حط البلاد والإسلام؟ سكت الله الذي لا إله إلا هو. وأما ما فعله من المصالح، فإنه بنى أسوار مدن الشام جميعها وقلاعها، فمئنه دمشق وحمص وحماء و حلب وشير وعسك وغيرها، وبنى المدارس للكثيرة الخنوية والشافعية، وبنى الجامعة الشورية

(1) ترجمها غاريسى 'ما أحسن المحراب في المحراب'، وهذا وجه صحيح في فهم بيت الشعر

(المترجم)

(2) سهمين

بالمؤصل، وبنى البيمارستانات والخانات في الطُرُق، وبنى الحناكاهات للصوفية في جميع البلاد، ووقف على الجميع الوقوف الكثيرة. سمعت أن حاصل وقفه كل شهر تسعة آلاف دينار سُوري. وكان يكرم العلماء وأهل الدين ويعصمهم ويعطيهم ويقوم إليهم ويجلسهم معه، ويتبسط معهم، ولا يزدُّ لهم قولاً، ويكتبهم بحط يده، وكس وفوراً مهنياً مع تواضعه، وبالجنة قصائد كثيرة ومناقبة عديدة لا يحتملها هذا الكتاب.

يمكن أن يعطي للصفحات التالية عنواناً مثل "هذا هو تعداد" فرجية
بمطور حد المسلمين، وكلها عدا واحدة منها مأخوذة من سيرة أسامة بن مقيد،
أمير شيرز الفارس المتوفى الذي علق تقريباً هذا الفرز من الحروب الصليبية.
سنجد في هذه المذكرات المشوقة نكس العنية بالوادر والإشارات السريحية المهمة
كثيراً من الأخبار عن العلاقات التي أقامها مع الإفرنج في أزمان الحرب والمسلم
ولتي توحى بمشاعر العداوة والفصول والمحبة التي تظهر حسب اختلاف
ظروف. تتعارض هذه المشاهد الملبنة أحياناً بالمعارضة النطيفة مع رتبة
مدرعات السلاح التي تنود في معظم صفحات المؤرخين المخطرين.

فروسية إفرنجية

(اسامة، 48)

وإفرنج خذلهم الله ما عيهم فضيلة من فضائل الناس سوى الشجاعة ولا
عندهم تقمة ولا عترة عالية إلا للفارسين، ولا عدهم بأس إلا الفرسان، فهم
صاحب الرأي وهم أصحاب القضاء والحكمة، وقد حاكمهم مرة على قطعان غم
حدها صاحب بانيان من الشعراء وبيننا وبينهم صلح، وأنا إذ ذاك بدمشق. فقلت
سمك فك من فك⁽¹⁾ هذا تعدى علينا وأخذ نولنا، وهو وقت ولاذ سعم. فوندت
ومنت أولادها وزدها علينا عد أن ألتقيها. فقال الملك لسمك سبعة من الفرس
قوموا اعملوا له حكماً، فخرجوا من مجلسه وأعزلوا وتشاوروا حتى اتفق رأيهم
كلهم على شيء واحد وعادوا إلى مجلس الملك فقالوا: قد حكمنا أن صاحب

(1) ملك الفرس فك (1131 - 1134)، راجع الفصول التالية عن علاقته مع أسامة.

سياس عليه غرامة ما أنلف من غنمهم، فأمره الملك بالغرامة فتوسل إلي وتغل علي ومالي حتى أخذت منه أربع مائة دينار . وهاذا الحكم بعد أن نعهده الفرس ما بقدر الملك ولا أحد من مقدمي الإفريج يعيره ولا ينقصه، فافترس أمر عديم عددهم. ولقد قال لي الملك: "يا فلان وحق ديني لقد فرحت للبارحة فرح عظيم وما كنت اعتقد أنك فارس". قلت: يا مولاي أنا فارس من جنسي وقومي" (1) . وكان الفرس دقيقاً عظيماً كان أعجب لهم.

قرصنة الفرنجية

(أسامة، 25-26)

ثم اتصت بخدمه الملك العادل نور الدين رحمه الله وكتب الملك الصالح (2) في تسير أهلي وأولادي الذين تحلفوا بمصر وكان محسناً إليهم. فرد الرسول وعثر بأنه يخاف عليهم من الإفريج، وكتب إلي يقول "ترجع إلي مصر" (3) وأنت تعرف ما يبني وببنيك، وإن كنت مستوحشاً من أهل القصر فتصل إلي مكة وأعد لك كتاباً بتسليم مدينته أسوان إليك، وأمدك بما تنقوي به على محاربة الحبشة، فأسوان ثغر من ثغور المسلمين، واسير أهلك وأزلاك". فعاوشت الملك العادل واستطلعت أمره فقال "يا فلان، ما صدقت متى تحصل من مصر وهنتها، تعود إليها! العمر أقصر من ذلك. أنا نغد أحد لأهلك الأمان من منك الإفريج أسير من يحصرهم"، فأنفذ رحمه الله أخذ أمار الملك وصليبه في البحر والبحر، وسورث الأمان مع غلام يي وكتاب الملك العادل وكتابي إلي الملك الصالح، فسيرهم في عشاري من الحاص (4) إلي سمياط، وحمل لهم كل ما يحتاجونه من النعاعات والأزاد ووصى بهم.

(1) هناك في هذا الفصل نلاحظ بين معنى كلمة فارس بالفرنسية، "Chevalier" Cavalier" - في الإيطالية والعربية فلا يوجد لهما إلا لقنة واحدة.

(2) لا يعني أنه ملك بالفعل، فالإشارة هنا إلى الوزير العاطفي طلائع بن رزيق، الذي اسب بمصر تحت سلطة الطبيعة الفلير، وقد مات عام 1161

(3) كان أسامة يشارف في سياسته الداخلية، المليئة بالفتن الثغورية، ومن هذا المنبره التاليه إلى حقيقته أو وحشته من أهل القصر .

(4) مركب نهري خاص

واقطعوا من تعباط في بطمه من بطم الإفرنج، فلما دنوا من عكر والملك، لا رحمه الله، فيها، تقدّ قوماً في مركب صغير كسروا النطمة بالفرس، وبصديي يروهم، وركب ووقف على الساحل نهب كل ما فيه. فخرج إليه غلام بي سداحة ولأمان معه وقلّ له "يا مولاي للملك، ما هذا أمانك؟" قال بلى. ولكن هذا رسم المسلمين إذ انكسر أنهم مركب على بك نهبه أهل ذلك البلد. فقال "فتمسب؟" قال "لا"، وارتهم -لعمرك الله- في دار، وفتش النساء حتى أخذ كل ما معهم، وقد كان في المركب حتى أودعه النساء وكسوات وجوهر وميهور وسلاح وذهب وفضة بذهب من ثلاثين ألف دينار، فأخذ الجميع وبعث لهم خمس مئة دينار، وقال "توصلوا بهذه إلى بلادكم". وكانوا رجالاً ونساء في خمسين سمة، وكنت نالك مع الملك العادل في بلاد الملك مسعود⁽¹⁾ ربحان وكسوة، فهوّن على سلامة أولادي وأولاد أخي، وحرمتنا ذهب ما ذهب من المال إلا ما ذهب لي من الكتب، فذهب كتب أربعة آلاف مجلد من الكتب تعاهرة، قبل ذهابها حرارة في قلبي ما عشت.

الطب الإفرنجي

(أسامة، 98-97)

ومن عجيب طبهم أن صاحب السيطرة⁽²⁾ كتب إلى عمي يطلب منه إبعاد طبيب يداوي مرضى من أصحابه. فأرسل إليه طبيباً نصرانياً وقال له ثابت، فما شاب عشره أيام حتى عاد فقنا له: "ما أسرع ما دلويت المرضي" قال أحضروا عدي فارس قد طألت في رجله دملة وامرأة قد لحقها شاف، فصلبت للفارس لبحه فتحت الدملة فصلبت، فحميت للمرأة ورطنت مزاجها فجاءهم طبيب إفرنجي فقال لهم هذا ما يعرف شيئاً يدلوهم. وقال للفارس "لما أحب لك أن تعيش برجل واحدة أو تموت برجلين؟" قال: "أعيش برجل واحدة". قال "أحضروا لي

(1) سمى قونية السلجوقي. وقد حدث هذا حوالي عام 1156.

(2) يسمونها الصليبيون Mounstic، وهي في مدن، حصة عشر كيلو متر غربي جيز.

فارساً قوياً وفأساً قاطعاً". حضر للفارس والفأس وأنا حاضر، فحط ساقه على قرمة حشب وقال للفارس "أصرب رجله بالفأس ضرباً واحداً واقطعها"، فصره وها أراه صريرة واحداً ما انقطعت، فصره صريرة ثانية فمال مع للساق، ومات من ساعته. ابصر المرأة فقال "هذه للمرأة في رأسها شيطان قد عشفها، حقوا شعرها، فحلقوه وعالات تاكل من مأكلاتهم الثوم والخردل فراد بها للشاف، فقال الشيطان قد دخل في رأسها. فأخذ المومسي وثق رأسها صليبا وسبح ومجده، حتى ظهر عظم للرأس وحكه بالملح، فماتت من وقنها. فقلت لهم "بقي لكم إلي حاجة؟" قالوا لا. فجئت ونظمت من طبهم ما لم أكر أعرفه⁽¹⁾.

الفرنجة والغيرة الزوجية

(أسلمة، 101-100)

وليس عندهم شيء من اللحرة والغيرة، يكون "رجل مدهم يمشي هو وامراته بلفاء رجل آخر يأخذ المرأة ويعتزل بها ويتحدث معها، والزوج واقف ساحة يستظر فرغها من الحديث، فإذا طولت عليه حلاها مع المتحدث ومصى، ومما شهدت من تلك نسي كنت إذا جئت إلى نابلس أنزل في دكر رجل يقال له معر دارة عمارة المسلمين لها طافات تفتح إلى الطريق، يقاؤها من جانب الضريق الآخر در لرجل الفرنجي يبيع الخمر للتجار، يأخذ في قينة من النيد ويسادي عليه، ويقور قال للتاجر قد فتح بنية⁽²⁾ من هذا الخمر، من أراد منها شيئاً فهي من موضع كذا وكذا، وأجريه عن بداية النبيذ الذي في تلك القينة، فجاء يوماً ووجد رجلاً مع مراته هي الفراش فقال له أي شيء أنحكك عند لمرأني؟ قال كنت نعر، دخلت أستريح، قال كيف دخلت إلى لمرأني؟ قال وجدت فراشاً معروفاً نمت فيه قال وسرأة نائمة معك؟ قال الفراش لها كنت أقدر أن أسحبها من فراشها؟ قال وحق

(1) من المركز أن الأطباء الإفرنج لم يكرهوا كلهم من الجزارين، كما جاء في هذا المصنف ذكر
هو أنهم يجد ضريراً له في نفوق المعروف الطيبة للشرقة على تلك الغريبة في ذلك الوقت

(2) برعين

ديني إن عدت فخطتها تحاصمت أنا وأنت" فكان هذا تكبيره ومبغ غيبرته. ومن ذلك
 به كان عبداً رجل حمامي يقال له سالم من أهل المعرة في حمام لوالدي رحمه
 الله قال "فحكت حماماً في المعرة أتعيش فيها، فدخل إليها فارس منهم، وهم
 يكرهون علي من يشد في وسطه العنز في الحمام، فمد يده وحذب منبري من
 وسطي، رماه، فزسي وأنا قريب عهد بطق عاني، فقال سالم هتريت منه، فمد
 يده علي عاني وقال عاتم، جيد! وحق نيتي أعمل لي كذا ولستعلي علي طهره
 وله مثل لحينه في ذلك الموضع، فحلفت به يده عليه فاستوطأه، فقال سالم
 بحق دينك 'أعمل لكدا' وأنداما ينسأهم لست يحي امرأته. وقال لعلام له
 قل لكدا ما تجيء. فصلى العلام أحصرها وأخذها، فاستلقت علي ظهره وقال
 أعمل كما عملت لي، فحلفت ذلك الشعر وروجها قاعد بنظري فشكري ووهني
 حق خدمتي. فانظروا إلى هذا الاختلاف العظيم ما فيهم الغيرة والنخوة
 وفيهم الشجاعة العظيمة، وما تكون الشجاعة إلا من النخوة والأنفة من سوء
 الأحوة.

فرنج مستشرقون

(اسامة، 104-103)

ومن الإفرنج قوم قد تبدوا وعاشروا المسلمين فهم أصلح من الغربيين العهد
 بلادهم، ولكنهم شاة لا يعاس عليه. من ذلك أنني نعت صاحباً إلى بطركية في
 شغل، وكان بها الرئيس فارس بن النعماني⁽¹⁾ وبينني وبينه صداقة، وهو نال الحكم
 في بطركية، فقال لصاحبي يوماً: قد دعاني صديق لي من الإفرنج، تجيء معي
 حتى نرى ربهم فقال "فمضيت معه فجننا إلى ناز فارس من الفرسان فغلق خدي
 خرجوا في أول خروج الإفرنج، وقد اعتقى من الديوان والحمة، وأنه يبطركية منك
 يعيش منه، فأحضر مائدة حسنة وطعاماً في غيبة النطفة والجوزة، وراي موقف
 عن الأكل فقال "كل طيب النفس، فأنما ما أكل من طعام الإفرنج ولبي طباحت

(1) Teodoro Sotano، يوسني، رئيس بلدية بطركية.

مصربت لا أكل إلا من طبخهن، ولا أحمل داري لحم خنزير⁽¹⁾. فأكلت وب محسرة وصرفها. فلما بعد مجتازاً في السوق وامرأة إفرنجية تعلقت بي وهي تزيّر بلسابهم وما أدري ما تقول. فاجتمع على حلق من الإفرنج فأيقنت من الهلاك. وإذا ذلك الفارس قد أقبل فرأني، فجاء فقاتل تلك المرأة مائة ولها المسم⁽²⁾؟ قال: "هذا قتل أحبي عرس"، وكان هذا عرس فارساً بأفامية فله بعض جد حمة. فصباح عليهم وقال: "هذا رجل برحلسي أي تاجر لا يقاتل ولا يحصر قتل، وصباح على أولئك المجتمعين: فتفرقوا وأخذ يدي ومضى، فكان تأثير تلك المواقلة خلاصي من القتل.

الديوية في القدس

(اسم، 99)

فمن جاء أخلاقهم قبحهم الله، أني إذا ررت بيت المقدس دخلت إلى المسجد الأقصى، وفي جانبه مسجد صغير جعله الإفرنج كنيسة. فكنت إذ دخلت المسجد الأقصى وفيه الدابة وهم أصفاني، يحلون لي ذلك المسجد الصغير أصلي فيه. فدخلت يوماً، كثرت⁽³⁾ ووقفت في الصلاة، فهاجم علي واحد من الإفرنج مسكني ورد وجهي إلى الشرق، وقال 'كذا صلي' فبادر إليه قوم من الدابة أخرجه عني، وعدت أنا إلى الصلاة، فأعطهم وعدا هجم علي ذلك بعينه ورد وجهي إلى الشرق وقال 'كذا صلي'! فعاد الدابة دخلوا إليه وأخرجوه واعتكروا إلي وقالوا 'هذا غريب وصل من بلاد الإفرنج هذه الأيام، وب رأي من يصلي لغير الشرق'. فقلت 'حسبي من الصلاة'! فخرجت وكنت أعجب من ذلك الشيطان وتغير وجهه وروعته وما لحقه من نظر الصلاة إلى القلعة⁽⁴⁾.

(1) شكل هذا الطعام النجس كالجود بالنتيجة لهذا الضيف الحذر، لهذا هذا أكل وهو محسرة وعم تطميت صاحبة البيت.

(2) يقول المسلمون في بدء صلواتهم "الله أكبر"

(3) كان مسيحيو العهد المتوسط يصلون ووجوههم متجهة نحو الشرق. بينما يصلي المسلمون نحو القبلة أي باتجاه مكة.

ورأيت واحداً منهم جاء إلى الأمير معين النبي رحمه الله وهو في الصحرة فقال تريد نصر الله صغير؟ قال نعم. فمضى بين أيدينا حتى أوردنا صورة مريم والمسيح عليه السلام صغير في حجرها. فقال هذا الله صغير. - تعالى الله عما يقول الكافرون علواً كبيراً. (1)

شراء الأخرى

(أسامة، 60-62)

كنت أتردد إلى ملك الأفرنج في الصلح بيه وبين جمال الدين محمد بن تاج الملوك رحمه الله (2) لئلا كانت للوليد رحمه الله على بغداديين الملك والد المنكة امرأة الملك فلك بن فلك (3)، فكان الأفرنج يسوقون أسراهم إلي لأشتريتهم، فكنت أشتري منهم من سهل الله تعالى خلاصه. فخرج شيطان منهم يدعى كليثم جيب في موكب له بغزي، فأخذ مركباً فيه حجاج من المعاربة نحو أربع مائة نفس رجال ونساء. فكان يجيشي أقوم مع مالكهم فأشتري منهم من قدرت على شراء، وفيهم رجل شاب يسلم ويقعد لا يتكلم، فسألت عنه فبيل لي هو رجل زاهد صاحب دباع. فقلت له بكم تبيعني هذا؟ قال وحق ديني ما أبيع إلا هو وهذا الشيخ جملة كما أشتريتهما بثلاثة وأربعين ديناراً، فأشتريتهما واشتريت لي منهم نفراء واشتريت للأمير معين الدين رحمه الله (4) منهم نفراً مائة وعشرين ديناراً وورثت ما كان معي وصحبت علي بالباقي. وجئت إلى دمشق فقلت للأمير معين الدين رحمه الله لقد أشتريت لك أسارى أحصلك بهم، وما كان معي منهم. والآن قد وصلت إلي بيتي إن أردتهم ورثت منهم وائة ورثته أنا. قال لا دل أباً أن والله ثمتهم وأنا أزعج الناس هي ثوبهم وكان

(1) نصيباً لأية قرنية على تخفيف هذا الشخص

(2) الخائف القوي للعثماني عام 1140، ويؤ من هذا النص أن المؤلف شارك في المحادثات

(3) حل للدين الثاني، حلال إحدى هرات أنه صيغ على امرأة شير، ذلك كما يحرراً أسامة بعنه في مكان آخر.

(4) من أمراء دمشق، وقد سبق ذكره.

رحمه لله اسرع الناس إلى فعل خير وكسب مثوبة ورزق منهم. وعدت بعد أيام إلى
عكا. وقد بقي من الأسرى عدد كبير جداً ثمانية وثلاثون أسيراً وفيهم امرأة لعص
التي خلاصهم الله تعالى على يدي فاشتريتها منه، وما ورثت ثمنها، فركبت إلى دار
لعمه الله. وقلت "يبيعني منهم عشرة؟" قال "وحيي ما أبيع إلا الجميع". قلت "ما
معي ثمن الجميع، وأنا أشتري حصصهم، والفتوة الأخرى أشتري للباقي". قال "ما أبيع
إلا الجميع". فانسرفت، وقدر الله سبحانه أنهم هربوا في تلك الليلة جميعهم وسكن
صديع عكا كنهم من المسلمين إذا وصل إليهم الأسير أحموه وأوصلوه إلى بلاد
الإسلام. وتطلبهم تلك الملعون فما ظفر منهم بأحد وأحسن الله سبحانه خلاصهم،
وأصبح بطاليني بئس المرأة التي كنت أشتريتها قبل أن تهرب. وأرمني يورث ثمنها،
فوزنته وهان ذلك على لسري بخلاص أولئك المساكين.

عرض لإرسال ابن إلى لوريا

(أسامة، 97)

كان في العسكر أهلك فلك بر فلك "أفارس محتشم إفرنجي قد وصل من
بلادهم بحج ويهود، فأنس بي وصار ملازمي ويدعوني أحي ويبيت العودة
والمعاشرة فلما عزم على التوجه في البحر إلى بلاد قال لي يا أحي أي سائر
إلى بلادي، وأريدك تنفد معي أبك، وكان ابني معي وهو ابن أربعة عشر سنة،
إلى بلادي يصير الفرسا ويتعلم الفقه والعربية. وإذا رجع كن مثل رجل
عاقل. فطرق سمعي كلام ما يخرج من رأس عاقل. فإن لبس لو أسر ما بُع به
لأسر أكثر من رواحه إلى بلاد الإفرنج. فقلت له 'وحيلتك هذا الذي كن في
نفسك. لكن معني من ذلك أن جنته تحبه وما تركته يخرج معي حتى استخلصني
من أرواح اليه' قال "أملك تعيش؟" قلت "نعم". قال "لا تحالفوا".⁽²⁾

{ King Folan

(2) وهذا من التقليدي في العائلة المسلمة في العمود للوسيط عندما تعق أسامة لنحبه ذكر الجد
وبذكر الأم، ومن المؤسف أن العرض لم يعقد، إذ لو سافر ابن مؤرخا إلى العرب شرك
ل شهاد قيمة عه!

باز عكا الكبير

(أسامة، 142-143)

وكتب قد مصيت مع الأمير معين الدين رحمه الله إلى عكا إلى عدد ملك
، الإفراج فلك بين فلك رأينا رجلاً من الجنوة وقد وصل من بلاد الإفراج ومعه باز
كبير مفروض بصيد الكركي ومعه كلبة صغيرة إذا أرسل النار على الكركي عتب
تحتة، فإذا أخذ الكركي وحمله عصته فلا يقدر على الخلاص منها. وقال لي ذلك
الجنوي أن إذا كان دنياه ثلاثة عشر ريشة اصطاد الكركي، فعدد ريش
ذلك الباز فكان كذلك، فطلب الأمير معين الدين رحمه الله فأخذه من ذلك الجنوي
هو والكلبة وأعطاه للأمير معين الدين فجاء معه، فرأيت في الطريق ينسب على
العزلاء كما ينسب إلى اللحم، ووصلنا به إلى دمشق، فما طال عمره بها ولا صلاه
شيئ ومات.

الخشوع الإسلامي والخشوع المسيحي

(أسامة، كتاب الغصا، 529-528)

ررت قبر يحيى بن زكريا، عليهما السلام^(١) بقرية يقال لها سبسطية من
أعمال نابلس، فلما صليت خرجت إلى ساحة بين يدي الموضع الذي فيه القبر،
محوط عليه، وإذا باب مردود مفتحة ودخلت، وإذا كيسة فيها نحو من عشرة
شيوخ رؤوسهم مكشوفة كأنها العنق للمذوف، وقد استقبلوا الشرق^(٢) وهي صدورهم
عصي في رؤوسها عوارض معوجة على قدر صدر الرجل. وهم معنون عليه،
ويمسح بين أوسبهم بفراد^(٣)، فرأيت منظرًا يرق له القلب، وساعني وأسعني شيء لم أر
في مسمير من هو على مثل اجتهادهم. فقصت على ذلك منذ يقال لي يوم

(١) يعتبر المسمور كلاً من يحيى النعمان وزكريا (عليهما السلام) حينين وبخسوسهم

(٢) قصائد المسيحية كما رأينا قديماً

(٣) النصر والمعنى غير واضح في هذه العبارة ويبدو أن الصليبان المذكورة على شكل عصي

كانت مرسومة على أبواب الكهنة من اتباع للقبس يوحنا

معين الدين أنر، رحمه الله وأنا وهو سدير عدد دار الطولويس^(١)، أُنْتَهِيَ أَنْرُ
أرور نور المشليح، قلت الأمر كذلك، فبرلنا ومثينا إلى منزل عرصي طوي،
فحلنا وانا أطر أن ما فيه أحدا، وإذا فيه نحو من مائة سجادة رجل من الصوفية،
عليهم السكينة، والخشوع عليهم ظاهر. فسرني ما رأيت منهم وحمدت الله عز
وجل، ورأيت هي المسلمين من هم أكثر اجتهداً من أولئك الفسوم. لم أكن قبل
ذلك رأيت الصوفية في دارهم ولا عرفت طريقتهم.

(١) حيث كان خان هذه بعض الصوفيين في دمشق

القسم الثاني

صلاح الدين والحملات الثلاث

أهم المصادر الإسلامية الأساسية التي تتحدث عن شخصية صلاح الدين ومسيرته هم موقوفوه وأقرباؤه أمثال عماد الدين ونهلاء الدين. كتب الأول تريح فتح القدس (حتى موت السلطان)، لكن التكلف البلاغي يطغى على أسلوب شاعر العيار ذي الأهمية المزايدة. أما الثاني فقد كتب سيرة البطل بأسلوب سهل بسيط يسوده دفء محب ولحلاص. لا يصل البتة إلى الإفراط في التقرُّظ، هناك مصدر ثالث يشر إليه في معرض الحديث عن صلاح الدين جده في قسم حصص لهذا الموضوع في 'كتاب الحقيقين' لمؤلفه أبو شامة وهو في الحقيقة تصنيف بمقاطع مقتبسة من عماد الدين (بعد مجريتها من أسلوبها تراها) ونهلاء الدين وبسبب الأثير، هذا مع وجود مقاطع ذات قيمة معينة أعدها المؤلف من التصريح بعد التنبس من مصادر معقودة (أبو أبي الطي) فصلا عن فصول ووثائق جيون السلطان. أما ابن الأثير فرغم تحيره أوضاع صد صلاح الدين بسبب رتبائه المحلبة فإن أعماله تحتفظ بقيمتها للمعاداة التي تعكس الأحداث بطريقة صادقة وتستعمل المصادر الأولية برونه حيادية.

أما أفضل صورة شاملة لبطل الإسلام الكبير فهي تلك التي يفتح بها الدين سيرته والتي نقدمها الآن كاملة.

صورة صلاح الدين الأخلاقية

(نهلاء الدين، 7-41)

كر ما شاهدناه من مواظبه على القواعد الدينية وملاحظته للأمور الشرعية

ورد في الحديث^(١) للصحيح عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: بي الإسلام على حسن، شهادة أن لا إله إلا الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج إلى بيت الله الحرام. وكان رحمة الله عليه حسن العفيدة كثير أسكر الله تعالى قد أخذ عفته على الدنيل بواسطة للبحث مع مشايخ أهل العلم وأكابر الفقهاء وفهم من تلك ما يحتاج إلى تفهمه بحيث كل إذا حرو الكلام بين يديه يهول فيه قولاً حسناً وإن لم يكن بعبارة الفقهاء فتحصل من ذلك سلامة عفته عن كدر التشبيه. غير مزيق عنهم النظر إلى التعطيل والنمويه جارية على نمط الاستقامة موافقة لقانون النظر الصحيح مرضية عند أكابر العلماء، وكان قد جمع له الشيخ قطب الدين النيسابوري عفة تجمع جميع ما يحتاج إليه في هذا الباب. وكان من شدة حرصه عليها يعلمها الصغار من أولاده حتى ترسخ في أذهانهم في صغر ورأيت أنه وهو يأخذها عليهم وهم يلقونها من حفظهم بين يديه.

وأما الصلاة فإنه كان رحمه الله تعالى شديد المواظبة عليها بالجماعة حتى أنه ذكر يوماً أن له سنين ما صلى إلا جماعة. وكان إن مرض يستدعي الإمام وحده ويكلف نفسه القيام ويصلي جماعة وكان يواظب على السجود والرواتب، وكان له صلوات يصليها إذا استيقظ في الليل^(٢) ولا أتى بها قبل صلاة الصبح ولم يكن يترك الصلاة ما دام عقله عليه. ولقد رأيت قدس الله روحه يصلي لي مرضه الذي مات فيه قائماً وما ترك الصلاة إلا هي الأيام الثلاثة التي تغيب فيها ذهنه. وكان إذا أدركته الصلاة وهو سائر يزل وصلى. وأما الزكاة فإنه مات رحمه الله تعالى ولم يحفظ ما تجب عليه به الزكاة وأما صدقة الفيل فإنها ستصدت جميع ما ملكه من الأموال فإنه ملك ما ملك ولم يحلف في حرسه من الذهب والفضة لا سبعة وأربعين درهماً نهرية^(٣) وجرماً واحداً ذهب ولم يحلف ملك ولا درهماً ولا عفراً ولا مستاناً ولا قرية ولا مرزعة ولا شيئاً من أنواع الأملاك.

(١) انحصاراً بصم الحديث نقل عن النبي (صلى الله عليه وسلم) عبر سلسلة من الرواه الذين يوثقون صحتهم. وقد أصبح علم الحديث جالياً عاماً في علوم الدين الإسلامي.

(٢) كنت شاربيلي عن هذه الصلوات يوم ركعتا قيام الليل: ثم قام بتفسير معنى الزكاة وقال إنه وحدة من وحدات الصلاة تضم القيام والجلوس.

(٣) أي موهبة باسمه الرسمي الملك فناصر (الملك ناصر الدين)

وأما صوم رمضان فإنه كان عليه منه فوائت بسبب أمراض توارث عليه في رمضان متعددة وكان القاضي القاضى^(١) قد تولى ثبت تلك الأيام وشرع رحمه الله في فصاء تلك الفوائت بالقدس الشريف في السنة التي توفي فيها وقد وطب على الصوم مدة حتى بلغت عليه فوائت رمضان شظيته الأمراض وملازمة الجهاد عبر فصائها ومع كون للصوم لا يوافق مزاجه ألهمه الله تعالى الصوم واقدره على ما فصاه من تلك الفوائت فكان يصوم وأما أنه الأيام التي يصومها لأمر القاضي كان غلبا وكان الطبيب يلوم وهو لا يسمع ويقول "لا أعلم ما يكون" فكانه كان منهما ما يراى به رحمه الله تعالى.

وسا الحج فإنه كان لم يزل عارما عليه وماوياً له سيما في عدم الذي توفي فيه فإنه صمم العزم عليه وأمر بالنأهب وعملنا الزهانة ولم يبق إلا المسير فاعتق عن ذلك بسبب صيق الوقت وحلو اليد عما يليق بأمثاله فأخر إلى عدم المستقبل فنصى الله ما قصى وهذا شيء اشتهر في العلم به الحاضر والعام.

وكان رحمه الله تعالى يحب سماع القرآن العظيم ويستجيد إمامه ويشترط أن يكون عالماً بعلم القرآن العظيم متقناً لمعناه. وكان يستقرئ من بحرسه في الليل وهو في برجه الجزين والثلاثة والأربعة وهو يسمع. وكان يستقرئ وهو في مجلسه لعدم من جرب عادته بذلك الآية والعشرين والزائد على ذلك ولقد اجترأ على صغير بين يدي أبيه وهو يقرأ القرآن فاستصنق قراءته هزبه وجعل له حفظ من خاص معلمه ووقف عليه وعلى أبيه جزءاً من مررعة.

وكان رحمه الله تعالى خاشع للقلب زقيفة غريز النعمة إذا سمع القرآن يسمع نفسه وتسمع عبده في معظم أوقاته. وكان رحمه الله شديد الرغبة في سماع الحديث ومتى سمع عن شيخ ذي رواية عالية وسماع كثير فإن كان ممن بحضر عنده استحصره وسمع عليه فاسمع من بحضره في تلك المكان من أولاده ومماليكه مستحصين به وكان يأمر الناس بالجلوس عند سماع الحديث إجلالاً له وإن كان

(١) قاضي القضاة ومفتي مصر صلاح الدين الحلبي، واستقرأه لاحقاً عدة مرات.

ذلك الشيخ ممن لا بطرق أبواب السلاطين ويتحافى عن الحضور في مجالسهم
سعى إليه وسمع عليه. تردد إلى الحافظ⁽¹⁾ الأصفهاني بالإسكندرية حرسه الله
تعالى وروى عنه أحاديث كثيرة.

كان رحمه الله تعالى يحب أن يقرأ الحديث بنفسه وكان يستحضرني في
حلوه ويحضر شيئاً من كتب الحديث ويفرغها هو فإذا مر بحديث فيه عبرة رو
قلبه ودمعت عينه.

وكان رحمه الله عليه كثير العظيم لشعائر الذين يقولون ببعث الأجسام
وشورها ومجازاة المحسن بالجنة والمسيء بالنار مصداقاً بجميع ما وريت به
لشرايع مشروحاً بذلك صدره مبعثاً للفلاحة والمعطنة وممر بعاتب الشريعة ونقد
أمر ولده صاحب حلب الملك الظاهر عز الله أنصاريه بقتل سداب شد يقال له
السهروردي⁽²⁾ قيل عنه أنه كان معانداً للضرائع مبطلاً وكان قهراً عليه ولده
لمذكور لم بلغه من خبره وعرف السلطان به فأمره بقتله فطلبه أياماً فقتله.

كان قدس الله روحه حسن الظن بالله كثير الاعتماد عليه عظيم الإجابة إليه.
ولقد شهدت من آثار ذلك ما أحكمه وشدت أن العرج حذلهم الله كدوا ساردين
ببيت بوبة وهو موضع قريب من القدس الشريف حرسه الله تعالى بهيئتهما بعض
مرحلة وكان السلطان بالقدس وقد أقام يركا على العدو محيطاً به وقد سير إليهم
الجواسيس والمخبرين فتواصلت الأخبار بهوة عزمهم على الصعود إلى القدس
ومحاصرته وبركيب القنابل عليه واشتدت مضاعفة المسلمين بسبب ذلك فاستحضر
الأمراء وعرفهم ما قد نهم المسلمين من الشدة وشاورهم في الإقامة بالقدس فأبو
بمجاملة بأصبا غير طاهرها وأصر الجميع على أن لا مصنحة في إقامته بنفسه
فهبها مضطرة بالإسلام ونكروا أنهم يقصونهم ويخرج هو رحمه الله بضائفة من
العسكر يكون حول العدو كما كان الحال بعكا ويكون هو ومن معه يصدر مع

(1) جـ: بعد تحالف الذي له في هذا القصر القارسي الشهير من معنى الكلمة وهو بطون على
حفظة نصوص القرآن الكريم وعلى عماء لغة بصيرة عامة

(2) هيسوف مصروف من حلب راج 1911 صحيفة لتعصب الفكري الديني الذي شرعه صلاح
الدين فكأنف عن جانب حقيقي من شخصيته بعد عر الصورة التي كويتها عنه عصر التنوير

ميرتهم ، التصديق عليهم ويكونون هم بصدد حفظ البلد والتفقد عنه وتفحص
مجلس المشورة على ذلك وهو مصر على أن يعظم بنفسه علماً منه أنه إن لم يعم
لم يعم أحد فيما تصرف الأمراء إلى بيوتهم جاء من عندهم خبر أنهم لا يقيمون
إلا أن يعظم أحدهم الملك العادل لو أحد أولاده حتى يكون هو الحاكم عليهم والذي
أتمروا به فعملهم أن هذه إشارة مبهم إلى عدم الإقامة وصالح صدره ونفسه فكره
وشدت فكرته. وتقد جلست في خدمته في تلك الليلة وكانت ليلة الجمعة من أول
نيل إلى أن قارب الصباح وكال الرمان شتاء ونهض مضاً ثالث لا الله تعالى
ونحن بقسم قساماً وترتب على كل قسم بمقتضاه حتى أخذني الإنسان عليه
والخوف على مزاجه فيه كن يعلب عليه أتيسر تشعرت إليه حتى يأخذ مصجعه
لعله يدم ساعة فقال رحمه الله لعليك جاعك اليوم ثم نهض فما وصلت إلى بيتي
وأخذت لبعض شأني إلا وأذن المنود وطلعت الصبح وكنت أصلي معه الصبح في
معظم الأوقات فدخلت عليه وهو يصر الماء على أطرافه فقال ما أخذني اليوم
أصلاً فقلت قد علمت فقال من أين قلت لأبي ما نمت وما بقي وقت للنوم ثم
اشتغلت بالصلاة وجلست على ما كنت عليه فقلت له قد وقع لي واقع وأظنه بعيداً
إن شاء الله تعالى فقال وما هو فقلت له الإخلاء إلى الله تعالى والإذابة إليه.
والاعتماد في كشف العمة عليه. فقال: وكيف تصنع فقلت اليوم الجمعة يغتسل
المولى عند الزواجر ويصلي على العادة بالأقصى موضع مسرى للنبي صلى الله
عليه وسلم ويقسم المولى النصف بشيء حمية على يد من يثق به ويصلي المولى
ركعتين بين الأذان والإقامة ويدعو الله في سجوده فقد ورد فيه حديث صحيح
وتقول في باطنك: إلهي قد انقطعت أسبابي الأرضية في بصرة دينك ولم يبق إلا
الإخلاء إليك والاعتصام بحبك والاعتماد على فضلك أنت حسبي ونعم الوكيل.
وإن الله أكرم من أن يحجب قصديك ففعل ذلك كله وصليت إلى جانبه على عادة
وصلى الركعتين بين الأذان والإقامة ورأيتني ساحناً ونموعه تتعاطر على شيبته ثم
على سجدة ولا أسمع ما يقول فلم ينفض ذلك اليوم حتى وصلت رفعة من عر
سبر جريدك وكان على اليرك يحجر فيها أن العرج محبسون وقد ركب اليوم
عسكرهم بأسره إلى الصحراء ووقفوا إلى قائم الظهيرة ثم عادوا إلى خيامهم وفي

بكرة السبت جاءت رقعة ثانية تخبر عنهم بمثل ذلك. ووصل في أثناء النهار جاسوس أخير أنهم لاحتلقوا فذهبت التريسيقية إلى أنهم لا بد لهم من محاصرة القدس وذهب الأنكثار وأتباعه إلى أنه لا يحاطر دين النصرانية ويرميهم في الحبل مع عدم المباءة فإن السلطان كان قد أقصد جميع ما حول القدس من سفاهة أنهم خرجوا للمشورة ومن عائلهم أنهم يتشاورون للحرب على ظهور التحيل وأنهم قد يصو على عشرة أنص منهم وحكموهم قأي شيء أقتاروا به لا يحالفوهم ولم كانت بكرة الاثنين جاء المبشر يحبر أنهم رحلوا عائدين إلى جهة الرملة فهذا ما شهدته من آثار استتباطه ولجلاء إلى الله تعالى رحمه الله.

ذكر عدله رحمه الله تعالى

روى أبو بكر الصديق⁽¹⁾ رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: الموالى العادل ظل الله في أرضه من نصحه في نفسه أو في عباده أظله الله تحت عرشه يوم لا ظل إلا ظله ومن حابه في نفسه أو في عباده خذله الله يوم القيامة، يرفع للموالى العادل في كل يوم عمل ستين صديقاً كلهم عابد مجتهد لنفسه.

ولقد كان رحمه الله عادلاً رؤوفاً رحيماً ناصراً للضعيف على الأقوياء. وكان يجلس للعدل كل يوم اثنين وخميس في مجلس عام يحضره الفقهاء والقضاة والعلماء ويفتح الباب للمتحاكمين حتى يصل إليه كل أحد من كبير وصغير وعمر هزيمة وشيخ كبير وكان يفعل ذلك سراً وحسراً

حتى أنه كان في جميع زمانه قابلاً لجميع ما يعرض عنه من القصص في كل يوم ويفتح باب العدل ولم يرد قاصداً للحوائث والحكومات. وكان يجلس مع الكاتب ساعة إما في الليل أو في النهار ويوقع على كل قصة بما يجزيه الله على قلبه ولم يرد قاصداً أنداً أو منتحلاً ولا طالب حاجة وهو مع ذلك دائم الذكر والمواظبة على التلاوة رحمة الله عليه. وقد كن رؤوفاً للربعة دسراً للدين

(1) أول خليفة جاء بعد محمد (صلى الله عليه وسلم) 632-634.

موطباً على تلاوة القرآن العزير عالماً بما فيه علماً له لا يعنوه أبداً رحمة الله عليه. وما لسفغات إليه أحد إلا وقف وسمع قضيتَه وكشف ظلماته وعنى عصته. ولقد رأيتُه واستغاثَ إليه إنسان من أهل دمشق يقال له ابن رهير على نفي النير ابن أخيه فأتعد إليه ليحضر إلى مجلس الحكم وكان نفي الدين من أمر الناس عليه وأعطهم عنده ولكنه ثم يحاييه في الحق.

وأعظم من هذه الحكاية مما يدل على عدله قصة جرت له مع بسب تاجر يدعى عمر الحلاطي وذلك أني كنت يوماً في مجلس للحكم بالقدس الشريف إذ دخل على شيخ حسن تاجر معروف يسمى عمر الحلاطي معه كتاب حكيم يسأل فتحه فسألته من خصمك فقال 'خصمي السنطان وهذا بساط العدل وقد سمعنا أنك لا تحابي أحد قلت وفي أي قضية هو خصمك' فقال 'إن سنقر الحلاطي كان مملوكي ولم يرل على ملكي إلى أن مات وكان في يده أموال عظيمة كله لي ومات صها واستولى عليها السنطان وأنا مطالب به' فقلت له 'ب' شيخ وما أقعدك إلى هذه العاية' فقال 'أنحرق لا تبطل بالتأخر وهذا الكتاب الحكمي ينطق بأنه لم يرل في ملكي إلى أن مات. فأخذت الكتاب منه وبصفت مصمونه لوجدته يتضمن حلية سفر الحلاطي وأنه قد اشتراه من فلان تاجر بأرجيش اليوم الفلاني من شهر كذا من سنة كذا وأنه لم يرل في ملكه إلى أن شذ عن يده في سنة كذا وما عرف شهود هذا الكتاب خروجه عن ملكه بوجه ما وثم الشرط إلى أخرد فتمجبت من هذه القضية وقلت للرجل 'لا يصح سماع هذا بلا وجود الخصم وأنا أعزفه وأعزفك ما عنده في ذلك' فرفض الرجل بذلك واندفع. فلما اتفق التمثول بين يديه في بقية ذلك اليوم عرفته القضية فاستبعد ذلك استبعاداً عظيماً وقال 'كست نظرت في الكتاب' فقلت 'نظرت فيه ورأيتُه منصف الورود والقبول إلى محقق وقد كتب عليه كتاب حكيم من دمشق وشهد به على يد قاضي دمشق شهود معروفين' فقال 'مبارك' نحن حصر الرجل وبحكمه وبعمل في القضية ما يعصيه للشرع. ثم اتفق بعد ذلك جلوسه معي خطوة ففت له. هذه الخصم يتريد ولا بد أن نسمع دعواه' فقال 'لقد عني وكذا يسمع الدعوى ثم نفيم الشهود شهوتهم وأخر فتح الكتاب إلى حين حضور الرجل ها هنا، ففعلت ذلك

ثم احصر الرجل واستعداد حتى جلس بين يديه وكثت إلى جانبه ثم رل من طراحه حتى ساواه وقال "إن كان لك دعوى فانكرها" فحزر الرجل الدعوى على معنى ما شرح أولاً فأجابه للسلطان أن سقّر هذا كان مملوكي ومم يرب على ملكي حتى اعتقته ونوفي وخلف ما حلفه لورثته، فقال الرجل "ي بيّة تشهد مع دعيتك" ثم سأل فتح كتاب - فتحة فوجدته كما شرحه، فلم سمع للسطر التاريخ قال لي "عندي من يشهد أن سقّر هذا في هذا التاريخ كان في ملكي وفي يدي بمصر وأبي شيرينته مع ثمانية أنفس في تاريخ منكم على هذا التاريخ بسنة وأنه ثم رل في يدي وملكى إلى أن اعتقته؛ ثم استحضر جماعة من أعيان الأمراء والمجاهدين فسيروا بذلك وسكروا للقصة كما نكرها والتاريخ كما دعه، فبسر لرجل فقلت نه "يا مولاي هذا الرجل ما فعل ذلك إلا طلباً لمراحم السلطان وقد حضر بين يدي المولى ولا يحسن أن يرجع خائب انقصت فقال: "هذا باب خسر"، وتقدم له بخلعة وبغلة بالغة قد شد عي مقدارها، فانظر إلى ما في يدي هذه القضية من المعاني العريضة للعجبية والتواضع والانقياد إلى الحق ورشم النفس والكرم في موضع المزاخنة مع القرة القائمة، رحمه الله تعالى رحمة واسعة.

ذكر طرف من كرمه رحمه الله

قال صلى الله عليه وسلم إنا عثر الكريم فإني الله أخذ بيده وفي الكرم أحاديث، وكرمه قدس الله روحه، كان أظهر من أن يسطر، وأشهر من أن يذكر لكن يهت عليه جملة، وبك أنه ملك ما ملك ومات ولم يوجد في خزائنه من الفضة إلا سبعة وأربعون درهماً بصرية ومن الذهب إلا جرم واحد صوري ما علمت ورنه، وكان رحمه الله يهب الأقاليم ويفتح أمداً⁽¹⁾ وطلبها منه ابن قرق أرسلان⁽²⁾ فأعطاه يده.

ورايته قد اجتمع عنده جمع من الوفود بالقدس الشريف، وكان قد عزم على الترجه إلى دمشق ولم يكن في الحراسة ما يعطى للوفود، فلم لول أحاطبه في

(1) في بلاد الرافدين

(2) محمد بن قرق أرسلان، أمير لرتوقي على حصن كيجا (1174 - 1185) Hasankyyl وهي اليوم في تركيا

معهم، حتى باع أشياء من بيت المال، وفصصنا ثمنها عليهم ولم يفصل منه
 درهم واحد. وكان رحمه الله يعطي في وقت الصيق كما يعطي في حب السعة.
 وكان بواب حرقته يحضر معه شيئاً من المال حترأ أن يفاحضهم معهم تعلمهم شيء
 متى علم به أخرجه، وسمعه يقول في معرض حديث جرى: يُمكن أن يكون في
 الدس من يطر إلى المال كما يطر إلى التراب" فكانه ذلك أراد نفسه رحمه الله
 بعاني.

وكان يعطي فوق ما يؤمل الطالب فما سمعته قط يقول أعطيتا بولاً وكان
 يعطي لكثير ويبسط وجهه للعطاء بسطة لمن تم يعطيه شيئاً. وكان رحمه الله
 يعطي ويكرم أكثر مما يعطي وكان قد عرفه الناس فكانوا يستشيرونه في كل وقت
 وما سمعته قط يقول قد زدت مرارا فكم أريد.

وكثر الترسد كانت يكون في ذلك على لسانه ويدي ذكرت أخجل منه من
 كثرة ما يطسبون ولا أخجل منه من كثرة ما أطلبه لهم لعمري بعدم مؤاخذه في
 ذلك، وما حذمه أحد إلا وأغذاه عن سؤال غيره.

أما تعداد عطائاه وتعداد مسرفها فلا تطمع فيها حقيقة أصلاً وقد سمعت
 من صاحب ديوانه يقول لي قد تجارت عطائاه فحصرها عند ما وهب من الخيل
 بمرج عكا فكان عشرة آلاف فرس، ومن شاهد مواهبه يستقل هذا القدر، اللهم إني
 ألهمته لكرم وأنت أكرم منه فتكرم عليه برحمتك وبرصولتك يا أرحم الراحمين.

ذكر شجاعته ففس الله روحه

روي عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: إن الله يحب الشجاعة ولو
 على قتل حبة.

ولقد كان رحمه الله تعالى من عظماء الشجعان قوي النفس شجاع القلب
 عظيم اللذة لا يهونه أمر ولقد رأيت بعضي دعوتوا في أئمة الشجعان ويعني في
 سردمه بسيرة في مقابلة عندهم الكثير وقد سألت باليان بن بارزبان وهو من

{ Balinn li d'he m لثاني أحد شعراء القرنج المعاصر في سلام 1192 هـ - 1200 هـ هذه
 الأحداث والتخصيصات فيما بعد.

كبار ملوك الساحل وهو جالس بين يديه، رحمه الله، يوم انعقاد نصبح عن عنيتهم، فقال الترجمان عنه أنه يقول كنت أنا وصاحب صيدا وكان أبصاً من ملوكهم وعقلائهم قاصدين عسكرنا من صور، فلما أشرفنا عليه تجاوره فحررهم هو خمس مائة ألف وحررتهم أنا بمئتمائة ألف أو قال عكس ذلك قلت "فكم هلك منهم" فقال "أما لقتل هزيب من مائة ألف وأما بالموت والعرق فلا يحسم وما رجع من هذا العالم إلا الأقل".

وكان لا بد له من أن يصف حول العدو في كل يوم مرد أو مرتين إذا كان قريب منهم. وكان رحمه الله تعالى إذا اشتد الحرب بطرف بين الصفيين ومعه صبي واحد على يده جنين ويخرق العساكر من الميعة إلى الميعة ويرتب الأطلاب ويأمرهم بالنفخ والوقوف في مواضع يراها. وكان يتذرف العذر ويجاوره رحمه الله. ولقد فرئ عليه جزاً من الحديث بين الصفيين وذلك أني قلت له قد سمع الحديث في جميع المواطن الشريفة ولم يقل له سمع بين الصفيين حين رأى معمولي أن يؤثر عنه ذلك كل حساً فأتى في ذلك فأحصر جزءه كما أحصر من له به سماع فقرأ عليه وحين على ظهور الدواب بين الصفيين ثماني تارة وبقيت أخرى.

وما رأيته استكثر العدو أصلاً ولا استعطف أمرهم قط، وكان مع ذلك في حال التفكير والتدبير تذكر بين يديه الأقسام كلها، ويرتب على كل قسم بمقتضاه من غير حدة ولا غضب يعثره. ولقد انهرم المسلمون في يوم المصباح، الأكبر بمرج عك، حتى القنب ورجاله، ووقع الكؤس⁽¹⁾ والعلم، وهو رخصي الله عنه ثابت القم في نفر يسير، حتى انحدر إلى الجبل بجميع الناس ويردهم ويخجلهم حتى يرجعوا، ولم يزل كذلك حتى نصر عسكر المسلمين على العدو في ذلك اليوم، وقتل منهم رهاء سبعة آلاف ما بين راجل وفارس، ولم يزل رحمه الله مصابيح لهم وهم في العدة الوفرة، إلى أن ظهر له ضعف المسلمين، فصالح وهو مسؤول من جانبهم، فإن الضعف والهلاك كان هيم أكثر، ولكنهم كانوا يتوهمون النجاة وحين لا يتوهم، وكانت المصلحة في الصلح، وظهر ذلك لما أبنت الأقضية الإلهية

(1) الطبول (غير مطلي)

والأقدار ما هي مكنونها^(١). وكان رحمه الله يمرض ويصح وتغيره أحوال مهولة وهو مصدبر مرابط وتقرأى الدارين^(٢) وتسمع منهم صوت الدافوس^(٣) ويسمعون منا صوت لأناس إلى أن انفصت الواقعة على أحسن حال وأيسره، قدس الله روحه ومور صريحه.

نكر اهتمامه بأمر الجهاد

قال الله تعالى: **لَوْلَاذِينَ جَاهَدُوا فِيمَا أَنهَدْنَاهُمْ عَنْ دِينِهِمْ وَأَبَى اللَّهُ عَنْهُمُ الْفِتْنَةَ** (١) وقال رحمه الله شديد المواظبة عليه عظيم الاهتمام به، ولو حلف حائث أنه ما أنفق بيت خروجه إلى الجهاد ديناراً ولا درهم، إلا في سجد أو في الأرفاد لصدق وبر في يمينه. ولقد كان حبه للجهاد واشغف به قد استولى على قلبه وسائر جوانحه استيلاء عظيم بحيث ما كان له حديث إلا فيه ولا نظر إلا في الله ولا كان نه اهتمام إلا برحاله ولا ميل إلا إلى من يذكره ويحث عليه. ولقد هجر في محبة الجهاد في سبيل الله أهله وأولاده ووطنه ومكانه وسائر بلاده وقنع من الدنيا بالسكون في ظل حيمة يهب بها للرياح ميمنة وميسرة. ولقد وقعت عليه نخيمة في ليلة رحيمة على مرح عكاظو لم يكن في البرج لفتلته ولا يريد ذلك إلا رغبة ومصابرة واهتماماً كان أرحل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد وأذا مر جمع نه فيه كتاب جمعت فيه أدلته وكل آية وردت فيه وكر حديث روي في فصله وشرحت غريبها.

وكان رحمه الله كثيراً ما يضالعه، حتى أحده معه ولذه الملك الأصيل عرصره. ولأحكي عن ما سمعته منه، وثنت أنه كان قد أخذ كوكب^(٤) في ذي القعدة سنة أربع وثمانين وخمسمائة (كانون ثاني/يناير 1189) وأعطى سمك

(١) هذا خبر الأسياب الخنزية والتبريرية التي سجدتها حول سلام 1192. لمغير للجدل

(٢) بهرا المعكرين

(٣) أروح حشبة كال مسيحور، الشرق يستعملونها محل الدافوس

(٤) قرآن الكريم} الآية 69 من السورة 29 (العنكبوت) وقد ذكر شاربيلي أنها السورة 62 لأنه

عند على نسخة مترجمة لسماني القرآن الكريم رقت ابنتها بشكل مختلف).

(٥) حصن لجنترية قرب طبرية

عشيراً^(١)، وأخذ عسكر مصر في اليعود إلى مصر، وكان مفتحها^(٢) أده الملك
 العبد عن مصر، فسار معه ثيودعه ويحظى بصلاة العبد^(٣) في القدس الشريف
 حرسه الله تعالى وسرنا في خدمته. ولما صلى العبد في القدس وقع له أن يمضي
 إلى عسقلان ويودعهم بعسقلان ثم يعود على طريق الساحل يتفقد البلاد الساحلية
 إلى عك ويريب أهلها، فأثروا عليه أن يعمل فيز العسكر إذا فرقت سقى في
 عدة يسيرة وسرّح كلهم بصور، وهذه مخاطرة عظيمة، فلم يثقت رحمه الله، وودع
 أحده والعسكر بعسقلان، ثم سربا في خدمته إلى الساحل طائفي عك، وكان
 لرمس شتاء والبحر هائجاً شديداً، وموجه كالجبال^(٤)، كما قال تعالى، وكنت
 حديث عهد برؤية البحر فعقد أمر البحر عدي حتى حيل لي أني لو قال لي:
 إن جرت لي البحر ميلاً واحداً منكك أنتنوا، لما كنت أفعل، واستسحبت رأي من
 ركب البحر رجاء دينار أو درهم، واستصحت زني من لا يقبل شهادة ركب
 بحر^(٥)، هذا كله خطر لي أعظم الهول الذي شأهته من حركة البحر، فبين أن
 في ذلك إذ التفت إلي رحمه الله، وقال: لما أحكى لك شيئاً في نفسي أنه متى سر
 الله تعالى فتح بقية الساحل قسمت البلاد وأوصيت وودعت وركبت هذا البحر إلى
 جزائره واتبعهم فيها حتى لا أبقي على وجه الأرض من يكفر بالله أو أموت^(٦)
 فعظم وقع هذا الكلام عدي حيث باقصر ما كان خطر لي وقتت له ليس في
 لأرض أشجع نفساً من المولى، ولا أقوى منه نية في مصره بين الله تعالى. فقال
 فكيف قلت أما الشجاعة فلأمر مولانا ما يهوله أمر هذا البحر وهوله، وأما
 مصره بين الله فهو أن المولى ما يقع بفتح أعزاء الله من موضع مخصوص في
 الأرض حتى تظهر جميع الأرض عنهم، واستأذنت أن أحكى له ما كان خطر
 لي فحكيت له ثم قلت: أما هذه إلا نية جميلة ولكن المولى يسير في البحر
 العسكر وهو سوز الإسلام ومنعته فلا ينبغي له أن يخطر بنفسه، تعدل أن

(١) اجازة أو سرّح (ترجمة عن غيريلى)

(٢) عبد الأصحى بعد الحج (عرفه) في شهر ذي الحجة

(٣) (استمره عن) القرآن (الكريم) [موج كالجبال] الآية 41 من سورة 11 (هود)

(٤) سرى لاحقاً أن هناك آراء فجيعة تقول بعدم قبول شهادة من يركب البحر

سُئِلَ مَا أَشْرَفَ لِلْمَيِّتَاتِ؟ قَالَتْ: أَلَمُوتُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَقَالَ: غَايَةُ مَا فِي سَبَابِ
 أَلَمُوتِ أَشْرَفَ الْمَيِّتَاتِ. فَاَنْظُرْ إِلَى هَذِهِ الصُّوْبَةِ مَا أَطْهَرُهَا وَإِلَى هَذِهِ اسْفَرُ مَا
 شَجَعَهَا وَحَرَّأَهَا، رَحْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ. اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ بَدَلَ جَهَنَّمَ فِي بَصَرَةِ بَيْتِكَ،
 وَجَاهَتِ رَجَاءِ رَحْمَتِكَ، فَارْحَمَهُ.

صِبره واحتسابه رحمة الله عليه

قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: لَقَدْ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنْ رَبُّكَ مِنْ بَعْدِهِ يَجْمَعُ
 رَحِيمًا. وَلَقَدْ رَأَيْتُهُ رَحْمَةً اللَّهِ بِمَرْجٍ عَكَا وَهُوَ عَلَى غَايَةِ مَرَضٍ عَثَرَهُ
 بِسَبَبِ كَثْرَةِ نَعَامِيْلٍ كَانَتْ طَهَرَتْ عَلَيْهِ مِنْ وَسْطِهِ إِلَى رُكْبَتَيْهِ، بَحِثْ لَا يَسْتَضِيعُ
 الْجُلُوسَ، وَإِنَّمَا يَكُونُ مُتَكَبِّعًا عَلَى جَانِبِهِ إِنْ كُنَّ بِالْحَيْمَةِ، وَامْتَنَعَ مِنْ مَدِّ الطَّعْمِ
 بَيْنَ يَدَيْهِ لِمَعْجَزِهِ مِنَ الْجُلُوسِ، وَكَانَ يُؤَمِّرُ أَنْ يَهْرُقَ عَلَى النَّاسِ. وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ قَدْ
 سَرَّ بِحَيْمَةِ الْحَرْبِ قَرِيبًا مِنْ تَعْدُوْ وَكَانَ رَتَبُ النَّاسِ مِيْمَةً وَمِيْسَرَةً وَقَلْبُ
 تَعْبِيَةِ الْقِتَالِ، وَكَانَ مَعَ ذَلِكَ كُلِّهِ يَرْكَبُ مِنْ بَكْرَةِ النَّهَارِ إِلَى صَلَاةِ مَغْرَبِ.
 يَطُوفُ عَلَى الْأَطْلَابِ، صَادِرًا عَلَى شِدَّةِ الْكَلَمِ، وَقُوَّةِ صَبْرِهِ الْبَدَمِ، وَأَنْ
 أَتَعَجَّبُ مِنْ ذَلِكَ هَقُورًا إِذَا رَكِبْتَ يَزُولُ حَتَّى أَلْمَا حَتَّى أَسْرُلَ وَهَذِهِ عِيَايَةِ
 رِيَايَةِ.

وَلَقَدْ مَرَضَ -رَحِمَهُ اللَّهُ- رَمَضَ عَلَى الْحَرْبِ^(١) وَكَانَ قَدْ تَأَخَّرَ عَنْ تَلِّ
 الْحِجْلِ بِسَبَبِ مَرَضِهِ، فَبَلَغَ الْإِفْرِيحَ فَخَرَجُوا طَمَعًا فِي أَنْ يَدُلُّوا شَيْئًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ،
 وَهِيَ بَوْبَةُ النَّهْرِ فَخَرَجُوا فِي مَرَحَلَةِ الْأَنْبَارِ الَّتِي تَحْتَ الْقَلْبِ. فَأَمَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ
 بِالْإِقْرَافِ حَتَّى يَتَجَهَّرَ بِالرَّحِيلِ وَالتَّأَخَّرَ عَنْ جِهَةِ النَّاصِرَةِ. وَكَانَ عَمَلُ الَّذِينَ
 صَحَبَ سَجَارَ مَنَمَرَصًا أَيْضًا فَأَدَّى لَهُ أَنْ يَتَأَخَّرَ مَعَ الْقَلْبِ، وَقَدَّمَ هُوَ، ثُمَّ رَهْنُ
 الْعَدُوِّ فِي الْيَوْمِ الثَّانِي بِطَلَبِيَاءَ فَرَكِبَ عَلَى مَصْفُوفٍ وَرَتَبَ الْعَصَا لِقَاءِ الْقَوْمِ تَعْبِيَةِ
 الْحَرْبِ، وَجَعَلَ طَرَفَ الْمِيْمَةِ أَمَّاكَ الْعَدْلِ وَطَرَفَ الْمِيْسَرَةِ نَفْيَ الَّذِينَ وَجَعَلَ وَبَذَرَ

(١) قُرْآنٌ (زُكْرِي) آيَةُ ١١٥ سُورَةُ ١٦ (الْحَجَلِ)

(٢) مَكَارٍ بَيْنَ حَبِيصًا وَمَرَّ يَوْجًا فِي عَدَا.

(٣) لَأَمْنَةً (بِرَجْمِهِ عَنْ عَالِيِيْلِي)

الملك الظاهر والملك الأفصل - عر نصرهما - في القلب ويزل هو وزراء تقوم
 بطبيهم واول ما يزل من التل أحضر بين يديه أفرنجي قد أسر من القوم، وأمر
 بصرب عصفه بين يديه بعد عرض الإسلام عليه وإيائه عنه، وكلف سار العدو
 يطلب رأس النهر سار هو مستديراً إلى ورائهم، حتى يقطع بينهم وبين حيامهم،
 وهو بسير ساعة، ثم يزل يعنريج ويتنزل بعدل على رأسه من شدة وقع
 الشمس، ولا ينصب له خيمة حتى لا يرى العدو ضعفاً. ولم يزل كذلك حتى رز
 العدو برأس النهر ويزل هو قبائلهم على تل مطل عليهم. إلى أن نهر النهر. ثم
 أمر العساكر المنصورة إن علت إلى محل المصابرة وأن يبيتوا تحت سلاح،
 وتأخر هو ورجل في خدمته إلى قمة الجبل، فضربت له خيمة لطيفة، وبك تلك
 الليلة جمع أم والطبيب بمرصه وشاغله، وهو يدام تارة ويستيقظ أخرى حتى لاح
 الصباح، ثم ضرب البوق وركب هو وركبت العساكر، وأحدثت بالعدو ورجل
 العدو عائد إلى خيامهم من الجانب العربي من النهر. وهايقهم المسلمون في
 تلك اليوم مصابفة شديدة. وفي ذلك اليوم قتل أولاده بين يديه احتساباً وجميع من
 حضر منهم، ولم يزل يبعث من بعده حتى لم يبق معه إلا أم والطبيب وعرص
 الجيش والغلما باليديهم الأعلام واليارق لا غير، فيضن الرائي لها عن بعد أن
 تحتها خلقاً عظيماً. ولم يزل العدو سائراً والعلل يعمل فيهم وكلما قتل منهم شخص
 دفنوه وكلما جرح منهم رجل حملوه حتى لا يبقى بعدهم من يعلم قتله وجرحه وهم
 سائرون ونحن نشاهدهم حتى اشتد بهم الأمر، وبرزوا عند الجسر، وكان الإفراج
 متى نزلوا إلى الأرض أبين المسلمون من بلوغ عرص منهم لأبهم يجتمعون في
 حالة سرور جماعه عظيمة. وبقي رحمه الله في موضعه، انصاكر على ظهور
 بحيل قبالة العدو إلى آخر النهار، ثم أمرهم أن يبيتوا على مثل ما كانوا عليه
 سرحتهم. وعدنا إلى منزلنا في الليلة الماضية وعاد العسكر في الصباح إلى ما
 كان عليه بالأمس من مصابفة العدو، ورجل العدو، وسار على ما مضى من
 القتلى والقتال حتى دنا إلى حيلاه وخرج إليه منها من أنجده حتى وصلوا إلى
 حيامهم. فانظر إلى هذا الصبر والاحتساب وإلى أي غاية بلغ هذا الرجل النهم
 إنك ألهمته الصبر والاحتساب ووقفه فلا نحرمة توليه يا أرحم الراحمين

ولقد رأيته رحمه الله تعالى وقد جاءه خبر وفاة ولد له بالغ يسمى إسماعيل فوقف على الكتاب ولم يعرف أحداً ولم يعرف حتى سمعناه من غيره ولم يظهر عنه شيء من ذلك سوى أنه لما قرأ الكتاب دمعت عينه، ولقد رأيته ليلة على صعد وهو يحصرها وقد قال لا تنام الليلة حتى تنصب لنا حصن مداحيق، ورب لكل منجى فوما يقولون نصيبه، وكما طول الليل في حتمه، ففسد الله روحه في الدمدمة وأرغد عيش، والرسول تتواصل تحضره أن قد نصب من المجيق العلي كذا ومن المجيق العلي كذا، حتى أتى الصباح وقد فرغ منها ولم يبق إلا تركيب حذائرها عليها، وكانت من أطول اللينائي وأنها بدياً ومطر، ورأيته وقد وصل إليه خبر وفاة نقي الدين ابن أخيه ونهر في مقابلة الإفريج جريدة على الرملة وبيننا وبينهم شوط قريب لا غير، فأحضر الملك العادل وعلم أسير سيمان وسابق الدين وعز الدين، وأمر بتأسيس فطردوا من قريب الخيمة بحيث أنه يبق حولها أحد ريادة عن غلوة سهم. ثم أظهر الكتاب ووقف عليه وبكى بكاء شديداً حتى أبكاه من غير أن يعلم للسبب، ثم قال - رحمه الله - والعبرة تخلفه، توفي نقي الدين "فتمت بكاءه وبكاء الجماعة ثم عدت إلى نفسي فقلت "استغفروا الله تعالى من هذه الحالة وانظروا أين وهبتم وأعرضوا عما سواه" فقال رحمه الله "نعم استغفر الله"، وأخذ يكررها ثم قال "لا يعلم أحد" واستدعى بقية من الماوراء ففسن عبيده ثم أشخص الطعام وحضر الناس ولم يعلم بذلك أحد حتى عاد العدو إلى ياف وعدنا نحن إلى المنطرون وهو معرثك.

وكان رحمه الله شديداً للشفقة بالولاء الصغار وهو صابر على مفارقتهم راض ببعدهم. وكان صابراً على مر العيش وحشوته مع الفدره الدامة على غير ذلك احضارها لله تعالى. اللهم إني تركت لك ابتداء مرضاتك فريضه ورحمه.

نكر نبيذ من حلمه وعفوه رحمه الله

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١) لقد كان متجاوزاً قليل العصب وتقد كلف في حلمته جرح عيسى قبل خروج الإفرح إلى عك سبر الله فيها، وكل من عانته أن يركب في وقت الركوب، ثم يثقل بهم الطعم وبأكل مع الناس، ثم ينهض إلى خيمة خاصة له يعلم فيها، ثم يستيقظ من منامه، ويحس ويحس حلوة وأنا في خيمته نقرأ شيئاً من الحبث أو شيئاً من الفقه، ولقد قرأ علي كتاباً مختصراً تصنيف الرازي يشتمل على الأرباع الأربعة من الفقه، وبرل يوماً على عانته ومد الطعم بين يديه ثم عزم على النهوض فقبل له أن وقت الصلاة قد قرب فعدا إلى الجلوس وقال تصلي ونعام ثم جلس يتحدث حديث مصجر وقد أخلا المكان لا من لزم، فقدم إليه مملوك كبير محترم عنده وعرض عليه قصة لبعض المجاهدين فقال "هل أنا الآن صجر أحرق ساعة، فلم يفعل، ولقد القصة إلى قريب من وجهه الكريم بيده وفتحها بحيث يقرأها فوقف على "الاسم المكتوب في رأسه فعرفه، فقال رجل مستحق" فقال "بوع المولى له" فقال ليست الدوة حاصرة لأن وكس رحمه الله جالساً في باب الحركة^(٢) بحيث لا يستطيع أحد الدخول إليها والدوة في صدره والحركة كبيرة، فقال له المخلص هذه الدوة في صدر الحركة، وليس لهذا معنى إلا أمره إياه بإحضار الدوة لا غير، فالتفت رحمه الله - فرأى الدوة فقال "رائحة لقد صق" ثم لمد على يده اليسرى ومد يده اليمنى فأحصره ووقع له. فقلت قال الله تعالى في حق نبيه صلى الله عليه وسلم لو أنك لعلى خلق عظيم^(٣)، وما أرى المولى إلا قد شاركه في هذا الطوق فقل ما ضرباً شيئاً نصيب حاجته وحصل الثواب، ولو وقعت هذه الواقعة لأخاد الناس وأفرادهم نعم وفعد ومن الذي يفسر أن يحاطب أحداً هو تحت حكمه بمثل منك وهذا غنية الإحصان والحمد لله لا يصح أجر المحسنين^(٤).

(١) قزير (كريم) الآية 134 سورة 3 (آل عمران)

(٢) ترجمها غابرييلي (٥) (الطبعة)

(٣) قرر (كريم) الآية 4 سورة 68 (اللقم)

(٤) قرر (كريم) الآية 120 سورة 9 (التوبة)

ولقد كنت طراحتك نداس عند التزاحم عليه لعرض القصص، وهو لا يثأر
 بك ولقد بعثت يوماً بعلتي من الجمال، وأن ركب في حننه، فرحمت وركه
 حتى المم، وهو يسمع رحمه الله. ولقد تحط بين يديه في يوم ربح مطير إلى
 لفسر الشرف، وهو كثير الوحل فصحت البطة عليه من الطير، حتى أنكفت
 جميع ما كان عليه، وهو يتبسم، وأزنت التأخر عنه بسبب ذلك فما تركني
 وقد كان يسمع من المستعيرين والمنظلمين أعط ما يمكن أن يسمع ويلقي بك
 بالبشر والقبول. وهذه حكاية ينذر أن يسهر مثلاً: وذلك أنه كان قد اتجه أخو ملك
 لإفريج (حدثهم الله) إلى باب، على العسكر كان قد رحل عهده، وبعد وراجع إلى
 السطرون، وهو مكان بين وبين يافا للعسكر مرحلتين للمجد وثلاث معزة، وجمع -
 رحمه الله- العسكر ومضى إلى قيسرية لتقى بجندهم عساه يبلغ منهم غرضاً، وعلم
 لإفريج أني كانوا بيافاً ذلك وكس بها الأكتار^١ ومعه جماعة، فجهز معهم من
 كان عنده في المراكب إلى قيسرية خشية على النجدة أن يتم عليهم أمر، وبقي
 لأكتار في نفر يسير لعلمهم ببعد رحمه الله - عنهم، وبعد العسكر، وما وصل
 رحمه الله إلى قيسرية ورأى النجدة قد وصلت إلى البلد وانفتحت به وعلم أنه لا
 ينال منهم غرضه، سرى من ليلته في ليل الليل إلى آخره حتى أتى باب صيدا.
 والأكتار في سبعة عشر فارساً وثلاثمائة رجل، بارز خارج البلد في حيمة له،
 فصبه العسكر صباحاً. فركب المصور، وكس شجاعاً بأسلاً صاحب رأي في
 الحرب، وثبت بين يدي العسكر ولم يدخل البلد. فاستدار العسكر الإسلامي بهم لا
 من جهة البحر، ونجى العسكر تحية القتلى. وأمر السلطان العسكر بالعمله استنار
 للفرصة، فحبه بعض الأكراد بكلام فيه خشونة حاصلة، فعتب لهم التوفير في
 إقطعه فخطف رحمه الله - عنان فرسه كاتم عصب، لعلمه أنهم لا يصلون في
 ذلك اليوم شيئاً، وبركهم وانصرفوا راجعاً، وأمر بحيمته التي كانت منصوبة أن تلتفت،
 وانعصوا مبشرين أن السلطان في ذلك اليوم ربما صلب جماعة. ولقد حكى لي والده
 الملك الصاهر (أعز الله أئصاله) أنه حاف عنه في ذلك اليوم، حتى أنه لم يتحاصر
 ببع في عسبه مع أنه حمل في ذلك اليوم وأوغرته إلى أن منعه رحمه الله. ولم يزل

(١) أي ريتشارد قلب الأسد

سار حتى نزل بيازور ، وهي مرحلة لطيفة، فضربت نه خيمة لطيفة هناك، وبرز بها وبرز العسكر في منزلهم تحت صوارثيات لطيفة، كما جرت العادة في مثل ذلك وما من امرء إلا من يرعد خيفة منه ومن يعتقد أنه مأخوذ مسحوط عليه قال ولم حنثي نفسي بالنحول عليه خيفة منه، حتى استعاني، قال ودحت عليه وف وصله من دمشق المحروسة فلكهة كثيرة، فقال لطلبوا الأمراء حتى يأكلو شيئاً قال "قسري عني ما كتب أجدد وطئت الأمراء فحصروا وهم جائفون هوجوا من بشره وبساطه ما أحدث لهم الطمأنينة والأمن والمروء ، وانصرفوا على عرم الرجيل كال ثم بحر شيء أصلاً. فمطر إلى هذا الحطم الذي لا يتأني في مثل هذا الزمان ولا يحكى عن تقدم من تمونك.

ذكر محافظته على أسباب المروءة

قال النبي صلى الله عليه وسلم: (بعت لأتم مكرم الأخلاق)، وكان صلى الله عليه وسلم إذ صافحه الرجل لا يترك يده حتى يمس الرجل هو الترت الذي يبدأ بذلك، ولقد كان السلطان كثير المروءة يدي اليد كثير العبد مبسوط الوجه لمن يرضى عليه من الصيوف، لا يرى أن يفارقه الصيف حتى يطعم عده ولا يخطبه بشيء إلا ويجره، وكان يكرم الواقف عليه وإن كان كافراً. ولقد وفد عليه البيرس، صاحب بطاكية، فما أحسن به إلا وهو واقف على باب حيمته، بعد وقوع الصلح في شهر شوال سنة ثمان وثمانين وخمس مائة (تشرين الثاني/نوفمبر 1192) عند منصرفه من القدس إلى دمشق، عرض له في الطريق وطلب منه شيئاً، فأعطاء العمق، وهي بلاد كان أخذها منه عام فتح الساحل وهو سنة أربع وثمانين (1188-1189). ولقد رأيت أنه وفد سحل عليه صاحب سيدي بالناصره فاحترمه وأكرمه وأكل معه الطعام، ومع ذلك عرض عليه الإسلام، فنكر له طرفاً من محاسنه وحته عليه.

وكرر يكرم من يرد عليه من المشايخ وأرباب العظم والفصل ودوي لأقدر ، وكان يوصيها بأن لا تغفل عن يجنار بالخيم من المشايخ⁽¹⁾ "المعروفين حتى يحصرهم عده ويأكلهم من إحصائه.

(1) من مشايخ الفرق الصوفية أو غيرهم من إتقاء المسنين المعروفين بالفضل والصلاح

ولما مر بنا سنة أربع وثمانين وحمس مئة رجل جمع بين العلم والتصوف
وكان من ذوي الأقدار وأبوه صاحب تبرير فأعرض هو عن من أبيه واشتغل
بالعلم والعمل وحج ووصل زائراً لبيت الله المقدس، ولما قصى ليلته منه ورأى
آثار السلطان رحمه الله فيه وقع له ريارته، فوصل إليها إلى المحسكر المنصور،
فما أحسست به إلا وقد نحل علي في الخيمة، فنهته وزجيت به وسألته عن سبب
بك ووصوله فأخبرني بذلك، وأنه بوثر ريادة السلطان لما رأى له من آثار
الحميدة الجميلة. فعرفت السلطان بذلك في ليلة وصول هذا الرجل واستحضره،
وروى عنه حديثاً، ثم أنصرفنا ويات عدي في الخيمة، فلما صليت الصبح أخذ
يودعي، فبشرت له المسير بدون وداع السلطان، فلم يلتفت ولم يلق علي ذلك،
وقال "قد قصيت حاجتي منه ولا عرض لي فيما عدا رؤيته وريارته"، وأنصرف
من ساعتها، ومضى علي نك ليل فبدأ السلطان عنه فأخبرته بفعله، فظهر
عليه آثار العصب كيف لم أخبره برواجه، وقال "كيف بطرقنا مثل هذا الرجل
وبصرف عنا من غير إحسان بمسه ما"، وشدد النكير علي في ذلك. فلما وجدت
بدا من أن أكتب كتاباً إلى محيي الدين قاضي دمشق كلفته فيه السؤال عن حال
الرجل، وبصالح رقعة كتبتها إليه على كتابي، أخبره فيها بأنكار السلطان رواجه
من غير اجتماعه به، وحسنت له فيها التمود، وكان بيني وبينه صداقة تقتضي
مثل ذلك، فلما أحسست به إلا وقد عاد إلي، فرحب به السلطان، وأنبسط معه
وأمسكه يوماً، ثم خنع عليه خلعة حسنة، وأعطاه مركباً ثنياً وبها كثيرة يحملها
إلى بيته وأتبعه وجيرانه، وأنصرف عنه وهو لشكر الناس وأخلصهم دعاء لأيامه،
ولقد رأيت أنه وقد مثل بين يديه أسير إفرنجي قد أصابه كرب، بحيث أنه
ظهرت عليه أمارات الحوف والجرج. فقال لترجمان "من أي شيء يخاف"، فأجبنى
الله على إصابته أن قال كنت أخاف هل أرى هذا الوجه بعد رؤيتي أنه
وحصوري بين يديه أيقنت أنه ما أرى إلا الحير". فرق له، ومن عيه، وأطلعته
وبعد كنت ركباً في خدمته في بعض الأيام قبالة الإفرنج وقت وصل بعض
بيركية، ومعه امرأة شديدة التحوف كثيرة البكاء متولدة الدق على صدرها قال
ليركي إن هذه خرجت من عند الإفرنج. فسللت الحصور بين يدك وقد أتيت

بها"، فأمر الترجمان أن يسألها عن قصتها، فقالت "للصوص المسلمون دخلوا
البرحة إلى حيمتي وسرقوا ابنتي وبت البارحة أستغيث إلى بكرة النهار ، يقال لي
المعبوك "السلطان هو أرحم ونحن نرحك إليه نطلبين انتك منه ، فأحرجوني
إليك وما أعرف ابنتي إلا منك". فرق لها ونمعت عيها وحركته مروعها وأمر مر
ذهب إلى سوى العسكر يسأل عن الصغيرة، من اغتزاها، ويدفع به ثمنها
ويحصرها، وكان قد عرف قصتها من بكرة يومه، فما مضت ساعة حتى وصل
الفراس والصغيرة على كتفه. فما كنز إلا أن وقع نضرها عليها فحرت إلى الأرض
تعر وجهه في التراب، والناس يكون على ما نالها وهي ترفع طرفه إلى السماء
ولا تعلم ما تقول سلمت ابنتها إليها، وحملت حتى اعيت إلى عسكرهم.

وكن لا يرى الإساءة إلى من صحبه وإن أفرط في الحياده ولقد أبدل في
خزائنه كيسا من الذهب المصري بكيسين من الفوس فما عمل بالثوب شيئا
سوى أن صرفهم من عملهم لا غير.

وتقد دخل البريس أربط صاحب الكرك¹ مع ملك الإفريج بالساحل لم
أسرها في وقعة حطين في شهر سنة ثلاث وثمانين وخمسمائة (1187) والوقعة
مشهورة نجية مشروحة في موضعها² إلى شاء الله تعالى. وكان قد أمر
بمحاصرها، وكان أرباطها اللعين كافرا عظيما جبرا شديدا وكنت قد جنزت
به قافلة من مصر، حين كان بين المسلمين وبينهم هدنة، فغدره وأخذوا وكل
بهم وعذبهم وأسكنهم المطامير والحبوس الحرجة، وذكروا أنه حديث الهندة فقال
قولوا محمدكم بخلصكم، فلما بلغه رحمه الله - أنك عنه نذر له متى أظفرو الله
به قتله بنفسه. فلما أمكنه الله منه في ذلك اليوم قوى عزمه على قتله وفاء بدمه،
فأحصره مع الملك، فتكا الملك العطش، فأحصر له قنحا من شراب، فشرب منه
ثم بارله ربط، فقال السلطان للترجمان قل للملك أنت الذي سبيته وما انت لم
أسقيه من شرابي ولا أطعمه من طعامي، فقصد رحمه الله أن من أكل من
طعمي فالمرودة تقتضي أن لا لأبيه، ثم صرب عنقه بينه وفاء بدمه. وأحد عك.

(1) Renaud de Chat lion

(2) ترجم هذه القصة المتساوية حتى في أخبار تاريخ حطين

وأُخرج لأسرى كلهم من صيق الأسرى، وكانوا رهاء أربعة آلاف أسير، وأعطى كل واحد منهم نفقة يصل بها إلى بلده وأهله. هكذا بلغني على لسان جماعة، لأنني لم أحصر هذه الواقعة.

وكان حسن العشرة لطيف الأخلاق طبيب الفكاكة حافظاً لأنساب العرب ووفعهم عارفاً بسيرهم وأحوالهم حافظاً لأنساب خيلهم عالماً بعدادهم ^{تدبير} ودارهم بحيث كان يستفيد محاضره منه ما لا يسمع من غيره. وكان حسن الحق يسأل لوحد مما عن مريضه ومداواته ومطعمه ومشربه وتقلبات أحواله وكان طاهر المجلس لا ينكر بين يديه أحد إلا بخير السمع، فلا يحب أن يسمع عن حد إلا الحبر، وطاهر للنساء فما رأته ولع يشتم قط، وكان حسن العهد والوفاء فما أحصر بين يديه يتيم إلا وترحم على محله وجبر قلبه وأعطاه خبر أبيه، وإن كان له من أهله كبير يعتمد عليه سلمه إياه، وإلا أبقى له من الحبر ما يكف حاجته، وسلمه إلى من يعنى بتربيته ويكفلها. وكان لا يرى شياً إلا ويرق له ويعضيه ويحسن إليه ولم يزل على هذه الأخلاق إلى أن توفاه الله إلى مقر رحمته ومكان رضوانه.

فهذه سبب من محاسن أخلاقه ومكارم شيمه. انصرفت عليها خوب ^{إطالة} والسامة وما سطرت إلا ما شاهده أو أحرسي ثقة به وحققته وهذا بعض ما اطبعت عليه في زمان خدمتي له وهو يسير فيما طلع عليه غيري من طالت صحبته وتقدمت خدمته ولكن هذا القدر يكفي الأديب في الاستلال على طهارة تلك الأخلاق والخلال.

(1) أي أنه كان يحضر له كلاً أو قسم مما كان مخصصاً لأبيه إذا كان في سوطها عسكرياً أو
مسيحياً

من المعروف أن 1187/583 كان عام النصر الذي توج الحملات الإسلامية التي قادها صلاح الدين. فقد انتصارات حطين المدوية، والتي دأ، أها، حطمت قوى الصليبيين في الأراضي العفصة، بدأت تتساقط كثير من مراكزهم بسحلية، ثم حدثت الحسارة الكبيرة التي أصابت العالم المسيحي برجوع العصر للمسلمين واستلامها بطريقة سطعت فيها لاسنية السلطان الايوبي وحكمة تدبيره. سيرشد في رواية هذه الأحداث كل من عماد الدين وابن الاثير (أما بهاء الدين فقد كان شاهد صيا من عام 1188 فقط): ويستشهد بالمصدرين السابقين لرواية وقائع حطين واستسلام القدس، على أنه من المفيد مقارنة مفاصلهما ببعضهما من سواحي الشكل والمضمون، إذ أن اعتنا ابن الاثير ووصوح روايته ورصاسته جعلت نغمها على الرواية المطررة للمتعة التي كتبها عماد الدين، مع أن هذا هو شاهد أقوى لأنه عاش عن قرب الوقائع المروية.

وقائع حطين

(ابن الاثير، 11/347-351)

بكر الخيل الفريخ بالشام، وانحياز القمص صاحب طرائس إلى صلاح الدين كان القمص، صاحب طرائس، واسمه ريمد بن ريمد الصنجيني، قد شروح بالقومصة، صناعية طبرية⁽¹⁾، وانتقل إليها، وأقام عندها بطينة. ومات منك الفريخ بالشام، وكان مجنونا⁽²⁾. وأوصى بالملك إلى ابن أخت له، وكان

(1) انكوب ريمد الثالث of Saint Gilles

(2) انكوبش Lchuve

(3) بالنوين الرابع (1174-1185)

صغيراً^(١)، فكفله القمصر، وقام بمراسمة الملك ونصيره لأنه لم يكن لفرنج ذلك الوقت أكثر منه عدائاً، ولا لشخ رأت مئة، فطمع في الملك بسبب هذا الصغير، فاشق أن الصغير توفي، فانتقل الملك إلى أمه، فظل ما كان القمصر يحدث نفسه [به] ثم إن هذه الملكة^(٢) هربت رجلاً من الفرنج الذين قدموا لشتم من العرب اسمه كي، فروحته، ونقلت الملك إليه، وحطت التاج على رأسه، وأحصرت البطرك، والقنوس، والرهبان، والانسارية، والداوية، والبرويية، وأعلمتهم أنها قد ردت الملك إليه، وأمهنتهم عليها بذلك، فلطمعوه، ودموا له، فعمم ذلك على القمصر، وبعط في دينه، وطولب بحساب ما حبس من الأموال مئة ولاية لك الصبي، فادعى أنه لنفقة عليه، ورادة ملك ثوراً، وجار بالمشافة والمباينة، وراسل صلاح الدين، وانتمى إليه، واعتصم به، وطلب منه المساعدة على بلوع عرصه من الفرنج. ففرح صلاح الدين والمستنصر بذلك، ورحله الحرة، والسفي له في كل ما يريد، وصمن له أنه بجعله ملكاً مستقلاً للفرنج فاطبته، وكان عنده جماعة من فرسان القمصر أسرى واطنقته. فحل ذلك عنده أعظم محلاً، وأظهر طاعة صلاح الدين، وواقفه على ما فعل جماعة من الفرنج، فاختلفت كلمتهم وتفرق شملهم، وكان ذلك من أعظم الأسباب الفوجبة لنشج بلادهم، واستنقاد النبيذ المقدس منهم، على ما تنكره ابن شاء الله. وسير صلاح الدين السرايا ناحية طبرية، فشدت العارات على بلاد الفرنج، وخرجت سالمة خالصة، فوهن الفرنج بذلك، وصغفوا ونجراً المملوكون عليهم، وضمفوا فيهم.

نكز غدر البرنيس أرناط

كان البرنيس أرناط. صاحب أنكر^(٣)، من أعظم الفرنج وأخبتهم، وأشدهم عدوة للمسلمين، وأعطبهم صرراً عليهم، فلما رأى صلاح الدين ذلك منه قصد

(١) بالبرنيس الخامس، مات في 1186 بعد عدة أشهر من توليه تملك إسمياً

(٢) Sibla أحد بالدوين الرابع ولم ياتقون الخامس وزوجة دانية لغريغو دي لورييه.

Gunde di Casignano

(٣) كركا معاب في شرق الأردن وكلفت شرف على طريق يصل بين مصر وسورية كما بين سرية والحجر

بأنحصر مرة بعد مرة، وبالعارة على بلاده كزة بعد أخرى، فذل، وحصص، وطلب
الصالح من الدين، فأجابه إلى ذلك، وهادئة وتحالفا، وتردده العواقل من
الشام إلى مصر، ومن مصر إلى الشام.

فلما كان هذه السنة (1186/582-1187) اجتمع به فاقلة عطيمة عربية
الأموار، كثيرة الرجال، ومعها جماعة صالحة من الأخذاء، وعدد اللعير بهم،
وأخذهم عن حرهم، وعدم أموالهم ونوابهم وسلاحهم، وأزدهم الشجون من أسره
منهم فأرسل إليه صلاح الدين بأموه، ويقبح فعله وعدره، ويثبته إن لم يطلق
الأسرى ولأموال، فم يوجب إلى ذلك، وأصر على الامتناع، فسر صلاح دين
شرا أن يفعله إن ظهر إليه، فكار ما تنكره إن شاء الله تعالى

ذكر حصر صلاح الدين الكرك

في هذه السنة (1187/583) كتب صلاح الدين إلى جميع البلاد يستنفر
الناس للجهاد، وكتب إلى الموصل وديار الحريرة وإربل وغيرها من بلاد الشرق،
وإلى مصر وسائر بلاد الشام، بدعوتهم إلى الجهاد، ويحثهم عليه، وبأمرهم
بالتجهز له بغاية الإمكان، ثم خرج من دمشق، لواخر المحرم (نيسان) إبريل
(1187)، في عسكرها الحاضر، فإر إلى رأس الماء، وتلاحقت به العسكر
الشامية، فلما اجتمعوا جعل عندهم ولده الملك الأفضل عليا ليجمع إليه من يرد
إليه ملها، وسار هو إلى بصرى، جريده. وكان سبب مسيره وقصده إليه أنه أتته
لأخبار أن الرئيس أرباط، صاحب الكرك، يريد أن يقصد الخجاج ليأخذهم من
طريقهم، وأظهر أنه إنا مرغ من أخذ الخجاج يرجع إلى طريق العسكر المصري
يصده عن الوصول إلى صلاح الدين، فإر إلى بصرى لتطلع الرئيس أرباط
من طيب الخجاج، ويلزم بلدة حوفا عليه.

وكان من الخجاج جماعة من أقاربه منهم محمد بن لاجين، وهو بن أحد
صلاح الدين، وعززة، فلما سمع أرباط بقرب صلاح الدين من بلدة لم يكرهه،
وانقطع عما طمع فيه، فوصل الخجاج سالمين. فلما وصلوا وهرغ سرده من جهنهم
سار إلى الكرك محصرة وصنق عليه وانتظر وصول العسكر المصري، فوصلوا

إليه على أنكره، وبث سرابيه من هناك على ولاية أنكره والشونك وغيرهما، فهنوا
وحربوا واحرقوا، والوثمن محصور لا يقدر على التمتع عن بلد.

وسائر الفرنج قد لزموا طرف بلادهم، حرقا من العسكر الذي مع ولده
الأفضل، فتمكن من الحصر والنهب والتخريب والتخريب، هذا فعل صلاح الدين

بكر الغارة على بلد عكا

أرسل صلاح الدين إلى ولده الأفضل بأمر أن يرسل فصعة صالحة من
الجيش إلى بلد عكا ينهبونه ويحرقونه، فسير فطرح الدين كوكبري إلى رب الدين،
وهو صاحب حران والزها، وأصاب إليه قائماز النجسي وبلزق الياروقي - وهم
من أكابر الأمراء - وغيرهما فصاروا ليلا، وصبنوا صفورية أواخر صفر (1
يار مايو 1187)، فخرج إليهم الفرنج في جمع من الدارية والإسبانية وغيرهم،
فالتقوا هناك، وجرت بينهم حرب تسبب لها انفارق السود.

ثم أزل الله تعالى نصره على المسلمين، فلبس الفرنج، وأنت منهم جماعة،
وأمر أياقوب، وهمن لقب مقدم الاسبانية، وكان من فرسان الفرنج المشهورين،
ولله الكدسات الأعظيمة في المسلمين، رهب المسلمين ما جاورهم من البلاد،
وغنموا وسبوا، وعادوا بدمين، وكان عودهم على حميرة، وبها القمص، فلم يكر
ذلك، فكار فتحا كثيرا، فإن الدارية والإسبانية هم حرد الفرنج، وسيرت البشائر
إلى البلاد بذلك.

ذكر عود صلاح الدين إلى عسكره ودخوله إلى الفرنج

لما أنت صلاح الدين البشارة بهزيمة الإسبانية والناوية، وقتل من قتل
منهم، وسر هو أمر، عذ عن أنكره إلى العسكر الذي مع ولده الأفضل، الأفضل،
وقد نلاحظ سائر الأملاك والعسكر، واجتمع بهم، وساروا جميعا وعرض
لعسكر، فبلغت عندهم اثني عشر ألف فارس معن نه الأقطاع والحاكمية، سوى

Roger des Moulins

(2) سيرورة وروايت عسكرية (ترجمة عن غابرييلي)

الْمُنْظُوعِ، فَعَبَأَ عَسْكَرَهُ فَلَمَّا وَحَنَاحِيهِ، وَمِيمَنَةً وَمِيسَرَةً وَجَالِسِيَّةً وَسَاقَةً، وَعَرَفَ كُرُ
 مِنْهُمْ مَوْصِعَهُ وَمَوْقِعَهُ، وَأَمَرَهُ بِمَلَأَرَمَتِهِ. وَسَارَ عَلَى تَغْنُتَةٍ، فَدَرَسَ دَالِ الْأَقْصَاةِ بِقُرْبِ
 صَبْرِيهِ، وَكَانَ الْقَمُصُ قَدْ لَفَتَنِي إِلَى صَلَاحِ النَّبِيِّ، كَمَا تَكَرَّبْنَا، وَكُنْتُ مُتَّصِلَةً بِهِ
 بِعَدَةِ أَنْصَرِهِ، وَيُمْنِيهِ الْمُعَصِدَةِ، وَمَا يَعْذُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا (١) فَلَمَّا رَأَى الْفَرَجُ
 جَمَاعَ الْعَسَاكِرِ الْإِسْلَامِيَّةِ، وَتَصَنُّعِي الْعَرَجَ عَلَى قَصْدِ بِلَادِهِمْ، أَرْسَلُوهُ إِلَى الْقَمُصِ
 لِيُطْرِكَ وَالْفُسُوسَ وَالزُّهَّانَ، وَكَثِيرًا مِنَ الْقُرَسَانِ، فَأَتَكَّرُوا عَلَيْهِ لِيُثَمِّمَهُ إِلَى صَلَاحِ
 الدِّينِ، وَقَالُوا لَهُ: لَا مَبْذَلَ لَكَ أَسْلَمْتَ، وَالْأَلَمُ تَصْنَعُ عَلَى مَا فَعَلَ الْمُسْلِمُونَ أَمْسَ
 بِالْفَرَجِ، يَفْتُلُونَ الدَّلُوبَةَ وَالْإِسْتِثَارَةَ، وَيَأْسِرُونَهُمْ، وَيَخْتَارُونَ بِهِمْ عَلَيْكَ، وَأَنْتَ لَا
 تُكْرَهُ ذَلِكَ وَلَا تُنْصَحُ عَنْهُ. وَوَأَقْبَهُمْ عَلَى ذَلِكَ مَنْ جَدَّ مِنْ عَسَاكِرِ طَبْرِيَّةٍ وَطَرَبُلُسَ،
 وَتَهَذَّاهُ الْبَطْرُكُ أَنَّهُ يَهْرُمُهُ، وَيَصْحُ نِكَاحُ زَوْجَتِهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ مِنَ التَّهْدِيدِ. فَلَمَّا
 رَأَى الْقَمُصُ شِدَّةَ الْأَمْرِ عَلَيْهِ خَافَ، فَأَعْرَضَ وَتَوَصَّلَ بِرَأْبٍ، فَقَبِلُوا عُذْرَهُ، وَغَفَرُوا
 رَأْيَهُ، وَصَلُّوا مِلَّةَ الْمَوَاقِفَةِ عَلَى الْمُسْتَمِينِ، وَالْمَوَازَرَةِ عَلَى حِفْظِ بِلَادِهِمْ، فَأَجَابَهُمْ
 إِلَى الْمُصَالَحَةِ وَالْإِلْصَاقِ إِلَيْهِمْ، وَالْإِجْمَاعِ مَعَهُمْ. وَسَارَ مَعَهُمْ إِلَى مَلِكِ الْفَرَجِ،
 وَاجْتَمَعَتْ كُلُّهُمْ بَعْدَ فُرْقَتِهِمْ، وَلَمْ نَحْضَرْ عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا، وَجَمَعُوا فَرِسَهُمْ
 وَرَاجِلَهُمْ، ثُمَّ سَارُوا مِنْ عَنَّا إِلَى صَفُورِيَّةَ، وَهُمْ يُعْمَلُونَ دِجْلًا وَيُوْخَرُونَ أُخْرَى، قَدْ
 مَلَأَتْ قُلُوبَهُمْ زُهْنًا.

معركة حطين

(ابن الأثير، 11/355-351)

نُكِرَ فَتَّحَ صَلَاحُ الدِّينِ طَبْرِيَّةَ

لَمَّا جُمِعَ الْفَرَجُ وَسَارُوا إِلَى صَفُورِيَّةَ، جَمَعَ صَلَاحُ الدِّينِ أَمْرَاءَهُ وَوُزَرَاءَهُ
 وَاسْتَشَارَهُمْ، فَأَمَّارَ أَكْثَرُهُمْ عَلَيْهِ بِتَرْكِ الْقَدَمِ وَلَنْ يُصْغَبَ الْفَرَجُ بِشَيْءٍ نَعَارَتِ،

(١) قرآن (الحريم) الآية 120 سورة 4 (النساء)، والآية تروى في سورة أخرى، إلا أن غريبيني ذكر
 الآية 19 من السورة السابقة، وهذا خطأ.

وخراب بولانيات مرة بعد مرة. فقال له بعض أمرائه: الرأي عندي أنك تجوس بلادهم، ونهب، وتخرب، وتحرق، وحتبي، فإن وقف أخذ من المعسكر أفرج بين أيديهم، فإن الناس بالمشرق يلعنونا ويقولون نرك قتال الكفار، وأقبل يريد فقال المسلمين، الرأي أن نعمل فعلاً نخدع فيه ونكف الألسنة عنا فقال صلاح الدين: الرأي عندي أن نلقى بجمع المسلمين جمع الكفار، فإن الأمور لا تجري بحكم الإنسان، ولا نعلم قدر الباقي من أعضائنا، ولا ينبغي أن نفرق هذا الجمع إلا بعد الجهد بالأحقاد. ثم رحل من الأقحوانة اليوم الخامس من نزوله به، وهو يوم الخميس لسبع بقين من ربيع الآخر (2 تموز/يولية 1187)، فدار حتى حلف طبرية وراء ظهره، وصعد جبلها، ونظم حتى قارب الفرينج، هم يز منهم أحتا، ولا فارقوا حياتهم، فنزل وأمر المعسكر بالنزول.

فلما جئنا الليل جعل في مقابل الفرينج من يمنعهم من الفتل، ونزل جريدة إلى طبرية وقائلها، ونقب بغص أبراجها، وأحد المدينة عذوة هي لينة، ولجا من بها إلى القلعة التي لها. فامشغوا بها، وفيها صاحبها، ومعها أولادها، فلهب المدينة وأحرقها.

فلما سمع الفرينج لزول صلاح الدين إلى طبرية ومملكة المدينة، وأخذ ما فيها، وأحرقها، وأحرق ما تحلف مما لا يحضر، اجتمعوا للمشورة، فأشار بعضهم بالتقدم إلى المسلمين وهالهم، ومنعهم عن خبرته. فقال القسطنطين: إن طبرية سي ولزوجتي، وقد فعل صلاح الدين بالمدينة ما فعل. وبقي القلعة، وفيها زوجتي، وقد رخصت أن يأخذ القلعة وزوجتي وما لنا بها ويغزو، هو الله لقد رأيت عسكر الإسلام ليس وحدينا ما رأيت مثل هذا المعسكر الذي مع صلاح الدين كثرة وقوة، ولا أحد صبره لا يمكنه المعام بها، فمشى فارقها وعاد عنها أحداها، وإن أقام به لا يقدر على المعام بها إلا بجميع عساكره، ولا يقدر على الصبر طول الزمان عن أوصالهم وأهليهم فتصطروا إلى تركها، وتفتك من أسر منا. فقال له برنس رباط، صاحب الترك: قد أطلت في التحريف من المسلمين، ولا شك أنك تريد، ومنين إليهم، وإلا ما كنت تقول هذا. وأما قولك: إنهم كثيرون، فإن النار لا يصرف كثرة الحطب. فقال: لنا واحد منكم إن تقمتم تقمتم، وإن تأخرتم - أخرت،

وَسَرُّوا مَا يَكُونُ. فَقَوِيَ غَزْوُهُمْ عَلَى النَّفَقِ إِلَى الْمُتَمَلِّينَ وَقَتَالِهِمْ، فَرَحُّوا مِنْ مُعَسَّكَرِهِمُ الَّذِي لَرْمُوهُ، وَقَرَّبُوا مِنْ عَسَاكِرِ الْإِسْلَامِ، فَلَمَّا سَمِعَ صِلَاحُ الْإِسْلَامِ بِسَلَكِ عَادَ عَنْ طَبِيعَةِ الْإِسْلَامِ وَكَانَ قَرِيبًا مِنْهُ، وَإِنَّمَا كَانَ قَصْدُهُ بِمُحَصْرَةِ صَبْرِهِ أَنْ يَغَارِقَ الْفَرَجَ مَكَاتِهِمْ لِيَتِمَّكَرَ مِنْ قَتَالِهِمْ. وَكَانَ الْمُتَمَلِّينَ قَدْ بَرَزُوا عَلَى الْمَاءِ، وَلَرَّمَانُ هَيْطَ شَدِيدِ الْحَرِّ، فَوَجَدَ الْفَرَجُ لِقَاعُشَ، وَلَمْ يَتِمَّكَرُوا مِنَ الْوُصُولِ إِلَى ذَلِكَ الْمَاءِ مِنَ الْمُتَمَلِّينَ، وَكَانُوا قَدْ لَقُوا مَا هَدَاكَ عَنْ مَاءِ الصَّهَارِيجِ وَمِنْ يَتِمَّكَرُوا مِنَ الرَّجُوعِ حَوْفٍ مِنَ الْمُتَمَلِّينَ، فَبَرَزُوا عَلَى حَاتِبِهِمْ إِلَى الْعَدُوِّ، وَهُوَ يَوْمُ السَّيْبِ، وَفِي ذَلِكَ الْعَطَشِ مِنْهُمْ. وَأَمَّا الْمُتَمَلِّينَ فَلَهُمْ يَوْمٌ، وَكَانُوا مِنْ قَبْلِ بِحَافِزِهِمْ، فَيَاثِرُ بِحَرَصٍ بِمُحَصْرِهِمْ بَعْضًا، وَقَدْ وَجَدُوا رِيحَ النَّصْرِ وَالظُّفْرِ، وَكَلَّمَا رَأَوْا خِلَالَ الْفَرَجِ خِلَافَ عَادَتِهِمْ مِمَّا رَكِبَهُمْ مِنَ الْحَذَلِ، رَأَوْا طَمَعَهُمْ وَجَزَائِهِمْ، فَكَثَرُوا التَّكْبِيرَ وَتَهْلِيلَ طُورِ لَيْلَتِهِمْ، وَرُبَّ السُّلْطَانِ تَكَلَّمَ لَلْأَيَّةِ الْجَالِيَّةِ⁽¹⁾، وَفَرَّقَ فِيهِمُ النَّشَابَ

نُكْرُ انْهَزَامِ الْفَرَجِ بِحَطَرِينَ

أَصْبَحَ صِلَاحُ الدِّينِ وَالْمُسْلِمِينَ يَوْمَ السَّيْبِ لِحُصْنٍ بَقِيَتْ مِنْ رِبْعٍ لِأَحْمَدَ (4) تَمُورٍ (يُولِيَّةُ 1187)، فَرَكِبُوا وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْفَرَجِ، وَدَنَا بِمُحَصْرِهِمْ مِنْ بَعْضٍ، لَا أَنْ الْفَرَجِ قَدْ اسْتَدَّ بِهِمُ الْعَطَشُ وَانْحَدَلُوا، فَانْتَلَوْا، وَلَشَدَّ الْقِتَالُ، وَبَصُرَ الْفَرَجُ، وَرَمَى جَالِيَّةُ الْمُتَمَلِّينَ مِنَ النَّشَابِ مَا كَانَ كَالْحَرَادِ الْمُتَشْرِبِ، فَقَتَلُوا مِنْ خِيَابِ الْفَرَجِ كَثِيرًا. هَذَا الْقِتَالُ بَيْنَهُمْ، وَالْفَرَجُ قَدْ جَمَعُوا نَوَاصِيَهُمْ بِرَأْسِهِمْ وَهُمْ يُقَاتِلُونَ سَائِرِينَ، يَخُو طَبِيعَةَ، لَعَلَّهُمْ يَرُدُّونَ الْمَاءَ. فَلَمَّا عَلِمَ صِلَاحُ الدِّينِ مَقْصِدَهُمْ صَدَّهُمْ عَنْ مَرَادِهِمْ، وَرَقَبَ بِاتِّعَاكِهِمْ فِي وَجُوهِهِمْ، وَطَلَفَ بِنَصْرِهِ عَلَى الْمُسْلِمِينَ بِحَرَصِهِمْ وَيَاْمَرُهُمْ بِمَا يَصْلَحُهُمْ وَيَنْهَاهُمْ عَمَّا يَصْرِفُهُمْ، وَالنَّاسُ يَأْمُرُونَ لِقَوْلِهِ وَيَقْوُونَ عَدُوَّهُمْ، فَحَمَلَ مَمْلُوكٌ مِنْ مَمَالِيكِهِ الصَّبِيَّانِ حِمْلَةَ مَفْكَرَةٍ عَلَى صَفِّ الْفَرَجِ، فَقَتَلَ قَدْ لَا عَحَبَ مِنْهُ النَّاسُ، ثُمَّ تَكَثَّرَ الْفَرَجُ عَلَيْهِ فَقَتَلُوهُ فَحَبَسَ قَتْلَ حِمْلِ الْمُسْلِمِينَ حِمْلَةَ مَكْرِهِ صَعَصَعُوا الْكَفَارَ، وَقَتَلَ مِنْهُمْ كَثِيرًا، فَلَمَّا رَأَى الْقَمَصُ شِدَّةَ لَامِرٍ، عَلِمَ

(1) طَلَعَ النَّشَابِ (مَرْجَعُهُ عَنْ غَيْرِيَّةِ)

إنهم لأصاغة لهم المسلمين، فانفق هو وجماعة وحملوا على من يليهم، وكان المقتم من المسلمين، في تلك الناحية، بقي الذين عمر ابن أبي صلاح الدين، فلما رأى حنة الفرنج حنة مكروب، علم أنه لا سبيل إلى الوقوف في وجهه. فأمر أصحابه أن يفتحوا لهم طريقاً يخرجون منه.

وكان بغص المطوعة من المسلمين قد لقي في تلك الأرض سراً، وكان الحشيش كثيراً فحرق، وكانت الرياح على الفرنج فحملت حر النار والسحر إليهم، واجتمع عليهم العطش، وحر الزمان، وحر النار، وتناحى، وحر القل، فلما سهرم القمصر سعد في أيديهم وكانوا يمتثلون، ثم عموا أنهم لا ينجيهم من الموت إلا لأفام عليه، فحملوا حملات متوكة كانوا يربلون إليها المسلمين، على كثرتهم، عن مواقفهم لولا لطيف الله بهم إلا أن الفرنج لا يحملون حنة فزجفون إلا وقد قهر منهم، فوهوا لملك وقتاً عظيماً، وأعطاهم يوم المسلمين إحاطة الذلقة بقطر، فارتفع من بقي من الفرنج إلى تل بناحية حطين، وأرأوا أن يتصبوا خيامهم، ويحرقوا نفوسهم به، فاشتد القتال عليهم من سائر الجهات. ومنعهم عما أرادوا، ولم يمتثلوا من صلب خيمة غير خيمة ملكهم. وأخذ المسلمون صلبهم الأعظم الذي يسؤونه صليب الصلوات، ويذكرون أن فيه قطعة من الخشب التي صلب عليها المسيح (1) - عليه السلام - برغمهم، فكان أخذوا عذبتهم من أعظم المصائب عليهم، وأيقنوا بغده بالقتل والهلاك. هذا القتل والأسر يعمدان في قلوبهم ورجائهم، فبقي الملك على ذلك في مقدار مائة وخمسين فارساً من الفرسان المشهورين والشجعان المذكورين.

1) يقرأ الفران (الكرام) أن الذي صلب هو شخص آخر وليس شخص يسوع المسيح، وهذا بعكس (كذلك) مذاهب دوسية Ducista (المتروية) جاء في موسوعة ويكيبيديا أن: القريسية هي مذهب مسيحي يتفق بطبيعة المسيح الحقيقية. أصل الاسم من فعل في اليونانية يعني 'الظهور' و 'الظاهر' وبهذا قيل للصليب يحق أن الاله المسيح وطبيعته البشرية ليست لا أمور طائفية وغير حقيقية. وقد تطور المذهب بين أفراد العنوصيين من أوس المسيحيين اسير ثار ضد مالتيرود فصيحة الصليب، خاصة وأن بعضهم ظن فكرة - المسيح تم بصليب لأن شخصاً آخر وضع محله على الصليب أو أن حادثه صلب المسيح على سجنه كانت مجرد وهم بل أن هؤلاء كمن يعتقدون أن كل ما شهد من حياة المسيح كان دائماً على وهم الآخرين وقد وجد هذا المذهب عدة أصناف خلال تاريخ المسيحية عبر العصور وظهر تحت عدة مسميات ومذاهب).

فحكى لي عن الملك الأفضل وقد صلاح الدين قال: تكلت إلى جنب أبي في ذلك المصاف، وهو أول مصاف شاهنة، فلما صار ملك الفرنج على التل في تلك الجماعة حملوا حملة متكررة على من بارأيتهم من المسلمين حتى أحرقهم بوالدي. قال: فمطرز إليهم، وقد غلة كاية، ولزيد لوتة، وأمسك بلحبه، وتقدم، وهو يصيح، كذب الشيطان، قال: فعاد للمسلمون على الفرنج، فراحوا إلى التل، فلما رأيت الفرنج قد عاثوا، وللمسلمون يتغوثهم، صبحت من فرجي. هربوا هربا هرا، الفرنج فحملوا حملة ثانية من الأولى حتى أحرقوا المسلمين بوالدي، وفعل مثل ما فعل أولا. وغلب المسلمون عليهم فالحقوهم بالتل، فصحت لنا أوص: هربوا هرا! فالتفت والدي إلي وقال: "سكت" ما تهرمهم حتى تنفط تلك الحيمة، قال: فهو يقول لي، وإذا الحيمة قد سقطت، فزل السلطان وسجد شكر لله تعالى، وبكى من فرجه. وكان سبب سقوطها أن الفرنج لما حملوا تلك الحملات لزيادوا عطشا، ولقد كانوا يزجون الخلاص في بعض تلك الحملات مما هم فيه، فلما لم يجدوا إلى الخلاص طريقا، نزلوا عن نوابهم وجلسوا على الأرض، فصعد المسلمون إليهم، فالتقا خيمة الملك، وأسروهم على بكره أبيهم، وفيهم الملك⁽¹⁾ وأخوه، والبرنس أرطغرل صاحب الكرك، ولم يكن للفرنج أشد منه عداوة للمسلمين.

وأسروا أيضا صاحب خيبر، وابن هجري، ومقدم الدلوية⁽²⁾، وكان من أعظم الفرنج شأنا، وأسروا أيضا جماعة من الدلوية، وجماعة من الاسيثرية، وكثر القتل والأسر فيهم، فكان من يزي القسى لا يطرأ أنهم أسروا واحدا، ومن يزي الأسرى لا يطرأ أنهم قتلوا أحدا، وما أصيب الفرنج، منذ خرجوا إلى الساحل، وهر سنة يخذى وتسعين وأربع مائة (1098) إلى الآن، بمثل هذه النوبة.

فلما هرع المسلمون منهم بزل صلاح الدين في حيمه، وأحضر ملك الفرنج عنه، وبرنس صاحب الكرك، وأجلس الملك إلى جانبه وقد أهلكه العطش، فسود ماء مشرب، فأعطى قسلة برنس صاحب الكرك، فشرب. فقال صلاح الدين: "إني هذا الملعون لم يشرب الماء بلاني قبيل أمانى"، ثم كلم البرنس،

(1) غريغو دي لورديانو

(2) المعصم الكبير Gerard de Rudefort

وفرعه بنو به، وعند علي غدرته، وقام إليه بنفسه فضرب رقبته، وقال "كس
 شرت دفتين ان اقله ان طقت به: إحداهما لما أزد العسير إلى مكة والمدينة،
 والثانية لما أخذ الفحل غزاة، فلما قلته وسحب وأخرج ازبعت هرائص المسك،
 فسكن حاشة وأمة. ولما القمص: صاحب طرائس، فإله لما جا من المعركة،
 كما ذكرناه، وصل إلى صور، ثم قصد طرائس، ولم يلبث إلا أيام قلائل حتى
 مات غيظاً وحنقاً مما جرى على الفرنج خاصة، وعلى دين النصرانية عامة.

يُكرّر عود صلاح الدين إلى طبرية، ومثلك قلعتها مع المدينة

لما فرغ صلاح الدين من هزيمة الفرنج أقام بموصعه باقي يومه، وأصبح
 يوم الأحد، فعاد إلى صبريه وبارزها، فأرسلت صاحبها تطلب الأمل لها والأولادها
 وأصحابها ومالها، فأجابها إلى ذلك، فخرجت بالجميع، فوقى لها، فسارت أمة، ثم
 أمر بالملك وجماعة من أعيان الأسرى فأرسلوا إلى دمشق، وأمر بمن أسر من
 الذوينة والسيثارية أن يجمعوا ليقتلهم. ثم علم أن من عنده أسير لا يسمح به إلا
 بزجر من هائله، فدخل في كل أسير من هذين الصنفين خمسين سبازاً مصرية،
 فأحصر عدده في الحال مائتا أسير منهم، فأمر بهم فصرخت أغنائهم. والم خص
 هؤلاء بالقتل لأنهم أخذوا شوكه من جميع الفرنج، فأراح الناس من شرهم، وكُتب
 إلى نائبه بدمشق ليقتل من دخل البلد منهم سواء كان له أو لغيره، ففعل ذلك،
 ولقد اجترأت بموضع التوقعة بعدها بنحو سنة، فلبثت الأرض مملأى من عظامهم
 تبين على بُعد، منها المجتمع بفصه على بخص، ومنها المفترق، هذا سوى ما
 جحفه أسير، وأحدثه السباع في تلك الأكنم والوهاد

دخول السلطان صلاح الدين بالمسكر إلى ديار الفرنج

(عند الدين، 18-29)

أصبح بالمحرم عارضا من المعسكر، لعارض تجاج، وبحر بالعجاج عجاج،
 وحصة بالصواهل السوايح والمناصل والصفتاح ذي أمواج. وقد رتب أبطاله

وإطلابه، وسحب على وجه الأرض سحابة، ونقل به من الثرى إلى الثرى ثراه،
وطار إلى السر للواقع من الخبار غرابه. وقد فُتق القضاء ختام انعام، وشنت
لشناد كُتِبَ الكُتِبَ على حمام الحمام، وحتت سلوع الحايا على أحنه السهام.
كُفِلَت العوجاء بالمعتنة، وضمت للمنقلة إلى المنقلة، ووقفت الأوتار بالأوتار،
وثار كل طَلَب لطلب الثأر. ووقف السطال يوم العرص يرتب العسكر ترتيباً،
ويؤنه بجوبه، ويهيئه بعيداً وقرباً. وقرّر لكل أمير أمراً، ولكل مقدم مدم، ولكل
موفق موقفاً، ولكل كمين مكاناً، ولكل قُزَن قُزناً، ولكل جمر مطعم، ولكل جمع
مكاناً، ولكل زبد مورياً، ولكل حدّ مُمَيِّب، ولكل قضية حُكماً، ولكل حبة سهم،
ولكل يمين مَقْصِياً، ولكل يمانٍ مَقْصِياً، ولكل صامر مصمراً، ولكل معوار مغراً،
ولكل ريم مُرْتَمِياً، ولكل نيم منتمياً، ولكل ساج مسمياً، ولكل اسم مسمياً، وعُيِّن لكل
أمير موقفاً في المهمة والميسرة لا ينقل عنه، ولا يغيب جمعه ولا يبرح أحد منه.

وأخرج الجاليشية الزُمامة للكماء من كل طَلَب، ووهتى كل حرب يقربه من
حرب. وقال: "إذا دخلنا بلد العدو، عهدت هبأة عساكرنا، وصورة موارد، ومصادر،
ومواضع أطلابنا، ومطالع أبطالنا، ومصارع استتنا، وشوارع أعنتت، ومبشرين
جُردنا، وبساتين وزدنا، ومناقب صرود، ومصارف وقوفنا، ومزجي مرمنا،
ومجالي مجالد". وقوى الأمل بما بنه من الأموال، وحقق في البجار بمواعيد
وإباح المقاصد رجاء الرحال. وجمع العدد، وفرق العدد، ووهب الجهاد وأجاد
الموهب، ورجب في المعطيا وأعطى للريغب، وبشر الخزلن، وبشرك الكائن، وأنفق
الدخائر، واستنفذ كرائمها والأخاير، وقسم أحمال للشباب، ففرق الناس منه بأكثر
من مله الجعاب. وأجرى الجُرد وأجنى الأحقاد، وأدكى المذاكي وأشهد الإشهد،
وأدال مناقب المناقب، واستمال معاطف المعاطب، وقوى المعاطع، وروى الزواضع.
وعاد إسي المحيّم مسروراً محبوراً، مقبولا مدوراً، موفوراً مشكوراً وقد رُتّب وربّت
وقُتِبَ وكُتِبَ وثبتت وننتت. قد برّ عمله، وأبرّ أمله، وطلح بشره، ولاح بشره، وتأكّج
رياه^(١)، وتبلّج محياه، وأيقظ بالظفر وظفر اليقين. وأمر إلى الدعوة المستدعية إسي
المسير، وتبشّر باوضاح عرايه الميامين، وإيضاح إعرابه في إقصاء دين الدين.

(١) ترجمها غابرييلى (فاح عطره).

وأَسْهَجَ الحِيلَ وَلَهَجَ الحِيرَ، وَمُنَزَّ بِمَرِّهِ بِمَا سَرَّيَ لَهُ مِنْ وَجْهِ السَّيْرِ، وَشَدَّ خُرْمَ الْحَرَمِ، وَجَدَّ فِي الْعَرَمِ الْجَرَمَ، وَقَتَمَ الْإِسْرَاجَ لِلْإِسْرَاءِ، وَأَلْجَمَ لِلْعَرَابِ لِلْعَرَاءِ، وَرَحَلَ يَوْمَ الْجُمُعَةِ سَابِعَ عَشَرَ شَهْرَ رَجَبِ الْآخِرِ (27 حَزِيرَانُ يُونِيَّةُ 187) سَوْفِيْقُ مَسَامِيرِهِ، وَالنَّسِيْدُ مَرَابِرُهُ، وَالنَّمَكِيْنُ مَضَافَرُهُ، وَالسَّعْدُ مَظَاهِرُهُ، وَالْجَدُّ مَكَاثِرُهُ، وَالسَّيْمِرُ مُحَاصِرُهُ، وَالْعَرَى مَسَامِرُهُ، وَالنَّظَرُ مَجَاوِرُهُ، وَالْإِسْلَامُ مُشَاكِرُهُ، وَنَادَى عَرَّ وَجَرَ حَاصِرُهُ. وَسَارَعَ نَهْيَاً الَّتِي قَدَمْنَا نَكْرَهَا مِنَ الْمَنَاقِبِ الْمُفَقَّهَةِ، وَالْكَتَائِبِ الْمَكْتَبَةِ، وَالْمَرْسِيَةِ الْمَرْبِيَةِ، وَتَعَذَّبَ الْمَهْدِيَّةَ، وَالْمُعْتَزَّهَ الْمَجْتَبِيَّةَ، وَالصَّوَابِيَّ الْمَجْتَبِيَّةَ، وَتَقَوَّصَبَ الْمُقَرَّبِيَّةَ، وَالْعَالِيَّ الْمَرْبِيَّةَ، وَاللَّهَادِيَّ لِلْهَيْمَةِ، وَالْمِلَادِيَّ الْمِلَادِيَّةَ، وَالصَّرَاحَ الْمَصْغُوعَةَ، وَحَيَّمَ عَلَى حَبْلِي وَقَدْ أَتَى إِلَهُ النِّصْفِ بِالْعَوِّ وَحُسُوفِهِ، وَكُفِّ الْمَكْرِ وَكُفُوفِهِ، رِيَّاتٍ وَتَوَجُّهَ سَافِرَةٍ، وَتَعَبُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ سَاهِرَةٍ، وَالْأَجْدِيَّ لَسِيْبِ لَأَنِّ شَاهِرَةٍ، وَالْأَنَسَ لِأَنَعِدِ اللَّهِ مُشَاكِرَةٍ، وَتَقَرَّبَ بِالْإِحْلَاصِ عَامِرَةٍ، وَالْأَنَسَ لِلْأَنَسِ مَسَامِرَةٍ، وَالْأَقْدَامَ بِالْأَقْدَارِ مَظَاهِرَةٍ مَظَاهِرَةٍ. حَمَّ أَصْبَحَ سَانِرًا وَدَرَلَ عَلَى الْأَرْضِ بِشَرِّ الْأَفْحَوَةِ، بِعَزَمِ الصَّبَالِ وَعَرِّ الصَّبَالَةِ، وَاحْطَ بِحَيْرَةِ طَبْرِقَةِ بَحْرِهِ لَمَحِيصِ، وَصَافِيَّ بِسَاطِ خِيَامِهِ ذَلِكَ التَّبَسُّطِ. وَبَرَّتِ الْأَرْضُ فِي قُتُبِ أَثْوَابِهَا، وَتَفَتَّحَتْ أَسْمَاءُ تَنْتَرِلَ الْعَلَانِيَّةِ مِنْ أَبْوَابِهَا، وَرَسَتْ سَعْنُ الْمَصَارِبِ عَلَى تِلْكَ الْأَثْيَاحِ، وَطُمَّتِ الْأَطْلَابُ أَمْوَاجاً عَلَى أَمْوَاجِ، وَتَفَتَّحَتْ سَمَاءُ الْعَبَاجِ، وَطَلَعَتْ فِيهَا أَسْجَمُ الْحَرَسَانِ وَالزَّهَاجِ، وَأَعَادَ الْأَفْحَوَةِ رِيَّامًا نَصْرَةً، وَخَذَلَتْ مَرَهْرَةً، مِنْ فَرَسِ وَرْدٍ، وَفَارَسَ كَالْأَسَدِ الْوَرْدِ، وَمُشْرِفَاتٍ كَمُنَافِئَاتِ الرِّيَّاحِ، بِبَرِّيَّاتٍ كَأَشْجَارِ الْبَسَاتِينِ، وَزِيَّاتٍ صَفَرٍ تَحْقُقُ مَعْدِيَّاتِ الْيَاسْمِينِ، وَلَوِيَّةَ حَمَرٍ كَتَفَلِقِ السَّعْمَانِ، وَمَوْصُوَّةَ رُطْبِ كَالْعُدْرَانِ، وَمَصْقُولَةَ بَيْضِ كَالْخُطَّاجِ، وَمَرِيْشَةَ زُرَى كَالْإِطْبَارِ وَمُحْبِيَّةَ عُرُوحِ كَالْأَهْسَانِ، وَيَهْمُ تَلْمَعِ كَتَفُورِ الْأَفْحَوَانِ، وَحَبَّ تَرَانِيْكَ عَلَى بِجُورِ بَدْرَعَيْنِ، وَتَعَبِ هَوْنِ دُرُوحِ وَتُرُوحِ لِلنَّاطِرِينَ وَالسَّامِعِينَ.

وَنَهَرَخَ هَدَّ صَهْرًا رِيَّاتِهِمْ بِصَفَرِيَّةٍ، وَلَوِيَّةَ الْأَكْوِيَّةِ، وَمَدَرَا عَلَى مَدَرِ الصَّوَامِرِ نَرُوحَ قَدْ طَرَّ الْقُطْرِيَّاتِ، وَلَوْقَدُوا فِي ضَلَالِ الْقَتَامِ التَّنَزُّحِ الْمَرْيُحِيَّاتِ، وَصَوَّرُوا بِسَى صَوْبِ قَرَا الْأَقْرَابِ نِيَّاتِ الْبَرِّيَّاتِ، وَأَحْلَطُوا حَوْلَ مَرَاكِرِهِمْ بِدَوَابَرِهِمْ، وَحَاطُوا بِوَابَرِهِمْ بِوَابَرِهِمْ، وَجَمَعُوا الْأَوْشَابَ وَالْأَوْدَانِ، وَرَغُوا الْجَيْشَ وَتَبَتُوا الْجَيْشَ،

وحشروا العرس والزجل، والرامح والنبال، وبشروا ذواتب الدواويل، وحشروا أبطال
السطر ورفعوا صليب الصليبات، فأجمع إليه عياد الطاعثات، وصلل السبوت
واللاهوت، ولاحوا في سوادي اقاليم أهل الأقاليم⁽¹⁾، وصلبوا الصليب لأعظم
بالتعظيم.

وما عصاهم من له عصا، وخرجوا عن العنوا لإحصاء، وكانوا عند الحصى،
وصاروا في زهاء خمسين ألفاً أو يزينون، ويكتبون ما يكتوبون، قد نوافو على
صعيد، ووافوا من قريب وبعيد، وهم هناك مقيمون، لا يرومون حركة ولا يريمون.
والسلطان صلاح الدين في كل صباح يصير إليهم، ويشرف عليهم، ويرميه،
وينكي فيهم، ويتعزهن نهم ليتعرضوا له، ويرثوا عن رقابهم سيوفه وعن شعايبهم
سيوفه، فربضوا وما نهضوا، وقعدوا وما نهضوا، فلما برروا نبرز إليهم القتل في
مصارعهم، وعابوا مقام صارعهم في سوقهم إلى مصارعهم، وفزعوا ممّا فيه
وقعوا، وجنبوا عما له تشجعوا، فرأى السلطان أن بطيب رته، من طبرية، ويشرف
على خطتها بالخطبة والمشرفة، وبحور حورنها، ويملك مملكتها، فجزطى لأردن
أردان الزديبات، وأطلع النقع المثار من البحر بحولها الأغوجيات... واستسهل
عليه ولم يستوعر بيات العربيات، فأمر عساكره وأمرأه جيشه وأكابره، أن يقيموا
قبة العريج، ويصيقوا عندهم واسع النهج. فإن خرجوا للعصاف، بادروا إلى
الانقاص منهم والانتصاف، وإن تمركزوا إلى بعض الجوانب، وثبوا بهم وثب الأسود
بالأرنب، وإن قصدوا طبرية لصومها، وأن يكربوا في عوبها، عخلو لإعلام،
لنعمل عليهم الإقدام.

فتح طبرية

وسرى على طبرية في حواصنه، ودوي لتحللصه، وأحصر الجاندرية
والنفير، والخراسانية والحجاريين، وأضاف ينورها، وشرع في هدم معسورها.
وصفها القتل، وما صنّف عنها النزال. وكان ذلك يوم الخميس وهو يوم

(1) أي المسيحيين مثل الذي يعنون الأقاليم الثلاثة أو الأشخاص الإلهية

نحلبس وأخذ القليوب النف في برح فهذه وحموه، وتسلطوا فيه وتسموه، ورحل النيل وصباح الفصح منصر، وليل التويل على العدو متكر، ولمنتف الفلعة بمن فيها، من القومصية منت طرية ربيها. ولما سمع القومص بفتح طرية وأحد بلده، سقط في يده، وخرج عن جك جلده وسمح للفريج بسده ولده

وقال لهم: "لا تعود بعد اليوم، ولا يذ لنا من وقم القوم، ولذا أحدث طرية أحت نيلاد، ودهت للطراف والتلا وما بقي لي صير، وما بعد هـ كسر لي جبر"، وكان الملك قد حاله، فما حاله، ووقعه فما باقه، وما حصه لم مابقه، ورواده لم راده، وواعد فما عاوده، ورحل بجمعه، وبصره وسمعه، وتعبيه وشي طينه، وسرلهيه وسراحيه، وأثباع غية، وأثباع بهيه. هبت الأرض بهركته، وغامت السماء من غيرة. ووصل الخبر بأن الفريج ركبوا، وثابوا عن ثبات ثباتهم ووثبوا، وعيوا وعيوا، ودبوا حتى يثبوا، وثبوا الدار. وثبوا الثار، ولذمو المبرون بالدار البدار، وتلك في يوم الجمعة رابع عشري شهر ربيع الآخر، هم كذب السلطان الخبر حتى صدق عزمه، بما سبق به حكمه، وسر حين أصط بمسيرهم علمه، وقال: "قد حصل المطلوب، وكمل المخطوب، وجاءت ما تريد، ولك بحمد الله الجذ الجديد، والحد الجديد، وثأب الشديد، والنصر العتيد، وإد صقت كسرتهم، وأثقت وأسرت أسريهم، فطرية وجميع أساحل ما دونهما مع، ولا عن فتحها وأزع".

واستعار الله وسار، وعدم الفرار، وجاء يوم الجمعة رابع عشري شهر ربيع الآخر وأفريج سائرون إلى طرية بقصمهم وقصيصهم، وكانهم على البدر في حصيصهم، وقد ماجت خصارهم، وماجت هراغمهم، وظارب قند عمهم، وثارت هراغمهم، وسنت الأفاق غمانهم، وشاقت صاريها جماجمهم، وهم كسجبال نسائرة، وكسبحار المراحة، أمواجها منطمة، وأفراجها مرشمة، وفحاحها معكمة، وأعلاحيها مصطلمة وقد حوي الجوى، ودوي الندى، والفضاء معصن، والقضاء معصن، والنزعة قد استزل التري، وحرّ نيل الخيل قد نرى البرى، والحوافر أنجواهر بالارض حرافر، والقواريس اللوايس في التبعين سواير. وثناب أنياد وأجلاد الجلاء

(1) بسر النوب هنا في موقف مضطرب الذي رسمه به لير التغيير في يده لمعركة

قد حملوا كل عُدته وكنوا كل عُدته. فرتب السلطان في معابقتهم اضلاله، وقصر
 على مدابقتها ارايه. وحصل بصكره قدامهم، ورتب على الحملة اقامهم وحجر
 بينهم وبين الماء، ومنع نمامهم على النماء، وحلأهم عن الورد. وصنعهم
 بالصن دات واليوم قنط، وللغوم غيط وقد وفدت الهجرة، فوفدتا غير ه حرد،
 وشربت م كاي في لالونها فهي على للظماء غير صابرد. وحجر الشس بين
 «عريفين، وحجرت الحبل على للطريقين، ويات الإسلام للكفار مديلا والنوحيد
 لستلث مديلا، والهدى للصلال مراقبا، والإيمان للثرك محاربا. وهيت دركت
 سيران، وهيت درجات الجبل، وانتظر مالك واستتبر وصول. حتى د أسفر
 الصباح، وسفر الصباح، وفجر الفجر أنهار النهار، وفجر النهار غرب العيار،
 واسهت في الجفون الصولوم، والتهيت للصوار الصوارم، وتيفلت الأوتار،
 وتغيطت «س، ومثل العراز. وسلب القراز. خرج الجاليشية تحرق سيران الصال
 هل الدر، وريت الفسي وعفت الأوتار، ورقص مرال الشراذ، لجلاء عراض
 الجلاذ. وبررت البهص من ملاتها في الملا عارية، ورتعت السمرا لكئنه من
 لكلي راعية، فرجا الفرنج فرجا، وملت طلبهم المخرج مخرجا، فكلم خرجوا
 جرحوا، ورتج بهم خز الحرب فم جرحوا، وحملوا وهم ظماء، وما لهد سوي م
 بأبنيهم من ماء الفرت ماء، فشونهم دار السهام وأشوتهم، وصمعت عليهم قلوب
 انفسى انفسية وأصنعتهم، وأعجروا وأرعجوا، وأخرجوا وأخرجوا، وكلما جموا رتوا
 وأزدوا، وكلما ملأوا وشخوا أسروا وشخوا، وما نبت منهم بطة، ولا نبت عنهم
 حممة، واصطربوا، والتهفوا والتهبوا، وباشتهم الشلاب فعادت أسودهم قنافت،
 وصابتهم سهام فومعت فيهم الحرق الدافذ. فأووا إلى جبل حطين بعصمهم من
 صروس الدمرا، حاصت بحطين دوايق الثوار، ورشقهم الطبا، ورشقهم على ارب
 ورشقهم الحيا، وقشرتهم للمدا، وقشنتهم للبالا، ورشقهم للزليا، وصرو للزى
 راب، وشقصا رسبا. ولم أص للقومصر بلكسرة حصر عن براع الحسرة، واقتل
 من اعريمة، واحتال في الهريمة، وكان لك قبل اضطراب الجمع واضطرم
 سجر، وحدلا للحرب واحتداد الحر، فخرج بطأيه يطلب الحروح، وعوج إلى
 سواي وما وذ أن يعوج ومضى كومن البرق، ووسع خطا حرقه قبل اشع

محرق، وأفلت في عدة معدودة، ولم ينتفت إلى ردة مردودة، وغاب عدة حصر
 الموحى ووب الرعب الذي نوى للهزيمة به وما وثى، ثم استجرت الحرب واشتجر
 الصعر والصرب، وأحيط بالفرج من حوالهم بما حوزا إليهم، ودارت دائرة الدوائر
 عليهم، وشرعوا في ضرب حياتهم، وصم نظلمهم. فحطوا على حصين مصدرهم،
 وقلب حدود الرماء للكفاءة مضاربهم، وأعطوا عن نصب الحيم برقعها، وشعلوا عن
 أصل الحرة وقروعها، وترجوا خيرا فترجلوا عن الحبل، وتجلدوا وتحالوا بحرفهم
 السيف جرف السيوف، وأحاط بهم للعسكر احاطة النار بأهلها. ونجاوا إلى حزم
 الأرض قبل غزاهم الطيبين من سهلها^(١).

وأسر الشيطان وجوده، وملك الملك وكفوده، وجنس السلطان لعرض اكابر
 لأسرى، وهم يتهادون في القنود تهادي المنكاري، فقدم بذاته مقدم كدوية، ومعه
 عدة كثيرة منهم ومن الأسبكرية، وأحصر الملك كى واحده جفري، وأوك صاحب
 جبين وفطري، والأبريس أرباض صاحب الكرك، وهو أول من وقع في الشرك،
 وكان لسلطان نذر ذمه، وقال لأعجن عد وجدانه عمه، فلما حصر بين يديه
 أجلسه إلى جنب الملك والملك بجبهه، وفرعه على غره ويكره بدبه، وقال به كم
 تحب وتحب، وتعهذ وتنكث، وبهرم المياق وتقص، وتقبل على الوفاق ثم
 تعرض، فقال الترجمان عه إنه يقول قد جرت بذلك عادة الملوك وما سلكت غير
 المنن المملوك، وكان الملك يلهث ضميا، ويميل من سكرة الرعب منتشيا، فأسسه
 السلطان وحاوره، وقد سؤرة الوجه الذي سالوره، وسكن رعبه، وأمر قلبه، وأتي
 بماء منلوج أزال أهته، وأراح من العطش ما كونه، وباوله الأبريس نيفض أيضا
 لهبه، فأخذه من يده ومثريه، فعزل السلطان للملك لم تأخذ مني هي سبه إدب، فلا
 يوجب ذلك له مني انما، ثم ركب وحلاهما، وينذر الوقف لهما، وم يبرل إلى
 أن صرب سراحه، وركزت أعلامه ويبرقه، وعادت عن الحومة إلى الحمى قبائقه،
 فلم حل مراقبه، استحضر الأبريس عام إليه وتلقاه بالسيوف فحل عاتقه، وحين
 صرع، من رأسه قفطع، وحز برطه قدالم الملك حين أخرج، فارتع وارتعج،

١- هذه الصورة البلاغية الدخيلة مقلته من الكثير بكلمات بسيطة. فترجلوا عن العرس وجنسوا
 على الأرض.

فعرف السلطان أنه حاملرد الفرع، وسالورد الهلع وسأمره الجزع، فاستدعه واستنبه وأمنه وطمنه، ومكنه من قرينه ومكنه، وقال له 'ذاك زناء له أردته، وعزته كما نراه غادرته، وقد هلك بعبه وعبه، وبنا رقد حياته وورثها عن ورثه ورثه'.

وصحّت هذه للكسرة وتمّت هذه للنصرة يوم السبت وضربت بلة أهل السبت على أهل الأحد، وكانوا أسوداً فعادوا من التقديس⁽¹⁾، فما أفلت من تلك الآلاف إلا أجاد، وما نجا من أولئك الأعداء إلا إعداء، وملأ بالأسرى والغنم. واجلي العبار عنهم بالنصر الذي تجلى، وقيدت الأسرى في الجبال واجبة القلوب، وفُرشت الغنم في الوهاد والجبال واجبة الجيوب، وحطت حطين تلك الجيف عن مشها، وطاب نشر النصر بنيتها، وعبرت بها لقلب أشلاء المشلولين في الفتلى مقلدة، بالعرء غرة، ممزقة بالمزق، مفصلة للمفاصل مفرقة المرافق، مقلدة المفارق، محدوفة الرقاب، مفصوفة الأصالب، مقطعة الهام، موزعة الأقسام، مجدوعة لالاف، مزروعة الأطراف، مخصاة الأعصاب، مجزأة الاجزاء، مفقوة العيون، مبعوجة البطون، مخصوبة الضفائر، معصوبة المرائر، مبرّية البدن، مفرقة اللهاى، مفصومة الأصابع، مفصومة الأشاجع، مرصوصة الصدور، مفصوفة النحور، منصفة لأجساد، مقصعة الأعصاب، مقصصة الشفاء، مخلصنة للجياه، فنية الدوائب، دامية التراثب، مشككة الأصداغ، مفككة الأنزع، مكسورة العظام، محسورة اللثام. بالدة الوجوه، بلدية المكروه، ممشورة الأبخار، ممشورة الأعشار، ممشورة الشعور، مقشورة الطهور، مهذومة البهار، مهتومة الأسفل، مهرفة للدماء، مرفقة الدماء، هدية النوى، واهية الثرى، سائلة الأحداق، ملته الأعشى، مهنومة لأفلاذ، مبنونة لأفهاد، مشرحة الهومات، مسلوحة الثبات، عديمه الأرواح، فشيمة الأشباح، كالأحجار بين الأحجار، عبرة لأولي الأنصار⁽²⁾.

وصارت تلك المعركة بالدماء دماء، وهاتك العراء حمراء، وجرت بهار بدم المنير. وسفر تلك الحيات المظلمة وجه النين المطهر صا أظلم بعدد

(1) أي أن المسيحيين أدلوا كأنهم يهود. وجاء ذلك عابريي قد عرجد الجراد وعابها مثل ضم يانسة بعدما كفوا لسنوا

(2) لابد أن عدد النين اعتبر هذه السحبة البلاغية الزهية برفناً ماطما على ربه سبه

يصغر من تلك الحبث، وما ألهب عثبات العذاب في تلك الحبث، وما أحسن
 عميرات القلوب يفتح تلك الفتحة، وما أجزأ صلوات البشر بوقوع تلك التحث،
 هذا حساب من قتل فقد حصرت لأسنة الأمم عن حصره وعدته، وأما من أسر فلم
 تكف أطبايا الخيم لقبده وشده، ولقد رأيت في حبل واحد ثلاثين وأربعين بقوهم
 فريس، وهالك العداة عداة، والغداة عداة، ودور الأسيرة أسرى، وأولو الأثرة عثرى،
 والقوامص فائض، والقوامص فرائض، وغوللي الأرواح رحائن ووجوه الدوية
 الدوية عوايس، والبروز تحت الأحامص، ومطالع الأجسام دوات المفطع
 والمحالص. فكم أصيد صيد، وفائد فائد وفيد، ومثرك مكثرك، وكافر مكثرك،
 ومثلث مصف، ومكثف مكثف، وجارح مجروح، وقارح مفروح، ومثك مملوك،
 وهائك مهوك، ومثبر مبتور، ومثبر مضمور، وكاب في الكبل، ومثال في
 الغلول، وخز في الرق، ومبطل في يد المحقق.

الصليب الأعظم والاستيلاء عليه يوم الفصاف

لم يزتر الملك حتى أخذ صليب الصليب، وأهلك دونه أهل الطاهوت.
 وهو الذي إذا نصب وأقيم وزفع، مجد له كل نصراني ويركع، وهم يرفعون أنه من
 الحشبة التي يرفعون أنه صليب عليها معبودهم، فهو معبودهم ومسجدهم. وقد
 غلقوه بالذهب الأحمر، وكثفوه بالدر والحوهر، وأغصوه بنوم التروع المشهود، ولموسم
 عيدهم الموعود، فإذا أخرجوه القصور، وحمله للروم، فبادروا إليه، وأشاروا
 عليه، ولا يسع لأحدهم عنه التحلف، ولا يسوع للمنخطف عن أتباعه في نفسه
 لتصرف، وأحد أعظم عدهم من أسر الملك، وهو أشد مصاب نهم في ذلك
 نمعرك، فإن الصليب السليب ما له عوض، ولا لهم في سواء غرض، والناله له
 عليهم مقترص، فهو إليهم، وتغفر له حاضهم، وتمسح له أقواهم، يعاشون عند
 حصره، ويعاشون لإبصاره، ويتلثثون لإظهاره، وينفصون لإشهادهم،
 ويتوجسون بإوجده، ويعشون دونه المهج، ويطنون به الفرح، بل صدعوا على
 مثاله صليب يعذبها، ويحشون لها في بيوتهم ويشهدونها. فكم أحد مد
 الصليب الأعظم عظم مصابهم، وهب أصلاهم، وكان للجمع المكسور عصيب،

والموقف المنصور كريماً، فكأنهم لما عرفوا اخراج هذا الصليب، لم يتحلف أحد من يومهم العصبية، فهلكوا قتلاً وأسرا، وملكوا قهراً وقسراً، ونزل السطر على صحراء طبرية كالأسد للمصحح، والقمر المنير.

ذكر فتح حصن طبرية

ويذب إلى حصنها من تسلعه أماناً، وأمكنه بعد الكفر ليمناً، وكانت الست صاحبة طبرية قد حمت، ونفت إليه كل ما ملكته وجوته، فأمنها على أصحابها وأموالها، وخرجت بسائها ورجالها ورجالها، وسارت إلى ضرائر بلد روجه انقوص بمائها وحالها. وعادت طبرية أهلة أمة بأهل الإيمان، وعين لولايتها صارم الدين لديمار السلمي وهو من الأكابر الأعيان، هذا والملك الناصر نازر ظاهر طبرية، وقد طلب أنبريه، وعسكره طبق البرية.

ذكر ما اعتمده في الأسرى الداوية والأستارية

من ضرب رقابهم وإعطاء بشر الوجوه بإعطائهم

فلما أصبح يوم الاثنين سابع عشرين شهر ربيع الآخر بعد الفتح بيومين، طلب الأسرى من الداوية والأستارية وقال أنا أظهر الأرض من الجسين انجسين، وجعل لكل من يحضر منهما أسيراً خمسين، فأحضر العسكر في الحال مئين، وأمر بصرب أعناقهم، واختار قتلهم على استرقاقهم، وكان عنده جماعة من أهل العلم والتصوف، وعدة من ذوي التعف والتعيف، فسأل كل واحد في قتل واحد، وسل سيفه وحضر عن ماعده، والسلطان جالس، ووجهه بشر والكفر عاس، والعسكر صفوف، والأمراء في السماطين وقوف، منهم من فرى وبرى وشكر، ومنهم من أبى وقبأ وعثر، ومنهم من يضحك منه، ويهوى سواه عنه.

(١) يسكن هذا النهر الذي يرويه مؤرخها شاهد العين، بأسطويه المطرور المعاد. لطحه حب شهامة صلاح الدين الموعظة. من جهة أخرى لا يمكن تفسير هذه المديحة إلا بسبب هذا الذي ررعه المصنف للحريتين في الجانب الإسلامي. وذلك من حال سلوكهما الحربي الذي لم يكن بكل تلكم أكثر إنسانية (ومسيحية) من سلوك أعدائهم.

وشهدت هذه الضحوة القتال، ورأيت منه القوال الفعال، فكم وعد أسجده، وحمد
أحرره، وجر استنائه بنم أجداد، وبز أعق إليه بعق براه، ونصل حصيه، نصير
خطبه، واسد اعقله، لأسد عقله، وداء دواؤه، نذاوي أدواءه، وقوة أهدها لهذه
قواها، وبواء بشره للأواء طواها، وكفر أمانته لإسلام أحياء، وشرك هدمه بتوحيد
بده، وعممة أمصاها، لأمة أرساها، وعدو قصمه، لوني عصمه وميز من
العرج واحاد وهجري وصاحب جيل ومقدم النوايه وجميع أكابرهم الساسرين إلى
دمشق ليودعوا السجون ويستبدل حركاتهم المسكون، وتعرفت العساكر بم هوته
أنيهم من السبي لذي سها، وحمد جمر جمع للكر وحيا

ذكر فتح البيت المقدس

(ابن الأثير، 361/11-366)

لما فرغ صلاح الدين من أمر عسقلان وما يجاورها من البلاد، على ما
تقدم، وكان قد أرسل إلى مصر أخرج الأسطول الذي بها في جنح من المغابرة،
ومقدسهم حسام الدين أولي الحاجب، وهو مغزوف بالشجاعة، والشهامة، وبهيب
الثقبة، فأقاموا في البحر يقطعون الطريق على الفرنج، كلما رأوا لهم مركب غصوه،
وشانق أهذوه، فحين ومن الأسطول وحلا مرة من تلك الناحية سار عن عسقلان
إلى البيت المقدس، وكان به البطرك⁽¹⁾ المعظم عندهم، وهو أعظم شأ من
ملكهم. وبه أيضا باليار بر بيرزان، صاحب الرملة⁽²⁾، وكان مرثته عندهم
تدرب مرعة المنك، وبه أيضا من خلص من هرسايم من حصن، وعد جمعوا
وحشروا وجسم أهل تلك النواحي عسقلان وغيرها، فاجتمع به كثير من الحق،
كلهم يرى الموت أيسر عليه من أن يهلك المستنمون لبيت المقدس وبأخوه منهم،
ويرى أن بدل نفسه وماله وأولاده يقض ما يجب عليه من حفظه، وحصونه تلك
لأبهم بما وجدوا إليه سبيلا، وصعدوا على سور بدتهم وحديثهم، مجتمعين على

(1) Eracleo

(2) Baian d'Ibelin

حفظه والذبت عنه بجهدهم وطاعتهم، مظهرين للحرَم على المُتأخِضَةِ بوجه بحسب
استطاعتهم، ونصبوا المجانيق على أسنانه ليمتنعوا من يُريد الدخول عنه والوصول
عنه.

ولما قُرب صلاحَ الليلين عنه نُقِمَ أميرٌ في جماعةٍ من أصحابه، غير مُخَظٍّ
ولا حذرٍ، فاعيه جمعٌ من الفرنج قد حرقوا من القُتُب ليَكُونُوا يَرْكَا، فقاتلوه وقتلوه،
فقتلوه وقتلوا جماعةً ممن معه، فدَهَمَ المُسلمين قِتْلُهُ، وفَجِعُوا بِقَتْلِهِ، وساروا حتى
ثَرَبُوا على العُتُرِ مُتَنَصِّفِ رَجَبٍ (الأول/سبتمبر 1187)، فلَمَّا ثَرَبُوا عَلَيْهِ رَأَى
المُسلمون على سُوْرِهِ مِنَ الرِّجَالِ مَا هَلَّاهُمْ، وسمِعُوا لأَهْلَهُ مِنَ الجلبة، والصَّجيجِ
من وسط المدينة ما استأَلُوا بِهِ على كَثْرَةِ الجَمْعِ، وبقي صلاحُ الذين حَفَسَ أَيْدِي
بطُوفِ حَوْلِ المدينة يُنْظَرُ مِنْ لَيْلٍ نَفَاتُهُ، لِأَنَّهُ فِي عَالِيَةِ الْحَصَاةِ وَالْأَمْنَةِ عَ، فلم
يَجِدْ عَلَيْهِ مَوْسِعَ قِتَالٍ إِلَّا مِنْ جِهَةِ الشَّمَالِ، نَحْوَ بَابِ عَمْرَدَا، وَكَنِيسَةِ صَهْبُون.
فَانْتَقَلَ إِلَى هَذِهِ النَّاحِيَةِ فِي الْعَشِيرِينَ مِنْ رَجَبٍ وَزَلَّهَا، وَنَصَبَ تِلْكَ التَّلَاقِيَّةَ
الْمَجَانِيْقَ، فَأَصْبَحَ مِنَ اللَّغْدِ وَقَدْ فَرَعَ مِنْ نَصْبِهَا، وَرَمَى بِهَا. وَنَصَبَ الْفَرَنْجُ عَلَى
سُوْرِ الْبَلَدِ مَجَانِيْقَ وَرَمَوْا بِهَا، وَقَتَلُوا أَشَدَّ قِتَالٍ رَأَى أَحَدٌ مِنَ النَّاسِ، كُلُّ وَاحِدٍ مِنَ
الْفَرَنْجِيِّينَ يَرَى ذَلِكَ دَيْكًا، وَخَشَا زَاجِنًا، فَلَا يَحْتَرِجُ فِيهِ إِلَى دَاعِيٍّ سُلْطَانِيٍّ مِنْ كَانُوا
يَمْنَعُونَ وَلَا يَمْتَنِعُونَ وَيَزْجُرُونَ وَلَا يَنْزَجُرُونَ. وَكَانَ خِيَالُهُ الْفَرَنْجُ كُلُّ يَوْمٍ يَخْرُجُونَ
إِلَى ظَاهِرِ الْبَلَدِ يَقَاتِلُونَ وَيَسَارِبُونَ، فَيَقْتُلُ مِنَ الْفَرَنْجِيِّينَ، وَمِنْهُمْ اسْتَشْهَدَ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ الْأَمِيرُ عِزُّ الدِّينِ عِيْسَى بْنُ مَلِكٍ، وَمِنْ أَكْبَارِ الْأُمَرَاءِ وَكَانَ أَبُوهُ
صَاحِبَ قَلْعَةِ جَفِيرٍ، وَكَانَ يَصْنَعُ النَّفَالِ بِنَفْسِهِ كُلَّ يَوْمٍ، فَقُتِلَ إِلَى رَحْمَةِ اللَّهِ
شَعَالِي. وَكَانَ مَخْبُوءًا إِلَى الْعَامِ وَالْعَامِ. فَلَمَّا رَأَى الْمُسْلِمُونَ مَضْرَعَهُ صَمَّ عَنْهُمْ
بُكَ، وَأَحَدٌ مِنْ قُرْبَاهُمْ، فَحَمَلُوا حِمْلَةً رِجُلٍ وَاجِدٍ، فَأَزَلُّوا الْفَرَنْجَ عَنْ مَوَاقِعِهِمْ
فَاتَّحَلَوْهُمْ بِلَدِهِمْ، وَوَصَلَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْخَلْدَقِ، فَخَارُوهَ وَالتَّصَفَّوْا إِلَى الشُّرْبِ
فَقَبُوهُ، وَزَحَفَ الرَّمَاةُ بِحُمُونِهِمْ، وَالْمَجَانِيْقُ نَوَالِي الرَّمِي لَتَكْشِفَ الْفَرَنْجَ عَنِ الْأَسُورِ
بِيَتَمَكُّرِ الْمُسْلِمُونَ مِنَ النَّعْبِ، فَلَمَّا نَقَرُوا خَشَوْهُ بِمَا جَزَتْ بِهِ الْعَادَةُ⁽¹⁾.

(1) يمدد النعب بعد حرقه يموت محترقة، ما إن تضغط حتى يسط الجدار الذي يحترق

فَمَا رَأَى الْعَرَبُ شِدَّةَ قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ، وَتَحَكُّمَ الْمُجَانِقِينَ لِلرَّمِيِّ الْمُعْتَدِرِ،
وَتَمَكُّنَ لِلْقَتَاتِيِّينَ مِنَ التَّقَبُّبِ، وَأَنَّهُمْ قَاتِلُوا شَرَفُوا عَلَى الْهَلَاكِ، اجْتَمَعَ مُقَسِّمُوهُمْ
يَتَشَاوِرُونَ فِيمَا يَأْتُونَ وَبِحُرُورٍ. فَاتَّفَقَ زُلَيْخَةُ عَلَى طَلَبِ الْأَمَلِ، وَتَسْلِيمِ النِّسَاءِ
لِنَفْسِ لِي صِلَاحِ النِّسَاءِ. فَأَرْسَلُوا جَمَاعَةً مِنْ خِيَرَتِهِمْ وَأَغْيَاهِمَ فِي صَلْبِ الْأَمَلِ،
فَلَمَّا دَكَّرُوا ذَلِكَ لِلْمُسْلِمِينَ لَمَنَعَ مِنْ إِجَابَتِهِمْ، وَقَالَ: لَا أَفْعَلُ بِكُمْ إِلَّا كَمَا فَعَلْتُ
بِأَهْلِهِ حِينَ مَلَكَتُوهُ سِوَةَ إِخْدَى [بَنَاتِ] ^{١١} وَتَسْعِينَ وَأَرْبَعِينَ (1099)، مِنَ الْعَشْرِ
وَالسَّبْعِينَ وَجِزَاءِ السُّبُحَةِ بِمَنْعِهَا. فَلَمَّا رَجَعَ الرُّسُلُ خَلَّيْنِ عُرُوسِينَ، أَرْسَلَ بِالْبُيُوتِ
بِزُرَّانٍ وَطَلَبَ لِنَفْسِهِ لِيَحْصُرَ عِنْدَ صِلَاحِ الدِّينِ فِي هَذَا الْأَمْرِ وَخَرِيرِهِ، فَأَجِيبَ
إِلَى ذَلِكَ، وَحَصَرَ عُنْدَهُ، وَرَغِبَ فِي الْأَمَانِ. وَرَسُولٌ بِهِ، فَلَمْ يُجِبْهُ إِلَى ذَلِكَ،
وَأَسْتَعْطَفَهُ فَمِنْ يَعْطِفُ عَلَيْهِ، وَأَسْتَرْحَمَهُ فَلَمْ يَرْحَمْهُ. هُنَا لَيْسَ مِنْ ذَلِكَ قَالَتْ لَهُ: أَيُّهَا
الْمُسْلِمُونَ اعْلَمُوا أَنَّ فِي هَذِهِ الْمَدِينَةِ فِي خَلْقٍ كَثِيرٍ لَا يَعْظُمُهُ إِلَّا اللَّهُ تَعَالَى، وَالْمَنْ
يَقْتُلُونَ عَنِ الْقِتَالِ رِجَاءَ الْأَمَانِ، صَاحِبًا مِنْهُمْ أَنْكَ تَجِدُهُمْ إِلَيْهِ كَمَا أُجِبْتُ عَنْهُمْ، وَهُمْ
يَكْرَهُونَ الْمَوْتَ وَيَرْغَبُونَ فِي الْحَيَاةِ. فَإِذَا رَأَيْنَا أَنَّ الْمَوْتَ لَا يَدُ مِنْهُ، فَوَلَّيْتُ لِنَفْسِي
بُكَامٍ وَسَاعَاتٍ وَلِحَرْقِ أَمْوَالِنَا وَأَمْنَعَتِنَا. وَلَا تَتْرَكُكُمْ تَقْتُلُونَ مِنْهَا دِينًا وَاحِدًا وَلَا
بِرَهْنًا، وَلَا تُسَبِّحُونَ وَتَأْسُرُونَ رَجُلًا وَلَا امْرَأَةً. وَإِذَا طَرَعْنَا مِنْ ذَلِكَ أَهْرَافَ الصُّفْرَةِ
وَالْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَغَيْرِهَا مِنَ الْمَوَاصِعِ، ثُمَّ نَعْلُ مِنْ عِنْدِنَا مِنْ أَسَارَى الْمُسْلِمِينَ،
وَهُمْ خَمْسَةُ أَلْفٍ أَسِيرٍ، وَلَا تَتْرَكُ لَنَا دَابَّةً وَلَا حَيَوَانًا إِلَّا قَتَلْنَاهُ، ثُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكُمْ كَأَنَّ
قَتَلْنَاكُمْ فَتَالَ مَنْ يَزِيدُ [أَنْ] يَخْمِي دَمَهُ وَنَفْسَهُ، وَحِينَئِذٍ لَا يَقْتُلُ الرَّجُلُ حَتَّى يَقْتُلَ
أَمثَالَهُ، وَتَمُوتَ أَعْرَاءٌ أَوْ تَطْفَرُ كَرَامَتًا.

سَنَشَارُ صِلَاحَ الدِّينِ أَصْحَابَهُ. فَأَجْمَعُوا عَلَى إِجَابَتِهِمْ إِلَى الْأَمَلِ، وَأَنْ لَا
يَخْرُجُوا وَيَحْمِلُوا عَلَى زُكُوبٍ مَا لَا يُدْرِي عَاقِبَةُ الْأَمْرِ فِيهِ عَنْ أَيِّ شَيْءٍ تَشْجَلِي.
وَبَحْسَبُ أَنَّهُمْ أَسَارَى بِأَيْدِينَا، فَيَبِيعُهُمْ نَفْسَهُمْ بِمَا يَسْتَقَرُّ بَيْنَهُمْ وَيُسَبِّحُهُمْ، فَأَجَابَ
صِلَاحُ الدِّينِ حِينَئِذٍ إِلَى ذَلِكَ الْأَمَلِ لِلْعَرَبِ.

وَسَقَرُ أَنْ يَرَى الرَّجُلُ عَشْرَةَ نِسَائِهِ يَسْتَوِي فِيهِ الْعَيْ وَالْمَقْبَرِ، وَيَرَى لِنَفْسِهِ
مِنَ الذُّكُورِ وَالنِّسَاءِ نِسَائَيْنِ، وَتَرَى الْمَرْأَةَ خَمْسَةَ نِسَائِهِ، هُنَا لَيْسَ ذَلِكَ إِلَى أَرْبَعِينَ

يَوْمًا قَدَّ بَجَاءٍ، وَمَنْ لَتَقَصَّتِ الْأَرْبَعُونَ يَوْمًا عَنَّا وَلَمْ يَدْرَ مَا عَلَيْهِ فَقَدْ صَدَرَ مَمْلُوكًا،
فَبَدَلَ بِالْأَيَّامِ نَحْنُ بِيَزْزِلَانِ عَنِ الْفُقَرَاءِ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، فَأَجِيبَ إِلَى ذَلِكَ وَسَمِعْتَ
لَمَدِينَهُ يَوْمَ الْخُمَةِ السَّامِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ رَجَبٍ (2 تَمْرِينَ أَوَّلُ الْكُتُوبِ 1167)،
وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُورًا، وَرُفِعَتْ الْأَعْلَامُ الْإِسْلَامِيَّةُ عَلَى أَسْوَاقِهَا، وَرُفِعَ صِلَاحُ الَّذِينَ
عَلَى أَسْوَاقِ الْمَسَدِ فِي كُلِّ يَوْمٍ، أَمِينًا مِنَ الْأُمَرَاءِ لِيَأْخُذُوا مِنْ أَهْلِهِ مَا سَنَقَرَّ
عِنْدِيهِ، فَسَمِعُوا الْحَبَابَةَ، وَلَمْ يَدْرُوا فِيهِ أَمَلَةً، وَلَقَسِمَ الْأَمَةُ الْأَمْوَالَ، وَتَفَرَّقَتْ
بَيْنَ سَبْعَةٍ، وَلَقِيَ أَتَمَّتْ فِيهِ الْأَمَةُ لَمَلًا الْخَرَاتِقَ، وَعَمَّ النَّاسُ. فَإِنَّهُ كَانَ فِيهِ عَلَى
الْمَصْنُوعِ سِتُّونَ أَلْفَ رَجُلٍ مَا بَيْنَ فَرْسِي وَرَجُلٍ سَوِيٍّ مِنْ بَنِيهِمْ مِنَ الْمَسَدِ
وَالْمُلُوكِ، وَلَا يَعْجَبُ السَّامِعُ مِنْ ذَلِكَ، فَإِنَّ أَيْدِي كَثِيرَةٍ، وَاجْتَمَعَ إِلَيْهِ مِنْ تِلْكَ النَّوَاحِي
مِنْ عَسَاقِلَ وَعَبِيدِهَا، وَالْأَزْوَاجِ، وَالزَّمَلَةِ، وَغَيْرِهَا مِنَ الْفُقَرَى، بِحَيْثُ امْتَلَأَتْ
الْعُرُوقُ وَالْكَدَائِسُ، وَكَانَ الْإِنْسَانُ لَا يَقْرَأُ لَنْ يَمْسُ. وَمِنْ الدَّلِيلِ عَلَى كَثْرَةِ الْحَقِّ أَنَّ
أَكْثَرَهُمْ وَرَى مَا اسْتَقَرَّ مِنَ الطَّيْبَةِ. وَأَمَلُوا بِأَيَّامِ نَحْنُ بِيَزْزِلَانِ ثَمَانِيَةَ عَشَرَ أَلْفَ رَجُلٍ
وَرَى عَنْهُمْ ثَلَاثِينَ أَلْفَ دِينَارٍ، وَبَقِيَ بَعْدَ هَذَا جَمِيعُهُ مَنْ لَمْ يَكُنْ مَعَهُ مَا يُعْصِي،
وَأَجَدَ أَسِيرًا سِتَّةَ عَشَرَ أَلْفَ أَدَمِيٍّ مَا بَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ وَصَبِيٍّ، هَذَا بِالْمَصْنُوعِ وَالْيَقِينِ.
ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ ادَّعَى كَرًّا وَاحِدًا مِنْهُمْ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ رِجَالِهِ بِالْعَدَاةِ
مَقِيمُونَ بِأَيَّامِ الْمُقَدَّسِ، فَيَطْلَعُهُمْ وَيَأْخُذُ فَوْقَ طَبِيعَتِهِمْ، وَكَانَ جَمَاعَةً مِنَ الْأُمَرَاءِ
يَلْبَسُونَ الْفَرَنْجَ زِيَّ الْجُنْدِ الْمُسْلِمِينَ، وَيُخْرِجُونَهُمْ، وَيَأْخُذُونَ مِنْهُمْ قَطِيعَةً لِلزُّرُوحِ،
وَيَسْتَوْهَبُ جَمَاعَةً مِنَ صِلَاحِ الشَّيْنِ عَفْنًا مِنَ الْفَرَنْجِ. فَوَهَبَهُمْ لَهُمْ، فَأَخَذُوا
لَطِيعَتَهُمْ، وَبَنَجَمَلَةَ فَلَمْ يَصِلْ إِلَى خَزَائِنِهِ إِلَّا الْغُلِيلَ.

وَكُنْ بِالْقُدْسِ بَعْضُ بِنَاءِ الْمُلُوكِ مِنَ الرُّومِ فَذُ عَرِيشًا⁽¹⁾ وَأَقَامَتْ بِهِ، وَمَعَهَا
مِنْ الْعَشْمِ وَالْعَبِيدِ وَالْخَوَارِجِ خَلْقٌ كَثِيرٌ. وَلَهَا مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْجَوَاهِ الشَّيْءُ
عَظِيمٌ، فَطَلَبَتْ الْأَمَانَ لِنَفْسِهَا وَمَنْ مَعَهَا، فَأَمَّتْهَا وَسَيَّرَهَا. وَكَثَلَتْ أَنْصَفَ أَطْلُقَ مَلِكَةَ
نَفْسِي⁽²⁾ الَّتِي كَانَ رُوحُهَا الَّذِي أَسْرَهُ صِلَاحُ الَّذِينَ قَدْ مَلَكَ الْفَرَنْجَ بِسَبَبِهَا، وَبِبَابَةِ
عَنْهَا كَانَ يَقْرَأُ بِالْمَلِكِ، وَأَطْلُقَ مَلَّتْهَا وَحَشَمَهَا، وَاسْتَأْنَفَتْهُ فِي الْمَصِيرِ إِلَى رُوحِهَا.

(1) يصعب مع هذا الخبر تحديد هوية تلك المرأة، وهما إما كُتبت حتى نفسها Maria Comnena
ارمها الملك Annaury الأولى والتي تزوجت بعدها سقندر سي ليويلين.

(2) S blac روجه الملك غويتو دي لوريبيتر

وكان حديث محبوبنا بفتحته نلتزم، فذكر لها، فانتته ولقمت عذده. وانتته أيت مرة
 لبرنس أرة ط صاحب الكرك، وهو الذي قلته صلاح الدين بيده يوم المصاف
 بحطين، فشعفت في ولا لها ملصور⁽¹⁾. فقتل لها صلاح الدين: إلى سلف الكرك
 أصفته، فسارت إلى الكرك، فلم يسمع منها الفرنج الذي فيه، ولم يسلموه، فلم
 يضل ولدها، وبكة أطلق عا لها ومن تبعها. وخرج أنطرك الكبير الذي للفرنج،
 معه من أموال البيع منها: الصخرة والأقصى، وقمامة وعيها، ما لا يعلمه إلا
 الله تعالى. وكان له من المال مثل ذلك، فلم يخرجه له صلاح الدين، فعير له
 بأحد ما معه يقوي به المسلمين، فقال: لا أعذر به، ولم يأخذ منه غير عشرة
 دنانير، وسير الجميع ومعهم من يخدمهم إلى مدينة صور.

وكان على رأس قبة الصخرة صنوت كبير مذهب، فلما دخل المسلمون البلد
 يوم الجمعة تسلى جماعة منهم إلى أعلى القبة ليقتلوا الصليب، فلما لغوا وسقط
 صاح الناس كلهم صوتا واحدا من البلد ومن ضاهره المسلمون والفرنج: أما
 المسلمون فكثروا هرجا، وأما الفرنج فصاحوا نوحا ونوحا، فسمع الناس ضجة
 كادت لأرض أن تميد بهم لعظمها ومذتها.

فلما ملك البلد والارفة الكفار أمر صلاح الدين بإعادة الأنبياء إلى حاله
 القديم، فإن الدابة بنوا خزبي الأقصى أنبياء يسكنوها. وعملوا فيها ف يحدجون
 إليه من هربي ومستراح وغير ذلك، وأدخلوا بغمر الأقصى في أنبياء فاعيد إلى
 الأول، وأمر بتطهير المسجد والصخرة من الأقدار والأحجار، ففعل ذلك أجمع.
 ولما كان الجمعة الأخرى، رابع شعبان (9 تشرين أول/أكتوبر)، صلى المسلمون
 فيه الجمعة، ومعهم صلاح الدين، وصلى في قبة الصخرة⁽²⁾، وكان الحبيب
 والإمام محيي الدين من الركن، قصي دمشق، ثم رتب فيه صلاح الدين خطيبا
 ومما برسم تعشوات الحمى. وأمر أن يعمل له منبر، جعل له من نور الدين

(1) Honfroi de Theron أتم Stelanta

(2) هذا بار الأقصى ومسجد الصخرة، المسمى مسجد عمر، في مسجد من معاريف بكر
 معبر من الموكد بئر هذا جعل لكثير جرى في الأقصى، قام صلاح الدين به
 بالصلاة في مسجد الصخرة، ويبدو هذا بصورة واضحة في الرواية التي مستشهد بها
 كثير من علماء الدين

محموداً كان قد عمل بطلب مثبِّراً لأمر الصناعات بالمُعانة في تخصّسه وإتقانه. وقال: هد قد غلبناه لينصب بالبيت المقدس، فعمله التجارون في عدة مسير لم يعمل في الإسلام مثله، فأمر بإحصاره: فحمل من حلب وتُصب بالقُس، وكان حين عمل المنبر وحمله ما يريد على عشرين سنة، وكان هذا من كرامات نور النبي، وخمس مقاصده، رَحْمَةُ اللَّهِ (1) ولما فزع صلاح النبي من صلاة الجمعة بَقَدَم بِمَعْرِةِ الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى وَاسْتَقْبَلَ الْوُضُوءَ فِي تَخْصِيهِ وَتَرْصِيْفِهِ، وَبَدَقِيقِ نَقْوَتِهِ. فَأَخْصَرُوا مِنَ الرَّخَامِ الْيَدِي لَا يُوجَدُ مِثْلُهُ، وَمِنَ الْفَصْلِ الْمَذْهَبِ الْقُسْطَنْطِينِي وَعَبَّرَ ذَلِكَ مَنَّا بِخَتَاوَنِ إِلَهِهِ: قَدْ أَتَحَرَ عَلَى طَوْلِ الْمَسِيرِ. فاشْرَعُوا فِي عِمَارَتِهِ، وَمَحَرَّمَا مَا كَانَ فِي تِلْكَ الْأَبْنِيَةِ مِنَ الصُّوَرِ، وَكَانَ الْفَرْجُ فَرَشُوا أَرْحَامَ فَوْقَ الصُّخْرَةِ وَغِيْبَهَا. فَأَمَرَ بِكُشْفِهَا. وَكَانَ سَبَبُ تَغْطِيَتِهَا بِالْفَرْشِ أَنْ تُسَيِّرَ بَاعُو كَثِيرًا مِنْهَا بِالْفَرْجِ الْوَارِدِينَ إِلَيْهِمْ مِنْ نَاحِي الْبَحْرِ لِلرَّيَاةِ، فَكَانُوا يُمْسِرُونَهُ بِوَزْنِهِ ذَهَبَ رَجَاءَ بَرَكَتِهَا، وَكَانَ أَحَدُهُمْ إِذَا دَخَلَ بِلَادَهُ بِالْيَسِيرِ مَلَّهَا بِهِيَ نَهْ الْكَنِيسَةِ، وَيُجْعَلُ فِي مَذْبَحِهَا، فَخَافَ يَعْصُرُ مَلُوكُهُمْ أَنْ تَقْنَى، فَأَمَرَ بِهِ فُفْرِشَ فَرَقْلَهَا حَقْلًا لَهَا. فَلَمَّا كُشِفَتْ نَقَلَ إِلَيْهَا صِلَاحُ النَّبِيِّ الْمَصَاحِفَ الْحُسْنَى، وَالتَّرِيَعَاتِ لُجُودَهُ، وَرِثَابَ الْقُرَّاءِ، وَأُتِيَ عَلَيْهِمُ الْوَهْلُفُ الْكَثِيرَةُ، فَعَدَا الْإِسْلَامَ هَلَاكَ غَضَبَ طَرِيْدٍ، وَهَذِهِ الْمَكْرَمَةُ مِنْ فَتْحِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ نَمَّ يَفْعَلُهَا بِمَنْ عَمَرَ مِنْ لُغْطَابِ (2)، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، لَعِزَّ صِلَاحُ النَّبِيِّ، رَحْمَةُ اللَّهِ، وَكَهَاءَ ذَلِكَ فَخْرًا وَشَرَفًا.

وَأَمَّا الْفَرْجُ مِنْ أَهْلِهِ فَابْتِغَاءُ أَهْلَانَا، وَشَرَعُوا فِي بَيْعِ مَا لَا يُمْكِنُهُمْ حَمْلُهُ مِنْ أَمْتِعَتِهِمْ وَذَخَائِرِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ، وَمَا لَا يَطِيقُونَ حَمْلَهُ، وَبَاعُوا ذَلِكَ بِأَرْحَصِ الشُّبْهِ، فَاشْتَرَاهُ الشُّجَارُ مِنْ أَهْلِ الصَّنْعِ، وَاشْتَرَاهُ لِلنَّصَارَى مِنْ أَهْلِ الْقُدْسِ الَّذِينَ لَبِسُوا مِنَ الْفَرْجِ، فَابْتِغَاءُ طَبَقُوا مِنْ صِلَاحِ النَّبِيِّ أَنْ يُمْكِنَهُمْ مِنَ الْمَقَامِ فِي مَسَاكِينِهِمْ. وَبِأَحَدٍ مِنْهُمْ أَنْحَرِيَّةً، فَأَحَابَهُمْ إِلَى ذَلِكَ، فَاشْتَرَوْا حَيْثُ نَزَلَ مِنْ أَصْوَالِ الْفَرْجِ وَبَرَكَ الْفَرْجِ أَيْضًا أَشْيَاءَ كَثِيرَةً لَمْ يُمْكِنَهُمْ بَيْعُهَا مِنَ الْأَسْرَةِ وَالصَّنَادِيقِ وَالْبَيْتَانِ، وَعَبَّرَ ذَلِكَ،

(1) يرى أن ليس الأخير لا يترك فرصة تمر دون أن يظهر ثقله بالأمرة التوكية التي أصبح بها صلاح النبي.

(2) صحيفة النبي (634 - 644). فتح المصطفى في عهد القصر للمرة الأولى (637)

وتركوا لَبِصًا مِنَ الرُّذَالِ الَّذِي لَا يُوْجَدُ مَثْلُهُ مِنَ الْأَسَاطِينِ وَالْأَلْوَابِ وَالْفُصْنِ وَغَيْرِهِ،
شَيْئًا كَثِيرًا ثُمَّ سَارُوا.

(عماد الدين، 47-69)

ثم رحل من عَمَلَانِ لِلْفَتَنِ طُلُبَاءُ، وَالْعَرَمِ عَالِيَاءُ، وَالنَّصْرِ مَصْدَحُ، وَبَدِيلِ
الْعَرَمِ حِيَاءُ، ثُمَّ أَصْحَبَ رِيْضُ مَنَاءُ، وَأَخْصَبَ رَوْضُ غَنَاءُ، وَأَصْبَحَ رَاحِ أَرْجَاءُ،
رَحِ الْأَرْجَاءُ، سَيْبُ الثَّغْرِ، طَلِبُ الْعَرْفِ، ظَاهِرُ الْبَيْتِ، قَاهِرُ الْأَيْدِ. عَنَى عَصَكِرُ قَدْ
فَاصٍ بِالْفَصَاءِ فَصَاءُ. وَمَلَأَ الْعَمَلُ وَأَفْلَحَ الْآلَاءُ. وَقَدْ بَسَطَ عَثِيرُ قَبْلَهُ مَلَامَتَهُ
عَلَى الْهَوَى، وَكَأَنَّمَا أَعَدَّ الْعَجَاجُ زَادَ لِلصَّحَى جَنَحَ الْعَنَى. فَالْأَرْضُ شَاكِيَةٌ مِنْ
جَحَافِ الْجَحَافِلِ، وَالسَّمَاءُ حَافِيَةٌ بِأَقْسَاطِ الْقَسَاطِلِ. وَسَارَ سِرًّا بِالْأَهْوَالِ
الْهَوَالِي، مَرُوءِيَّةُ أَحَادِيثِ فَتُوْحِ الْعَوَالِي مِنَ الْعَوَالِي، مَطْرِيَّةُ مَذَارِمِ دَجْجِهِ عَنَى مَا
تَنْشُرُهُ الْأَمَالُ مِنَ الْأَمَلِي، وَقَدْ حَلَّتْ وَعَلَتْ مِنْ مَعَارِسِ النَّصْرِ وَمَطَالَعَةِ الْمَجَانِي
وَالْمُجَانِي، وَالْإِسْلَامُ يَحْطُبُ مِنَ الْقَدْرِ عُرُوسًا، وَيَبْذُلُ لَهَا فِي الْمَهْرِ بَنُوسًا،
وَيَحْمِلُ إِلَيْهَا مَعْنَى لِيَحْمِلَ عَنْهَا بُؤْسًا، وَيَهْدِي بِشْرًا لِيَذْهَبَ عُبُوسًا، وَيَسْمَحُ صَرْخَةً
بِالصَّخْرَةِ الْمُسْتَعْدِيَةِ لِإِعْذَانِهَا عَلَى أَعْدَائِهَا، وَاجَابَةِ دَعَائِهَا، وَنَشِيئَةً
بِدَائِهَا، وَمُضْلَاعَ زُفْرِ الْمَصَابِيحِ فِي حَمَانِهَا، وَاعَادَةَ الْإِيمَانِ الْعَرِيبِ مِنْهَا إِلَى
وَهْنِهِ، وَرَدَّهَ إِلَى سَكُونِهِ وَمَسْكَنِهِ، وَالْقِصَاءِ الْدِينِ أَقْصَاهُمْ اللَّهُ بِنِعْمَتِهِ مِنَ الْأَقْصَى،
وَجَذْبَ قِهَادِ فَتْحِهِ الَّذِي اسْتَعَصَى، وَاسْكَاتِ الدُّفُوفِ مِنْهُ بِبَطْنِ الْأَدَانِ، وَكَيْفَ
كَفَّ الْكُفْرَ عَنْهُ بِالْإِيمَانِ، وَتَطْهِيرَهُ مِنْ أَتَجَاسِ تِلْكَ الْأَجْسَانِ، وَبَدَسَ أَدَسَى
الْبَاسِ، وَالْمُهَامِ الْأَهَامِ بِأَحْرَاسِ الْأَحْرَاسِ. وَطَارَ الْحَبْرُ إِلَى أَنْفَسِ فُطَارَتِ قُلُوبِ
مَنْ بِهِ رَغْبٌ وَطَائُشَتْ. وَحَقَّقَتْ أَفْئِدَتُهُمْ حُرُوفًا مِنْ جَيْشِ الْإِسْلَامِ وَجَاشَتْ، وَتَمَشَّتْ
الْمَرْجِعُ بِهَا شَاعَتْ الْأَحْيَالُ أَنَّهَا مَا عَاشَتْ، وَكَانَ بِهِ مِنْ مَعْدَمِي الْإِقْرَاجِ بِالْيَدِ بَيْنَ
سَازِرِ وَالنَّظَرِ الْأَعْظَمِ، وَمِنْ كَلَالِ الطَّلَاقَتَيْنِ الْأَسْتَارِيَّةِ وَالذَّائِيَّةِ لِلْمَعْمِ. فَاشْتَعَلَ
بِالْأَنْبَارِ، وَاشْتَعَلَ بِالنَّيْزَانِ، وَخَمِنَتْ بَارِ بَطَرِ الْبَطَرِكِ، وَضَاعَتْ بِالْعُومِ مَدْرِيْمِ
فَكَانَ كُلُّ دَارٍ مِنْهَا شَرِيكَ لِلْمُشْرِكِ. وَقَامُوا بِالنَّتِيرِ فِي مَعَامِ الْإِدْبَارِ. وَتَعَسَّبَ أَفْكَارِ
الْكُفَّارِ. وَأُتِيَ الْفَرَجُ مِنَ الْفَرَجِ، وَأَحْصَعُوا عَلَى نَدَى الْمَهْجِ.

نكر كنيسة قُمامة^(١)

وقالوا ههنا نطرح الرؤوس، وسنبتك النفوس، وسنبتك الدماء، ونُهلك الذهباء، ونصير على اقتراح القروح ولجترأح تجروح، ونسمح بالآرواح شخا عطل الروح، فهذه قُمامتنا، فيها قُمامتنا، ومنها تقوم قوامتنا، وتصيح همامتنا، وتصيح بدامتنا، ونسبح علامتنا، ونسبح غمامتنا، وبها غرامتنا، وعليها غرامتنا، وإكرامها كرامتنا، وسلامتنا سلامتنا، وبسببنا لستقامتنا، وفي سببنا لستقامتنا، وإر نطبا عيب برمت لأمنا، ورجبت ملامتنا، ففيها المصائب والمطالب، والمذبح والمقرب، والمجمع والمعب، والمهبط والمصعد، والمرقى والمقرب، والمقرب والمطرب، والمؤصص والمذهب، والمطع والمقطع، والمرنى والمربح، والمرخم والمخرم، والمطش والمخرم، والصور والأشكال، والسطر والأمثل، والاسد والأشيل، والأشياء والأشباح، والأعسة والألوح، والأجسام والآرواح، وههنا صور العوازين في جوارهم، والأخبار هي أخبارهم، والزهادين هي صوامعهم، والأشياء في مجامعهم، والمخرة رحباليها^(٢)، والكهنة وحيالها، ومثال السيدة والسيد، والهيكل والمولد، والمائدة والحبوب، والسبعوت والسبعوت، والتلميد والمعلم، والمهد والصبي المتكلم^(٣)، وصورة الكبش والحمز، والجنة والدر، والنواقيس والنوميس، قالوا وفيها صلب المسيح، وقرب للذبيح، ونجت قلاهو، وبأله القاسوت، وسندم التركيب، وقام الصليب، وذل النور، وزل النحور، ولوججت الطبيعة بالاقوم، وامتزج الموجود بالمعدوم، وعمنت معروية للمعبود، ومخصت لنشول بالمولود^(٤).

(١) في العربية التمامة نكر الكتب الخمسين لستاد كلبا يرون من واجبهم تحويل الاسم إلى القدمة وذلك ليعلم من قبحها وقد أورد هذا عند الذي قد وبعد ذلك بحث هذا الاسم، ويعتمد القدر المتكس.

(٢) إشارة إلى آية قرآنية منكر رمي سحرة عصر الحال أمام موسى (عنه السلام) بشجولو أبيه سحر - الآية ١١٦ سورة ٢٠ (لقه).

(٣) هذا صدى قرآني آخر: المائدة هي مائدة القربى تمفقس التي يرى (كد) محسن (صبي) ش عليه وسلم) ن معجزة انزلها من السماء، قرار (كريم) النيرة ٦ (المائدة) أو المسيح نصبي المتكلم قرار (كريم) الآية ٣٠ وميمعدها من السورة ١٩ (مريم)، فهو صبي (ك) - .
Evangelium In hunc

(٤) معجزة معجزة وعطاء متيق ساهت في نوع هذا الكتاب للمسلم على رسم هذا الطبيعة المعجزة من العطاء والنفوس المسيحية، لكن هذا التصوير الكاريكاتوري للمسيحية، بعيدا عن أسلوب المظهر، هو نفسه الذي براه عادة لدى مسلمي العهد المتوسط ولا يتصيح أن نعرب بأن الأمر كثر مختلف لدى الأطراف الأخر.

وأصافوا إلى منعبدهم من هذه الصلالات، ما صلّوا فيه ثلاثه عن بهج
 بدلالات، وقالوا: دون معبده رنا موت، وعلى خوف قوتها منا نفوت، وعيب
 بدافع، وعيبه نهرع، ومالنا لا نفعل، وكيف لا نلج ولا ندرج، ولأني معي نركهم
 حسي بأحدوا، ودعهم حتى يستخلصوا ما استخلصه منهم ويستغفروا⁽¹⁾ رنا هيو
 نيهوا، وما أنتهنا بل تناهوا.

ونصبوا المناجيب لأمّت الأسواء على الأسوار، وسفروا بظلمات السامر وجوه
 الأسوار، واستسافنت شياطينهم، وسرحت مزاحيتهم، وطعت طرد غيبتهم، وأصلبت
 مصانيتهم، وشرت طولميرهم، وتسفرت مساعيرهم. وهاج هاججهم، وماح منجمهم،
 ودعت ذي عيبهم، وعدت عوديتهم، وسعت أفاعيتهم، وحصنتهم قسوسهم، وحرصتهم
 رؤوسهم، وحركتهم نفوسهم، وجالتهم بحرى السوء جواسيسهم، وأحيرتهم بإقبال
 السامر الدهرية⁽²⁾ منصوره الجود، مشورة تيبو، موصولة الفواطع بالاشجع
 مهجورة الغمود، مشورة الفواصب، مشورة للكتائب، مقودة الصوامر إلى شار
 العدى، مؤقدة الصمائر بار الهدى، مشورة العزائم، مجوبة الصلادم، مسرلة
 الضب، مطلولة الزيا، مجوبة أجنة أشمادها، مسرلة أسنة صعلادها، مطلقة أجنة
 جبهده، محقة مظنة مرادها، قد سالت للرهان أكامها، وجالت الأعلام في
 أعلامها، وسدت الفجاج أفواجها، ومدت المعراج أمواجها، وحسبت العربة عجلها،
 وألهمت الذبالة خرصاتها، وجرت بلجبال رذعها، وخرت كالضال رمحها، واشتمت
 على الصراغم عيلها، وأقبل بالعطائم قبيلها، يوافي كل راف بعهد ربه، كاف لكف
 خطبه، شاف لهم قلبه، صاف بعين شربه، حاف في نفوسه، داف نفوسه، بامس
 بداسه، عاسل بأمراسه، داسل بثقت لقمه من جهه، غاسل بثقت الحد بنم قره،
 واصل بيمين الهند بسواعده، فاصل خطاب للخطوب بدورقه ورواعده، حاد بجده،
 وكل شرب نثار الحراب شارب، ورب دين لدين الترت رب، وكل جيش كاسبر
 عتاب، وكل سأل ذي ذباب عن الهدى ذاب، وكل قاتل بالآخرة للحياه الدنيا قال،
 سأل من الله الشهادة عن حب البقاء سأل، مائل في سبيل الله إلى سفاو مال
 وأقبر السلطان بإقبال منطاته، وأطال شجاعته، وأقبل أولاده وأحوايه، وأقبل

(1) رينا أن هذا نحه في لقب صلاح الدين القاصر ليس به

مصابريكه وعلمانه، وكرام أمراته، وعظلم أوليائه. في مقاب بالمناقب مقته، وكنائب بالمواكب مكتبة، ونوايل بالكوالكب مصتله، وجحافل بمصاء المصارب محفلة. والوبة صغر لئلاواء⁽¹⁾ بني الأصغر⁽²⁾، ويصص وسعر نرزق زرق العدى من الموت الأحمر، وقباب وقهائل، وقفا وقديل، وصلوص وصواهل، وعوامل وعوايل، وفورس فورس، وكل من ينكر للشيخ بنيته النعوس والنفائس. وأصبح يسأل عن الأقصى وطريقه الأنسي، وقريعه الأنسي، ويذكر ما يفتح الله عليه بحسن فتحه من الحمسي

وصف البيت المقدس

وقال: ابن أسعدنا من الله على اخراج أعدائه من بيته المقدس فما أسعدنا، وأتى يد له عدد إذا أنينا، فإنه مكث في يد الكفر إحدى وتسعين سنة⁽³⁾، ثم يتقبل الله فيه من هابت حسنه، ودامت لهم المنوك دونه متوسنه. وحلت انقرون عه متخيلة، وحلت العرج به متولة. فما انخر الله فصيله فتحه (لا لال يوب، ليجمع بهم بالقبول القلوب، ويخص به عصر الإمام الناصر لدين الله لبقصته به على لاعصار، ولتغفر به مصر وعسكرها على سائر الأمصار. وكيف لا يهتّم بافتتاح البيت المقدس الأقوى، والمسجد الأقصى المؤنس على التقوى، وهو مقام لأنبياء، ومواقع الأولياء، ومعبد الأنقياء، ومزار أبدال الأرض وملائكة السماء، ومنه المنحشر والمنشر، ويتوافد إليه من أولياء الله بعد المنشر المعشر، وفيه الصحرة التي صبيت جذة إيهاحها من الإنهاج، ومنها منهاج المعراج، ولها القبة الشاه التي على رأسها كلثاج، وهي ومن المارق ومضى المراق⁽⁴⁾، وأضاءت

(1) ترجمها غابريلي (الوبة صغر لئلاواء بني الأصغر).

(2) بعدد من تلاعب الألفاظ (الاشتقاق الحقيقي هو من ذكر دورلي من Sofer قريب Ezer)، ويرى العرب أنهم قلبي لروماني ثم العثيين والعربيين. وقد سماوا بعدها بالعبور الروم كوصف عراقي وكوصف شام وتفسير

(3) لأعوام القمريّة للهجرة، من 492 (1099) إلى 583 (1187).

(4) المراق السمرقندي الذي يعتقد ابن محمد (سني الله عليه وسلم) انطلق عليه في معجزة المعراج من الصحرة نحو العالم الآخر. وتظهر في النص رغم تروييعت عماد الدين تلك المعالم التي جعلت وماتران تبص للنفس شمعة بل ومعصية لدى المسلمين. راجع بعدد الرسائل التي عث بها صلاح الدين ريشارد. وظهرت فيها نفس الأسباب.

ليلته لإسراء بطول المبراج المنير فيه الأفاق. ومن أبوابه باب الرحمة الذي يستوجب دخوله إلى الجنة بالتحول الطود، وفيه كرسي سليمان ومحراب داود. وبه عين سنان التي تمثل توازدها من الكون الحوص للمورود. وهو أول القبيلين^(١)، وثاني البيتين، وثالث الحرمين. وهو أحد المساجد الثلاثة التي جاء في الخبر النبوي أنها تفتح أبوابها للرحال، ويعقد الرجاء بها الرجال. ولعن الله بعبده بما إلى أحسن صورة، كما شرقه بذكره مع أشرف خلفه في أول سورة، وقال عز من قدر [سبحن الذي لى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى]^(٢) وله قصائد ومسابك لا تحصى، ولله ومنه كل الإسراء، وأرضه تحت السماء، وعنه مؤثر أنبا الأنبياء، وأداء الأولياء، ومشاهد الشهداء، وكرامات الكرماء، وعلامات العلماء. وفيه مبارك التهازل، ومسارح المساز، وصخرته الطولى، القبلة الأولى، ومنها تعالت المقام النبوية، وتوالت البركة الطوية، وعددها صلتى نبيك صلعم - سيئين، وصحب الروح الأمين، وصعد منها إلى أعلى طينين، وفيه محراب مريم عم النبي قال الله فيه [كلما دخل عليها ركباً]^(٣). ولها رة التعبد ولسله المخيا، وهو الذي أسسه داود وأوصى ببنائه سليمان، ولأجل إجلاله أرسل الله سبحانه، وهو الذي افتحه الفاروق^(٤) واعتصم به سورة الفرقان، فما أجله وأعضمه، وأشرفه وأفضمه، وأعلاه وأجلاد، وأسماء وأسماء، وأمن بركائه وأبرك ميامنه، وأحسن حالاته وأحلى محاسنه، وأزين مجاهجه وأبهج مزاجه، وقد أظهر الله طوبه، بقوسه [الذي باركنا حوله]^(٥) وكم فيه من الآيات التي أزهى الله بيته، وجعل مسموحاً من قصائده مرئية.

- (١) باب الرحمة، المسمى اليوم بابي القضي، أحد أبواب المسجد المنفرد.
- (٢) الآية هي وجهة الصلاة التي جعلها (كنا) محمد (صلى الله عليه وسلم) نحو القدس قبل أن يحرمه جانب (كنا) نحو مكة. والقدس هي بين أول القبيلتين، وثالث الحرمين بعد مكة والمدينة، وفيه بيت الله الثاني بعد مكة.
- (٣) قرار (كريم) الآية ١ من السورة ١٧ (الإسراء) وفيها ذكر إسراء النبي (صلى الله عليه وسلم) من مكة إلى القدس. ويعد المبراج تليالي نحو السماء.
- (٤) قرآن (كريم) الآية ٢٧ من السورة ٣ (آل عمران).
- (٥) لقب الصفة عمر.
- (٦) من (كريم) الآية ١ من السورة ١٧ (الإسراء).

حرصه اسباب، إذا الوجوه لعلّ النصل مكشوفة، والقلوب تلوجد بالفتال ملهوفه، والابدي على قوائم السيوف المعقوفة مضمومة، والتغوس لايتبطه الهمم في الالهام مهمومة، وقواعد السور وتواجد شراريعة بالأحجار الخارجة من مكعب مهمومة مهمومة، فكر المجانيق مجانيق يرامون، ومباحيد لا يرمون، وجبال تجنيها حبال، ورجال تتجدها رجال، وأقات النواهي والعدايا، وحوامل على اسلاب، لا حجر عليها في حجر، ولا أمن عدها من حجر، ولا بخطر سبهم، لا بالحطر، ولا يقطر مروزها إلا مرارات نوي الفضر¹. فكم جم من سمانه ينقض، وصحر من لوصها يرفض، وجر من شرارها ينقض. وما شيء كادت كذاتها، وآيات مكياها، وذكاء ابراكاتها، ولغات فلانها، وجديات عدياتها، لما رالت تقطع بمقالها، وتكرع بمقارعها، وتمح بالسطاها، وتمرح في أرضها، وتصمم وتهدم، وتصرع وتصدع، وشهر بذلائها، وتجر ببلانها، وتخل تركيب الجلاميد بأفراد جلاميدها وتقر شمل اعماني بكرعها وتنديها، وتقوص للقواعد بضربها من سدسها، وتلصص المعاف بجنيها في امراسها، وتشفع المولر بشرها من كاسها، حتى تركت السنور سؤرا، وجعلت الداب عه محسورا، وعاد العنق من بطمه مبتور مبتور، وبخرق الخندق وخفر الخرف وطهر للإسلام الفتح والكره الشك، وأخذ القلب، وسهل الصعب، ونزل المجهود، وحصل المعصود، وكمل المراد، وكلم العزاد، وثفر الثغر، وأمر الأمر، وأمر الأرب، واستتب السبب، وخاف القوم الوثم، واستعصوا من الصخرة الشقم وأسلم اللند وقطع رنار حذقه، وبرر ابن بارر ليأمن من السلطان بموثقه، وطلب الامان بومه، وتمتع السلطان وناسي في سومه، وقال لا أمن لكم ولا أمان، وما هو أنا إلا أر منيم نكم الهوان، وعاد عنكم نسر، ونومكم هلا وأسراء وسفك من للرجل الدماء، وسلط على نرية ونساء نساء، وأبي في تأميدهم إلا الإداء. فتعرضوا للصرع، وبحوقه وحوقا عاقبة التصرع، وقالوا: إذا أيسنا من أماتكم، وحيا من سلطانكم، وحب من حسابتكم، وأيسنا أنه لا نجاة ولا نجاج، ولا صنح ولا صلاح، ولا سلم ولا سلامة،

1- يبدو انه يريد القول إنها كانت تبت لأربع شكل تتغير معه موزنة من يستطيع تقدير الترميم المعيب لكن هذه الصور لم تذكر إلا لصالح لتسجع التي يصنع في هذه الترميم

ولا نعمة ولا كرامة، قلنا نستقل نفقاتنا قتال النعم، ونقابل الوجود بالعدم، ونعم اقام
 المستشري بالشهر، ويقدم القحاح المنضري من الضم، وتلقي أنصبا على الدر،
 ولا نفي بأيدنا إلى التهلكة والعار، ولا يجرح واحد منا حتى يجرح عشرة، ولا
 نصفنا يد الفتك حتى نرى أيدي بالفتك منتشرة، وأنا بحرق النور وبحرب الفتنة،
 وبرك عليكم في سينا السبته، وطلع الصخرة، وتوجد كم عليها الحسرة. وبقتل كل
 من عذب من أسرى المسلمين وهم ألوف، وقد عرف أن كلاً منا من نزل عروب
 وبلغ ألوف، وما الأموال قلنا نعطها ولا نعطها، وما الدراري ذات سارع هي
 عدامها ولا نستعطيها، فآية فائدة لكم في هذا الشرح؟ وكل خسر لكم في هذا
 التبرج، وزيت حبيبة جاءت من رجاء النجح، ولا يصلح السنة سوى الصلح، ورب
 ملج أصله طلام للثيل قبل أسفار الصبح.

فقد السلطان مخسراً للمشورة، وأحضر كبراء عساكره المنصورة، وشاورهم
 في الأمر، وذاورهم في السر والجهر، واستطلع حبايا صمنهم، واستكشف حجاب
 سرايرهم، واستورى ردهم، واستعلم ما عندهم، وراوضهم على المصلحة المترجحة،
 وفاوضهم في المصلحة المترجحة، وقال: إن الفرصة قد أمكنت فحرس في
 نتهزها، وإن الحصنة قد حصلت وستحبر الله في إقرارها، وإن فائت لا تستدرك،
 وإن أفلت لا تملك" فقالوا: قد خصك الله بالسعادة، وأخلصك لهذه العباد، ورأيك
 راشد، وعزمك لصالفة النصر نائيد، وأمرك لأمتات المصالح وأسباب المصالح
 حشد، وكلنا لك في اجتهام فتح هذا الموضع اشريف ملشد". واستقر بعد
 مراديات ومعارفات، ومعارفات وتقويصات، وضراعات من القوم وشبهات،
 على قطيعة تكمل بها العبطة، وتحصل منها الحوظة، اشغروا بها من أنفسهم
 وأموالهم، وحلصوا بها رجالهم ونساءهم وأطفالهم. على أنه من عجز بعد أربعين
 يوماً عما لزمه، أو امتنع منه وما سلمه، ضرب عليه اللؤ. وثبت في يمينه لب
 اسحق، وهو عن كل رجل عشرة دنائير وكل امرأة خمسة وكل صغير أو صغيرة
 سيارا. وحل ابن بارزان والبطرك ومقنما الداوية والإسبتار في الصغار، وسئل
 ابن بارزان ثنتين ألف دينار عن الفقراء، وقام بالأثناء ولم يكل عن الوف. فمن
 سلم خرج من بيته آمناً، ولم يعد إليه ساكناً.

وسلموا للبند يوم الجمعة السابع والعشرين من رجب (2 تشرين أول، كنوس)
على هذه القصبة، ورنوه بالرغم رد الغضب لا الوجة. وكان فيه أكثر من مائة
الف إنسان، من رجال ونساء وصبيان، فأغلقت أبوابهم الأبواب، وزدت لعرصهم
واستخرج م¹ بلرمهم للوالب، ووكل بكل باب أمير، ومعلم كبير، يحصر
الحارجين، ويحصي النواجين، فمن استخرج منه حرج، ومن لم يعم بما عليه قد
في الحبس وعدم العرج. ولو حفظ هذا المال حق حفظه، لدار منه بيت المال
بوفر حظه لكما نم للتخريط، وعم التخريط، بكل من رشا منى، وسكب الأمد
نهج الرث بالرشا، فمنهم من أنلى من النور بالحبال، ومنهم من حمل مخب في
الرجال، ومنهم من غبرت لبسته فخرج بزيء اتجد، ومنهم من رقت فيه شفاة
مطاة لم تدبل بالرد.

وكانت في القدس ملكة رومية مترفة، في عبادة الصليب متصلة، وعلى
مصابها به مثله، وفي التمسك بملئها متصعبة متصلة، أفسس متصاعدة
للحرز، وعبراتها متحدة تحضر الفطرات من الحرز. ولها حال ومال وأشب
وأشب، وبتع راتباع، فمن عليها السلطان وعلى كل من معها بالإفراج، وأدر في
إخراج كل مالها في الأكياس والأحراج، فراحق فرحى. ولو كانت من شعبها
فرحى.

وكانت زوجة الملك المأمور إسة الملك أمري²، مقيمة في جوار القدس مع
مالها من الخنم والخول والجواري، فطمت هي عمر معها ومن تبعها، ومن
ادعى أنه من أصحابها وشيعها. وكذلك الإبرساسة إسة هليل أم هوري³ أعيت
من نوب، وتوفر مالها عليها في الحرز. واستطلق صاحب البيرة رهاء حمسنة
رسمي ذكر أنهم من بلدة، وإن الواصل منهم إلى القدس لأحل متعبده، وطلب
مطر السير بن علي كوكك رهاء ألف أرمني ادعى أنهم من الرها. فأجره
السنن من إطلاكهم له على ما انتهى. وكان السلطان قد رتب عدة ثوبين، في
كل سيول منها عدة من التواب المصرتين ومنهم من الشاميين، فمن أحد من أحد

(1) المنحة Sebilla إسة الملك Amanri

(2) Stefanus إسة Filippo di Milly ورملة Renaud de Chatillon وبن Honfron de Thoron

السواوير خطأ بالأداء انطلق مع الطلقاء، بعد عرض حطه على من بالباب من
الامباء والوكلاء، فذكر لي من لا أشك في مقته، أنه كان يحصر في السواير
ويطلع على حيله، فرنما كتبوا خطأ لمن بقده في كيسهم، ويأس امر تليسهم،
فكنوا شركاء بيت المال لا أماء، وحافوه على ما حصل لكل من العسى واسمع وما
أصر غسه، ومع ذلك حصل لبيت المال ما يعارب مائة ألف دينار، وبقي من بقي
تحب رو واسار، ينظر به انقصاء العدة المضروبة، والعجز عن ثوبه بالفضيلة
المطلوبه.

ذكر يوم الفتح وهو سابع عشرين رجب

واتفق فتح البيت المقدس في يوم كان في مثل لينته منه المعرج، وتم به
وضح من منهاج النصر الانبهاج، وزاد من الألسنة بالدعاء والابتهال الانتهاج.
وجلس لسطون الهنداء، للقاء الأكابر والأمراء والمتصوفة والعلماء، وهو جالس
على هيئة التواضع وهيبة الوقار، بين الفقهاء وأهل العلم جلساته الأبرار، ووجهه
يسور البشائر ساهر، وأمنه بعز الدجج ظافر. وبابه مفتوح، ورقده مسموح، وحجابه
مرفوع، وحطابه مسموح، ونشاطه مهيئ، وبساطه مهيئ، ونحياء بلوح، ورياء بفوح،
ومحبته ترويق ومهانتة تروع، وأخافه وأحلقه نصرع. وبه نفيس أمراء المسحاء،
وبعض أقواه العطاء، ظاهرها هبة القبل^(١)، وباطنها كعبة الأمل، قد حلت له حبة
الطفر، وكان دنته به هالة القمر، والفراة حطوس بهراون وبرشون، والشعراء
ولوف يشون وبشون، والأعلام تنزرت لتشتر، والأقلام كزبر للبشائر، والعيون من
فرط المسرة تدمع، والقلوب للفرح بانصر تخضع، والألسنة بالابتهال إلى الله
تنصرع، والكاتب يعني ويوشمي ويوشع، والبايع يصهب ويوحر ويصيق ويوسع، فما
شبهت قلبي إلا بشائر أري للشارع^(٢)، ولاوجهت قلبي إلا لطائف وحي الطديق.
وما أرسيت براعي إلا ليراعي الرسائل، ويشيع القضايا، ويشيع الفروض، ويشيع

(١) أي هدفا ووجهة كما سلفا

(٢) الكاتب هنا يمدح نفسه، على أنه ذو تقوى القاصد والكاتب السلطاني الأمين في التعبير
عن الإمارة السلطانية.

العور، ويسمع الطول، وبطول بالحجة وإن كان في حجمه قصير، وبصول بالهجة
ويكون في حجمه حصر، ويسخن الملك به وهو خفيف، ويثقل للجيش به وهو
خفيف، ويساي يياض العرة من سواد الدهم، ويظو بهجة الصياء من محجة
الظلمة، ويحري بالأجال والأرزق، والممع والإطلاق، والحلف والثوق، ويزرق
وإعناق، والمعد والإحيز، والجدة والإعول، والعق والرنق، والترقع والحرق. وهو
الذي يجمع للجيش، ويرفع العروش، ويوحش المستأس ويؤس المستوحش،
ويدعش العثر ويعثر المنعش. يحري بالأعناء، وبالإيلاء للأولياء. فبشرت
بأفلامي أقليم البشر، وعثرت بإعاجيب عن عجائب العبر، وملاّت البروج
بالدراري والشرح بالثرر، ويث تلك البشري حتى أطابت ربّ الزيّ وسمر
سمرقند¹، وطربت وحلت حتى ذقت الفئيد والفند، وعلفت بفتح القدس بلاد
إسلام وزيت، وشرحت فصيلتها ويث، وأذيت هريصة ريزنها ونعيت.

ذكر ما جرت عليه حال الفرنج في خروجهم من القدس

وشرع لإبرج في بيع الأمتعة، واستخراج دكانهم المودعة، ودعوا
بالعجار في سوق أهوان، وتعاقدت بهم فابتاعوها بأرخص الأثمان، ودعوا
بالل من دينار كل ما يساوي أكثر من عشرة. وحدوا في صم ما وجدوا من أمور
لهم منتشرة، وكسوا كناسهم²، وأحدوا منها نفاسهم، ونظوا منها الذهبيات
والفضيات، من الأواني والقبايل، والحريريات والمهيات. من السور والمنادين.
وبعسوا من الكنائس الكنائس، واستخرجوا من الخزائن القدس. وجمع البطريرك
الكبير كل ما كان على القر، من صفائح انتز، ومهنوعات المسجد ومصنوعات
النحاس، وجمع ما كان في قسامة من للجصين والمنجيين. هفتت سلطان³ هذه
أموال وفرة، وأحوال ضاهرة، نيلت مائتي ألف دينار، وألغار على أموالهم لا أموال

1. تلاعب بتقطعه البروج بين معيني برج انقلعه وبرج الفلك

2. تلاعب بالاعطاء وبعدها مرة أخرى لتغيير عن اقتضار الخير المسجد حتى في أنحاء بلاد

كرس وألجا الوسطى الإسلامية

3. ذكر هذا حاله في المجلس أو أنه يشير إلى صلاته لمتنكف ومثليتها

نكس والأكبار، فلا تتركها في أيدي هؤلاء الفحلر". فقال: "لا تأول عليهم
سيبوا إلى الغدر، وهم جاهلون بعز هذا الأمر، فنص نجريهم على طاهر
لأمر، ولا تتركهم يرمون أهل الإيمان بنكث الأيمان، بل يتحدثون بم أقصده
من الإحسان". صرخوا ما نكل وحملوا ما عز وخفت، ونقصوا من نراب ثرائهم،
وقمامة قمامهم^(١) الكف. وانتقل معظمهم إلى صور، وكثفوا بالسيجور^(٢) سيجور
وفي منهم رهاء حمسة عشر ألفا امتنعوا من مشروع الحق، فاحتصوا بمشروط
أرق. هم الرجال وكانوا في تقدير سيحة آلاف، فليهم ألعوا ذلأ لم يكونوا له
بالأف، فاقسمتهم أيدي السبي أيدي سبا، وتفرق للعالمون بجمعهم في الزب
والزب. وأحصيت النساء والصبيان ثمانية آلاف نسمة، عانت بيت مقسمه،
وأصبحت بيكانها وجوه الدولة مبتسمة. فكم محجوبة هُتكت، ومائكة ملكت،
وعزباء نُكحت، وحريرة مُنحت، وبخيلة تسفحت، وحبية توفعت، ومُعدة مَرحت،
ومصونة ابتذلت، وفارعة سُطبت، وعويلة امتهنت، وجميلة امثحت، وعدراء
افترعت، وشفاء فُرعت، وألمياء رُشعت، وظمياء فُرشت، ورقيقة أصحبت، ورصينة
أصبحت. لكم تسرى منهن سري، وتجرأ عليهن جري، وقصى وطره عزب، ونفى
نهمه سغب، وفثأ سورته شغب. وكم غائية استحضت، وغالية استرحصت، وواية
عزلت، وغالية استترلت، ووحشية صيدت، وعرضية قيدت. ولما نفّس القدس من
رجس الفرنج أهل الرجز، وطلع لباس النثر ولبس حنع العز، أبى الصاري بعد
أداء القاطعة إلى يحرخوا، ونصرخوا في أن يسكنوا ولا مزعجوا، وبدلوا خيم وخدمو
ببدول، وبدلوا كل ما ألزموا به بالترام وقبول. لوأعطوا الجرية عن يد وهم
صد غروا^(٢)، ونحت أدواهم بما شجاهم فراد شجاهم وهم باغروا، ودخلوا في
أسغه، وخرجوا إلى العصمة، وشغلوا بالخدمة، واستعملوا في المهنة، وعدوا سيحة
في تلك المخنة.

(١) أي كنبسه القير المقس كما في هامش سبق

(٢) قرأ (كريم) الآية 29 من السورة 9 (التوبة) نقلاً عن إيريلي بالإنجليزية عن ترجمة حبب بهم

E. Rosenthal.

نكر ما أظهره السلطان في القدس من الحسنات ومحاه من السيئات

ولما سلم السلطان القدس أمر بإظهار المحراب⁽¹⁾، وحنم به أمر لإيجاب، وكس الدويبة قد عوا في وجهه حدارا وتركوه للعلّة هزأ، وقيل كانوا يحبوه مستزاحا صرانا وبعيا. وكانوا قد عوا من غربي القبة دارا وسيعه، وكنيسة ربيعته. فأوعر برقع ذلك الحجاب. وكشف النقاب عن عروس المحراب، وهيم ما فثامه من الأبدية، وتنظف ما حوله من الأفتية، بحيث يجتمع الناس في أجمعه، في العريضة المشعة. ونصب المنبر، وأظهر المحراب المظهر. وثفن ما أحسنه بين السواري وفرشوا تلك البسيطة باليسط الأربعة عوض النحر والباري، وعلفت لفناديل، ونقى التنزيل، وحق الحق ونظمت الأباطيل، وتولى العرقس وغزل لإنجيل، وصنفت المسجّدات، وصفت العبادات، وأقيمت الصلوات، وأقيمت الدعوات، وتجلت البركات، وتجلت التكرّات، وأقيمت الغيبرات، وانتهت الهدايات، وثبتت الآيات، وأعطيت الرّيايات. وحقق الأذان⁽²⁾ وخرس الشافوس، وحصر المؤنسون وغاب الفسوس، ورال العجوس والبروس، وطابت الأنفاس والنفوس، وأقبلت السعود وأدبرت النحوس. وعاد الإيمل الغريب منه إلى موطنه، وطالب الفصل من معدنه، وورق الفراء وغريء الأوراء، واجتمع الرهقاء والعباد والأبدال ولأوت⁽³⁾ وغد الواحد ووحد العبد، وتوافد الزكع والسجد، والحدشع وتواجد، وارهي والراهد، والحاكم والشاهد، والجاهد والمجاهد، وانفانم والندعد، والتمتجد السهد، والزائر والوافد. وصدع المذكر، وأبعث المعشر، ونكر البعث والتمعشر، وأملى الحفاض، وأملى ألوعاظه ونككر العطاء، وتناظر الفقهاء. وتحدث

(1) محر الصلاة في قبة المسجد الأقصى التي يور عنه الحديث في هذا الموضع. د ه مع رواية لحن الأثير السابقة.

(2) يعبر غابرييلي معنى الآن ثم يكرر معنى قروح الحضب التي كان مسجود الشرق بمجلوبيا بل الشافوس.

(3) وناه الحجام والأرتاد من درجات الصوفية أيضا، وترجدها الأبدال بجاره كيار فغديسي، وهم أيضا من درجاتهم.

الروه وروى للمحققون، وتحبب الهداة وهدي للمتخفون، وأخلص الداعين ودع
 المخلصون، وأخذ بالعزيمة المترخصون، ولخص المعشرون وصر المخلصون.
 وانتدب الفضلاء، وانتدب الخطباء، وكثر المترشحون للخطابة، المنشحون
 بالإصباح، المعروفون بالفصاحة، الموصوفون بالخصافة، صا فيهم إلا من حسب
 نزيه، ورهب الخطبة، وانتقأ معنى شائخه، ووشى لفضا رائعا، وسوى كلام
 بالموضع لانتقأ، وروى منكرا من البلاغة فاتقا. وفيهم من عرص علي خطبته،
 وطنب مني نصيته، وثمانى أن ترجح هصيلته، وتذجج وسيلته، وتسبق هيلته في
 مسيئة، وكلهم مال إلى الإلتهاج بها عتقه، ومال من الإلتهاج عنها عرقه، وما
 منهم إلا من يتأهب ويترقب ويتوسل ويتقرب، وفيهم من يتعرص ويتصرع.
 ويتشوب ويتشفع. وكل قد ليس وقاره ووقر لباسه، وصرب في أحماسه أسداسه،
 ورفع لهذه الرئاسة رأسه. وأسلطان لا يعز، ولا يبين، ولا يخص، ولا يهين ومنهم
 من يقول "اليتني خطبت في الجمعة الأولى، وفرت باليد الطولى، وإذا طهرت
 بطالع سعدي، فما أبا لي بمن يحطب بعدي". ففما دخل يوم الجمعة ربيع شعب،
 أصبح الناس يسألون في تعيين الخطيب السلطان، وامتلأ الجامع، واحتفلت
 لمجامع، وتوجست الأبصار والمسامع، وفاصت نرقة القلوب المدامع، وراعت
 حنة تلك الحالة وبهاء تلك النهضة الروائع، وشعب من سر السرور ليس خبر
 الحبور الشونع، وعصفت بالساهرين إليها المواضع، وتوسمت العيون، وتقسمت
 لحنون. وقال الناس "ها يوم كريم وفصل عظيم، وموسم عظيم. هذا يوم تجاب
 فيه الدعوات، وتصب البركات، وتعال للعبرات، وتقال العشرات، ويتيقظ العاقبون،
 ويتعظ الغامون، وطوبى لمن عاشر، حتى حصر هذا اليوم الذي فيه انتعش
 لإسلام وأرض. وما أفصل هذه للطائفة الحاضرة، والعصبة الصاهرة، والأمة
 الظاهرة، وما أكرم هدد النصر الناصري، والأسرة الإمامية، والدعوة العباسية".

(١) في صياغة لتوسط كعب السلطان، ورغم المصنفات التي يعنى بها ٤ عدد ٢٠١٥ عن
 هذه المداينة، فلم حصل لتسعى نحو ميل التصيب يثنو بوصوح.

(٢) حافظ صلاح الدين السبي على صفته نظريه بالحلاقة العامة يثما خصي على الخلافة
 عاظمية المصنفه في مصر.

والممكة لأبويه: والنولة الصلاحية، وهل في بلاد الإسلام أشرف من هذه الجماعة، التي شرفها الله تعالى بالتوفيق لهذه الطاعة^(١). وتكلموا فمن يحض، ومن يكون للمنصب، وتفاوضوا في التفويض، وتحدثوا بالنصريح والتعريض والأعلام تُعنى، والمُنبر يكسى ويجلى، والأصوات ترتفع، والجماعات تجتمع، والأفراح ترحم. والأمواج تلتطم، والعارض من الصحيح، ما في عروفت^(٢) صحيح، حتى حاش الروال، وزال الاعتدال، وجعل الداعي، وأعجل الساعي. نصب لسلطان الخطيب نصته، وأبان عن اختياره بعد فحصه. وأمر بن نقاصي محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين علي القرشي بأن يرقى ذلك العرفى، وترك جباه الباقيين بتقديمه عزى. فأعزته من عدي أهبة سوداء من تشريف بخلافه، حتى تكمل له شرف الإفاضة والإضافة، فرقى العود، ونقى السعود، وهزرت اصناف السبر. واعتزب أطراف المعشر، وحطب وأصنو، وطلق وسكنوا، وأصبح وأعرب، وأبدع وأغرب. وأعجز وأعجب، وأوجر وأسهب. ووعظ في خطبته، وحطب بموعظته. وأبان عن فضل البيت المقدس وتقديسه، والمسجد الأقصى من أوّل تأسيسه، ونظيره بعد تقيسه، وأحراس دارقوسه وإخراج قسيسه، ودعا للحنيفة والمنطال، وحكم بقوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ). ونزل وصلى في المحراب، وافتتح بسم الله من أم الكتاب^(٣)، وأنتم بتلك لأمة، وثم نزول الرحمة. وكمن وصول النعمة. ولما قصبت الصلاة انتشر سس، واشتهر الإيمان. وانعقد الإجماع وأُقرّ القياس^(٤). وكل قد نصب للوعظ شهاب القبة سرير، فجلس عليه زين السبأ أبو الحسن علي بن جلاء فذكر من خاف ومن رجا، ومن سعد ومن شقي ومن هلك ومن جد. وحزب بالحجة ذوي نهجا، وجلل بنور عظاته من ظلمات الضلالت ما دجا، وأتي بكلّ عضة، للرقدين موقطه. ولنظالمين محطه، ولأوثياء الله مرقعة ولأعداء الله معطه.

(١) عرفت قرب مكة من مواقع الحج الإسلامي حيث يحيى الحجاج بالعبادة والصلاة الذين في الحياء (كد)

(٢) لم الكتاب أي السورة الأولى أو الفاتحة التي يبدأ بها القسمة

(٣) الإجماع والجلس من مبادئ الفقه الإسلامي

وصيخ المبدكون، وعيخ المتشاككون، ورققت القلوب، وحفت الكروب، وتصدعت
 السميرت، وتحدت العيرت، وتاب المنفيون، أناب المتحويون، وصاح لتوايون.
 وصاح الأوبون. وجرت جالات جلت، وجوات حلت، ودعوات علت، وصراعات
 صلت، وفرص من الولاية الإلهية انتهزت، وحصص من العلية الربية أحررت.
 وصلى السلطان في قبة الصخرة والصعوف على سعة الصحن بها متصلة.
 والأمة إلى الله بنوام بصره مبنهلة، والوجوه الموجهة إلى القبلة عليه مقبلة.
 والأيدي إلى الله مرفوعة، والذعوات له مسموعة. ثم رتب في المسجد لأقصى
 خطيبا استمرت خطبته، واستقرت نصيبته.

وصف الصخرة المعظمة غمرها الله

وأم الصخرة فقد كان الفرج قد برا عليها كنيسة ومنجها، ولم يتركوا فيها
 للأيدي المشركة^(١) ولا للعيون المدركة ملمسا ولا مطمعا، وقد زيتوا بالصور
 والتماثيل، وعينوا بها نواصب الرهبان ومحط الإنجيل، وكفلوا بها أسباب إعطيم
 والتبجيل. وأهروا فيها لموضع القدم قبة صغيرة مدنية، بأعمدة الرخام مبنية،
 وقالوا محل قدم المسيح، وهو مقام للتقديس والتسبيح، وكانت فيها صور لأندم،
 مثبتة في الرخام. ورأيت في تلك التصاوير، أشباه للخلير^(٢)، والصخرة المقصودة
 المزورة، بما عليها من الأبنية مستورة، وبذلك الكنيسة المعمورة مغمورة، فأمر
 السطر بكشف غابها، ورفع حجابها، وحصر لتامها. وقشر رخامها، وكسر
 رجمها، ونقص بنائها، ونقض سطرها، وبرزلها للزائرين، وأطهارها للساكنين، ودرع
 نبوسها، ورفد عروسها، وإخراج نزع من الصدف، وإطلاخ بذرهما من السدف،
 وهدم سجنها، وفك ردها، وإراءة حستانها، وإصانة يمتها، وإبشاء وجهها الصبيح.
 وحلاء شرفها الصريح، وردّها إلى الحالة للحالية، والقيمة للعالية، والزينة العلية
 وهي التي حلّيتها عطل وعطلها حطى، وعزّيتها كسوة وكسوتها غري، فعدت كم

(١) انتقال البركات من الأشخاص والأشياء المعصية

(٢) تصاوير حبرانية من أمم الروماني (تيجان أعمدة ونعوش بارزة) أم عن الصلبر فهناك شك

بأن المقصود هو الخيول بالنسبة لم أنها كتابه عن ذكر المسيحيين

كانت في الرمن القديم، وشهدت حين شوهت بصحتها للكریم ومسيح يهـ صهيـ
 الوسيم، وما كان يظهر منها قبل الفتح إلا قطعة من تحنياء قد أساء أهل الكفر
 في تحنياء، وظهرت الآن أحسن ظهور، وسهرت ليمس معور، ولشرفت القاسيل من
 فوقها نوراً على نور، وعملت عليها حظيرة من شدييك حديد، والإعشاء بهـ إلى
 لار كن يهـ في مريد. ورثب السلطان في قبة الصحرة إماماً من أحسن القراء
 نلاوه، وأربهم طلاوة، وأنداهم صوتاً، وأسماهم في الدنيا صيتاً، وأعرفهم بالقربات
 المسيح بل العشر، ولطيمهم في الحرف والنشر، وأغناء وأغناء، وأولاه لف ولأه،
 ووقف عليه دبراً وأرضاً وبستاناً، وأبدى إليه معروفاً داراً وإحصاء، وحمل يهـ
 وإلى محراب المسجد الأقصى مصاحف وختمات، وربعات معطيات، لا تزال بين
 أيدي الزائرين على كراسيها مرفوعة، وعلى أسررتها موهوعة، ورثب لهذه القبة
 حاصنة وتلييت المقدس عامه، قومة لشعر مصالحتها صامه، فب ترثب إلا
 معارون العكفون، القنمون بالعبادة ثواقفون، فما أبهج ليلة وقد حضرت الجمع،
 ورهت الشموع، وبلى الخشوع، ودان الحصرع، ودزت من المثقين الشموع،
 واستقرت من العارفين الضنوع، فهات كل ولي يهد ربه وبأمل بره، وكل أشعث
 أعبر لا يزيه له نو أقسم على الله لا يزد، وهناك من يحيي الليل ويقومه، ويسمو
 بالحق ويسومه، وهناك كل من يحتم القرآن ويرثه، ويمرد الشيطان ويبصله، ومن
 عرفه لمعرفه الأسعار، ومن ألقته لتجده الأوراد والأدكار

وما أسعد نهارها حين تستقبل الملائكة روارها، وتلحف الشمس إيواريها
 أنوارها، وتحمل القلوب إليها أسرارها، وتضع الجناة عندها نورها، وتستهدي
 صبيحة كل يوم منها أسفارها، وما أظهر من تولي إظهارها، وأظهر من يشر
 بظهرها، وأظهر من يشر بإظهارها.

وكن الفرنج قد قطعوا من الصحرة قطعاً وحملوا منها إلى قسطنطينية، ونقلوا
 منها إلى صفيية، وقيل ناعوها يوربي دها، واتحنوا ذلك مكسباً، ولم صهرت
 ظهرت موصعها، وقطعت للقلوب لما نانت مقاطعها، فهي الآن منبر للعبور
 بحرهم، باقية على الأيام بعزها، عصوية للإسلام في جئرها وحزها وهذا كله ثم

(١) القراءات السبع وملازمها هي قراءات يعقوب سبطلة تلكاتب المعظم (تقرآن الكريم)

بعد انصال للسلطان، والشروع في الفعاليات. وأمر بتزيم محراب الأقصى، وإن
يبلغ فيه ويسمى⁽¹⁾، وتقامي ملوك بني أيوب فيما يؤثر بها من الآثار الحسنة،
وقد جمع لهم ود للقلوب وشكر الألسنة، فما منهم من أجمل وأحسن، وفهم ما
مكن، وحلى وين، وحلى وزين، ولشفق وأعق، وأعق، وأقى، وأعنى وبشى،
ووقى، وأوى، وأصقى وأصقى. وأتى الملك العادل سيف الدين أبو بكر⁽²⁾، موجب
لكل شكر، وكل فعل جميل، ورقد جليل، ومن جلي ومنح طبل، ومكرمة حميدة،
ومخمدة كريمة، وهصيلة بها ترخج، ووسيلة بها تحج. وأنى الملك مطفر تقي
الدين عمر⁽³⁾، بكل ما عم به العزف وعمر، ونهى وأمر، وبني وعمر، ومن جملة
أفعاله المشكورة، ومكرماته المشهورة، أنه حضر يوماً في قبة الصخرة، مع جماعة
من السراة الأمراء، ومعه من ماء الورد أحمال، ولأجل الصدقة والرفق مال، فانتهر
فرصة هذه الفضيلة التي ابتكرها بالافتراض، وتولى بيده كسر تلك السجحات
والعراض، ثم غسلها بالماء مراراً حتى تطهرت، ثم أتبع الماء بماء الورد صباً
حتى تعطرت، وكذلك طهر حيطانها، وعسل جدرانها، ثم أتى بجامر لطيب
فتبخرت، وتعضت وتعرفت، وفعت مائيق أهل الهدى، وأرغمت أساف المعدي،
وما زال مع قومه، في تطهير البقعة المباركة طوال يومه، حتى ثقيقت طهرتها،
وبينت عمارتها، ورائقت نضارتها، ووقفت عليها الاستحسان نظارتها. ثم فرق تلك
العمال فيها على ذوي الاستحقاق، وانحدر بأن فلق الكرام بالإتفاق. وجاء الملك
لأفصل نور الدين علي⁽⁴⁾، بكل نور جلي، وكرم مني، وإحسان سني، وإعلاء
هني، وعزف ركني، وعزف نكني، وعطاء مبتدع، وسقاء معترج، وجود مبتكر،
ورق معتبر، وأتى بكل ما خد الأثر الحسن، وأطلق بحمده الأكس، وبسط به
الصبيحة، وفرش فيها البساط الرفيع، وهدي وأهدي، وأعاد بعد ما أهدي، وأثار
وأسي، وأفمن الندي، وحصن للحداء، ونقص الأكس، حتى حلتا به الإنفص
وإفلاس وسيأتي ذكر ما اعتمده من بناء أسوار القدس وحفر حدائقه. وعر

(1) النسخ المتكثرة الذي مازال يخط اسم السلطان

(2) أبو صلاح الدين صلاء الدين وقد أصبح سلطاناً على سورية ومصر حتى عام 2.8.

(3) أبو صلاح الدين وأبو حصة (1178-1191)

(4) أبو صلاح الدين وخليفته على سورية (1186-1196)

بما أعجب من سوابق معروفة ولواحقه، ما لم يشق أحد فيه عيانه ولا ملك مديون فيه مصماره. وأما الملك العزيز عثمان^(١)، فإنه أتى بالإحصان الذي استطهر به ديمان، وذلك أنه لما عاد إلى مصر، وقد شاهد القنح والنصر، ترك حراجه سلاحه بنفس كلها، وتم يز بعد حصولها به نفعه. وكانت أحمالا بموال وأثالا كجبال، ودحائر واجيه، وغدا واقبه، ونزوعا سوليج، وبصولا نولع وخودا وبراك، ورماح وارك، وضأ وكندل^(٢)، وصواقل وذوليل وخروحا وقسبا، ريمسب رهسب ويريب، ويديبسب ومشره^(٣)، وجعاتي وحويان، وطوارق وقطريان، ريبسب هيد ريبسب، واللات وزبارك ورزاقات، ونفامات وقضاعات، وغد النلوب وجميع لوبات لحروب، فاستهزب^(٤) بها المدينة، وتوثقت بها عراها المثبة. وكس من جملة ما شرط على الفرح أن يتركوا لنا حيلهم وغدتهم، ويخرجوا قبل أن يستوفى اباقون في أداء القطيعة منهم، فتوقرت بذلك غدد البلد، واستغنى بذلك عما يصل من المدد.

ذكر محراب داود عليه السلام وغيره من المشاهد الكرام وتبديل الكنائس وأنشاء المدارس

وأما محراب داود (عم) خارج المسجد الأقصى فإنه في حصن عند باب المدينة مبيع، وموضع عال رفيع، وهو الحصن الذي بقيم به آلوالي، فاعلى تسلس بأحواله الحوالي، ورث له إماما، ومؤذنين رفؤاما. وهو مناب الصالحين، ومرار العدين والراحين، فأحياء وجنده، وبهج نقاصد، جنده. وأمر بعمارة جميع المساجد، وصور المشاهد، وإنجاح المقاصد، وأصفاء الموارد للهدم والبناء. وكس مرصع هذه الفلعة دار داود ومليمان عليهما السلام، وكل يتجهب فيها.

(١) ابن حر تصدح النير وضيعة على مصر (١١٩٣-١١٩٨)

(٢) تعني اليوم القنديل المعروفة ولا تدري أن كنت تعني بها الطلقات

(٣) اسهام البرية بالرجعية كانت معيرة لدى قماء العرب وكذلك السيف المشركه في مزرع سورية

(٤) تعرت (عن غبرييلي)

لأنهم، وكان المنك العلل نزلا في كنيسة صهيون، وأخذهم على ناهي محبوس. وهوص السنمان جلساؤه من الطماء الأبرار، والأقوياء الأحيار، في مدرسة لتفهاء الشافعية⁽¹⁾، ورباط لصلحاء للصوفية. فعين للمدرسة الكنيسة معروفة بصند حنة⁽²⁾ عند باب أسباط، وعين دار البطرك وهي بقرب كنيسة فممه لرباط، ورفع عليهما وقفا، وأمدى بذلك إلى الطائفتين معروفا، وإرتاد أيضا مدارس لتصوف، ليصيفها إلى ما أولاه من العوارف. ولمر بعلاق أبواب كنيسة فممه، وحزم على النصارى ريارتها ولا الإلمامه. وتفاوض الناس عنه هيب، فمهد من أشر بهدم مبانيها، وتعفية آثارها، وتعمية نهج مزارها، وإزالة تماثيلها، وإرحة أباطيلها، وإطعام قناديلها، وإعفاء أنجليها، وإدهاب مساويلها، وإكذاب أقويلها. وقالوا: "إذا هُدمت مبانيها، وأُحُفَّت بأسافلها أعاليها، ونُشِيت المقبرة وعُفِّيت، وأُخمدت بيرانها وأُطْفِيت، ومُحِيت رسومها وتُفِيت، وخرُت أرضها، وأُمر طولها وعرضها، انقطعت عنها المناد الروار، وانحصعت عن قصدها مواد أطماع أهل النار. ومهما استمرت العماره، استمرت للرياره". وقال أكثر الناس: "لا فائدة هي لهم، ولا هذاه، ولا يؤمن بصند أبواب الريزة عن الكفرة. وسذاه، فإن متعبدهم موضع الصليب والتبر لا ما يشاهد من البناء، ولا ينقطع عنها قصد أجناس النصرانية ولو نُسِعت أرضها هي السماء، ولما فتح أمير المؤمنين عمر (رضه) القدس في صدر الإسلام أقزم على هذا المكان، ونم بأمرهم بهدم التبيان".

(1) النصرانية هي معهد عالي لطوبى الذين وثقوا الإسلام. وقد تم الاتفاق أولا على التمسك
انشائه لأنها كانت سائدة آنذاك في مصر ومصر. لكن المخطط دبر أيضا بمرور الحصة
والماتية (والحديثة) وهذا أصبح بعد سطور قليلة في الحديث عن مدارس لتصوف

San Giovanni: [2]

كانت صورته كوبراك، (رينا فرانس) الذي أخذ صور وحرك من الدحية العسيرة الحملة الصليبية الثالثة، إلى جانب صورة ريتشارد ملك انكلترا من أكثر الصور التي ترسخت في أذهان المؤرخين المسلمين في ذلك الوقت. يروي بن الأثير قصة يلي وقائع معاصرة نهابة إلى صور ويعرب على صلاح الدين - وهو في هذا حق - أنه لم يعمل على حصارها بما يكفي من الاستعداد والتجهيز خاصة وأن يقد صور كن أساساً ومعنة لحصار المسيحيين لعلها ثم أخذهم لها حرب.

نكز خروج المركب إلى صور

(ابن الأثير، 11/358-359، 366-368)

لقد أهرم القمص صاحب طرابلس من حطيم إلى مدينة صور أقام بها وهي أعظم بلاد الساحل حصانة، وأشدّها امتناعاً على من رامها، فلما رأى السلطان ذلك ملك ينسحب وصيلاً وبيروت، خاف أن يفقد صلاح الدين صور وهي ذريعة ممن يقاتل فيه ويحميها ويمنعها فلا يقوى على حفظها، وتركها وسار إلى مدينة طرابلس، فبقيت صور شاعرة لا مانع لها ولا حاصم من المسلمين، فلما بدأ بها صلاح الدين قبل ينسحب وغربها لأخذها بغور مشقة، لكنه استعظم بحصانتها فأراد أن يفرغ منه مما يحاورها من توابعها لينهل أخذها، فكنى ذلك سب حطه وكان أمر الله قدراً مقدوراً. والتحق أن إنساناً من الفرنج الذي داح البحر يقال له المركب، معه الفنة، خرج في البحر بمائتي كثير الزينة والتجارة، ولم يشعر بما كن من الفرنج وأرسي بعكا، وقد رآه ما رأى من ترك عوائد الفرنج عند وصول

(1) في نسخة أخرى (المركب) المنجبر

المركب من العرنج، وصوب الأجراس وغير ذلك، وما رأى أيضاً من بني أهل
 البند، فوقف ولم يثر ما للحر، وكانت الريح قد زكفت. أرسل الملك لأقصل إليه
 بعض أصحابه في سعيته يتصور من هو وما يريد، فأتاه المقصد فسأله المركب
 عن الأخبار لما أنكره، فأخبره بكسرة العرنج وأخذ عكاً وغيرها، وأغتمه أن صور
 بب العرنج وعسقلان وغيرها، وحكى الأمر له على وجهه فلم ينعكسه الحركة لعدم
 الريح، فردّ لرسول الأمان لينقل البكلا بما معه من مداع ومال، فأجيب إلى
 ذلك.

لرؤدة مرزاً كل مرة يطلب شيئاً لم يطلبه في المرة الأولى، وهو يفعل ذلك
 تنظراً لهبوب الهواء ليسير به، فبينما هو في مراجعته إذ هبت للريح سار نحو
 صور، وسير الملك لأقصل الثوني في طلبه فلم يدر كونه. فأتى صور وقد اجتمع
 بها من العرنج خلق كثير لأن صلاح الدين كان كلما فتح مبدئ عك ويهزوت
 وغيرهما من ذلك ما أعطى أهلها الأمان، فساروا كلهم إلى صور، وكثر تجمع بها
 ، لا أنهم ليس لهم رأس يجمعهم، ولا مقدم يقاتل بهم، وإنما أهل الحزب، وهم
 عازمون على مراسلة صلاح الدين، وطلب الأمان وتأمين البلد إليه.

فأتاهم المركب وهم على ذلك العزم، فردهم عنه وقوى نفوسهم وصعد لهم
 حفظ المدينة ونزل ما معه من الأموال وشرط عليهم أن تكون المدينة وأهاليها به
 سوي غيرهم، فأجابوه إلى ذلك فأخذ أيمانهم عندهم ودبر أحوالهم، وكان من
 شياطين الإنس حسن التدبير والحفظ، وله شجاعة عظيمة، وشرع في تخصيصها
 فجند حفر خنادقها وعمل أسوارها، ورآه في حصانتها واتفق من به على الحفظ
 والقتال دونها.

نكز رحيل صلاح الدين إلى صور ومحاصرتها

ثم فتح صلاح الدين التيّت المقدّس أقام بظاهره إلى الحامس والعشرين من
 شعبان يربأ أمور البلد وأحواله، وتكتم بعمل الرّبط والتدابير، فجعل دار لاسنبر
 مرساة لسفاحية، وهي في غاية ما يكون من الحص. فتعا فرغ من أمر البند سار
 إلى مدينة صور، وكانت قد اجتمع فيها من العرنج عالم كثير، وقد صار

المركب صاحبها والحاكم فيها، وقد ساسهم أخصر مبياسة، وبألف في تخصيص الملك، ووصل صلاح الدين إلى عكا، وأقام بها أياماً، فلما سمع للمركب بوصوله إليها جئ في عمل سور صوز وخنادقها وتعميقها، ووصلها من البحر إلى النحر من الجانب الآخر، فصارت المدينة كأن جزيرة في وسط الماء لا يمكن الوصول إليها ولا الدخول عنها.

ثم رجع صلاح الدين من عكا، فوصل إلى صور تسع شهر رمضان (3) تشرين ثاني/نوفمبر 1187)، فدخل على شهر قريب [من] البلد بحيث يراه، حتى اجتمع الناس وتلاحقوا، وسار في الثاني والعشرين من رمضان. فدخل على تل يقارب سور البلد، بحيث يرى للقتال، وقسم القتال على العسكر كذا حتى مله له وقت معلوم يقاتلون فيه، بحيث يتصل القتال على أهل البلد، على أن الموضع الذي يقاتلون فيه قريب المسافة، يحويه الجماعة أيسيرة من أهل البلد يحطه، وعليه الخنادق التي قد وصلت من البحر إلى البحر، فلا يكاد الطير يطير عليها، فإن المدينة كانت في البحر، والمعاد متصلة بالبر والبحر من جاني الساعد، والقتال إنما هو في الساعد.

فرح المسلمون مرة بالمخابيق، والعزائم، والنزوح، والتهابات، وكان أهل صلاح الدين يشاويون القتال مثل: ولده الأصيل، وولده الظاهر غاري، وأخيه العدي بن أوب، وابن أخيه تقي الدين، وكذلك سائر الأمراء. وكان يفرج شواب وحرافات يكون فيها في النحر، ويقعون من جاني الموضع الذي يقابل المسلمون منه أهل البلد، فيزمنون المسلمين من جانبهم بالخروج، ويدخلونهم. وكان بك يعضم عليهم، لأن أهل البلد يقاتلونهم من بين أيديهم، وأصحاب الشراسي يقاتلونهم من جانيهم، فكانت سهامهم تنفذ من أحد الجانبين إلى الجانب الآخر لصيق الموضع، فكثر الجراحات في المسلمين والقتل. ولم يتمكنوا من الدخول إلى البلد.

فأرسل صلاح الدين إلى الشوانبي التي جاعته من مصر، وهي عشر قطع، وكانت بعكا، فأحصنها برحلتها ومقاتلتها وجنتها، وكانت في البحر تمنع شوانبي أهل صور من الخروج إلى قتال المسلمين، فتمكن المسلمون حينئذ من القرب من

البد، ومن قتاله، فقاتلوه بزا وبخرا وضائقوه حتى كانوا ينظرون. فجاءت لآف من
 ما لم يكن في الحصاب، وذلك أن خمس قطع من شواحي المسلمين ماتت، في
 بعض تلك الليالي، مقابل ميثاء صور ليقتفوا من الخروج منه والشحول إليه، فبنو
 بلنهم يحرسون، وكل من مَقَمَهُمْ عبد السلام المغربي الموصوف بالحدق في
 صدقته فلم يكن وقت السحر أبدا فقاموا، فما شعروا إلا بنواحي العريخ قد
 بارزتهم وصادقهم، فأوقعت بهم، فقتلوا من أرائوا قتله، وأخذوا الباقين بمراكبهم،
 وأدخلوا ميثاء صور، وللمسلمين في الأثر ينظرون للبهمة، ويرمي جمعة من
 المسلمين أنفسهم من الشواحي في البحر، فبنهم من سبع هجا، ومنهم من عرى،
 ونظم السلطان إلى الشواحي الباقية بالمسير إلى يبروت لعدم انتداعه بها بقلتها،
 فسارت، فلقبها شواحي العريخ، حتى رأى من في شواحي المسلمين العريخ مجدين
 في طلبهم ألفوا نفوسهم في شواحيهم إلى البحر هجوا وتركوها، فأخذها صلاح
 الدين، ونقصها وخاض إلى مقاسمة صور في البر، وكان ذلك قبل الجدوى لصيق
 المجال.

وفي بعض الأيام خرج العريخ فقاتل المسلمين من وراء خنادقهم، فاشتد
 القتال بين الفريقين، ودلهم إلى آخر النهار، كان خروجهم قبل العصر، وأسر منهم
 فارس كثير مشهور، بعد أن كثر القتال والقتل عليه من الفريقين، ثم سقط، فلم
 أسر قبل، وبقي كذلك عدة أيام.

ذكر الرحيل عن صور إلى عكا وتقريب العساكر

لما رأى صلاح الدين أن أمر صور يطول رخل عنها. وهذه كانت عادته،
 متى ثبت البلد بين يديه منجز منه ومن حصاره فرحل عنه، وكان هذه السنة لم
 يصل مقامة على مدينة بل فتح الجميع في الأيام القريبة، كما ذكرناه، بعد تعب
 ولا مشقة. فلما رأى هو وأصحابه شدة أمر صور ملوها، وطلبوا لانتقال عنها،
 ولم يكن لأحد سب في أمرها غير صلاح الدين، فبته هو جهز إليها جنود العريخ
 وأمدد بالرجال والأموال من أهل عكا وعسقلان والقصر وغير ذلك، كما سبق
 ذكره. كما يغطيهم الأمان ويُرسلهم إلى صور، فصار فيها من منم من فرسان

أفريج بالساحل، وأموا إليهم وأموال للتجار وغيرهم، فحفظوا المدينة وراسلوا الفرنج
 دخل البحر بسفنتهم، فأجابوهم بالتلبية لدعوتهم، ووعدهم بالنصرة، وأمرهم
 بحفظ صور لتكون دار هجرتهم يحتمون بها ويلجأون إليها، فردهم منك حزن
 على حصنها والنب عثها.

وسذكر أن شاء الله ما صار إليه الأمر بعد ذلك ليظلم أن الملك لا ينبغي
 أن يترك الحرم، وإن ساعدته الأقدار، فلأن يعجز حراماً حيزاً له من أن يطهر
 مفرضاً مصوناً للحرم، واعتذر له عند الناس (١).

وبما أراد الرحيل استشار أمراءه، فاختفوا، فجماعة يقولون: انزأي أن لرحل،
 فقد جرح الرجال، وقتلوا، وملوا، وهبت النطحات، وهذا الشتاء قد حصر، والشوط
 بطيب، فليخرج ويستريح في هذا البرد، فإذا جاء الربيع اجتمعنا وعارذناها وغيرها.
 وكان هذا قول الأغنياء منهم، وكانهم خافوا أن السلطان يقرر من منهم ما يلعنه في
 العسكر إذا أقام لخلو الحراتي ونبوت الأموال من الدرهم والدينار، فله كان يخرج
 كل ما حمل إليه منها. وقالت الطائفة الأخرى: للرأي أن تصابروا البلد وتصابقه،
 فهو الذي يعتمدون عليه من حصونهم، ومشي أخذاء منهم لقطع طمع من دخل
 البحر من هذا الجانب وأخذنا باقي البلاد صفوا عفا. فبقى صلاح الدين متركاً
 بين الرحيل والإقامة، فلما رأى من يرى الرحيل إقامته أخذ بما رآه إليه من
 المحاربة والرأي بالمنجنيق، واعتدروا بجراح رجائهم، وألهم قد أرسلوا بعصيتهم
 ليحضرهم تقديسهم والغلوات لدوائهم والأقوات لهم، إلى غير ذلك من الاعتذار،
 فصاروا مقيمين بعين قتال، فاضطر إلى الرحيل، فرحل عنها آخر سؤال، كان
 أول كائن الأول (ديسمبر)، إلى عكا، فلما إن السناكر جميعها بالعود إلى أوطانهم
 ولاستراحه في الشتاء، والعود في الربيع، فعادت صاكر الشرق والموصل
 وغيرها، وصاكر الشام، وعساكر مصر، وبقي حلقته الحاصص معيماً بعكا، فنزل

(١) ليس هذا هو النص الوحيد الذي شوح فيه عبارة مؤرخ معين لتبرير لصلاح الدين، وكان هذا
 انه سدد ميله بتعاطفه الزبكية لثني أطاح بها صلاح الدين. لذلك فإنه لا ينبغي منى صحبه
 معه هذا لسلكه الحربي: لكن المهم هي الروح التي تنجلي، والتي لم تدع ابن الأمير من
 الاعتراف ولو على على مصمم بعظمة هذا البطال المسلم.

مقلعتها، وردّ أمر القائد إلى عزّ الدين جورنيك، وهو من أكابر العماليك النورية،
جمع الدبابه، والشخاعه، وحُصّن العترة.

كان صليباغ القنصل والمعروفة القنصلية التي ابتداءا للمركيز كوبر⁽¹⁾ في صور
عملاش ريسبيال في تحريك الحملة الصليبية الثالثة. لكن الفصل الرئيسي في هذا
النس كس الحصار المطويل لعكا الذي امتد بين 1189 و 1191 والذي قد قبل وصول
كل من فليب اوجست وريتشارد انكثرا ليشندا ويحيا نمار الحصار الإفرنجي الصارم
على تلك المرفأ الفلسطيني الذي كان قد سقط عام 1187 في يد صلاح الدين، ومن
المعروف أن حصاراً مريوفاً قد حدث وقتها إذ حاصر الإفرنج الساحة في الوقت
الذي صرب فيه صلاح الدين حصاراً حولهم، نكر الصعوبات العمنية مدعة من
التواصل مع أهل عكا المحاصرين لوقف ركائز مكتوب الأيدي أمام احتصار المدينة
البطيء. صدحت وقائع هذا الحصار بمحاولات شرسة لفكك مدينة بصور فريدة أخادة
حملت على الاستشهاد بكل من بهاء الدين وعلاء الدين وابن الأثير، على حد سواء.

نُكْرُ مَسِيرِ الْفَرَنْجِ إِلَى عَكَا وَمُحَاصَرَتِهَا

(ابن الأثير، 12/20-26)

لَمْ كُنْ جَمْعُ الْفَرَنْجِ بِصُورَ عَلَى مَا نَكْرَاهُ مِنْ أَنْ صَلَاحُ الدِّينِ كَانَ كُلَّمَا
فَتَحَ مَدِينَةً أَوْ قَلْعَةً أَعْطَى أَهْلَهَا الْأَمَالَ، وَسَيَّرَهُمْ إِلَيْهَا بِأَمْوَالِهِمْ وَبَسَاتِهِمْ وَأَوْلَادِهِمْ،
خَنَعَ بِهِ مِنْهُمْ عَالَمٌ كَثِيرٌ لَا يُعَدُّ وَلَا يُحْصَى، وَمِنْ الْأَمْوَالِ مَا لَا يُقَى عَلَى كَثْرَتِهِ
لِإِسْدَاؤِ فِي السِّنِينَ الْكَثِيرَةِ.

ثُمَّ بَنَى الرُّهْنَاءُ وَالْقُسُوسُ وَخَلْقًا كَثِيرًا مِنْ مَشْهُورِيهِمْ، وَفَرَسَانِيَهُمْ لِيَسُوَ السَّوَادُ،
وَأَصْبَحُوا الْحُرَى عَلَى خُرُوجِ الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ مِنْ أَيْدِيهِمْ، وَأَخَذَهُمُ الْبَطْرُكُ الَّذِي كَانَ

(1) Il Marchese di Monferrato

بالقدس، وبخل بهم بلاد الفرنج يطوفها بهم جميعاً، ويستنجسوا أنفسهم، ويستجيزوا بهم، ويحشونهم على الأخذ بثأر البيعة المقدسة. وصوروا المسيح عليه السلام وجعلوه مع صورة عربي بصرية، وقد جعلوا السماء على صورة المسيح عليه السلام وقالوا لهم: هذا المسيح بصرية محمد بن المسمى وقد جرحه وقتله. فعصم ذلك على الفرنج فحشروا وحشوا حتى السماء، فبهم كرس معهم على عكا عدة من النساء يبارزن الأتراك على ما تذكره ابن شاه الله تعالى. ومن لم يستطع للخروج استأجر من يخرج عوصة أو يغطيها ما لا على قدر خالفة. وجمع لهم من الرجال والأموال ما لا يحصى إليه الإحصاء.

ولقد حدثني بعض المسلمين المقيمين بحصن الأكراد، وهو من أجد أصحابه الذين سلموه إلى الفرنج قبيحاً، وكان هذا الرجل قد ندم على ما كان منه [من] موافقة الفرنج في العارة على بلاد الإسلام، والقتال معهم، والسفاهة معهم، وكان سبب اجتماعي به ما أنكره سنة تسعين وخمسمائة، إن شاء الله تعالى. قال لي هذا الرجل إنه دخل مع جماعة من الفرنج من حصن الأكراد إلى البلاد البحرية التي للفرنج والروم في أربع شواب، يستنجسون قال: فالتهمي بنا الشطراف إلى رومية الكبرى، فخرجنا منها وقد ملأنا الشواب مفرأ.

وحدثني بعض الأتراك منهم أنه له والدة ليس لها ولد سواء، ولا يكون من الدنيا غير بنت باعة وجهازه بشمه، وسيرة لا تستحق بيت واحد فاجد أسيراً. وكان عند الفرنج من الباعث الديني والنفسي ما هنا حدة. فخرجوا على الصغاب والنلوب، براً وبحراً، من كل فج عيق، ونولاً [إن] الله تعالى لطيف بالمسلمين، وأهلك ملك الأكراد لما خرج على ما تذكره عند خروجه إلى الشام، ولم يكن يقاتل: إن الشام ومصر كانا للمسلمين.

فهذا كل سبب خروجه ظمناً اجتمعوا بصور ثموج يخصهم في بعض، ومعهم الأموال العظيمة، واليخز يندهم بالآقولات والدحائر، والعدد والرجال من بلادهم. فصاقت عليهم صور باطنها وظاهرها فارتدوا قصد صيدا وكان مكرهاً. (1) فعادوا وانفقوا على قصد عكا ومحاصرتها ومصابرتها، فبادروا إليها

(1) وكان صلاح الدين قد صعد حلال معركة سابقة

بفرسهم وراجلهم، وقصصهم وقصيصهم، ولزموا البحر في مسيرهم لا يقار قومه في السهل وتوغر، والصيق والسعة، ومركبهم تسير مقابلتهم في البحر هيها سلاحهم وساحرتهم، وتكون عدة لهم، أين جاءهم ما لا قبل لهم به تركوا هيها وعاشوا.

وكان رحيلهم ثامن رجب (22/585 أب/الوغيست 1189)، ونزلهم على عك في منصفه، ولما كانوا منبرين كان يركب للمسلمين يتخطفونهم، ويأخسون المنفر.

ولم رحلوا جاء الحزم إلى صلاح الدين برحيلهم، فسار حتى قاربهم، ثم جمع أمراءه واستأمرهم: هل يكون المسير شحاذة الفرج ومقاتلتهم وهم يسرون أو يكون في غير الطريق التي سلكوها؟ فقالوا: لا حاجة بنا إلى احتساب المشقة في مسيرتهم، لأن الطريق عز وصيق ولا يتهاونا ما دبرده منهم، ولزأني أن يسير في الطريق المهيح، ونجيب عليهم عند عكا، ففرقتهم وصرقتهم، فعلم ميلهم إلى الراحة المعجلة، فوافقتهم، وكان ليلة مسيرتهم ومقاتلتهم وهم سائرون، وقال: إن الفرج إذا نزلوا تصفوا بالأرض، فلا يتيأنا إزعاجهم، ولا نيل الفرص منهم، ولزأني قتلتهم قبل الوصول إلى عكا، فحالفة فبعهم، وساروا على طريق كفر كند فسبهم الفرج. وكان صلاح الدين قد جعل في مقبل الفرج جماعة من الأمراء يسارونهم، ويأوشونهم القتال، ويتخطفونهم، ولم يدم الفرج عليهم مع قلتهم، فلو أن العساكر اتبعت رأي صلاح الدين في مسيرتهم ومقاتلتهم قرب لزوبهم على عكا لكن بلغ غرصة وصدغم عنها، ولكن إذا أراد الله أمرا هيا لنبيه.

ولم وصل صلاح الدين إلى عكا رأى الفرج قد نزلوا عليها من البحر إلى تسخر، من الجانب الآخر، ولم يبق للمسلمين إليها طريق، فزل صلاح الدين عليهم وصرب خيمته على تل كيسان، وامتنعت ميمته إلى تل العياصية ومسيرته إلى الشهر الجاري، ووزعت الأتقال مصفورية. وسير للكتب إلى الأطراف باستدعاء عساكر، فأعاد عنكر الموصل، وبرز حر وسنجار وعبرها من بلاد بحيرة، وأناه بقي أسير ابن أحيه، وأتاد مظفر الدين بن زئي الدين، وهو صاحب حرل والزها، وكانت الأمداء تأتي المسلمين في الفرج وتأتي الفرج في البحر، وكان بين الفريقين مدة معامهم على عكا خروب كثيرة ما بين صغيرة وكبيرة، منها اليوم

المشهور ، ومنها ما هو نون ذلك، ولنا ذكر الأرقام الكبار لتلا يطول ذلك، ولا م
 عداها كان هتالا يسيرا من بعصهم مع بعص، فلا حجة إلى بكره.
 ونعا نزل للمسلطان عليهم لم يقدر على الوصول إليهم، ولا إلى عك حتى
 سلاح رجب ثم قتلهم مستهل شعبان (منتصف ايلول سبتمبر) فلم ينزل منهم م
 يريد وبات القام على نعيته. فلما كان الغد باكرهم القتل بحده وحده، واستدار
 عليهم من سائر جهاتهم من بكره إلى الظهر، وصبر العريق صبرا حرا له من
 راء. فلم كان وقت الظهر حمل عليهم ثقي الذين حمله منكرة من الميمة على
 من يبه منهم. فأراحهم عن مواقعهم يركب بعصهم بعصا لا يذري أخ على أخ،
 وأنجاو إلى من يليهم من أصحابهم، واجتمعوا بهم، وأخذوا بهم، وأخذوا
 القتل، وملك نفس الذين مكابهم. والتصق بالقتل، وصار ما أطوه بيده ودخل
 المسموم البلد وخرجوا منه وأصلت الطرق ورزق الحضر عمن فيه، وأدخل
 صلاح الدين إليه من أرك من الأجاب، وما أرك من الدخانر، والأموال والصلاح
 وغير ذلك ولم أن المسمومين لزموا قتلهم إلى الليل لولعوا ما لرادوة، فإن للصمة
 لأوس روعة، لكتلهم لما نالوا منهم ما انعدز أدخلوا إلى الراحة، وتركوا القتال
 وقالوا: لباكرهم هذا، ونضع دابرهم. وكان في جملة من أنظله صلاح الدين إلى
 عك من جملة الأمراء خسام الدين أبو الهيثم السمي، وهو من كبار أمراء
 عسكره، وهو من الأكراد الحكيمة من بلاد بربل، وقتل من البرنج هذا اليوم جماعة
 كبيرة.

ذكر وقعة أخرى ووقعة العرب

ثم إن المسلمين نهضوا إلى الفرنج من العدد وهو سادس، شعبان (1٧
 ايلول سبتمبر) عارمين، على بذل جهدهم واستنقاذ ونسبهم في استنصاحهم فلقموا
 على نعتهم، فرأوا الفرنج حذرين محتاطين، قد تسموا على ما شرطوا فيه بالأمس،
 وهم قد حصروا أصفاهم وتواحيهم، وشرعوا في خفر حذري يمنع من الوصول إليهم
 فألح المسلمون عليهم في القتال فلم يفتح الفرنج إليهم، ولا قارقوا مرابصهم، فلم
 رى المسلمون ذلك عاندوا عنهم.

ثُمَّ إِنَّ جَمَاعَةً مِنَ الْعَرَبِ بَلَغَهُمْ أَنَّ الْفَرَنْجَ تَخْرُجُ مِنَ الشَّاحِيَةِ الْأُخْرَى إِلَى
لَا حِصَابٍ وَغَيْرِهِ مِنْ أَشْعَالِهِمْ. فَكَتَبُوا لَهُمْ فِي مَعَاظِفِ النَّهْرِ وَوَاحِدِهِ سَادِسَ عَشَرَ
شَعْبَانَ (29 أَيْدُول/سَيْتَمْبَر) قَهْمًا خَرَجَ جَمْعٌ مِنَ الْفَرَنْجِ عَلَى عَدَنَتِهِمْ حَمَلَتْ عَلَيْهِمُ
الْعَرَبُ، فَقَتَلُوهُمْ عَنْ أَجْرِهِمْ وَغَنَمُوا مَا كَانَ مَعَهُمْ. وَحَصَلُوا لِلرُّومِ إِلَى صَلَاحِ
الدِّينِ، وَحَسَرَ إِلَيْهِمْ وَأَعْطَاهُمْ انْخَلَع.

فَكَرَّرَ الْوَقْعَةَ الْكُبْرَى عَلَى عَدَا

لَفَ كَانَ بَعْدَ هَذِهِ الْوَقْعَةِ الْمَذْكُورَةِ بَعَثَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى الْعَشِيرِ مِنَ شَعْبِ (3)
تَشْرِيرِ (أُول/أَكْتُوبَر)، كُلُّ نِزْمٍ يُعَادُونَ الْقَالَ مَعَ الْفَرَنْجِ وَيَزُولُ حُورُهُ وَالْفَرَنْجِ لَا
يُطَهَّرُونَ مِنْ مُسْكِرِهِمْ وَلَا يُعَارَفُونَ، ثُمَّ إِنَّ الْفَرَنْجَ اجْتَمَعُوا لِلْمَشُورَةِ، فَقَالُوا: إِنَّ
عَسْكَرَ مِصْرَ لَمْ يَخْصُرْ، وَالْحَالُ مَعَ صَلَاحِ الدِّينِ هَكَذَا، فَكَيْفَ يَكُونُ؟ حَصْرًا؟
وَالرَّأْيُ أَنَّنَا نَأْتِي الْمُسْلِمِينَ عَدَا لَعَنَ نَظَرُ بِهِمْ قَبْلَ اجْتِمَاعِ الْعَسَاكِرِ وَالْأَمْدَادِ
إِلَيْهِمْ، وَكَانَ كَثِيرٌ مِنْ عَسْكَرِ صَلَاحِ الدِّينِ عَائِلًا عَنْهُ، بَغَضُهَا مَقَابِلَ الْعَاكِفَةِ
لِيَزِدُوا، غَادِيَةً يَبْمُدُّ صَاحِبَهَا عَنْ أَعْمَالِ حَلَبَ، وَبَغَضُهَا فِي حِمَصٍ مُقَابِلَ طَرْبُوسَ
لِتُخَفِظَ ذَلِكَ الثَّمَرُ أَبْصَاءَ، وَعَسْكَرُ فِي مَقَابِلِ صُورَ لِحِمَايَةِ ذَلِكَ الْبَلَدِ. وَعَسْكَرُ
بِمِصْرَ يَكُونُ يَشْفُرُ بِمِصْرَ وَالْإِسْكَنْدَرِيَّةَ وَغَيْرِهِمَا، وَالَّذِي بَعَثَ مِنْ عَسْكَرِ مِصْرَ
كَانُوا لَمْ يَصِلُوا لَطُولِ بِكَارِهِمْ، كَمَا نَكَرَاهُ قَرْنًا، وَكَانَ هَذَا سَمًا أَهْلُ الْفَرَنْجِ فِي
الظُّهْرِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ.

وَأَصْبَحَ الْمُسْلِمُونَ عَلَى عَادَتِهِمْ مِنْهُمْ مَنْ يَنْصَبُ إِلَى الْقِتَالِ وَمِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي
حِمَايَةِ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَدْ بَوَّجَهُ فِي حَاجَتِهِ مَنْ رِيَّةٍ صَدِيقٍ، وَنَحْصَلُ مَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ
هُوَ وَأَصْدِقِيهِ وَدَوَائِيهِ، إِلَى غَيْرِ ذَلِكَ، فَخَرَجَ الْفَرَنْجُ مِنْ مُسْكِرِهِمْ كَأَنَّهُمْ الْحَرِيدُ
مُنْتَشِرٌ، سَدُّوا عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ قَدْ مَلَأُوهَا طُولًا وَعَرْضًا، وَصَلَبُوا مِصْمَةً
تُحْسِنُ وَحَيْثُهَا نَقَى الشَّيْنُ غَمَزَ لَيْسَ أَحَى صَلَاحِ الدِّينِ ظَهَرَ رَأَى الْفَرَنْجَ حَوْهَ
وَصِيرَ حَذَرُ هُوَ وَأَصْحَابُهُ، فَتَقَدَّمُوا إِلَيْهِ، فَلَمَّا قَرَّبُوا مَنَةً تَلَحَّرَ عَنْهُمْ.

فَلَمَّا رَأَى صَلَاحُ الدِّينِ الْحَالَ وَهُوَ فِي الْقَلْبِ، أَمَدَّ نَقَى الدِّينِ بِرَجَالٍ مِنْ عِنْدِهِ
لِيَتَقَوَّى بِهِمْ، وَكَانَ عَسْكَرُ دِيَارِ عَمَرْ وَنَحْصُ الشَّرَفِيِّينَ فِي جَنَاحِ الْقَلْبِ، فَلَمَّا رَأَى

الفرنج قلة الرجال في القلب، ولأن كثيراً منهم قد سار نحو المدينة مداً بهم عطفوا على القلب، فحملوا حملة زجل واحد.

فاندفعت العساكر بين أيديهم منهزمين، وثبتت بعضهم، فاستشهد جماعة منهم كالأمير مجلي بن مزوان، والظاهر أحي القبة عيسى. وكان والي البت المنفس قد جمع بين الشخاعة والجنم والذين، وكالحاجب حليل الهكري، وغيرهم من الشجعان الصابرين في مواطن الحرب.

ولم ينق بين أيديهم في القلب من يزدحم، فقصصوا النزل الذي عليه خيمة صلاح الدين، فقتلوا من مروا به، وبهتوا، وقتلوا عند خيمة صلاح الدين جماعة، منهم شيخنا جمال الدين أبو علي بن روضة الحموي، وهو من أهل العلم، وله شغل حسن، وما وريث الشهادة من بعيد، فإن جدّه عبد الله بن روضة، صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم، قتله للزوم يوم مؤنة^(١)، وهذا قتله لفرنج يوم عك، وقتلوا غيره، واتخذوا إلى الجانب الآخر من النزل، فوصفوا السيف ليمين بقوه، وكان من لطف الله تعالى بالمستعير أن الفرنج لم يلقوا خيمة صلاح الدين، ولو لقوها لعلم الناس وصولهم إليها. وانهرام العساكر بين أيديهم، فكانوا لهزموا أجمعين.

ثم إن الفرنج نظروا وراءهم، فرأوا أمداً لهم قد انقطعت عنهم، فزجعوا خوفاً أن ينقطعوا عن أصحابهم، وكان سبب انقطاعهم أن المدينة والفت مقابلتهم، فاحتاج بعضهم [أن] يفت مقابلها، وحمّلت ميسرة المسلمين على الفرنج، فاشتغل المصد بقتال من بها عن الاتصال بأصحابهم، وغادوا إلى طرف حنائهم. فحمّلت الميسرة على الفرنج الواصيل إلى خيمة صلاح الدين، فصادقوهم وهم راجعون، فعاثوهم، وثار بهم علمان المستكر. وكان صلاح الدين لما انهزم القلب قد تبعهم يناديهم، ويأمرهم بالكرّة، ومعاودة القتال، فاجتمع معه منهم جماعة سالحة، فحمل بهم على الفرنج من وراء ظهورهم وهم مشغولون بقتال الميسرة، فأحدثهم سيوف الله من كل جانب، فلم يفلت منهم أحد، بل قتل أكثرهم. وأخذ الباقيون أسرى، وفي

(١) غزوه مره شرقي الأردن عام 629 عندما هزم البيرونيون حملة محمد (صلى الله عليه وسلم)

جمله من أسر معظم الدواب التي كان قد أسره صلاح الدين وأطلقه⁽¹⁾، فلما صفر
به ذلك قتله

وكانت عدة القتلى، سوى من كان إلى جانب البحر، في عشرة آلاف قتيل،
فأمر بهم، فالتفوا في النهار الذي يشرب الفرنج منه وكان عامة القتلى من فرسان
الفرنج، فإن الرجال لم ينحرفوا، وكان في جملة الأسرى ثلاث أسود فرجيت كن
يو ثل على الحبل، فلما أسرى، وألقي عنهم السلاح عرفوا أنهم ساء، وأن
المسلمين من المسلمين، فمنهم من رجع من طريقه ومنهم من جاز الأرض وعاد،
ومنهم من بلغ دمشق. ولولا أن الصباكر تفرقت في الهزيمة لكانوا بلغوا من الفرنج
[من] لاستصالي والإفلاك مرادفة، على أن الباقي بذلوا جهدهم وجثو في
القتال، وصمموا على الدخول مع الفرنج إلى معسكرهم نعلهم بفرعون ملهم،
فجاءهم الصريح بأن رجالهم وأموالهم قد تهيئت. وكان سبب هذا التهيؤ أن الناس
بما رأوا الهزيمة حملوا أثقالهم على الدواب، فدار بهم أوباش المعسكر وعلماءه
فسيهوه وأثروا عليه. وكان في عزم صلاح الدين أن يباكرهم القتال والزحف، فرأى
اشتغال الناس بما ذهب من أموالهم، وهم يسعون في جمعها وتخصيبها فأمر
بالدخول بإحصاء ما أخذ، فأخبر منه ما ملأ الأرض من المفارش والعب
المملوءة والثياب والسلاح وغير ذلك فرة للجميع على أصحابه، ففاته ذلك اليوم ما
أرد، فسكن روع الفرنج، وأصلحوا شأن الباقي منهم.

ذكر رجيل الدين عن الفرنج وتمكنهم من حصر عكا

لما قبل من الفرنج ذلك للمدة الكثير، جافت الأرض من من ريعهم، وفسد
الهواء والجر، وحدث للأمرجة فساد، وانحرف مزاج صلاح الدين، وحدث له قولنج
مريع كان يعالجه، فحضر عدة الأمراء وأشاروا عليه بالانكفال من ذلك الموضع
وتترك مصيعة الفرنج، وخسئوه له.

وقالوا: قد صيقتنا على الفرنج، ولو أرتونا الانفصال عن مكانهم لم يقروا،
والرأي أننا نتعد عنهم بحيث يتمكنون من الرجيل والعود فإن رحلوا، وهو ظاهر

(1) Gerard de Ridefort أسره صلاح الدين في حطين ثم أطلقه.

الأمْر ، فَقَدْ كُفِّتْ أَسْرُهُمْ وَكُفُّوا شَرَّكَ ، وَإِنْ أَقَامُوا عَلَوْنَا الْقَعَالَ وَرَجَعْتَ مَعَهُمْ إِلَى مَ
بَحْرٍ فِيهِ ، ثُمَّ إِنَّ مَرَاتِكَ مَتَّخِرَتْ وَأَلَّامٌ شَدِيدٌ ، وَلَوْ وَقَعَ لِإِحْصَاءِ نَهْكَ الشَّسْ ، وَالرَّأْيِ
عَلَى كُلِّ تَقْدِيرٍ لَلْنَعْدُ عَنْهُمْ .

وَوَقَّعَهُمُ الْأَطِبَّاءُ عَلَى ذَلِكَ ، فَأَلْجَيْتَهُمْ إِلَيْهِ إِلَى مَا يُرِيدُ اللَّهُ بِفَعْلِهِ إِنْ رَآهُ اللَّهُ
بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ^(١) ، فَزَحَلُوا إِلَى الْحَرْبِ رَابِعَ شَهْرِ
رَمَضَانَ (١٤ تَحْرِيرٍ أَوَّلَ الْكَتُوبِ) وَلَمَّا مِنْ بَعْدًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ بِحِفْظِهِ ، وَإِغْلَاقِ
نُفُوسِهِ ، وَالْإِحْتِطَاطِ ، وَأَعْلَمَهُمْ بِسَبَبِ رَحْمَتِهِ .

لَقَدْ رَحِمَ هُوَ عَسَاكِرَهُ لَمَّا لَلْفَرِجِ وَأَتَمَّعُوا فِي تِلْكَ الْأَرْضِ ، وَعَسَاوُ
فَحَصَرُوا عَكَّ ، وَأَحَاطُوا بِهَا مِنَ الْبَحْرِ إِلَى الْبَحْرِ وَمَرَاتِكُهُمْ أَيْصٌ فِي الْبَحْرِ
تَحْصُرُهَا ، وَشَرَعُوا فِي حَقْرِ الْخُنْدِ ، وَعَمِلَ الشُّورُ مِنَ الثَّرَابِ الَّذِي يَخْرُجُ لَهُ مِنَ
الْخُنْدِ ، وَجَاعُوا بِمَا لَمْ يَكُنْ فِي الْحَسَابِ .

وَكَانَ الْيَزِيدُ كُلَّ يَوْمٍ يُوَفِّقُهُمْ ، وَمَنْ لَا يَفْأَلُونَ ، وَلَا يَحْرُكُونَ ، إِنَّهُمْ هُمْ مُهْتَمُونَ
بِعَمَلِ الْخُنْدِ وَالْمُورِ عَلَيْهِمْ لِيَتَحَصَّنُوا بِهِ مِنْ صِلَاحِ الْخَيْلِ ، إِنْ عَادَ إِلَى قَتَالِهِمْ ،
فَحِزْنٌ طَلَعَ رَأْيُ الْمُسِيرِينَ بِالزَّحْبِ ، وَكَانَ لِيَزِيدَ كُلَّ يَوْمٍ يُخْرُجُونَ صِلَاحَ السَّيْلِ بِفِ
بِصْنَعِ الْفَرِجِ ، وَيُعْطَمُونَ الْأَمْرَ عَلَيْهِ وَهُوَ مَشْغُولٌ بِالْمَرْصِ ، لَا يَقْدِرُ عَلَى التَّهْوِضِ
لِلْحَرْبِ ، وَأَشْرَ عَلَيْهِ بِغَضَبِهِمْ بَأَنَّ يَزِيدَ الْعَسَاكِرَ جَمِيعًا إِلَيْهِمْ لِيَتَمَعَّهُمْ مِنَ الْخُنْدِ
وَالْمُورِ ، وَيَقَاتِلُوهُمْ ، وَيَتَحَلَّفَ هُوَ عَنْهُمْ ، فَقَالَ : إِنَّمَا لَمْ أُحْصِرْ مَعَهُمْ لَا يَفْعَلُونَ شَيْئًا ،
وَرُبَّمَا كَانَ مِنَ الشَّرِّ لِمَتَّاعٍ مَا تَرْجُوهُ مِنَ الْحَبْرِ ، هَذَا أَمْرٌ إِلَى أَنْ عَوْفِي ،
فَتَمُكُّ الْفَرِجِ وَعَمِلُوا مَا أَرَادُوا ، وَأَخَذُوا أُمُورَهُمْ ، وَحَصَّنُوا نَفْسَهُمْ بِمَا وَجَدُوا إِلَيْهِ
الْمُسِيلِ ، وَكَانَ مِنْ بَعْدِهَا يَخْرُجُونَ إِلَيْهِمْ كُلَّ يَوْمٍ ، وَيَقَاتِلُونَهُمْ ، وَيَذَلُّونَ مِنْهُمْ بِمَا هَرَبَ إِلَيْكَ .

ذَكَرُ وَصُولَ عَسَاكِرِ مِصْرَ وَالْأَمْنِطُولِ الْمِصْرِيِّ فِي الْبَحْرِ

فِي مُنْتَصَفِ شَوَّالِ (أَوَّلِ تَحْرِيرٍ أَوَّلَ الْكَتُوبِ) وَصَلَتْ الْعَسَاكِرُ مِصْرِيَةً ،
وَمُقَسَّمُهَا لِمَلِكِ الْعَمَلِ سَيْفِ النُّعَيْنِ أَوْ خَرَبَ بَرُّ أَيُّوبَ ، فَلَمَّا وَصَلَ قَرِيبَتْ نَفُوسُ

(١) دَارُ (كَرِيم) آيَةُ ١١ سُورَةُ ١٣ (الرَّعَا) يَعْنِي مَوْفِعَ ابْنِ الْأَكْبَرِ الْفَقْدِي مِنْ تَحْرِيكِ صِلَاحِ
السَّيْلِ الْمُسْكِرَةِ .

الناس به وبعز معه، واشتكت طهورهم، وأخضر معه من آلات الحصار من
السرف وبطارقيات والشباب والأقواس، شيئاً كثيراً. ومعهم من الرخابة الجثم العفبر،
وجمع سلاح للناس من البلاد النسمية راجلاً كثيراً، وهو على عزه الرخف اليهم
الغارب والزجل. ووصل بغدة الأنطول للمصري، ومقمة الأملز لؤلؤ، وكان
شبهت، متجاءاً مقداماً، حيزاً بالنحر والقتال فيه، مؤثرون للقبه، فوصل بغته
فوقع على بسطه كيرة للفرنج فغمها، وأحد ميتها أموالاً كثيرة، وميرة عصية،
فأنجلها إلى عكا، فسكنت نفوس من بها بوصول الأنطول وقوي جسدهم.

ذكر المصاف الأعظم على عكا

(بهاء الدين، 146-147)

ولمك الله لما كان يوم الأربعاء الحادي والعشرون (شعبان/4 شرب
و1 أكتوبر 1189) تحركت عساكر الأفرنج حركة لم تكن لهم بمثله عادة فربهم
وراجلهم وكبيرهم وصغيرهم، فاصطفوا حارح حيمهم قلباً وميمية وميسرة، وهي
القلب الملك وبين يديه الإنجيل معمولاً مسوراً بثوب لطلس مغطى بمسكة أربعة
نفس بأربعة أطراف وهم يسيرون بين يدي السك، واستندت الميمية في مقابلة
الميسرة لشيء لعسكر الإسلام من أولها إلى آخرها. وكذلك ميسرة العدو في مقابلة
ميمتنا إلى آخرها. ومثلكوا رؤوس النخل. وكان طرف ميمتهم إلى البحر وطرف
ميسرتهم إلى البحر. ولما انكسر الإسلامي المصور من السلطان أمر الجاويش
أن يسيروا في الناس إلى الإسلام. وعساكر الموحدين هربوا الناس وقد دعوا
أنفسهم بالجنة ووقفوا بين أيدي خيمهم. وامتنعت الميمية إلى البحر والميسرة إلى
البحر كملك نصاً. وكان رحمه الله قد أنزل الناس في الحيم ميمية وميسرة. ولقد
تعبت الحرب، حتى إذا وقعت صيحة لا بخلجون إلى تحييد قريب، وكان هو
في القلب. وفي ميمية القلب ولده الملك الأقصل، ثم عسكر الموصله بخدمهم
ظهر الدين بن البكري، ثم عسكر نيار بكر في خدمة قطب الدين بن نور الدين
صاحب الحصن، ثم حسان الدين بن لاجين صاحب نالس، ثم الطواشي قايمار

الحجمي وجموع عظيمة متصلين بطرف الميمنة، وكان في طرفها الملك المظفر
 في النهر بجحفة وعسكره وهو مطلق على البحر، وأما أولئك الميسرة فكان مم
 يلي القلب سيف الدين علي المشطوب وعلي بن أحمد من كبار ملوك الأكر
 ومصميهام و الأمير علي وجماعة المهرانية والهكارية⁽¹⁾ ومجاهد الدين رنقش معده
 عسكر سحر وجماعة من المعاليك ثم مظفر الدين بن رين الدين بجحفة
 وعسكره، وأما الميسرة كبار المعاليك الأسية كسيف الدين ياركج ورساير
 وجماعة الأسدية⁽²⁾ الذين يصرب بهم للمثل، ومقدم الطب النفه عيسى وجمعه،
 هد والسلطان بطوف على الأطلاب ينصه يحثهم على القتال، ويدعوهم إلى
 النهر، ويرغبهم في نصر دين الله ولم يرز القوم يتقدمون، والمسلمون يقدمون
 حتى علا النهار ومضى فيه مقدار أربع ساعات وبعد ذلك تحركت ميسرة العدو
 على ميمنة المسلمين فأخرج لهم الملك المظفر أنجاليش وجرى بينهم قليات كثيرة
 وتكاثروا على الملك المظفر وكان في طرف الميمنة على البحر هتراجع عنهم
 شيئا إطماعاً لهم لطمعونهم يبعثون عن أصحابهم هبال مدهم غرض فلما رأى
 السلطان ذلك طس به صعباً وأمد بأطلاب عدة من القلب حتى قوي جانبه
 وتراجعت ميسرة العدو واجتمعت على نر مشرف على البحر. ولما رأى الدين في
 مقابلة القلب ضعف القلب ومن خرج معه من الأطلاب داخلهم الطمع وتحركوا
 نحو ميمنة القلب، وحملوا حملة الرجل الواحد راجلهم وفارسهم. ولقد رأيت الرجالة
 تسير سير الخيالة وهم يسيرون حيناً، وجاءت الحملة على النهر البكرية كما شاء
 الله تعالى، وكان بهم غرة عن الحرب فتحركوا بين تمنو وانكسروا كسرة عظيمة
 وسرى لأمر حتى انكسر معظم الميمنة وانتع العدو المنهزمين إلى العباسية
 فبهم استداروا حول النهر، وصعد طائفة من العدو إلى حيمة السمنس فتكروا
 بضمت دار كان هناك، وفي تلك اليوم استشهد إسماعيل المكيس وابن راحة
 رحمهم الله، وأما الميسرة فإنها ثبتت لأن الحملة لم تصانعها، وأما السلطان فأخذ
 يصرف على الأطلاب فيهمصهم ويعدهم الوعود الجميلة ويحثهم على الجهد

(1) قائد كربية

(2) أي الذين يعملون لسم إسم الدين شيركوه عن صلاح الدين

وبني فيهم "يا للإسلام" ولم يبق معه إلا خمسة أنص وهو يطوف على الأطلاب
ويحرق الصنوف ويأوي إلى تحت القل الذي كان عليه الخيام، وأما المهرمون من
عسكر فيهم بلعنهم هزيمتهم إلى الفحولة قاطع جسر طيرية. وتم منهم قوم إلى
محروسة عشق، وأما خيل العدو فتعنوهم إلى العياضية، فلما رأوهم قد صعدو
الجيل رجعو عنهم، وجاءوا عابئين إلى عسكرهم، فلقبهم جماعة من العلماء
والحريضية والماسة مهزمين على عدل الحمل، فقتلوا منهم جماعة ثم جاءوا على
رأس السوق فقتلوا جماعة وقتل منهم جماعة، فإن السوق كان عظيمًا ولهم سلاح،
وما الذين صعدوا إلى الخيام السلطانية فإنهم لم يلتصقوا بها شئًا أصلًا سوى
أنهم قتلوا من ذكرنا وهم ثلاثة نفر رأوا ميسرة الإسلام ثابتة فعلموا أن مكسرة لا
تقم، فعادوا منصرفين من القتل يطلبون عسكرهم. وأما السلطان فإنه كان وقفًا تحت
نقل ومعه نفر يسير وهو يجمع الناس ليعودوا إلى المحلة على العدو، فلما رأوا
الإفراج نارلين من القتل أرادوا لقاءهم وأمرهم بالعصر إلى أن ولوا ظهورهم واشتدوا
يطلبون أصحابهم، فصاح في الناس فحملوا عليهم فطرحوا منهم جماعة، فاشتد
الطمع فيهم وتكاثر الناس وراءهم، حتى لقوا أصحابهم والطراد وراءهم، فلما رأوهم
مهزمين والمسلمون وراءهم في عدد كثير ضلوا أن من حمل منهم قد قتل وبهم
إيمان منهم هذا النفر فقط، وأن الهريمة قد عادت عليهم فاشتدوا في الهرب
والهريمة، وتحركت الميسرة عليهم وعاد الملك المظفر بجمعه من الميمنة
وتجمعت الرجال وتداغت وتراجع الناس من كل جانب. وكذب الله الشيطان
ونصر الإيمان. وطل الناس في قتل وطرح وصرب وجرح إلى أن وصل
المهرمون المسلمون إلى عسكرهم، فهجم عليهم في الخيام، فخرج منهم أطلاب
كانوا أعدوها حشبة من مثل هذا الأمر، هربوا للمسلمين وكثر التعب قد أحد من
الس والعرق قد أجمعهم فرجع للناس عنهم بعد صلاة العصر بحوصور في
القلتي ومسيهم إلى حياهم فرحين مسرورين. وعاد السلطان إلى محبته، وجلس
فيه والأمراء بين يديه يتناكروا من فقد منهم، وكان مقدار من فقد من العلماء
المجهولين مائة وخمسين نفرًا ومن المعروفين استشهد ظهر للدين أخو الفقيه
عيسى، ونفر رأته وهو حائس يصحب والناس يعزونه، وهو ينكر عليهم، ويعور

"هـ يوم الهباء لا يوم العزاء". وكان هو قد وقع عن فرسه وركبه فرأيتُه وقتل عليه جماعة من أقربه وقتل في ذلك اليوم الأمير مطي. هذا الذي قتل من المسلمين. وأما من العدو المحتول فحرر قتلهم سبعة آلاف نفر، ورأيتهم وقد حصوهم إلى شاطئ النهر ليلعوا فيه، فحزرتهم بدون سبعة آلاف.

ولم تم على المسلمين من الهزيمة ما تم، ورأى للظمان حلو الحميم عن يعترض عليهم، فإن العسكر انصم إلى قسمين منهزمين ومقاتلين. فلم يبق في الحميم أحد وراما فظنوا أن الكثرة تتم وأن العدو ينهب جميع ما في الحيام، فوصعوا أيديهم في الحيام ونهبوا جميع ما كان فيها. وذهب من الناس أموال عصمة وكان ذلك أعظم من الكثرة وقعاً. ولما عاد المنظر إلى الحميم ورأى ما قد تم على الناس من نهب الأموال والهزيمة، عارخ إلى الكتب والرسائل في رد المنهزمين، وتتبع من شذ من العسكر والريمل تتابع في هذا المعنى، حتى بلغت عقبة هيق، وخذوهم: يا لكثرة بالعكرة المسلمين، فحاذوا وأمر بجمع الأقمشة من أكف الغلمان إلى خيمته، حتى جلاّت الحيل والمحال في يديه في خيمته، وهو جالس ونحن حولته، وهو يتقدم إلى كل من عرف شيئاً، وحلف عليه يسلم إليه، وهو يلقى هذه الأحوال بقلب صلب، وصبر رجب، ووجه منبسط وري مستقيم غير مختبذ. واحتساب لله تعالى وقوة عزم في نصرة نيل الله، وأم العدو المحتول فإنه عاد إلى خيمته وقد قتل شجعانهم وطرحوا أبطالهم.

فأمر لسطان أن خرج من عكا عجل يسحبون (تَقَطَّلُ) عليه المقتلى منهم إلى طرف النهر نهبوا فيه، ونقد حكي لي بعض من ولي أمر العجل أنه أخذ حيطاً وكان كلف أحد قتيلاً عند حفرة فباع عند قتلى الميسرة أربعة آلاف ومائة وكور، وبقي قتلى النخبة وقتلى القلب لم يعدم، فإنه ولي أمرهم غيره. وبقي من العدو بعد ذلك من حمى نصه وأقاموا في مخيمهم لم يكثرثوا بجحافل المسلمين وعسكرهم، وتشتت من عساكر المسلمين خلق كثير بسبب الهزيمة فيه ما رجع منها إلا رجس معروف يحلف على نفسه والباقيون هربوا في حال سبيلهم.

وأحد السلطان في جمع الأموال المنهوبة وأعادتها إلى أصحابها، ولما حصرته يوم تفرقت الأقمشة على أربابها، فرأيت موقفاً للعدل قائمه لم ير في النسيب

عظم منها، وكان ذلك في يوم الجمعة الثالث والعشرين من شعبان (١١ تشرين
 أول أكتوبر). وعند انقضاء هذه الواقعة وسكون ثورتها أمر السلطان بانتقل حتى
 تراجع إلى موضع يقال له الخروبة خشية على العسكر من أرنج القلبي وهو موضع
 قريب من مكار الواقعة، إلا أنه أُنْعِدَ عنها من العسكر الذي كان دالاً فيه بقليل،
 وصرت له حيلة عند النقل، وأمر اليرك أن يكون مقيماً في المكان الذي كان سارلاً
 فيه، وبذلك في التلصع والعشرين واستحضر الأمراء وأرباب المشورة في سبح الشهر
 ثم مرهم بالإصغاء إلى كلامه وكنت من جملة الحاضرين ثم قال بسم الله والحمد لله
 والصلاة على رسول الله. أعلموا أن هذا عند الله وعدونا في دول في بلب وق وطه
 أرض الإسلام. وقد لاحت نوايح تنصر عليه وإن شاء الله تعالى وقد بقي في هذا
 الجمع اليسير ولا بد من الاهتمام بطعه والله قد أوجب علينا ذلك وأنتم تعلمون أن هذه
 عساكر ليس وراما حجة تستطرها سوى الممك العادل وهو واصل وهذا العدو إن بقي
 وطال أمره إلى أن يفتح البحر جاءه مند عظيم والرأي كل الرأي عذري مساجرتهم
 فليجرب كل منكم ما عنده في ذلك، وكان ذلك في ثالث عشر تشرين من الشهر
 الشمسية ومنفعت الآراء وجرى تجنب في أطراف الكلام وانفصلت أرواحهم على أن
 المصلحة تأخير العسكر إلى الخروبة، وأن يبق العسكر أياماً حتى يستجم من حمل
 السلاح وترجع النفوس إليهم، فقد أخذ التعب منهم واستولى على نفوسهم الصجر
 وتكليفهم أمراً على خلاف ما يحمله القوي لا يؤمن غشته والباس لهم خمسون يوماً
 تحت سلاح وهرق الليل، والحيل قد صجرت من عرك التحم وسئمت نفوسهم ذلك،
 وعند أخذ حظ من الراحة ترجع نفوسها إليها ويصل الملك العادل ويشارك في الرأي
 والعمل، وسعيد من شد من العسكر، ونجمع لأرحاله ليقفوا في مقابله رجلاً أعدوا،
 وكان سلطان قد كانت أنيائاً كثيراً من كثرة ما حمل على قلبه، وما عساه من نقل
 السلاح ومداومة لعمه، رأى المصلحة فيما قتلوا واشتروا به، وكان انعكس العسكر إلى
 انتقل ثالث رمضان وانتقل السلطان تلك الليلة وأقام يصنع مزاجه وبجمع العساكر
 ويستضر أحد الممك العادل إلى عاشر رمضان (22 تشرين أول أكتوبر) ١١

(١) يتقدم في التاريخ بكثير من شهر على تاريخ يوم الأثير والمصدر الذي أخذ منه في عماد
 الدين (منتصف شوال)

نَكَرَ إِخْرَاقَ الْأَبْرَاجِ وَوَقَعَةَ الْأَسْطُولِ

(ابن الأثير، 12/30-28)

كان الفَرَجُ، في مُدَّةٍ مقامهم على عكا، قَدْ عَمِلُوا ثَلَاثَةَ أَبْرَاجٍ مِنَ الْحَشَبِ
عَالِيَةٍ حَدًّا، طُولُ كُلِّ بُرْجٍ مِثْلُهَا فِي السَّمَاءِ سِتُّونَ ذِرَاعًا، وَعَمِلُوا كُلَّ بُرْجٍ مِنْهَا
خَمْسَ طَبَقَاتٍ، كُلُّ طَبَقَةٍ مَعْلُوءَةٌ مِنَ الْمَقَاتِلَةِ، وَقَدْ جَمَعُوا لَحْشَابِهَا مِنْ أَجْرَائِرِ دِهْلِ
مِثْلُ هَذِهِ الْأَبْرَاجِ الْعَظِيمَةِ لَا يَصْلُحُ لَهَا مِنَ الْخَشَبِ إِلَّا الْقَلِيلُ النَّاسِرُ، وَغَشَّوْهُ
بِالْجُلُودِ وَالْحُلِّ وَالطَّبِيِّ وَالْأَنْثَوِيَةِ الَّتِي تَنْتَفِخُ لِلنَّارِ مِنْ إِخْرَاقِهَا، وَأَصْنَعُوا سَطْرَقَ لَهَا،
وَقَدَّمُوا نَحْرَ مَدِينَةِ عكا مِنْ ثَلَاثِ جِهَاتٍ، وَرَحَقُوا بِهَا فِي الْعَشِيرِ مِنْ زَيْجِ الْأَوَّلِ
(27/586 يَمَان/أبريل 1140)، فَتَشَرَّقَتْ عَلَى السُّورِ، وَقَاتَلَ مِنْ بَها مِنْ عَلَيْهِ
فَالْكَشَفُوا، وَتَسَرَّعُوا فِي طَمِّ خَنْدَقِهَا، فَانْتَرَبَ الْبَلَدُ عَلَى أَنْ يَمْلِكَ عَنُوءٌ وَلَهْزٌ. فَارْسَنَ
أَهْلُهُ إِلَى صِلَاحِ الدُّبِيِّ إِنْسَانًا سَبَعَ فِي الْبَحْرِ، فَأَعْطَمَهُ مَا هُمْ فِيهِ مِنَ الضَّيْقِ، وَفَ
قَدْ اشْتَرَفُوا عَلَيْهِ مِنْ أَخْذِهِمْ وَقَتْلِهِمْ، فَرَكِبَ هُرٌّ وَعَسَاكِرُهُ وَتَقَدَّمُوا إِلَى الْفَرَجِ وَقَاتَلُوهُمْ
مِنْ جَمِيعِ جِهَاتِهِمْ قِتَالًا عَظِيمًا دَامَتْ بِسُلْطَانِهِمْ عَنْ مُكَاتَرَةِ الْبَلَدِ. فَانْفَرَقَ الْفَرَجُ
فَرَقَتَيْنِ: لُزُقَةً تُدَاتِلُ صِلَاحَ الدُّبِيِّ وَهَرَقَةً تَقَاتِلُ أَهْلَ عكا، إِلَّا أَنَّ الْأَمْرَ قَدْ خَفَ
عَنْ بِالْبَلَدِ، وَدَامَ الْقِتَالُ ثَمَانِيَةَ أَيَّامٍ مُدْبِيعَةٍ، أَحْرَقَهَا النَّاسُ وَالْعَشِيرُونَ مِنَ الشَّهْرِ
(5 يار/مايو)، وَسَمَّيَ الْفَرِيقَانِ الْقِتَالَ، وَمَلُّوا مِثْلَ لَمْلَامَتِهِ لَوْلَا دِهْرَارٌ وَالْمُسْلِمُونَ
قَدْ تَوَقَّعُوا سَيْتِلَاءَ الْفَرَجِ عَلَى الْبَلَدِ، لَمَّا رَأَوْا مِنْ عَجْرِ مَنْ هِيَ عَنْ دَفْعِ الْأَبْرَاجِ،
فَبَنِيَهُمْ لَمْ يَتْرَكُوا جِيلَةً إِلَّا وَعَمِلُوهَا، فَلَمْ يَكُنْ ذَلِكَ، وَلَمْ يُغِبْ عَنْهُمْ سَيْدٌ، وَتَابَعُوا رَمَى
النُّقُطِ السَّطَّارِ عَلَيْهَا، فَلَمْ يَزُكَّرْ فِيهَا، فَأَبْقَوْا بِالْبُيُوتِ وَالْهَيْلِ، فَأَتَاهُمُ اللَّهُ بِنُصْرٍ مِنْ
عِنْدِهِ وَادَّبَ فِي إِخْرَاقِ الْأَبْرَاجِ. وَكَانَ مِنْهُمْ نَفْسٌ، أَنَّ إِنْسَانًا مِنْ أَهْلِ دِمَشْقَ كَانَ
مَوْلًى لَجَمْعٍ لَاتِ النُّعَاطِيَّ، وَتَخَصَّلَ عَقْلًا يَزِيدُ قُوَّةَ عَمَلِ النَّارِ فَكَانَ مِنْ يَعْرِفُهُ
يَلُومُهُ عَلَى سَبْكِ وَبُنْكَزَةٍ عَلَيْهِ وَهُوَ يَقُولُ: هَذِهِ خَالَةٌ لَا أَبَاسَ رَهْأَ بَعْضِي إِنَّمَا أَشْهِي
مَعْرِفَتَهَا، وَكَانَ بَعْدَ الْأَمْرِ يُرِيدُهُ لِلَّهِ. فَلَمَّا رَأَى الْأَبْرَاجَ قَدْ نُصِبَتْ عَلَى عكا شَرَعَ
فِي عَمَلِ مَا يَعْرِفُهُ مِنَ الْأَنْثَوِيَةِ الْمُتَقَوِّيةِ لِلنَّارِ، بِحَيْثُ لَا يَمْنَعُهَا شَيْءٌ مِنَ الطَّبِيِّ
وَالْحُلِّ وَغَيْرِهِمَا، فَلَمَّا فَرَّغَ مِنْهَا خَضَرَ عِنْدَ الْأَمِيرِ قَرْلُقُوشُ، وَهُوَ مِنْ تَوْنِي الْأُمُورِ

بعدك ولحاكم فيها، وقال له: تأمر المنجيني أن يزمني في المنجني المحسني ليرج
 من هذه الأبراج ما أعطيه حتى أحرقه. وكان عند قراقوش من المعنص والحواف
 على البلاد وما فيه ما يكاد يفتله، فتردد غبطاً بقوله وحرد عليه، فقال له: قد باع
 أهل هذه الصنعة في الزمي بالنقط وغيره فلم يفلحوا فقال له من حصر العن
 الله تعالى قد جعل الفرج على يد هدا، ولا يضربنا أن نوافقه على قوله، فأجابه
 إلى ذلك، وأمر المنجيني بانتقال أمرد. فرمى عدة فتور بقطا وتيرة ليس فيه
 ناز، فكر الفرج بدأ راوا الفخر لا يحرق شيئاً يصيحون، ويترقصون، ولعنوب على
 سطح البرج حتى إنا علم أن الذي لقاء قد تمكر من البرج، الذي قدر منوهة
 وجعل فيها النار فاشتعل البرج، وألقى قدراً ثانية وثالثة، فاصطرمت النار في
 لواجي البرج، وأعجنت من في طبقاته الحمص عن المهرب والخلاص، فاحرق
 هو ومن فيه، وكان فيه من الزريبات والسلاح شيء كثير. وكان صنع الفرج بت
 راوا أن القدر الأولى لا تعمل شيئاً حملته على الصداينة وترك السفي في
 الخلاص، حتى عجل الله لهم النار في الدنيا قبل الآخرة، فلما أحرق البرج لأول
 انقل إلى الشبي، وقد هرب من فيه لحوهم، فأحرقه، وكذلك الثالث. وكان يوماً
 مشهود لم ير ثامن مثله، والمسلمون بنظرون ويفرحون، وقد أسفرت وجوههم بخ
 الكتابة فرحة بالنصر وخلاص المسلمين من الغلب لأنهم نهب منهم أحد، لا والله في
 البس ما نسب وإما صديق. وحمل ذلك للرجل إلى صلاح الدين فبذل له الأموال
 الجزيلة والإقطاع الكثير فلم يقبل منه الحبة الفرد، وقال: إنما عملته لله تعالى ولا
 أريد الجزاء إلا منه. وشيرت الكتائب إلى البلاد دلت البر وأرسل يطلب العساكر
 الشرقية. فأول من أضافه عماد الدين رنكي بن مؤنود بن رنكي، وهو صاحب
 سنجار وديار الجزيرة، ثم أضافه علاء الدين ولذ عز الدين مسعود بن مؤنود بن
 رنكي، سيرة أئمة معتمدا على عسكره وهو صاحب الموصل. ثم وصل رين الدين
 يوسف صاحب إربل وكان كل منهم إذا وصل يتقدم إلى الفرنج بعسكره وينصم
 فيه غيرهم، ويقبلونهم، ثم ينزلون.

ذكر الحيلة وإخال بطسة بيروت إلى البلد

(بهاء الدين، 179-178، 201-203، 211)

وكان لإفراج حدثهم الله قد أدلوا مراكبهم حول عكا حراسة به من أن يدخلها مراكب المسلمين. وكانت قد اشتكت حاجة من فيها إلى الصدم وميرة مركب في بطسة بيروت جماعة من المسلمين، وأودعوها أربع مائة غريرة فصح، ووضعوا فيها من الجبن والبصل والحم وغير ذلك من الميرة، وتركوا برقي الإفراج، حتى حلقوا نهارهم ووضعوا الخنزير¹ على سطح البطسة، بحيث ترى من بعد، وعلقوا نصيبان، وجاءوا قاصدين البلد من البعد حتى حاطوا مركب العدو فخرجوا إليهم واعتصمهم في الحرفات والشواني وقتلوا لهم مراكم فاصسين بهذا، وعقدوا أنهم منهم، فقالوا 'أولم تكونوا قد أخذتم البلد' فقالوا 'لم تأت البلد بعد' فقالوا 'نحن نرد القلوع إلى العسكر' وقد أتى بطسة أخرى في هواسا فأنشروها حتى يدخلها البلد. وكان وراءهم بطسة أرجية قد انفتحت معهم في البحر قاصدة العسكر، فطروا هزأها فقصدها يدروها، فاشتكت البطسة الإسلامية في السير واستقامت لها الريح حتى دخلت ميناء البلد، وسلمت والله الحمد. وكان فرح عظيم من الحاجة كانت ف أحدث من أهل البلد وكان ذلك في العشر الأخير من رجب (586/أب-أيلول/أوغست-سبتمبر 1190).

ذكر قصة العوام عيسى

ومن بواير هذه الواقعة ومحاسنها أن عواماً مسلماً يقال له عيسى وصل إلى البلد بالكتب وسفقات على وسطه ليلاً على غرة من العدو، وكان يعرض ويخرج من الجانب الآخر من مراكب العدو. وكان ذات ليلة شد على وسطه ثلاثة أكياس فيها ألف دينار، وكتب للعسكر وعام في البحر، فجرى عليه أمر هلكه وأيض حرمه عا. وكانت عادته إذا دخل للبلد أطار طيراً عزفاً بوصوله، فأطأ الطير فاستشعر هلكه. ولما كان بعد أيام بينا الناس على طرف البحر في سبيل، إذ

(1) الحارير يحسب لا ياكلها المسلم قط.

هو قد ذهب شيئاً غريباً فتفقدوه فوجدوه عيسى العولم، ووجدوا على وسطه ذهب وسمع الكتب، وكان للذهب نفقة للمجاهدين. فما روي من أدى الأمانة في حال حبسه وقد ردها في معاقته إلا هذا الرجل وكان ذلك في العشر الأخير من رجب أيضاً

نكر وقعة الكمين

وفي الثاني والعشرين من شوال (22/586 تشرين ثاني/نوفمبر 90)، رأى السبط أن يصنع للعدو كميناً وقوي عزمه على ذلك، فأخرج جمعاً من كماء العسكر وشجعانه وأبطاله وقربانته، وانتخبهم من خلق كثير وأمرهم أن يسير في الليل ويكسوا في صفح تل هو شمالي عكا بعيداً من عسكر العدو، هذه كانت منزلة الملك المعتدل حين وقعت الواقعة المنسوبة إليه، ولما يظهر منهم للعدو نعر يسير بأن يقصدوه في حياضهم ويحركوه، حتى إذا خرج ليهرموا بين يديه نحو المسلمين، ففعلوا ذلك وساروا حتى أتوا اللل المذكور ليلاً فكسوا فيه، ولما نجى نهر ثالث والعشرين خرج منهم يسير على جبال من الخيل وساروا حتى أتوا مخيم العدو ورموهم بالنشاب، وحركوا حمتهم بالصرب المتراثر، فانتحى لهم مقار مائتي فارس وخرجوا اليهم شكي السلاح، على جبل جبال بعده ثامة وأسلحة كاملة، وفصنودهم وليس معهم أحد راجل. وداخلهم الطمع فيهم بقلة عدتهم، فانهزموا بين أيديهم وهم يقاتلون ويقتلوا، حتى أتوا الكمين فثارت عند رؤسهم لأبطال، وصاحوا صيحة للرجل الواحد، وهجموا عليهم هجمة لأسود على لراسيها، فثبتوا وهربوا وقاتلوا قتالاً شديداً، ثم ولوا منهزمين، فتمكن أولو الله منهم وأوقعوا فيهم حسراً بالميمية، حتى أقنوا منهم جمعاً عظيماً وسلم الباقين للأسر فأسرهم، وأخذوا خيلهم وعندهم. وجاء النشير إلى عسكر الإسلام فارتفعت الأصوات بالتهليل، وركب السلطان بيلقي المجاهدين، وسار وكنت في خدمته، حتى أتى تل كبسان فلقينا نوازل القوم. فوقف هناك يتلقى العساكر من المجاهدين واللباس ينزكون بهم ويشكروهم على حسن صبرهم، وهو يعتبر الأسرى ويتصفح أحوالهم. وكان ممن أسر منهم عسكر الإفريسيين

فإليه كان قد أتت نجدة قبل وصوله وأمر حارث الملك ألبصاً. وعاد السطرن بعد تكامل الجماعة إلى محبته فرحاً مسروراً، وأحضر الأسرى عنده وأمر مسياً يسادي من سر أسيراً فليحضر الناس أسراهم وكانت حاضراً ذلك المجلس. وبف أكرم المعتمدين منهم وخلق عليهم وعلى معظم عسكر الإنفرسيين فزوة خاصة وأمر لكل واحد من الشافعين بعزوة حربية، فإن البرد كان شديداً وكان قد أخذ منهم واحصر لهم طعاماً فلكثوه وأمر لهم بحيمة تضرب قريباً من خيمته وكان يكرمهم في كل وقت ويحضر المعدم على الحوائ في بعض الأوقات وأمر بتعذيبهم وحملهم إلى دمشق، حملوا مكرمين وأمر لهم في أن يرسلوا أصحابهم ور يحصر لهم من عسكرهم ما يحتاجون إليه من الثياب وغيرها ففعلوا ذلك ودارو إلى دمشق.

رقّة قلب السلطان واتسمائته

... إليه وصل في أثناء خمسة وأربعين نفراً من الإفرنج كانوا قد أخذوا في بيروت وسبروا إلى السلطان ووصلوا في ذلك اليوم إلى ذلك المكان^١. ولقد شاهدت منه رقة قلب ثم ير أعظم منها. وذلك أنه كان هبهم شيخ كبير ضاع في السن لم يبق في نفسه ضرر ولم تبق له قوة إلا مقدار تحريك لا غير، فقال للترجمان قل له "أنا الذي حملك على السجى وأنت في هذا السن وكم من ههنا إلى بلادك" فقال "بلادي بيني وبينها عدة أشهر. وأما مجيئي فإيما كان للحج إلى القمامة، فرق له السلطان ومن عنده وأصلحه وأعادته ركباً على فرس إلى عسكر العدو. ولقد طلب أولاده للصغار أن يلدن لهم في قتل أسير، فلم يفعل. فسأله عن سبب المنع وكنت حاجتهم بما طلبوه فقال "أثلاً يعفانوا من الصغر على سببهم السوء ويهوى عليهم ذلك وهم الآن لا يعرفون بين المسمم والكافر" فأنجز إلى رحمة هذا الملك ونحرجه ونحرزه^(٢)...

(1) تل العباسية قرب عكا، في التاسع من ربيع الأول 587 (6 نيسان/أبريل 1191)

(2) الحقيقة أن هذا الجواب الكريم يجعل صورة صلاح النبي التاريخية تلتقي مع صورته الأسطورية

نساء لذة ونساء حرب بين الأقرن^(١)

(عماد الدين، 230-228)

وصفت في مركب ثمانمائة امرأة فرنجية مستحسنة، منطقية شبابها وحسب
مريته وقد اجتمع من الجزائر، والندى للجزائر، واعتري لإسماعيل العرباء،
وتأهل لإسماعيل الأشهباء، ورافقت على الإرفاق والإرفاق وتلهن على السوح
والسعود. من كل زانية بازيه، زاهية هازيه، عاطية منعاطيه، حاطية حاطيه،
منعنية منعجه، منبره منبرجه، نازية منلجه، متفشة متحصنه، تافه شافه،
فائقة زافه، رنقة زافه، رافعة حافه، مازقة رافقه، قاسرة سافقه، فريجة فافه،
فائقة فافه، مشهية منلجه، ملهية منلجه، متفنة منلجه، ناشية منلجه، مشوقه
منلجه، مقترحة محترقه، منعبية منلجه، حمراء مرعاء، نجلاء كحلاء، عجزاء
هيفاء، غلباء نفاء، زرقاء ورقاء، منخرقة حرقاء، تسحب غفارنها، وتسحر
بصاريتها، وتتلى كائنها حصن، وتمس كائنها فصيل، وتزيف وعلى لبتها
صليب، وهي بائعة شكرها بشكرها، باعية كسرها في شكرها. فوصل وقد سئل
أحسن، وأحسن للتبذل أصوبه وأحسن، وكان أنهن قصد بخروجهن، تسبيل
فروجهن، وأنهن لا يمنعن من الغراب، ورأس أنهن لا يتقرن بأفصل من هذا
الغراب، وتزدد بما ضربه من الخيم والعباب. ونصفت إليهن أترابهن من
الحسن الشراب، وفتح أبواب الملاذ، وسكن ما بين الأفخاذ، ويمن بالإباحه،
ورخص إلى الراحة، وأرحس علة السماح، ويمن سوق الفسوق، ويمن رثوق الفتوق،
وتعجب بيسابيع الفجور، وتحجر بنزو الفحول منهن على الخجور، وعرضن
الإمتاع بالمناع، ودعور الوقاح إلى الوقاح، وركبن المنور على الأعرج،
وسمحن بنسعة لدوى الإعواز، وأمن على تغريب خلاطهن من الأفرط، ورض
هرشهن على ساط النشاط، ونهضن للمهام، وتطلن للحرام، وتعرضن للطعن،
وتصرعن للأحذار، ومندن الرواق. وظلن حين عقد النطاق، وصرن مصارب

(١) هذه صيغة من الأناحية النقية ذات الطرز الباروكي المورخ قد نشر اسماء هؤلاء نساء

العجائب والغرائب

للأوباد، سندهين للصومل مهن إلى الأعماد، وسوين أراضيهن لعراس،
 وسنهصن الحراف إلى التراس، ولستهرن المحاريت إلى للحرت، ومكن المسافير
 من البحث، وأكن للرؤوس في تحول الدهاتيز، وجريين تحت راكبيه على صرب
 المهي ميز، وفريش الأتطن من الركابيا، وفوقن النبل في أعجاس الحبيب، وقطعن
 التكت، وطعن السكك، وصمم الأطنار في أكار الأوراك، وجمعن قروى كبش
 النطاح في الشبك، ورفعن الحجر عن المصون، ونرقص عن سحر المكور.
 ولهن الساق بالساق، وشعين غليل العشاق، وكثرن الصبيب في الوجار، وأطعن
 الأشرار على الأسرار. وطرقن الأقدام إلى الأكرية، والسيول إلى لأودية،
 والجداول إلى الغدائل، والمناصل إلى الأفعال، والسبائك إلى البواتق، وثرينير
 إلى المناطق، والأحصاب إلى التناير، ونوي الأجرام إلى المطمير، والصيروف
 إلى سدائير، والاعناق إلى البطون، والأقداء إلى العيون، وشبحن على
 الأشجار، وتناقلن على النمار ورعن أن هذه قرية مأهولها قرية، لا سيم
 فيمن اجتمعت عنده غزية وعزبة. وسعين الحمر، وطلبن بعين الور لأجر .
 وتسمع أهر صكرا بهذه العضية، وعجبوا كيف تعبدوا بترك البحوه والحمية.
 وأيق من المعاليك الأغنياء، والمناير الجلاء، جمعة جذ بهم الهوى، وشعر من
 شوى. فمهم من رهي للذة بالدله، ومهم من قدم على انزلة فتحيل في النقلة،
 فري يد من لا يترتد لا تمتد، وأمر الهارب إليهم لإتهامه يشد، وباب الهوى عليه
 يستد. وما عند الفرج على المزاء إذا أمكت منها الأعرب حرج، وما أركب عند
 الشمس إن كان لغزيان المصيفير من فرجها فرج.

ووصلت أيب في البحر امرأة كبيرة القدر، وأفره الوهر، وهي في بشه مالكة
 لأمر وهي جعلتها خمسمائة فارس بحبولهم وأتباعهم، وعلمانيهم وأشباههم، وهي
 كافة بكل ما يحتاجون إليه من المؤونة، زائدة بما تنفعه فيهم على المعونة، وهم
 يركبون بركبانها، ويحملون بحملاتها، ويشيرون لوتباتها، وتبث ثباتها لثباتها

١ هذه هي الإشارة الوحيدة لطبيعة تلك المرتفات الثلاثي في تصويرها كأنها جملات عديدة
 المسيحية، لكن هذه العبارة عن طلب الاجرة بعمرة العين والحطينة قد نفهم أيب معنى غير
 لاس.

وفي الفرج نساء قوازم، لهن دروع وقوتس، وكُنَّ في رِيّ الرجال، وبرزن في حومة القتال، ويعتار عمل لربان الحجا وهن ربان الحجال.

وكل هذه يعتقد عداها، ويخترن لهن يقصد به معادها، ويجعله لهن عادة، فسبحان لذي أصلهن، وعن نهج النهي لزلهن. وفي يوم الواقعة فلبت منهن مبود، بهن بالفرسلى المنوم، وفيهن مع لجهن قنوم، وليست لهن سوى تسوابع كسوه. لما عرفت حتى سليل وعزيب^(١). ومنهن عذة أسفين وإشترين. وأت العجائر، فقد إمتلات بين المراكز، وهن يمتدن تارة ويروحن، ويحزمن ويخبر. وقيل إن الصليب لا يرمى إلا بالإباء، وأنه لا بقاء له إلا بالنساء، وإن لمز معبودهم تحت استيلاء الأعداء. فتنظر إلى الإنفاق في الصلال بين الرجال منهم والنساء. فهن تغيرة على الملة عثلن للغيره، وللنجاه من الحيرة ناجير الحيرة، ولعدم الجلد عن طلب الشر تجلس، ولما صامهن من الأمر قبلهن وتبدأ.

(١) هذه "كلرپسا" تامة في الجانب المسيحي، لكن أسلمه يطلعا على أنه كن هناك في الجانب الإسلامي أيضاً نساء تمكن من حمل السلاح

انتهت حملة فرنريك بارياروسا في مياه الأنهار الأرمنية وأرينة شمال سورية، لكن حملة أخرى أُتت بجاحاً تحتها بقيادة ملكي فرنسا واسكترا، ورغم كل الجهود بُني بذلها صلاح الدين من أجل توحيد القوى الإسلامية في مجابهة الحملة الصليبية (وسوى ما نقلاً عن أبي شامة دعوته المؤثرة للجهاد) فإن عك ما لبثت أن سقطت في تموز بأولية سنة 1191 بعد أن اجتهدت تلك القوى وبشعر الجوع، يصف بهاء الدين وصفاً حياً أحزان الاستسلام وساعاته العصبية خاصة تلك التي وبعت النهاية الدموية غير المشرفة التي فرصها قلب الأسد حبيب بعد بقلب بارد مجزرة الأسرى المسلمين.

المركز كوندرا والحملة الثانية

(بهاء الدين، 181)

... المركز صاحب صور، وكان من أعظمهم حيلة وأشدهم بأساً، وهو الأصل في تهيج الجموع من وراء البحر. وذلك أنه صور القديس في ورقة، وصور فيه صورة القمامة التي يحجور إليها ويعظمون شأنها وفيه قبر المسيح الذي دفن فيه بعد صلبه برصهم⁽¹⁾، وذلك القبر هو أصل حجهم، وهو الذي يعتقدون نزول النور عليه في كل سنة في كل عيد من أعيانهم⁽²⁾، وصور على القبر فرنسا عليه فارس مسلم راكب عليه وقد وطنى قبر المسيح وبأل فارس على

(1) سبق وأن أسلفنا أن فهم للمسلمين المسيحية يستند إلى نظريات تمسيجه (راجع هامش رقم 79)

(2) حكايات أنثرباى خلال تسبب القديس كان يجري احتواؤها في القبر المعنوس حتى العرس المصمم

بغير وأبسى هذه للصورة وراء البحر هي الأسواق والمحامع والفسوس يحملونها
ورؤوسهم مكتوفة وعليهم للمسوح ويللون بالويل والثبور ، وللصور عمل في
قلوبهم ، فبها أصل دينهم ، فهاج بذلك خلق لا يحصى عندهم إلا الله ، وكان من
جملتهم ملك الألمان وجنوده.

ذَكَرَ وَصُولُ مَلِكِ الْأَلَمَانِ (فِيدريك بارياروستا)

إِلَى الشَّامِ وَمَوْتِهِ

(ابن الأثير، 30/12 32)

في هذه السنة (1190/586) خرج ملك الألمان من بلاده ، وهم لزج من
ألمانيا ، من أكثرهم عددا ، وأشدهم بأسا ، وكان قد أزعجه ملك الإسلام التبت
المقدس فجمع عساكره ، وأراح عليهم ، وسار عن بلاده وطرفه على القسطنطينية ،
فأرسل ملك الروم بها إلى صلاح الدين بعرضه الخبر ، وبعد أنه لا يمكنه من
العبور في بلاده ، فلما وصل ملك الألمان إلى القسطنطينية عجز ملكها عن منعه
من العبور لكثرة جموعه ، لكنه منع عنهم الميرة ، ولم يمكن أحدا من رعيته من
حمل ما يريدونه إليهم ، فصاحت بهم الأزواج والأقوات ، وساروا حتى عبروا خليج
القسطنطينية ، وصاروا على أرض بلاد الإسلام . وهي مملكة الملك قلع
أرسلا بن مسعود بن سليمان بن قنقش بن مسحق⁽¹⁾ فلما وصلوا إلى أوائلها
ثار بهم التركمان الأوج ، فماتوا يسايرونهم ويقتلون من انفراد ويسرفون ما لقروا
عليه ، وكر الزمان شاء واليزد يكون في تلك البلاد شديدا والفتح متزكفا ، فأهتكتهم
البرد والجوع والتركمان قتل عددهم . فلما قاربوا مدينة قونية خرج إليهم الملك قلع
لشيب ملكشده بن قلع أرسلان ليمتعهم ، فلم يكر له بهم قوة ، فعاد إلى قونية وبها
أبروه كحجر ولده المسكور عليه ، وتفرق أولاده في بلاده ، ونظب كل واحد منهم
على ناحية منها . فلما عاد عنهم قطب الدين أسرعوا السير في أثره فصارلوا قونية ،
وأرسلوا إلى قلع أرسلان هدية وقالوا له : ما قصدنا بلادك ولا أرضناها ، وإنما قصدنا

(1) سطر قونية بالسجوق

أُلبِيتَ الْمُعْتَسِرُ، وَطَلَبُوا مِنْهُ أَنْ يَأْتِيَ لِرَجْعَتِهِ فِي إِخْرَاجِ مَا يَحْتَاجُونَ إِلَيْهِ مِنْ قُورٍ
وغيره. فَأَدَّى فِي ذَلِكَ، فَأَتَاهُمْ مَا يُرِيدُونَ، فَصَدَعُوا، وَتَزَوَّنُوا، وَسَارُوا، ثُمَّ طَبَّحُوا مِنْ
قُورِ الَّذِينَ لَنْ يَأْمُرَ رَجْعَتَهُ بِالْكَفِّ عَنْهُمْ، وَأَنْ يَسْلَمَ إِلَيْهِمْ جَمَاعَةً مِنْ أَمْرِهِ
رَهْشَ، وَكَانَ بِحَافِيَّتِهِمْ، فَسَلَّمَ إِلَيْهِمْ ثِيَابًا وَعَشْرِينَ أَمِيرًا كَانَ يَكْرَهُهُمْ، فَسَارُوا بِهِمْ
مَعَهُمْ وَلَمْ يَمْنَعْ الْأَنْصُوصُ وَغَيْرُهُمْ مِنْ قَصْدِهِمْ وَالنَّحْرُصِ إِلَيْهِمْ فَغَبِصَ مَلِكُ
الْأَلَمِ عَلَى مَنْ مَعَهُ مِنَ الْأَمْزَاءِ وَقِيْدَهُمْ، فَصَلَّاهُمْ مَنْ هُنَاكَ فِي أُنْشَرِهِ، وَمِنْهُمْ مَنْ
قَدَّى نَفْسَهُ. وَسَارَ مَلِكُ الْأَلَمِ حَتَّى أَتَى بِلَادَ الْأَرَمَنِ، وَصَاحِبُهَا لَاقَاهُ بِرِ
اصْطِفَاعِهِ بِرِ لُيُونٍ، فَأَمَدَّهُمْ بِالْأَقْرَاطِ وَالْعُلُوفَاتِ، وَحَكْمُهُمْ فِي بِلَادِهِ، رَاطَهَرِ
الطَّاعَةِ لَهُمْ، ثُمَّ سَارُوا نَحْوَ أَنْطَاكِيَّةَ، وَكَانَ فِي طَرِيقِهِمْ نَهْرٌ فَتَرَلُّوا عِلْدَهُ، وَدَخَلَ
مَلِكُهُمْ إِلَيْهِ لِيُعْتَسَلَ فَعَرَقَ فِي مَكَبٍ مِنْهُ لَا يَبْلُغُ أَمَاءَ وَسَطِ الرَّجُلِ وَكَفَى أَلَهُ شَرَّةً.
وَكَانَ مَعَهُ وَلَدٌ لَهُ⁽¹⁾، فَصَارَ مَلِكًا بَعْدَهُ، وَسَارَ إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ، فَاخْتَلَفَ أَصْحَابُهُ
عَلَيْهِ، فَأَحْبَبَ بَعْضُهُمُ الْعُوزَ إِلَى بِلَادِهِ. فَخَلَفَ عَنْهُ، وَبَغَضُهُمْ مَالٌ إِلَى تَمْلِيكِ أَحَ
لَهُ، فَعَدَّ أَيْصًا، وَسَارَ فَيَمُزُ صَحْبَتَ نَيْثَةَ لَهُ، فَعَرَصَهُمْ وَكَالُوا ثِيَابًا وَأَرْجِيئِ أَلَفَ،
وَوَقَعَ فِيهِمُ الْوَبَاءُ وَالْمَوْتُ، فَوَسَلُوا إِلَى أَنْطَاكِيَّةَ وَكَانَتْهُمْ قَدْ لَبِشُوا مِنَ الْبُيُورِ. فَتَنَزَّهَ
بِهِمْ صَاحِبُهَا، وَحَسُنَ لَهُمُ الْمَسِيرُ إِلَى الْفَرْنَجِ الدِّينِ عَلَى عَكَا، فَسَارُوا عَلَى جَبَلَةٍ
وَلَاذِيَّةٍ وَغَيْرِهَا مِنْ الْبِلَادِ الَّتِي مَلَكَهَا الْمُسْتَفْنُونَ، وَحَزَجَ أَمَلٌ حَظَبَ وَغَيْرِهِمْ إِلَيْهِمْ،
وَأَخَذُوا مِنْهُمْ خُلُقًا كَثِيرًا، وَمَاتَ أَكْثَرُ مِثْنِ أَحَدٍ، هَلَبُوا طَرَابُشًا، وَأَهْمُوا بِهَا أَيْامًا
فَكَثُرَ فِيهِمُ الْمَوْتُ، فَلَمْ يَبْقَ مِنْهُمْ إِلَّا نَحْوُ أَلْفِ رَجُلٍ، فَوَكَّنُوا فِي الْبَحْرِ إِلَى الْفَرْنَجِ
الْبَيْنِ عَلَى عَكَا، وَلَقَا وَصَلُوا وَرَأَوْا مَا نَالَهُمْ فِي طَرِيقِهِمْ وَمَا هُمْ فِيهِ مِنَ الْاِخْتِلَافِ
غَامُوا إِلَى بِلَادِهِمْ فَعَرَفَتْ بِهِمُ الْمَرَائِكِبُ وَلَمْ يَبْخُجْ مِنْهُمْ أَحَدٌ.

وَكُنِيَ الْمَلِكُ قُلُجٌ لَوْسَلَانُ يُكَتِّبُ صِلَاحَ الدِّينِ بِأَخْبَارِهِمْ. وَبَعْدَهُ أُلَهُ بِمَنْعِهِمْ
مِنْ الْعُورِ فِي بِلَادِهِ فَلَمَّا عَبَّرُوهَا وَخَلَقُوهَا أَرْسَلَ بِعَتَرُ بِالْعَجَرِ عَنْهُمْ، لِأَنَّ أَوْلَادَهُ
حَكَمُوا عَلَيْهِ، وَحَجَزُوا عَلَيْهِ وَتَفَرَّقُوا عَنْهُ، وَحَزَجُوا عَنْ طَاعَتِهِ. وَأَمَّا صِلَاحُ الدِّينِ
عَنْ وَصُولِ الْحَبِيرِ بَعُورِ مَلِكِ الْأَلَمَانِ، فَإِنَّهُ لَمَسْتَسِرَ أَصْحَابَهُ، فَأَشَارَ كَثَرُ مِنْهُمْ
عَلَيْهِ بِالْمَسِيرِ إِلَى طَرِيقِهِمْ وَمُحَارَبَتِهِمْ قَبْلَ أَنْ يَتَّصِلُوا بِمَنْ عَلَى عَكَا فَقَالَ: "لَنْ

(1) هدير بك وقد مات بعدها بقليل على عكا

نقيمُ إلى أن يقرَّبوا مئاء، وحيثما نَقَلَ نَكَ ثَلَا يَسْتَمْلِمُ مِنْ مَعَكَا مِنْ عَسَاكِرٍ" بَكَّة
سير بعض من عتدة من العساكر منها عنكز حلب وجبله ولانقبة وشيرر وغير
ذلك، إلى أعمال حلب ليكنوا في أطراف البلاد يحفظونها من عابثهم وكن
حال المسلمين. كما قال الله عز وجل: [إِذْ حَارَبْتُمْ مِنْ قُدُوكُمْ وَمِنْ أَسْفَلِ مَعَكُمْ
وَإِذْ رَغِبَ الْأَنْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونُ هَٰذَا الَّذِي
الْمُؤْمِنُونَ وَرُلُّوهُ رِزَالًا شِيدًا] (١) فكفى الله شرهم ورد كبدهم في شرهم

ومن شدة خوفهم أن بعض أمراء صلاح الدين كان له بند الموصل قرية
وكان أحر. رحمه الله يولاه. فحصل دخلها من حنطة وشعير ونبي. فأرسل إليه
في بيع العلة، فوصل كانه يقول: "لا نبيع العلة لأفرد، واستكر لنا من الشئ، ثم
بعد ذلك وصل كداه يقول: "تبيع الصغار فبنا حاجة إليه، ثم إلى ذلك الأمير
قدم الموصل، فسأله عن المبيع من بيع العلة، ثم الإنس فيها بعد مدة يسيرة،
فقال: لقد وصلت الأخبار بوصول ملك الأمان أبنا أنا ليس لنا بالشئ مقام.
فكتب بسماع من بيع العلة لتكون تحرة لنا إذا جئت إلينا، ولم أهلكهم الله
تعالى، وأغلى عليها ككتبت ببيعها والاندع بشها.

وصول ملك فرنسا وملك انكلترا

ذكر وصول العساكر الإسلامية والملك الفرنسيين

(بهاء الدين، 212-214، 220)

ومن ذلك الوقت (ربيع 1190) انتصحت اتبهر وطلاب الرمال وجاء دواس عود
العساكر إلى الجهاد من الطبقتين. فكان أول من قدم عظم الدين سليمان بن
جسر، من أمراء الملك الظاهر، وكان شيخاً كبيراً متكوراً له وقلع دا رضي حسن،
واسلطن بحرمة ويكرمه وله قدم صحبة. ثم قدم بعده مجد الدين بن عز الدين
فخرشاه وهو صاحب بطنك وتابعت بعد ذلك العساكر الإسلامية من كل

(١) قرآن (كريم) الآية 1 من السورة 3 (الأحزاب) تشير الآية إلى حصار المدينة من قبل
طوائف المشركين، في السعة الخامسة للهجرة (617).

صوب. وأما عسكر العدو فإنهم كانوا يتواعدون لليرك ومن يقاربهم بعدوم انساك
الفرسيس⁽¹⁾ وكان معظماً عندهم مقدماً محترماً من كبار ملوكهم، تنعاه إليه
العساكر بأسرها، بحيث إذا حضر حكم على الجميع ولم يزالوا يتواعدون بعثومه
حتى قدم في ست بطس تحمله وميرته وما يتاح إليه من الخيل وحوص
أصحابه. وكان قدومه يوم السبت الثالث والعشرين من ربيع الأول من هذه السنة.
(20 587 نيسان/أبريل 1191).

نصرة وبشارة

وكان قد صاحبه من بلاده يار عظيم هائل الحلق أبيض اللون نادر الجنس ما
رأيت بازياً أحسن منه، وكان يحره ويحيه حياً عظيماً. فتد البار من هذه وطار وهو
يستجونه ولا يجنئه حتى سقط على سور عكا، فاصطاده أصحابنا وبعثوه إلى
السلطان. وقد كان لقومه روعة عظيمة واستبشار عظيم بالظفر به. فتفاعل
المسلمون بذلك وبذل الإفرنج فيه ألف دينار فلم يجابوا. وقدم بعد ذلك كندلريد⁽²⁾
وكان مقدماً عظيماً عندهم منكورا، فذكروا أنه حاصر حماة وحارم في عام الرملة.

ذكر ملك الأكتار

.. وهذا ملك الأكتار⁽³⁾ شديد البأس بينهم عظيم الشجاعة قوي الهمة، له
وقعات عظيمة وله جسارة على الحرب، وهو نون الفرسيس عندهم في الملك
والمنزلة، لكنه أكثر مالأ منه وأشهر في الحرب والشجاعة. وكان من خبره أنه
وصل إلى جزيرة قبرص ولم ير أن يتجاوزها إلا وأن تكون له وفي حكمه، فدار لها
وقاتلها فخرج إليه صاحبها، وجمع له خلعاً عظيماً وقاتلهم قتالاً شديداً. فأبعد
الأكتار إلى عكا يستجد إليه الملك جعري أحاه ومعه مائة وستمائة فارس ليعيدوه
على معصومه وبقيت الإفرنج على عكا ينتظرون ما يكون من الصائغين.

(1) Filippo Augusto

(2) هيبس كوت أفلاكتور

(3) ريتشارد قلب الأسد

نكر وصول الأتكلر

ولم كان يوم السبت ثالث عشر الشهر (8 حزيران/يونية 191) قسم منك لأنكلر عد مصالحتة لصاحب جزيرة قبرص والاستيلاء عليها. وكان قدومه ربه عه عصمة. ووصل في خمس وعشرين ساعة مملوءة بالرجال والسلاح والعد. وأظهر لإفريج سروراً عظيماً حتى أنهم أوقفوا تلك الليلة ذياراً عصمة كبيرة. وكان ملوكهم بنوا عدونا به، فكان الممتأمنون منهم يحترقون عههم أنهم متوقعون فيما يريدون فيما يعطونه من مصايفه البلاد حتى قدومه فإنه مو رأي في الحرب، مجرب. وأثر قدومه في قلوب المسلمين خشية ورهبة، هذا والسلطان يتلقى ذلك كله بالصبر والاحتساب والترك كل وإخلاص النية لله تعالى في جهادهم.

نداء صلاح الدين لقتال الصليبيين

(ابو شامة، 148/2)

والمرجو من الله سبحانه وتعالى تحريك هم المؤمنين في تسكين ثأرهم وتخريب عامرهم، وما دام البحر يمدهم وأثير لا يصدهم، فبلاء البلاد بهم دائم ومرضى القلوب بأدوائهم ملازم. فأين حمية المسلمين، وبغزة أهل الدين، وغيره أهل اليقين؟ وما ينقص عجباً من تطاير المشركين، وعود المسلمين، فلا ملهي منهم لمناد، ولا مثعب لمناد، فانظروا إلى الفرنج أي مورد وردوا، وأي حشد حشدوا، وأي هائلة بشدوا، وأية جدة أنجدوا، وأية أموال غرموها وأفقوها، وهددت جمعهم ونزعوا عنها فيما بينهم وهرقوها؟ ولم يدق ملك في بلادهم وجزائرهم، ولا عظيم ولا كبير من عظمتهم وأكابرهم، إلا جازى جلوه في مصمير الإجد، وبرى بطيره في اللجأ والاحتهاذ. واستقوا في صوت ملتهم مثل المهج والأرواح، وأمدوا أجسادهم الأجاس بأنواع السلاح مع أكفاء الكفاح. وما فعلوا ما فعلوا ولا سلوا ما سلوا إلا لمجرد الحمية لمتعتهم، والنحوه لمتعتهم، ولبس أحد من مريجية يستشعر إلى الساحل (السوري) إذا ملك، ورفع فيه حجاب عههم وهتك، بخرج بند عن بند وتمتد يد إلى بلد. والمسلمون بحلاف ذلك قد وهوا وفشلوا.

وعصو وكسلوا، ولزموا الحفرة، وعدموا الغيرة، ولو انتفى، والحياد بالله للإسلام
 عان، أو حبا منا وبنا عسان، لما وجد في شرق البلاد وغربها، وبعد آلاف
 وقربها، من الذين الله يعار ومن نصرة الحق على الناطل يختار، وهذا أو من رفض
 التواهي، واستثناء أولي الحمية من الأكفسي والأداني، على أن بحمد الله لنصره
 راجع، وبه بإخلاص السر سر الإخلاص مناحون، والمشركون بهر الله
 هالكين، والمؤمنون امنون ناجون.

قوة الزحف واستسلام عكا

(بهاء الدين، 229-239)

ولم يزنوا يوالون على الأسوار بالمناجيق المتواصلة والصرب وثقلوا أحجاره
 حتى غلظو سور البلد وأصعقوا بنيانه، وأنهك التعب والمهر أهل البك لقله
 عددهم وكثرة الأصال، حتى لم جماعة منهم بقوا نيالي لا ينامون أصلا لا ليلا
 ولا نهاراً، وبخلق الذين عليهم عند كثير يتأبون على قتالهم وهم نفر يسير قد
 تقسموا على الأسوار والحنادق والمنصبغات والسفن والشواني.

ولما أحس العدو بذلك وظهر لهم تحلل السور وتقلقل بنيانه شرعوا في
 الرحف من كل جانب وانقسموا أقساماً وتتأبوا فرقاً، كلما تبع قسم استراح وقام
 غيره مقامه وشرعوا في ذلك شروها عظيم، براجلهم وفارسهم مابع لشهر
 (جمادى لأخر/ 12 تموز/ يوليو 1191)، هذا مع عمارتهم أسوارهم الدائرة على
 حسانهم بالرجالة والمقاتلة ليلاً ونهاراً. ولما علم السلطان بذلك باخبر من يشاءه
 وأظهر لعلامه التي بيما ويدهم وهي نق الكؤوس، وركب وركب العسكر إليهم
 وجرى في ذلك اليوم قتال عظيم من الجانبين، وهو كالأولئك للتكني، بجول بعرضه
 من صب إلى طلب، ويحث الناس على الجهاد. ولقد بلغت أن الملك العادل حمل
 بنفسه في ملك اليوم مرتين والسلطان يطوف بين الأطلاب بعصه ويادي ب
 للإسلام، وعينه تدركان بالتموع. وكلما نظر إلى عكا وما حل بها من الخلاء وما
 يجري على ساكنيها من المصائب العظيم، اشتد في الرحف والحث على القتال.

ولم يطعم في ذلك اليوم طعاماً البتة وإنما شرب نقاح مشروب كان يشرب به الطبيب وتأخرت عن حضور هذا الرحف لإمام مرض شوش مزاجي لما عراني فكنت في الحيرة في نل العياصية وأنا أشاهد الجميع، ولما هجم الليل عاد رحمه الله إلى لحجم بعد العشاء الأخرة، وقد أخذ منه التعب والكد والحر فم لا عن عمو، ولما كان معر ذلك الليلة أمر الكرويين أن يفتل^(١) وركب العساكر من كل جانب وأصبحوا على ما أمروا عليه.

وفي ذلك اليوم وصلت مطالعة عن البلد يقولون فيها أننا قد بلغ من العجز إلى غاية ما بعدها إلا التسليم، ونهر في الغد تامل الشهر إن لم نعملوا شيئاً بطلب الأمان وسلم البلد وبشرى مجرد رقابنا، وكان هذا أعظم خبر ورد على المسلمين وأنكى في قلوبهم، فإن عكا كانت قد احتوت على جميع سلاح الساحل والقدس ونعشق وطلب ومصر وجميع البلاد الإسلامية، واحترق على كبار من أمراء العسكر وشجعان الإسلام كسيف الذين المشطوب وبهاء الذين قراقوش وغيرهم وكان قراقوش ملتزماً بحراستها من كل العدو عليها وأصاب السطان ما لم يصبه شيء مثله وخيف على مزاجه الترس، وهو لا يقطع ذكر الله والرجوع إليه في جميع ذلك صابراً محتسباً ملازماً مجتهداً، لو الله لا يصنع أجراً المحسنين^(٢)، فرأى الدخول على القوم ومهاجرتهم، فصاح في العسكر الصالح وركبت الأبطال فجتمع الرجال والفارس ولشد الرحف، ولم يساعده العسكر في ذلك اليوم على الهجوم على العدو فإن رجلائه وقهوا كانوا المحكم الباء بالسلاح (البربركان^(٣)) والنشاب من وراء أسوارهم، وهجم عليهم بعض الناس من بعض أطرافهم فثبتوا وذبوا غاية انتب، ولقد حكى بعض من دخل عندهم أسوارهم أنه كان هناك راجل واحد يفرحى سعد سور حندقهم واستكبر المسلمين وإلى جبهه جماعة ياولونه الحجرة وهو يرميها على المسلمين الذين يلاصقون سور حندق وقال إنه وقع فيه رهاء خمسين سهماً وحجراً ولا يمتعه ذلك عما هو

(١) فرع الطبول والرجوع إلى المعركة من حيث (عن غيري)

(٢) قرآن (كريم) الآية ١٣٤ من سورة ٣ (آل عمران)

(٣) ترجمه: شيريني (القوس، النشاب).

بصنعه من الذئب والفتال حتى صر به زريق مسلم بفارورة فحرقه. ولقد حكى لي شيخ عاقل جندي أنه كان من جملة من نحل خنادقهم في ذلك اليوم، قال وكان داخل سورهم امرأة عظيمة عليها ملوطة حضراء فما زالت ترميها بغوس من حشب حتى خرجت من جصعة وتكاثرتا عليها وقتلناها وأخذنا قوسها وحملناها إلى السلطان فعجب من ذلك عجباً عظيماً، ولم يزل الحرب يعمل بين الطرفين بالقتل وانجرح حتى فصل بينهم الليل.

انهيار عكا ودخولها في مفاوضات مع الإفرنج

ذكر ما آل إليه أمر البلد من الضعف

ووقع المراسلة بين أهل البلد والإفرنج

ولما اشتد رحيمهم على البلد وتكاثرتا عليها من كل جانب، وشدوب ضعف أهل البلد لما رأوه من عين الهلاك واستشعروا النحر عن الدفع، وتمكن العدو من الخنادق فملكوها، وتمكنوا من سور الباشورة فهووا وأشعلوا فيه النار، بعد حشو القنب، ووقعت بننة من الباشورة وحل العدو الباشورة وقتل منهم فيها مائة وخمسون نفرًا وصاعداً، وكان فيهم ستة من كبارهم فقال لهم واحد "لا تقتلوا حتى أرحل الإفرنج عنكم بالكيفية"، فبادر رجل من الأكراد فقتله وقتل الخمسة الأخرى، وفي العدد ندى الإفرنج "احفظوا السنة فإنما يطلقكم كلكم بهم" فقالوا "قد نشأهم فحرر الإفرنج لذلك حزباً عظيماً وطلبوا الزحف بعد ذلك أياماً ثلاثة.

ولمّا أن سيف الدين المشطوب خرج بعصه إلى ملك الفرنسيين بالأمس وقال له "قد أحدينا منكم بلانداً عدة، وكفّ نهجم البلد ونشعل فيه، ومع هذا إذا سألوك الأمر أعطيتهم وحملناهم إلى مأمدهم وإكرامهم. ونحن نسلم البلد، وتعطينا لأمان على أنفسنا". فأجابه بأن "هؤلاء الذين أحديتموهم منا وأنتم أبصاً ممالكي رعيدي، فأرى فيكم رأيي". ولمّا أن المشطوب بعد ذلك أعطاه في القول وقال أقاويل كثيرة في ذلك المعام منها "أنا لا نسلم البلد حتى نقتل دأحمنا ولا يقتل من واحد حتى يقتل خمسون نصاً من كباركم"، وانصرف عنه. ولما نحل المشطوب

البلد بهذا الحر خاف جماعة ممن كانوا في البلد، فأخذوا بركوساً^(١) وركبوا فيه ليلاً خارجين إلى العسكر الإسلامي. وذلك في التاسع من جمادى الآخرة. وكان معهم من المعروفين عز الدين أرسل وأبن الحاولي وسفر الوشاق، فما أرسل وسفر فأنهما لما وصلا إلى العسكر تغيبا، ولم يعد لهما مكان حشبة من بقعة السلطان وأما ابن الحاولي فظفر به ورمى في الرربخانة (السجن)

وفي سحر تلك الليلة ركب السلطان بنية كبير القوم ومعه المصحف ولائهم الحديث، فما ساعده العسكر على ذلك وتخذلوا عن ذلك وقالوا به فحاطر بالإسلام كله^(٢) ولا مصلحة في ذلك. وفي ذلك اليوم خرج من الانكتر رسل ثلاثة طلبوا فكهة وتلحوا وذكروا أن مقدم الأسبتر يحرق في الغد يتحدث في معنى الصلح. غير أن السلطان أكرهم ودخلوا سوق العسكر وتفرجوا فيه، وعادوا تلك الليلة إلى عسكرهم. وفي ذلك اليوم تقدم السلطان إلى صالوم الدين فابراز النجمي، أن يدخل هو وأصحابه إلى أسوارهم، وسار معه جماعة من أمراء الأكراد كالجبج وأصحابه وهو أخو المشطوب، وزحفوا حتى وصلوا أسور الإفرنج. ونصب دهمار بنصفه عنقه على سورهم وهتل عن نظم قطعة من النهار. ووصل في ذلك اليوم عن الدين جرديك السوري، وسوق الرحف قائم، فزجل هو وجماعته وقتل قتلاً شديداً. وفي يوم الجمعة للعاشر من جمادى الآخرة (5 شوز/لوية) أصبح القوم ساكنين عن الرحف، والعاكر الإسلامية محتلة بهم، وقد باتوا لينتهم شكى السلاح راكبي ظهور خيلهم مضطرين. عسى أن تمكنهم مساعدة إخوانهم المقيمين بعكا. وبهجموا على طرف من الإفرنج فكسروهم، وبخرجو بحمي بعضهم بعضاً، وبجأوبهم العسكر البراني هيسم من بسلم ويؤخذ من يؤخذ، فلم يقررو على الخروج وكان قد ثبت ذلك معهم، فلم يتهياً لهم في تلك الليلة خروج بسبب أنه كان هرب منهم بعض للقطار. فأخبر العدو بذلك فاحتاطوا عليهم وحرسوهم حراسة عظيمة. ولما كان يوم الجمعة للعاشر خرج منهم رسل ثلاثة واجتمعوا بالملك العادل وتحدثوا معه ساعة زمنية، وعادوا ولم يفصل حال

(١) ترجمها غاربيلي (مركباً).

(٢) أي أن في هذه الخطة مغامرة بالاستقام كله (المنزجم).

وانعصى الدهر على مقام المسلمين بالمرج في مقابلة العدو وقاتلوا على مثل ذلك ولما كان السبت الحادي عشر ليست الفرنج بأسرها لئلا للحرب، وتحركو حركة عظيمة، بحيث أنهم اعتقدوا ضرب مصلاتي مع المسلمين، واصطفوا وخرج من الباب الذي تحته للقبّة زهاء أربعين نفساً، واستدعوا جماعة من عماليك، وطلبوا منهم العمل للريثاني وذكروا أنه صاحب صيداً طليق السطر، فحصر العمل وحرى مائة أحيان في معنى إطلاق العسكر الذي بعك، وشطروا في ذلك اشتطاطاً عظيماً ونصروهم بهار السبت ولم ينصل حال.

ذكر كتب وصلت من البلد

ولما كان يوم الأحد ثاني عشر وصلت (من المدينة) كتب يقولون فيها إن قد تبايعت على الموت ولا نزال نقاتل حتى نقتل ولا نسلم هذا البلد ونحن أحياء فاعلموا أنهم كيف يعملون في شغل العدو عما دفعه عن قتال هذه عزائم وإياكم أن تخضعوا لهذا العدو وتلبسوا لهم فإننا نحن قد فات أمرنا، وذكر العوام الواصل بهذه أن كتب أنه لما وقع بالليل الصوت من الإفرنج لم يسكنوا عظيماً عبر إلى عكا وسلم وسار فيها فلما جاء إسمان (فرنجي) فوقف تحت سور وصاح إلى بعض من على السور وقال له بحق دينك إلا ما أخبرتني كم عدد العسكر الذي دخل إليكم البارحة يعني ليلة السبت وكل من قد وقع بالليل صوت وادرج الطائفتين ولم يكن له حقيقة^(١) فقال له ألف فارس فقال لا لكنه من ذلك، فما رأيهم لاسين ثياباً خضراً^(٢).

ثم تابعت العساكر الإسلامية وانددت كيد العدو عن القوم في تلك الأيام، بعد أن كان قد أشرف البلد على الأحده، واشتد ضعف البلد وكثرت شعور سوره، وحاهد المقيمون فيه ونسوا عوصر التلم سوراً من داخلها، حتى إذا تم سوره قتلوا عليه. وقدم في يوم الثلاثاء رابع عشر الشهر المذكور، سابق النين، صاحب شرر، وفي يوم الأربعاء خامس عشر، وصل بدر النين لدرج ومعه تركمن

(١) يسو أنها كانت حرة لرسبه

(٢) بصرف السارية التي غالباً ما تراها المعطحات الإسلامية تتدخل في المعركة

كثير ، كن السلطان قد انعذ إليه ذهباً اتفق فيهم . وفي يوم الخميس السادس عشر الشهر المذكور ، وصل لشد الدين شيركوه ، ولشدت ثبات التفرج على أهم لأبصالحو ولا يعطون الذين في البلد أماناً حتى يطلق جميع الأسارى الذين في أيدي المسلمين ونعاد البلاد الساحلية إليهم ، وبذل لهم تسليم البلد وما فيه من فيه ، فلم يفعلوا ، وبذل لهم أيضاً مع تلك صليب الصليوت فلم يفعلوا . وشك عنهم واستحل أمرهم وصاروا التحول عنهم [ومكروا والله خير الماكريين] .^(١)

ذكر مصالحة أهل البلد ومصانعتهم على نفوسهم

ولم كان يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة خرج العوام من الشعر ربطت الكتب عنهم أن أهل البلد صاقي بهم الأمر وكبرت الشعر وعجزوا عن الحفظ وتافع رأوا عين الهلاك وتيقنوا أنه متى أحدث البلد عدوة صرحت أعناقهم عن آخرهم وأخذ جميع ما فيه من العند والأمنحة والمراكب وغير ذلك ، فصالحهم على أن يسلمون إليهم البلد وجميع ما فيه من الآلات والعدد والمراكب وما في ألف دينار وألف وخمسمائة فارس لسير مجاهيل الأحوال ومائة فارس معينين من جانبهم بخيرون وصليب الصليوت ويخرجون بأنفسهم سالمين وما معهم من الأقمشة المختصة بهم ونزاريهم وسائرهم وضموا للمركب عشرة آلاف دينار أنه كان واسطة ولأصحابه أروحة آلاف دينار واستقرت القاعدة على ذلك .

ذكر استيلاء العوا على عكا

وبم وقت السلطان على كتبهم وعلى مضمونها أنكر ذلك أنكر عصباء وعظم غلبه هذا الأمر . وجمع أرباب المشورة وشاورهم فيما يصنع . وصطرب الأمراء وتقسف فكره وتنبوش ، وعزم على أن يكتب في الليلة مع العوام ويكر عليهم المصالحة على هذا الوجه . وهو في مثل هذه الحال ، فما احسن المسمى إلا وقد ارتفع أعلام الكفر وصلبانه وشعاره وناره على أسوار البلد ، وذلك في

(١) قرار (كريم) الآية ٢٤ من سورة ٣ (ال عمران)

ظهر بهار الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة (٢) تمرد يبوله (1191). وصاح الإفرنج صيحة واحدة وعظمت المصيبة على المسلمين وشتت حزن الموحدين وانحصر كلام العقلاء من الناس في ثلاثة [رب الله وما إليه رجعون]. وغشي الناس بعتة عظيمة وحيرة شديدة ووقع في العسكر الصبح والعويل واللبكاء والندب، ودخل المركبى البلد ومعه أعلام ثعلوك فصبب علما على الفلعة وعلما على مأينة الجامع في يوم الجمعة وعلما على برج اندوية، وعلما على برج القتال عوصاً عن علم الإسلام وحبروا المسلمين إلى بعض أطراف البلد.

ومثلت في خدمة السلطان وهو في حال الوأدة التكنى، والموبه تحراء فسلوته بما تيسر لي من التسلية وأذكرته في الفكر فيما يستقبله في معنى البلاد الساحلية والقدس الشريف وكيفية الحال في ذلك وإعمال الفكر في خلاص المسلمين المأمورين في البلد وذلك في ليلة السبت الثامن عشر منه، وانفصل الحال على أن رأى التأخير عن تلك المارئة مصلحة، فإنه لم يبق في المضايقة معنى، فتقدم بنقل الانتقال ليلاً إلى المدنة التي كان عليها أولاً بشعرهم وأقام هو جريدة في مكانه لينظر ماذا يكون من أمر العدو، وحال أهل البلد، وأقام هو راضياً راجياً من الله تعالى أنه ربما حملهم غرورهم بالخروج إليه والهجوم عليه، فينال منهم غرضاً ويلقى نفسه عليهم، ويصلي الله النصر لهم شاء. فلم يفعل العدو شيئاً من ذلك، واشتغلوا بالاستيلاء على البلد ولتمكن منه، فأقام إلى بكرة التاسع عشر من الشهر وانتقل إلى القل.

ذكر قتل المسلمين للذين كانوا يعا زحمهم الله

(بهاء الدين، 242-243)

ولما رأى الأنكزار الملعون توقف السلطان بذل المال والأسرى والصديب، غدر بأسرى المسلمين وكان قد صالحهم وتسلم أثلا منهم على أن يكونوا أسيرين على نفوسهم على كل حال، وأنه إن دفع للسلطان إليهم ما استقر أطلقهم بموالهم

وعسائهم. وإن أمتنع من ذلك ضرب عليهم الرق وأخذهم أسرى. فعرضهم الملعون
وأظهر عما كان أبطر، وفعل ما أراد أن يفعله بعد أخذ المال والأسرى، على ما
أحس به عنه أهل ملته فيما بعد. وركب هو وجميع الحنكر الإفريقية راجلهم
وقادسهم والتراكيل في وقت العصر من يوم الثلاثاء السابع والعشرين من رجب
(20 اب غسطن) وساروا حتى قتلوا الأبار التي تحت تل الحياصية، وقدموا
حيدهم إليهم، وساروا حتى توسطوا المرح بين تل كيسان وبين الحياصية، ثم
أحصرهم من أسرى المسلمين من كتب الله شهيدته في ذلك اليوم، وكسر رهاء
ثلاثة آلاف في الحال، وحملوا عليهم حملة للرجل الواحد، فقتلهم ضرب وطعن
بالسيف، والبرك الإسلامي يشاهدون ولا يعلمون ماذا يصنعون لبعدهم عنهم،
وكان البرك قد أتوا إلى السلطان وأعلموه بركوب القوم ووقوعهم هائلا إلى البرك
من قوه، وبعد أن فرغوا منهم حمل المسلمون عليهم وجرت بينهم حرب قتل فيها
وجرح من الجانبين ودام القتال إلى أن فصل الليل بين الفريقين، وأصبح المسلمون
يكشفون الحال، فوجدوا الشهداء في مصارعهم، وعرفوا من عرقلوه منهم، فعشي
المسلمين من ذلك حزن عظيم وكآبة شديدة، ولم يبقوا إلا رجلاً معروفاً معدماً أو
قوي يد لعسانهم، ونكر لقتلهم أسباب منها أنهم قتلوه في مقابلة من قتل منهم
وقيل إن الإنكار كان قد عزم على السير إلى عسقلان للاستيلاء عليها، فم رأى
أن يحلف تلك العدة في البلد وراءه، والله أعلم.

استمرت مفاوضات السلام لأكثر من عام، ويجب أن تسمى هذه حسب المفاهيم الإسلامية عن الحرب العادلة. وقد تضمنت في اللعبة لشروط سيرة الطويلة والمعدة خطط رواج رومانتيكية رسمها ريتشارد أوكسرا الذي تبادل أوصاف بعض مجاملات العروسة مع صلاح الدين (وأكثرها كان مع أخيه الملك العادل)، وترسست تلك اللعبة أيضا أعمال حربية (عسقلان، يافا، أرسوف) حيث قابل قسود الإفريج على أسرى المسلمين في عكا عضوية الأعمال الانتقامية التي نفذها صلاح الدين، في النهاية أنهت الحرب الجميع وانتهوا إلى اتفاق في الأول سبتمبر 1192 شرع من اندحية العمية الوضع الراهن لكلا الطرفين. لا يتخلل هذا الاتفاق بالطبع مع الانتصارات الأولية الكبرى التي حققها المسلمون عام 1187، لذلك فقد قبل صلاح الدين بها على مصطن تحت ضغط جيشه المتهتك المتمرق. أما الهدف الذي كان مطبا من قبل والداعي إلى القاء العريضة في البحر فقد تأخر تحقيقه قرب آخر من الزمان. أما مصادرنا عن سير المفاوضات فقد استقياها من بهاء الدين وعبد الدين.

مفاوضات الصلح وعقده

ذكر رسول الملك العادل إلى الأنتكتار

(بهاء الدين، 274-275، 277-278، 283-284، 287-291، 294-295، 346-348)
وتم كان السادس والعشرون (رمضان 17/587 تقريبي أول أكتوبر 91 1)
كان الميراث للعادل⁽¹⁾ فطلب الأنتكتار رسوله، فأخذ الصبيعة وهو كائنه وكان شها

(1) أورده شاهريلي هذا المصنع على النحو التالي: كان دور الملك للعادل على مقدمة الجبهة
عند صلب ملك انتكتار منه أن يبعث له برسول، فبعث له بأمين مره الذي كان من صبيعه
وكان شها حصد اسمه ابن النبال، فذهب إلى ريتشارد، هو في مكان اسمه بلورير مع جمع
من صبيعه. المترجم

حسباً، فرسل إليه وهو في بلور قد خرج في جمع كثير من الرجال والبشوا في
 تلك الأرض فاجتمع به وسار معه رماً طويلاً وحادثه في معنى النصيح، وقال "لا
 أرجع عن كلام أتحدث به من أخي وصديقي"، يعني للعادل، وذكر له كلاماً وعد
 واحبره به، فكسبه الملك للعادل في رفعة وأنفذها إلى السلطان وكل ينصير ملك
 نسيم عليه ويقول له "إني للمسلمين والإقربج قد هتكوا وحرب البلاد وخرجت من يد
 في يمين الكلبه، وقد تلفت الأموال والأرواح من الطائفتين وقد أخذ هذا الأمر
 حقه، وبشر هناك حديث سوى للقدس والصليب والبلاد، والقدس متعبت من حرب
 عنه ولو لم يبق لها إلا واحداً وأما البلاد فيعاد إليها ما هو قاطع لأرض، وأما
 الصليب فهو حشبة عندكم لا مقدار له، وهو عندنا عظيم، فيمن به السلطان
 عزيز، ونصطليح ونستريح من هذا التعب". ولم وقف السلطان على هذه الرسالة
 استدعى أرباب المشورة في دولته واستشارهم في الجواب والذي رآه لسلطان أن
 قال "القدس لكما هو لكم، وهو عندنا أعظم مما هو عندكم، فزئه مسرى بيوت
 ومجتمع الملائكة، فلا تتصور أن ندرك عنه ولا نقدر على التفريط بشك بين
 المسلمين، وأما البلاد فهي أيضاً لما في الأصل واستبلاكم عليها كان طارناً
 عليها تضعف من كل فيها من المسلمين في تلك الوقت، وما بقركم الله على
 عمارة حجر منها ما دام الحرب قائماً، وما في أسيما هذا ذاك بحمد الله مفه
 وينتفع به، وأما الصليب فملكه عدداً قرية عظيمة" لا يجوز له أن يفرط فيها
 إلا لمصلحة راجعة إلى الإسلام هي أوهى منها، وسار هذا الجواب إليه مع
 الواصل من جهته...

ذكر رسالة سيزني فيها الملك للعادل إلى السلطان

مع جماعة من الأمراء

ولدت أنه لما كان التاسع والعشرون من رمضان (20 تشرين أول/أكتوبر)
 استدعى الملك للعادل في صحبته، واحضر جماعة من الأمراء علم الدين

١. هو غابرييلي في النص والمعنى غير واضح ويمكن أن يعبر عنهم بـ "إلى موت مسيح هو
 كبة كبرى" أو "في تحطيم الصليب جذاره عظيمة"

سيمار وسابق للدين وعز الدين بن المقدم وحسام الدين بشارة، وشرح لك ما عر به رسوله من الأنكار من الرسالة والكلام، وتلك أنه ذكر أنه قد أُرسل أن يتروح الملك العدل بأحت الأنكار⁽¹⁾ وكان قد استصحبها معه من صقلية، لأنها كانت روجه صاحبها، قد مات، فأخذها أحوها لما اجتاز بصقلية. فاستقرت القاعدة على أن يكون مستقر ملكها بالقدس، وأن أخاها يعطيها بلاد الساحل التي بيده من عك إلى ياف وعسقلان إلى غير ذلك، ويجعلها ملكة الساحل، ويجعله منك الساحل، ويكون ملك مصافاً إلى ما في يده من البلاد والإقطاع، وأنه يسلم إليه صبيب الصبوت، وتكون القرى لناوية والأستار والحصون لهما، وأمرب تلك وكذلك أسراهم، وأن الصلح يستقر على هذه القاعدة، ويرحل الأنكار طالبا بلاده في البحر وينفصل الأمر،

هكذا ذكر رسول العادل عن الأنكار. ولما عرف منك العادل بنى عليه أن استحصرنه عنده وحنكنا هذه الرسالة إلى السلطان، وجعلني المتكلم فيها ولجماعة يسمعون، ونعرض عليه هذا الحديث. فإن استصوبه ورآه مصححة للمسلمين شهدنا عليه بالإن في ذلك وترضاه به، وإن أباه شهدنا عليه أن الحال في الصلح قد انتهى إلى هذه العاية، وأنه هو الذي رأى إبطاله، فلما منك بالخدمة السلطانية، عرضت عليه الحديث وتلونا عليه الرسالة بمحضر من الجماعة المذكورين، فبادر إلى الرضا بهذه القاعدة، معتقداً أن الأنكار لا يوافق على ذلك أصلاً، فإن هذه منه مكر وهزل. فكررت عليه الرضا بذلك ثلاث مرات. وهو يقول نعم ويفرح ويشهد حتى يرضه به. فلما تحققنا منه ذلك عدنا إلى الملك العادل فعرفناه بما قال، وعرفه الجماعة أني كررت عليه الحديث في تأكيد الشهادة عليه، وأنه أصغر على الإن في ذلك ولمستقرت القاعدة عليه...

ذكر وصول صاحب صيدا رسولا من جانب المراكيس

ولما كان ثالث عشر شوال (3 تشرين ثاني/نوفمبر) وصل من أصر برصول صاحب صيدا من حلقب المراكيس صاحب صور، وكلن قد جرى بينه

(1) Giovanni di Sici in ترجمة غويلم الثاني

وبينه أحاديث مكررة حاصلها أنهم ينقضون عن الإفريج وبصرتهم وبصيرين
 معا عليهم، بناء على قننة كانت جرت للمركيس مع الملوك بسبب امرأة تروجه
 كانت روجه لأخي للملك جعري^(١) وقبح نكاحها بأمر اقتصاه نبيهم، فاضطرت
 أروهم فيه فحذف المركيس على نفسه، فأخذ زوجته وهرب تحت الليل إلى صور،
 وحلد إلى السلطان والاعتصلا به، وكان في ذلك مصلحة للمسلمين لانقطع
 المركيس عن الإفريج فإنه كان أشدهم بأساً، وأعظمهم الحرب مرشاً، وأثبهم في
 التدبير أسساً، وحين اتصل خبر وصول هذا الرسول بالسلطان أمر بهجالة
 وهزأه فاضربت حيلة وصوب حولها شعة ووضع فيها من الطرح وطرش ما
 يليق بعصائهم وملوكهم وأمر بإثاله في النخل يستريح، ثم اجتمع به.

لما كان تسع عشر شوال (9 تشرين ثاني/نوفمبر) جلس السلطان
 واستحضر صاحب صيدا لسماع رسالته وكلامه، فحضر وحضر معه جماعة
 وصلوا معه، وكنت حاضر المجلس فأكرمه إكراماً عظيماً، وحادثهم ولدم بين
 يديهم أطعمة وافرة، ولما فرغ الطعام حلا بهم، وكان حديثهم في أن يصلح
 السلطان المركيز صاحب صور، وكان قد انضم إليه جماعة من «كبر لا فرجية»،
 منهم صاحب صيدا وغيره من المعروفين، وقد سبقت قصته، وكان من شرط
 النصلح معه عداوة الإفريج البحرية، وكان سبب ذلك شدة خوفه منهم وواقعة وقعت
 به معهم بسبب الزوجة، وبذل لهم السلطان المولفة على شروط قصد بها الإيقاع
 بينهم، وأن يغفل بعضهم بعضاً. فلما سمع السلطان حديثه وعد أن يرد عليه
 الجواب فيما بعد، وانصرف عنه إلى الخيمة التي ضربت له.

لم كن عتبة ذلك اليوم، وصل رسول الأنكثار، وهو ابن أئنهفري، وهو من
 أكبر مرنجية وملوكهم، ووصل في مصيخته شيخ كبير نكرو، أن عمره مائة
 وعشرون سنة فأحصره السلطان عنده وسمع كلامه. وكانت رسالته أن الملك يقول
 'بي أحب صداقتك ومودتك ولأنك ذكرت أنك أعطيت هذه البلاد السطحية لأحبك

(١) كان يجب أن يعرف: أخت روجه للملك حريدو وبيس غوفريو كما يكرر هذه التسمية كانت
 Isabella d'Angio أخت الملكة Sibilla تزوجت أولاً من Honfroi Thoreno ثم طلعت منه
 و تزوجت من Corrado di Monferrato.

فأريد أن تكون حكماً بيني وبينه ولا بد أن يكون لنا علة بالفتن، ومقصودي أن
نقسم بحيث لا يكون عليه لوم من المسلمين، ولا علي لوم من الإفريقية، فأجابه
في الحال بوعده جميل ثم أذن له في العود في الحال وتأثر بذلك تأثراً عظيماً وأعد
وداءهم من سألهم عن حديث الأسارى وكان منفصلاً عن حديث الصلح. فقال:
"إن كان صلحاً" فعلى الجميع وإن لم يكن صلحاً فلا يكون من حديث الأسارى
شيء، وكان غرضه رحمه الله أن يسخ قاعده الصلح، فلبه التفت إلي في حر
المجلس بعد انفصالهم وقال: "متى ما صالحناهم لا تؤمن غائلتهم فإسي لو حدث
لي حدث الموت ما يكاد تجتمع هذه العساكر وتقوى الإفريقية فالمصلحة أن لا
نزال على جهاد حتى نخرجهم من الساحل أو يأتيها الموت". هذا كان رأيه قدس
الله روحه، وإنما غلب على الصلح.

ذكر مشورة ضريها في التخيير بين الصلح بين الإنكشار والمركيس

ولم كن حادي عشر⁽¹⁾ سؤال (11 تشرين ثاني/نوفمبر) جمع السلطان
للأمراء والأكابر وأرباب العشيرة وذكر لهم القاعدة التي التمسها المركيس واستقر
للأمراء من جانبها عليها، وهي أخذ صيدا وأن يكون مع علي الإفريج وقاتلهم
ويجاهرهم بالعدوان، وذكر ما التمسه المنك من تقرير قاعدة الصلح، وهي أن
تكون لك من القرى الساحلية مواضع معينة وتكون لنا الجنبات بأسرها، أو تكون
القرى كلها مناصفة، وعلى هذين القسمين يكون لهم قسوس في بيع القديس
الشريف وكدسه. وكان الإنكشار قد خيروا بين هذين القسمين، فشرح قدس الله
روحه الحال في القاعدتين للأمراء واستنطق أراهم في ترجيح أحد الحالين، فرأى
أرباب الرأي أنه إن كان صلحاً فليكن مع الملك، فإن مصافاة الإفريج للمسلمين
بحيث يخلطوهم بعيدة خير مأمونة العاقلة.

وانفص الناس وبقي الحديث منزهداً هي الصلح، وللرسل تتواتر هي تقرير
قواعد الصلح، وأصل القاعدة أن للملك قد يدخل أحته للملك العادل بصري

(1) د يكرر المنكلم معير ملك الإنكشار أو أنه صلاح الدين بالذات

(2) يذكر النص 11 سؤال مما لا يتفق مع التوزيع السابقة

البرويج، وإن تكون البلاد الساحلية الإسلامية والإفريقية لهما، فأما الإفريقية فله من جانب أحبها والإسلامية له من جانب السلطان. وكل آخر الرسل من الملك في المعنى أن قال: إن معاشر نبي النصرانية قد أنكروا علي وصنع أحتي حث مسنم بدون مشاورة الديار، وهو كبير دين النصرانية ومقومه. وهذا أسير رسولاً يعود في سنة أشهر. فإن أتت فيها ونعمت، وإلا روجتك الله أحي وم أحتاج إلى الله هي تلك الله. هذا كله وسوق أحر - قائم، والقتال عليهم صرية لأره، وصاحب صيدا يركب مع الملك العادل في الأحياء ويشرف على الإفريقية، وهم كما رره تحركوا لطلب الصلح خوفاً من أن يضاف المركيس إلى المسلمين، وعد ذلك سكر شوكته ولم يرل الحال كذلك إلى الخامس والعشرين من شوال.

ذكر انفصال رسول المركيس

وكان قد وصل يوسف سلام صاحب صيدا رسولاً من جانب المركيس يلتزم صلح مع المسلمين. فائتره رحمة الله عليه - شروطاً منها: أن يقاتل جلسه ربابهم، ومنها أن ما ياحده من البلاد الإفريقية بعد الصلح بالفرده يكون له، وما تأخذه نحن بالفرادنا يكون لنا، وما يتفق نحن وهو على أخذه تكون له نفس البلد ويكون لنا ما فيه من أسرى المسلمين وغير ذلك من الأموال، ومنها أن يطلق لذ كل أسير مسلم في مملكته، ومنها أن هوذا الأنكار إليه أمر البلاد لأمر يجري بينهم، كان الصلح بينا وبينه على ما أسفر بينا وبين الأنكار ما عدا عسقلان وما بعدها فلا يدخل في الصلح، وتكون الساحليات له وما في أيدينا وما في الوسط ماضعة، وسار رسوله على هذه القاعدة.

(1) كما قال بهاء الدين كحيت حب يرتعد امرأة لما العراء فلتأخذه بها في موافقه الباب والواقع أن كل مشاريع الزواج هذه لم تشهد النور بسبب المعارضة المسيحية على برويج امرأة مسيحية من كافر.

(2) حطم حاجر الحشاشين بعدها بقليل كل حواكيات كوراك هذه وهو نفسه لم يشهد انعقاد السلم

نكر تمام الصلح

ولم وصل (شعبان 588/أوائل أيلول/سبتمبر 1192) العدل⁽¹⁾ إلى هناك (باد) أيرل خارج البلد في حيلة حتى أعظم للملك به، فلما علم به استنصره معه مع بقية الجماعة، وعرض العدل عليه النسخة وهو مريض الجسم، فقال "لا طاقة لي بالتوقيف عليها، وأنا قد صالحت وهذه يدي". فاجتمعوا بالكندھري وابن بارز⁽²⁾ والجماعة، وأوقفهم على النسخة ورصوا بلدًا والزملة مداسوه، وبجميع م في النسخة، واستقرت القاعدة أنهم يحلفون بكرة يوم الأربعاء بأنهم كانوا قد أكلوا شيئاً وليس من عادتهم الحلف بعد الأكل وأبعد العدل إلى السلطان من عرفه ذلك.

ولما كان يوم الأربعاء الثاني والعشرون من شعبان (2 أيلول/سبتمبر) حضر الجماعة عدد الملك وأهله وبنوه، واعتذر أن الملوك لا يحلفون، ووقع السلطان بذلك ثم حلف الجماعة والمسيح الكندھري ابن أخته المستخلف عنه في الساحل وباليين بن بارز صاحب طبرية، ورصي الأسبقار والداوية وسائر مقدمي الإفرنجية بذلك وساروا بقية يومهم عائدس إلى المحيم السلطاني فرصلوا العشاء الأخيرة وكان الواصلون من جانبهم ابن الهمري وابن بارز وجمعة من مقدميهم فاحترموا وأكرموا وصريت لهم حيلة نطق بهم، وحصر العدل وحكى ما جرى. وبما كانت صبيحة ثالث وعشرين شعبان حصر الرموال في خدمة السلطان وأخذ بيده الكريمة وعاهده على الصلح على القاعدة المستقرة، وقرحو حلف الملك العدل والملك الأفضل والملك للظاهر وعلى من أحمد المشطوب ويدر السين سدرم والملك المنصور ومن كل مجاوراً لبلادهم كائن المتقدم وصاحب شير وغيرهم، فوعدهم السلطان أن يسير معهم رسلاً إلى الجماعة المجاورين يحلفوهم لهم، وحلف لصاحب أنطاكية وطرابلس، وعلق اليمين بشرط حلفهم للمسلمين فإن لم يحلفوا له فلا يدخلوا في الصلح.

(1) تفسير للمسلم المعاصر

(2) Enrico di Champagne الملك المعقل، و Balan II di Ibehn.

ثم أمر المعادي أن ينادي في الوظائف والأعواق، أن الصلح في انظم في سائر بلادهم فمن شاء من بلادهم أن ينحل إلى بلادنا فليعمل، ومن شاء من بلادنا أن ينحل إلى بلادهم فليعمل، وأنشأ -رحمة الله عليه- أن طريق الحج قد فتح من الشام ووقع له عزم على الحج في ذلك للمجلس، وكنت حاضراً ذلك جميعه، وأمر السلطان أن تسيّر مائة نقاب لتحرير سور عسقلان^١ معهم أمير كبير لإخراج الإفرنج منها ويكون معهم جماعة من الإفرنج إلى حين وقوع الحرب في سور حشية لمسيبائه عامراً. وكان يوماً مشهوراً غشي الناس من الصليبيين فيه من الفرح والسرور ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وقد علم أن الصلح لم يكن من إيتاره، فإنه قال لي في بعض محاوراته ألعاف أن الصلح^٢ وما أرى أي شيء يكون مني، فيقرى هذا العدو وقد نغيت لهم هذه البلاد، فيخرجوا لاسترداد بقية بلادهم ولرى كل واحد من هؤلاء الجماعة قد قعد في رأس قلعه يعني حصنه وقال لا أنزل فيهلك المسلمون.

هذا كلامه وكان كما قال. لكنه رأى المصلحة في الصلح لسامة العسكر ومظاهرةهم بالمخالفة، وكان مصلحة في علم الله تعالى، فإنه اتفقت ودته بعيد الصلح، فلو كان اتفق ذلك في إنشاء وقعه لكن الإسلام على خطر، لما كان الصلح إلا توفيقاً وسعادة له.

(عماد الدين، 436-434)

لقد عرف ملك الإنكثير أن العسكر قد اجتمع، والخرق عليه قد شاع، وأن القدس قد امتنع، وأن العذاب به وقع. خضع وحشع، وهضر الطمع، وعلم أنه لا قبل له بمن أقبل، ولا ثبات مع للحفظ وقد جعل. فأظهر أنه إن لم يهادأ أقام واستقل، والنشر استقبل، وأنه عازم على العودة إلى بلاده، لأمر مره، يعود إلى مريته، أو يبحر في أن أن يجمع راكمه، ويُسَمِّ بالأمواج غواريه، فإن هاتين وطء وعزم، نبعت هواي، وإن حاريتم وعصيتم لأفبت هها عصاي واستقرت هواي

١. كان يسم المسلمون سور عسقلان من شروط المعاهدة.

٢. يتكرر هنا حذر صلاح الدين بموته، وكذلك في تعرفت للآلية.

وقد كَلَّ العريض، ومَلَّ الرقيق^(١)، وقد نزلت عن العدم وأُبرِل عن صعد ولا
تعتزو بهذه العساكر المجتمعة من الجهات، فإنَّ جمعها في الشتاء إلى الشتاء
وحسب إذا أقمنا على الشقاق والشقاء، رمينا أنفسنا على البلاء، فأجيبو رغبتي،
وأصيبو محبتتي، ولتُدعوني العهد ودُعوني، ولا دعوني وودعوني.

فأحضر السلطان أمراءه للمشاورين وشاورهم في الأمر، وأظهرهم على
السرا، وسبَّط ما عندهم من الرأي، وسرد لهم الحديث من المبادئ إلى المعاني،
وقال لهم: تحص بحمد الله في قوته، وهي ترقب بصيرة مرجوه، فأبصر^(٢) رزاق
المهاجرين ليها دور دين وكرم ومرتبة، وقد أَلَمَّا الجهاد، وأَلَمَّا به الممرات، وسبَّط
عن المألوف صعب، وما تصدَّع إلى اليوم بتأييد الله لك شعب، وما لك شغل ولا
معزى إلا الغزو، وما نحن مقن بضوئه اللهب وبسوقه اللهب، وإذا ترك هذا العمل
فقد العمل؟ وإذا صرنا عنهم الأمن ففهم الأمل؟ وأحسنى أن يأتي في حالة
بطالتي. الأجل، ومن أَلَمَّا الحنية كيف يَأْلَمَّا للعطل، ورأيي أن أَلَمَّا رأي الهدنة
ورأيي، وألَمَّا بتقديم الجهاد اعتزائي، رآيه اعتزائي، وما أنا بطالب البطالة، فأرغب
من سحابة هذه الحالة. وقد زُرْتُ من هذا الشيء فأنا أَلَمَّا، ولي بتأييد الله من
أمر أجزمة وأجزمة. فقالوا له: الأمر على ما تذكره، والتدبير ما تراه والرأي ما
تدبره^(٣)، ولا يستمر إلا ما ثمره من الأمر ولا يستمر إلا ما تقرره، وإن التوفيق معك
في كل ما تعقده وتخله وتورده وتصدره. غير أنك نظرت في حق نفسك من عدة
السعادة، وبردة للعبادة، واقتناء الفضيلة الرجحة، والاعتناء بالوسيلة الساجدة،
ولألف من الغفلة، والعزوف للغزلة، وأنت تجد من نفسك القوة والاستعداد،
وبقائك بعزك بالأمانى الأتراك. فانظر إلى أحوال البلاد فإنها خربت وشُغِفَتْ،
والرعايا فإنها تعكست وتغلفت، والأجساد فإنها تصبغت ووصبت، والأجساد فإنها
عطلت وعطبت، وقد أعوزت للغلوات، وعزت الأقوات، ويعتبت عد معمرات،

(١) أي محصور.

(٢) يلعب لفظ بالندوة على اصحاب النبي (صلى الله عليه وسلم) من جماعتي المهاجرين

المكبر والانسار

(٣) فيلاحظ الأسلوب الشرقي بالاصحاح لولا عن المولقة عندما يكون الهدف الانسداد إلى أي

معرض

وغلغ لعلات. ولا جلب إلا من الديار المصرية، مع ركوب الأخطار المهلكة في سريه. وهذا لإجتماع مظنة التفريق، ولا بدوم هذا الاتساع مع هذا الصيق، فإن لمواد منقطعه، والحوادث معتقه، والمزب قد ترب. والضعف قد عطب، وسير أعز من التبر، والشعير لينه وجد وإن كان عالي السعر. وهؤلاء العريج ير يسوا من يئنه. بذنوا وسعهم في استعواء العكفة واستعداد المئه، وصبروا على تعبته. وانصواب إن نفل من الله الآية التي أنزلها، وهي قوله [وإن جبنوا نسلمه فنجح بها] ١. وحينئذ تعود إلى البلاد سكنتها وعمازها، وتكثر في مدة الهبة هلاقتها وثمارها، وتستجد الأجساد عذنها، وتعتريج رمان السلم ومذنها، فبها عدت أيام لحرب شنها، وقد استظهرنا وردنا، ووجدنا الفوت واللطف، وعدم المشاق والكلف. ففي أيام السلم يستعد للحرب، وتستجد أنوات الطغي والصرب، وليس ذلك بركا للعبادة، وإنما هو للاستجداء والاستجداء. على أن العريج لا يفر، وعلى عهدهم لا يعفون، وأعد الهدنة لجماعتهم ليحلوا ويتفرقوا، وقد شفو بما لقوا وما يقيم لهم بالساحل من بقر على المقاومة، ويستقل بالملارمه.

وما رل الجماعة بالسلطان على رصي، وأجاب إلى ما اقتضى، وكانت قد بقيت بين العسكريين منزلة واحدة، والمجاهات على الصلوات متعاقده، القو رجلها رخلدهم، وعلى الهلك أطلهم لكن مراد الله طلب، وأجيب ملك الإنكثير من الصلح إلى ما طلب. فحصرث لإنشاء عهد الهدنة وكتبث نسحتها، وعينت مذنها ويئت نصيها، رلك في يوم الثلاثاء للحادي والعشرين من شعبان سنة ثمان وثمانين لموافق أول أيلول/سبتمبر (1192) لمدة ثلاث سنين وثمانية أشهر. وحسبوا أن وقت الانقضاء يوافق ومولهم من البحر، وتتصل إمدادهم على لجند والحشر وعقدت هدنة عامة هي للبر والبحر، والسهل والوهر والسدو وانحصر، وجعن لهم من يافا إلى قيسارية إلى عكا إلى صو. وليدو بم تركوه من البلاد التي كانت معهم للقطعة والسرور. وأنجلوا في الصلح صرايس وأبطاكيه، والأعمال الدانية والثانية.

(1) قرأ (تكملة) الآية 61 من سورة التوبة (الأنفال).

لم يعش مركيز مونفيرات^(١) التشجاع حتى يتمكن من رؤية تلك السلام،
ولامس تقلد شاح الملكى المأمور. هناك بعض الاختلاف داخل المصدر
الاسلامية حول طبيعة الليد التي سلحت الحشاشين^(٢) الذين طعموه في صور خلال
نومس ابريل 1192: فبينما أشار كل من بهاء الدين وعماد الدين بصرحة إلى
رينشارد انكلترا (بعد أن تنحل المركيز كونراد في معارصات السلام التي كان هذا
يجريها، وتقدم لحظة عنت إلى حطة كونت طرابلس التي أجراها مع صلاح الدين
قبل حطين ليضمن مصالحه الخاصة)، ترى أن ابن الأثير يستخدم إشاعة تحكي
عن مبادرة قام بها صلاح الدين بالذات ليعتال رينشارد وكونراد معاً؛ ولا ترى أن
هذا كان ممكناً (راجع في هذا الصدد الإشارة المفصلة التي قدمها عماد الدين عن
عدم جدوى موت المركيز بالنسبة للمسلمين). غير أن هناك صدى غريب لذلك
الحدث يثير الفصول ويؤيد فرضية مسؤولية صلاح الدين لجدده في رواية متأخرة
تشوهت كل التشويه وتحدثت عن إغتيال ملك إفريقي قرب عكا أمر به حارس
الجيل^(٣) كعبه يُسعد صديقه السلطان. جاء هذا النص الغريب الذي نوردته بعد
رويتي عماد الدين وابن الأثير من مصادر اسماعيلية سرية -عائلية- تقدم سيرة
المعلم لكبير نطائفة الحشاشين أي رشيد الدين سنبل؛ لكن واقع الأمر أن
الحشاشين كانوا هم من حاول أكثر من مرة اغتيال صلاح الدين لأن تشده في
سُنَّيته يتعرصون مع بدع مذهبهم.

(١) Marchese di Montferrat.

(٢) يعرف غابرييلي إنهم بالـ Assassam الذين يرى المصنفون نفسه أنهم خارجون عن
الاسلام.

(٣) جاء في موسوعة ويكيبيديا أن شيخ الجيل أو حارس الجيل كان بطل قصة يروى في كتب
السيوف، لما رُكو يولو. وقد انتشرت هذه القصة لذلك في أنحاء يوربا.

هلاك المركيس (كوتراڤ) بصور

(عمد الدين، 422-420)

اصابه الأسف بصور يوم الثلاثاء ثالث عشر ربيع الآخر (28.588) نيسان ابريل 1192) فاستوفى رزقه لموافاة أهلها، ووصل إلى الباب فاطع عليه، وقد دعى إلى جهنمه، ومالك على انتظار مقبفه، والحكيم في ثرقه، والمبارك لأسفل من النار في شهيته، والمسيح في مسخره، ولطى في تظيها لسطره، وقد قرب أن تكون الهايوة له حويه، والحامية عليه حاميه، والرنية في يقع بعد به لمرل الرجز يثيه. وقد فتحت النار نه أبوابها السبعة، وهي جامعة إلى شهامه وهو ملته بالاكل بسوفي الشبعة. فأكل ونعدى. وما نرى له يتردى، وأكل وشرب، وشبع وطرب، وخرج وركب، فوثب عليه رجاله. بل نهب أمعطاه، وسكنا جركته بالسكاكين، ودكاه عند تلك الذكاكين. وهرب أحدهما ودخل كنيسه، وقد أخرج النفس الحسيه. وقال المركيس وهو مجروح، وفيه بقية روح، أحملوني إلى الكنيسة، فحملوه، وطبوا أنهم حاضوه لنا بطوه. فلما أبصره أحد الجرحين، وثب إليه للعين، وزاده جرحا على جرح، وقرحا على قرح. فأخذ الفريج الرقيقين، فألقوهما من العذائية الإسماعيلية⁽¹⁾ مرتين. فسألوهما من صنعكما على تدبير هذا التدمير؟ فقال: "ملك الكثير". ونكر عيهما ليهما تقصرا منذ سنة أشهر، ودخلا في ترهب وتطهر، ولرما البيع، والتمسا التورع، وحكم أحدهما ابن بارز والأخر صاحب صيداء تقربهما من المركيس، واستحكما بملازمتهما أسباب لتأبى ثم علقا بركابه، وفكك به، فقتلا شر قتله، وجعل عنيهما أشد جهله، فبا شه من كافرين سفاك كافر، وفاجرين فتكا بفاجر.

فلما طل المركيس من كسا، وفي جهنم مكيا مكسا... تحكم ملك الكثير في صور، ولأها الكند هزي⁽²⁾ وعذوق به الأمور، ودخل بالملكة روجة المركيس

(1) بقدر شاربيني اتهم الـ Assassini الذين يرى المستنور السه لهم حارجون عن لاسلام

(2) Henri di Champagne

في نفسه^{١٠٠}، وادّعى أنه أحقّ بزوجته، وكانت حملها مما تمتع الحمل من كحها. وذلك فطع من سفاحها؛ فقلت لبعض رسلهم: إلی من یُتسب الولد؟ فقال بكون ولد الملكة^{١٠١}، فأنظر إلی استباحة هذه الطائفة المشركة.

ولم يعجب قتل المراكيس في هذه الحالة، وإن كان من طواغيت الصلابة. لأنه كان عدو ملك الإنكثير، ومنازعه على الملك والسرير، ومناقبه في القليل والكثير، وهو يرأسنا حتى يساعدنا عليه، ونزج ما أخذ من يديه. وكلمنا ميمع ملك الإنكثير أن رسول للمراكيس عند المسلمين، مال إلی المراسلة بالاستكدة والادعاء، وأعاد الحديث في قرار الصلح. وطمع في ليل صلاته بسور الصبح. فلما قتل المراكيس سكر زووعه ورزوعه، وذهب صوره وصووعه، وصاب قلبه، وآب لئله، وسوى أمره، واستشوى شوه. وكان قد تعصب لعصاة المراكيس لملك العتيق (غريو)، فظهر له وذ الشقيق للثقيق، وولاً: جريه قزيس وأعماله، وسدد بسداده احتلالها. فلما هلك المراكيس عرف أنه قد أخطأ في تقويته، وحشي أنه لا يسلم من عاديته. ولا يأمن من عائته. فلما عدم عدوه، وجد هدوه، وب سكره، وثاب جريه، وشاص غيظه، وحصه حظه، وفاص من مذبج الشرك فضه. ومع هذا لم يقطع محادثته، ولم يحدث مواطعته. ومزى رسل مراسلته، ورمى سهم محادثته ومحادثته، ونم يزل عن ادعاء صداقة الملك العدل وتصديق دعويه. وراسل في طلب المناصفة على البلاد سوى القدس فإنه يبقى لنا بمدينة وقلمته، سوى كنيسهم المعروفة بقمامه، فإنهم يعتدون بها لئنتهم للدعامة، فأبى السلطان أن يقبل هذا القرار، وأبدى لهم الإنكار، وسام أن يفرلوا عن يافا وعسقلان، وبأخذوا على ما يبقى في أيديهم الأمان.

بن الأثير (51/12)

في هذه السنة، في ثالث عشر ربيع الآخر (28/588 هـ/بريل ١١٩٢)، قتل المراكيس الفرنجي لعهة الله صاحب صور، وهو أكبر شياطين الفرنج

(أي لتلافة الحكم في صور وعمره

وكان سبب قتله أن صلاح الدين راسل مقدم الإنصارية [إيلشام] وهو سائر ،
وبدل له أن يرسل من يقتل ملك إنكلترا ، وإن قتل الميركيس قتله عشرة آلاف
دينير ، فلم يكتفهم قتل ملك إنكلترا . ولم يره بدار مصلح لهم ، لئلا يحسوا وجه
صلاح الدين من الفرنج ويقرع نهم ، وشبه في أخذ المال فجعل إلى قتل الميركيس ،
فأرسل ، رحلت في ربي الزمان : وأصلها بصلح صيدا ، وإن بلزان ، صاحب
ترمنة ، وكان مع الميركيس بصور . فأقاما معهما سنة أشهر يظهران العداة ، فأس
بهم الميركيس ، ووثق بهما ، فلما كن بعد التزيح عمل الأسف بصور دعوة
للميركيس فحصرها ، وأكل طعامه وشرب منامه ، وخرج من عنده ، فوثب عليه
البصوي^١ المذكور ، فجرحه جرحا وثقيا ، وهرب أحدهما ودخل كنيسة يختفي
فيها ، فالتقى أن الميركيس حمل إليها ليقتل جرحه ، فوثب عليه ذلك البصوي فقتله ،
وقتل البصوي^٢ بعده . وسب الفرنج قتله إلى وضع من ملك إنكلترا ينفرد بمسك
ساحل شامي ، فلما قتل ولي بعده مائة صور كند من الفرنج ، من داخل البحر
يقال له الكلد هري ، وتزوج بالملكة في تلبه ، وحمل بها وهي حامل ، وبهر لحمل
عندهم من يمنع النكاح . وهذا تكب هري هو ابن أخت ملك الفرنسيس من أبيه ،
وإن أخت ملك إنكلترا من أمه ، وملك كند هري هذا بلاد الفرنج بالساحل
بعد عو . ملك إنكلترا ، وعاش إلى سنة أربع وتسعين وخمسمائة ، فسقط من
سطح لمات ، وكان عاقلا ، كثير الإدارة والاحتمال . ولم رحل ملك إنكلترا إلى
بلاده أن يرسل كند هري هذا إلى صلاح الدين يستنطفه ، ويستنطفه . ويطلب له
خيمة ، وقال : أنت تعلم أن ليس للقباء والعشرون عيدا عيب ، وأنا ألبسهم منك
محبته لك ، فأخذ (صلاح الدين) إليه جماعة مني منها القباء والعشرون^٣ ، فلبسهم
بعده .

(١) حازم الجبل أو المعلم الكبير لدى القضاة . راجع المطع الثاني

(٢) البصوي رديف آخر للانصارية أو القضاة ، وهي حريا أتياع مذهب سري
ينصر عن جماعة مجبة .

(٣) عبادة وطائفة مما كل يستعمله الشرقيون آنذاك .

وأخبرنا بعض الرفاق الأمناء للفضلاء أن الملك صلاح الدين لما أخذ عكا، حرق إليه من البحر ملك من ملوك الأفرنج بجيش، فهجم عكا ومكها وقتل من كان فيها من المسلمين. ونصب له - هليلج معاذل دهلج صلاح الدين، وصار جيشه بأرض جيشه. واشتد للحرب بينهما، ونفى صلاح الدين في حيرة من أمره، وكان المولى يومئذ في حصن الكهف⁽¹⁾، فقال: "منه السلام"⁽²⁾ صاحب الملك صلاح الدين ليوم في صيق⁽³⁾، ثم طلب رجلين من رجال الجهاد الذين بين يديه، فد علموهما يتحدثان بالأفرنجي، فلما حصرا بين يديه، أمر لهما ببسطين من ملبوس الأفرنج وسيفين من سيوف الأفرنج، ثم قال لهما: "لقد هدنا إلى عند الملك صلاح الدين بكتابي هذا، وليكر مبيتكما هذي الليلة في المكان الغلابي" ثم عين لهما المنزل ليلة بعد ليلة، قال: "ويكون وصولكما إلى عكا في اليوم الغلابي وقت العصر، فإن لم يكن وصولكما في هذا اليوم المعين والوقت الموقت كما قد قلنا، لن نصلا إلى سوداكما ولن نلبا مقصودكما، فإذا وصلتما في ذلك الوقت إن شاء الله وحضرتما عند الملك صلاح الدين، فلبا عليه من جهتي وبلغه محبتي، وفع إليه كتابي، فإذا قرأه وعرف ما فيه وفهم معناه، فقولاً له أنني قد أرسلتكما إلى عدوه، وهو ملك الأفرنج، لقتله في تلك الليلة، ثم أخرجنا من عند الملك إذا غربت الشمس وأبعدنا من الجيش، ثم عزدا إلى جيش الأفرنج على شاطئ البحر، إلى أن تختلط في العيش ثم أقصدا دهلج للملك لبلأ، فوجدتما سكران دائماً على وجهه، وما عنده أحد، فاحتزاً رأسه وهذا حياصته وسيفه، ومن قال نكماً شيئاً فأجيباه بالأفرنجي، فما يكره لحد عليكما، فإذا وصلتما إلى عند الملك صلاح الدين ووصفتما للرأس والحياصة والسيف بين يديه، فإنه من ساعته يدار إلى معسكر الأفرنج فيكره ويمرغه في كل قطر، إن شاء الله تعالى، ويعتل محبهم حلف كثير ويصبح منتصراً معروراً، فيولي نكماً ويقول لكما تمنيا عليّ مهما شنتما، فلا

(1) واحد من حصون الاسماعينيين قرب يافا من شمالي سورية. المولى هو حارس الجبل رشيد الدين سكر المسروقة قصصه في هذا المصدر

(2) فلاحظ النصيحة المتضمنة هنا "منه السلام" يدل "عليه السلام" المعتادة لدى المسلمين

تتمسك ذهباً ولا فضة ولا غير ذلك، ولكن قولاً نحن قوم قد خرجنا عن ألسنت في
طاعة الله تعالى، وتركنا الدنيا وسببها ورهبنا فيها فلا نتمنى شيئا منها سوى شيء
واحد وهو أنما نلما نلنا من عند أهلنا لم يكن عند صغارنا دقيق. فبصدق الملك
على كل واحد منا ليرحلة دقيق لا غير 'فقالا: 'سمعنا وطاعة'. ثم خرجا من عند
الموسى برشد الذين معه السلام وتوجها إلى عكة وحافظا على كل ما أمرهم به
وعملاً بجميع وصاياه. ووصلا إلى عكة في الوقت الذي عيشه لهم بعينه،
وحضرا عند الملك، ودعوا إليه كتاب للمولى، وبلغا سلامه إليه، فقال له: 'إن
سينت قد مرنا لنقتل ملك الأفرنج في هذا اليوم. وعين لما الوقت الذي يقتله فيه،
وقال أنت جده في ذلك الوقت نائماً على وجهه وهو سكران وما عنده أحد أصلاً،
قالا: 'إن لم نرح إليه في ذلك الوقت بعينه لم نسمع نذر عليه ولا نصل إليه'.
فلم سمع كلاهما وما أخبراه، سره ذلك سروراً عظيماً وأكرم مثراهما، ولثب عنده
إلى أن أجنحت الشمس إلى المغرب، فعند ذلك لبسا لبس الأفرنج، ونحدث كل
واحد منهما مع صاحبه بالفرج، فأعجب الملك لبسهما وشكلهما وحديثهما،
فتبسم ضاحكاً منهما، وقد سره عزمهما. وقد خرجا من عنده وبعدا من الجيشين،
وعادا على شاطئ البحر إلى جيش الأفرنج، فغاصا في لجته، وقد رى الليل
أدباً جلته، ولما قربا إلى السلطان وحان الوقت المعين لهما والأمر، هجما على
ملك فوجداه نائماً على وجهه، كما قال سيدهما، وهو سكران وما عنده أحد لا
أنس ولا جن، فاحتزاً رأسه وحطاه في محلاة، وأحذا سيفه وحياسته وخرجاً من
جيش الأفرنج مسرعين إلى أن دخلا على الملك صلاح الدين، فوضع رأسه بين
يديه وسيفه وحياسته، فقبل كل واحد منهما بين عيني، ثم أمر الجيش بالركوب
فركب وحمى على جيش الأفرنج، فهازمه ومزقه وقتل أكثره، وأصبح الملك صلاح
الدين فرحاً محبوراً مودناً منصوراً مستبشراً مسروراً. فطلب الفداوية. فلما حصروا قام
قائماً لهم وعظم قدرهما، وقامت وزراؤه وجلساؤه لقيامه لهما، ثم حلق عليهما
وأحس إليهما وأجلسهما إلى جانبه، وقال لهما: 'تمنيا عليّ مهما شئتما، وأطلب
أي شيء أردتما، فقد وجب عليّ حقكما'. فقالا: 'نريد الله مولداً الملك بالملك،
وألقي عنوه في المهالك، إن الدنيا هي العدم، وسيندم المعتر بها حيث لا يفعه

الدم، وحررها من الحادين، وفيها من الزاهتين، ولا تطلب شبا على السحيق،
سوى رحلتين من النقيق، لكل واحد منا رحلة لأجل ما عنده من العيلة .
فرسم السلطان صلاح الدين عند ذلك بأن يكتب الدعوة الهادية في كل
معصمه من المعاملات القريبة إلى قلاع الدعوة⁽¹⁾ عشرة ضيع، «بني نبيث» دعوة
الهادية في كل منية من المدن، ناراً عود في مصر وعمشق وحصص وحمص
وحلب وغير هذا من المدن، وهي تعرف بالدعوة إلى زماننا هذا، واسم على
الدعوة ومير للمولى راشد الدين هدية منية.

(1) يشرح معنى الدعوة الحرفي بين ترسالة والدعاية ويقصد بها هنا الدعوة لاسم دعوية
ويصير معنى الدعاية (أو نشر الدعوة) في التطوير الدالية بين الحديث عن فتح مداخلها
في مختلف المدن.

بروي المخلص بهاء الدين وقائع مرض صلاح الدين ووفاته بأق
تكهنيته، وقد توفي السلطان بعد أن عقد الهدنة مع الإفرنج من الملاحظ أن
كل هذه المصادر الإسلامية تكاد تتميز بأنواع الحذقة والتكلف وصيق لائق، ومع
هذا فإنه يمكن لنا أن نرى في هذه الرواية انراكا لأهمية الشخصية الاستثنائية
التي كرمها الشرق والغرب، وحياً شديداً لصاحبها وتعلقاً مخلصاً به، فقد ختم
صلاح الدين حياته بالنقى، مؤمناً بزوج ونصوص العقيدة التي سادت كثر وقائع
حياته، هذا مما يعني ثلاثي الصورة الرائعة التي تحيها Lessing عنه كسلطان
بيزالي متطور.

مرض صلاح الدين ووفاته مرضه رحمة الله عليه

(بهاء الدين، 369-361)

ولم كانت ليلة السبت وجد كسلاً عظيماً، فما انصف الليل حتى غشيت
حمى صفروية كانت في باضه أكثر من ظاهره، وأصبح في يوم السبت سانس
عشر صفر سنة تسع وثمانين (589/21 شباط/فبراير 1193) متكسلاً عليه أثر
حمى، ولم يظهر ذلك للناس. لكن حصرت أنا والقاضي القاض، ودخل ولده
الملك الأفضل، وطال جلوسنا عنده وأخذ يشكو من قئعه في الليل، وطال به
لحديث إلى قريب الظهر. ثم انصرفا والقوب عنه فتقدم إلينا بالصور على
لصعد في خدمة الملك الأفضل. ولم يكن للقاضي عنقه تلك، فانصرف ودخل
ب إلى لإيران العيني. وقد من للطعام، والملك الأفضل قد حضر في موضعه،

فانصرفت وما كان لي قوة على الطول استحياءاً، وبكى في ذلك جمعة ثم لا يجلس ولده في موضعه.

ثم أخذ المرحوم في تزييد من حبيته، وبحزن دلائم التردد طرقي النهار، ودخل إليه أن واقاصي الفاصل في النهار مراراً، ويعطى الطريق في بعض الأيام شيء يجد فيه خفة، وكان مرضه في رأسه، وكان من أمارات انتهاء العمر، غيبة طبيبه الذي كان قد عذب مزاجه سقراً وحسراً. ورأى الأطباء، فصدده فقصروه في الرابع، فشك مرضه وظلت رطوبات يده، وكان يطلب عليه اللبس عبية عظيمة. ولم يزل المرحوم يتزييد حتى انتهى إلى غاية الضعف.

ولقد أجلساه في سائس مرضه، وأستندنا ظهره إلى محدة، وأحصر ماء فاتراً ليوشرب عقوب شرب دواء لتأبين الطبيعة، فشربه فوجدته شديد الحرارة، فشك من شدة حرارته. وعرض عليه ماء دس فشكا من برده، ولم يعصب ولم يصحب ولم يقل سوى هذه الكلمات: سبحان الله، لا يمكن أحداً تعديل الماء، فخرجت أنا والقاضي الفاضل من عنده وقد اشتد بكاءه والفاصي الفاضل بقول لي: أبصر هذه الأخلاق التي قد أشرف المسلمون على مفارقتها، والله لو أن هذا بعض الناس لضرب بالقدح رأس من أحمره⁽¹⁾ ولشدت مرضه في السادس والسابع والثامن ولم يزل يتزييد ويغيب ذهنه. ولما كان التاسع حدث عليه غشية وامتنع من تناول المشروب، واشتد الخوف في البلد، وخاف الناس ونقلوا الأقمشة من الأسواق⁽²⁾، وغشي الناس من الكآبة والحزن ما لا يمكن حكايته.

ولقد كنت أنا والقاضي الفاضل نقعد في كل ليلة، إلى أن مضى من الليل ثلثه أو قريب منه، ثم نحصر في باب الدار فإن وجدنا طريقاً نحسنا وشاهدناه وانصرفنا، ولا يعرفوا أحواله وانصرفنا. وكنا نجد الناس يترقبون خروجهم إلى أن يأتوا حتى يعرفوا أحواله من صعوبات وجوهنا. ولما كان العاشر من مرضه حفر عفتين، وحصل من الحفن راحة وحصل بعض خفة، وتناول من ماء لشعير معدداً صالحاً. وفرح الناس فرحاً شديداً، فأقمنا على العادة إلى أن مضى من اليمين مريع، ثم أتينا إلى الدار، فوجدنا جملاً النولة إقبالاً، فالتصمت منه

(1) كان موت السطرن على الغالب فرصة مدحة للاستطريات والتهب.

تعريف الحال المستجد، فنخل، وأنعد إليها مع الملك المعظم نوراًشاه حبه لله تعالى - يقول بأن العرق قد أخذ في ساقه، فشكرنا الله تعالى على ذلك، وألعبت معه لأن بعض بقية قدمه وبحرنا بحاله في العرق، فتفقد ثم خرج ببس وكرس العرق منزع، وانصرف طيبة قلوباً، ثم أصبحنا في الحادي عشر من مرضه، وهو السادس والعشرين من صفر، فحصرنا بالباب وسألنا عن الاحوال، فحبر بأن العرق أجرت حتى نفد في العراش ثم في الحصر وبأثرت به، ثم رخص وأن ليس قد برأيد برأيداً عظيماً وجارت القوم وليست الأطباء.

ذكر تحليف الأفضل

ولما رأى الملك الأفضل ما حل بوالده وتحقق الناس من موته تسرع في تحليف الناس في دار رسول المعروفة بكناه⁽¹⁾، واستحضر القضاة وعمل له نسخة بمن مختصرة محصنة للمقاصد تتضمن الحلف للسلطان⁽²⁾ مدة حياته، وبه بعد وفاته. واعتذر إلى الناس بأن المرض قد اشتد وما يعلم ما يكون، وما يفعل هذا إلا حثيلاً على جاري عادة التمسك. فأول من استحضر للحلف سعد الدين مسعود أخو بدر الدين مودود التسخنة، فبادر إلى اليمين من غير شرط، ثم حضر ناصر الدين صاحب صهيون وراك الحرس الذي في يده له. وسابق الدين صاحب شيزر فحلف ولم يذكر الطلاق⁽³⁾ واعتذر بأنه ما حلف به. ثم حضر خشمين حسين الهكاري وحلف. وحضر فوشروان الرزازي فحلف واشترط أن يكون له خبر برصيه. وحضر عنكان ومكلاز وحلف، ثم من الخور وحضر الجماعة وأكلوا. ولما كن للعصر أعيد المجلس للتحليف، وحضر منهم العصري

(1) أمير حلب رئيس الحلة السليبية الأولى.

(2) يظهر التفصيل التالية هذه لائحة تلك المويجات القائمة على طمأنينة عسكرية موصولة حصص عدم تسلط شخصيه الزعيم القوية مثل صلاح الدين ومن بعده العبد والكناس يرى ان الاحتياط التي يتخذها الابن الكبير الفاضل لضمان خلافة على سوية وأخيه في الجهاد على مواقع الأيوبيين تصطدم مع البداية مع انقيت مختلف الأمر الذي يسعى كل منهم لأن يضمن لنفسه المدافع والامتيازات. لكن المستقبل خيب آمال ذلك وأولئك حيث قال ونزبه نحو مؤسس الأيوبيين أي الملك العادل.

(3) من التمسع في قسم المسلمين للحلف بطلاق الزوجه إذا نكح التحالف بصره

رحمه الله وشمس الدين سنقر الكبير، وقالوا تحلف بشرط أن لا نسل في وجهه حد من أحوبك سبفاً، لكن رأسي دون بلادك⁽¹⁾. هذا قول ميمون القصري وأما سنقر فيه امتنع عماه ثم قال: كنت خلقتي على النطرون وأنا عليها، وحصر عمامه وقال ليس لي حيز فقل لي على أي شيء أحلف. فرجع وحلف وعلق بميمه شرط أن يعطي حراً يرضيه. وحصر سنقر المشطوب وحلف واشترط أن يرضى. وحصر أيبك الأقطر رحمه الله واشترط رضاه، ولم يحلف بالطلاق. وحصر حسام الدين بشارة وحلف، وكان مقدماً على هؤلاء. ولم يحصر أحد من الأمراء المصريين ولم يتعرض لهم⁽²⁾، بل حلف هؤلاء للتقريب. وربما شد منهم غير معروف. ونسخة اليمين المحنوق بها ومضمونها الفصل الأول رأسي من وقتي هذا أصعبت بي، وأخلصت طريقتي، ثم لك الدامر مدة حياته، وأني لا أزال بذلاً جهدي في الدب عن دولته بنفسي ومالي وسيفي ورجالي، مثلاً أمره، وإقف عند مراصيه. ثم من بعده لولده الأفضل علي وورثته. والله إنني في طاعته، وأدب عن دولته وبلاد بنفسي ومالي وسيفي ورجالي، وأمثال أمره وبهيه، وبطلني وخاهري في ذلك سواء، واه على ما أقول وكيل.

ذكر وفاته رحمه الله وقدم روحه

ولم كانت ليلة الأربعاء الثامن والعشرين من صفر 589 (4 آذار/مارس 1193) وهي الثانية عشرة من مرضه، لشد مرضه وصعبت قوته، ووقع من الأمر في أواين الأمر من لوله، وحال بيننا وبينه النساء، واستعصرت أنا والقاضي الفاضل تلك الليلة وابن الركي ولم يكن عاقبة الحصور في ذلك⁽³⁾ الوقت، وحصر بيننا للملك الأفضل، وأمر أن نبني عده فلم ير القاضي الفاضل ذلك رأياً، فبين الناس كانوا ينتظرون نزولنا من القلعة فحلف إن لم يدخل أن يعصوب في البلد، وزيماً ذهب للناس بعضهم بعضاً، قرأ المصلحة في نزولنا،

(1) والواقع أن السيادة المباشرة التي سيمتد بها الأفضل من إثر صلاح تدين باب هي على سورية، لأن مصر هي لأخيه العزيز.

(2) لا تصابق كل العبارات مع كتاب غاييرني التي يختصر بعضها. [المترجم]

واستحضر الشيخ أبي جعفر إمام الكلاسة⁽¹⁾، وهو رجل صالح، لبست بالقلعة حتى استحضر رحمه الله بتأليل حضر عنده، وحال بيته وسير النساء، وذكره الشهادة، وذكر الله تعالى. فعل تلك وثقلنا وكل منا يوم فداء نفسه، وبات في تلك الليلة على حال المستقل إلى الله تعالى، والشيخ أبو جعفر يقرأ عنده نهران ويذكر الله تعالى، وكان دهنه غائباً من ليلة التاسع إذ يكاد يعيق إلا في أحسن وذكر الشيخ أبو جعفر أنه لما انتهى إلى قوله تعالى: [هو الله الذي لا إله إلا هو عالم الغيوب والشهادة]⁽²⁾. سمعه وهو يقول رحمة الله عليه: "صحيح". وهذه بعثة في وقت الحاجة وعناية من الله تعالى به، فقله الحمد على ذلك، وكانت وفاته بعد صلاة الصبح من يوم الأربعاء المباح والعشرين من صفر سنة تسعة وتسعين وخمسمائة (4 آذار 1193) وباتر الفاصي الفصل بعد طلوع الصبح في وقت وفاته، ووصلت وقد مات، وانتقل إلى رسول الله ومحل كرمه وجزيل ثوابه، ولقد حكى لي أنه لما بلغ الشيخ أبو جعفر إلى قوله تعالى: [لا إله إلا هو عليه توكلت]⁽³⁾. تبسم وتبلى وجهه وسماه إلى ربه،

وكان يوماً لم يصب الإسلام والمسلمون بمثله منذ حقوا الخلفاء الراشدين، وغشي القلعة والبلد والديار من الوحشة ما لا يعلمه إلا الله تعالى. وبالله لقد كنت أسمع من بعض الدس أنهم يسمون فداءه بفوسهم، وما سمعت هذا الحديث إلا على صرب من التجور والترحم إلا في ذلك اليوم فزني علمت من نفسي ومن غيري أنه لو قبل الفداء لهدى بالنفس. ثم طس ولده تملك الأنفصل لعمراء في الأيوس الشمالي، وحفظ باب القلعة إلا عن الخواص من الأمراء والمعلمين. وكان يوماً عصيباً وقد شغل كل إنسان ما عده من الحزن والأسف والبكاء والاستعانة من من ينظر إلى مجده، وحفظ أتمجن عن أن يشهد فيه شاعر أو يتكلم فيه فاصر وز عظم. وكان أولاده يخرجون مستعشرين إلى الناس فكانوا يعوس نزهة نهور مضرمهم. ودام الحال على هذا إلى ما بعد صلاة الظهر. ثم اشتغل بتعجيله

(1) حرار درب دمشق

(2) قرآن (كريم) الآية 22 من سورة (الحشر) 59

(3) قرآن (كريم) الآية 129 من سورة (التوبة) 9

ونكفيه، فما أمكن أن تدخل في تجهيزه ما قيمته حبة واحدة إلا بالفرص، حتى في ثمن النسي الذي بلغت به الصين⁽¹⁾ وغسله الدولي للقفية، ونهضت إلى الوفوف على عمله، فلم تكن لي قوة تحمل ذلك للمطر. وأخرج بعد صلاة الظهر في نابوب مسجى بثوب قوط، وكان ذلك وجميع ما احتاج إليه من أثواب في تكفيه قد أحضره للقاضي للعامل من وجه حل عرقه⁽²⁾ وإرتفعت الأصوات عند مشاهدته، وعظم من الصبحيح والحويل، ما شغلهم عن الصلاة. فصلى عليه سامس أرسلالا وكان أول من ألم بالناس القاضي محيي الدين ابن الزكي ثم أعيد إلى الدار التي في البستان وكان متمرصاً بها ودفن في الصفة العربية منها. وكان نرويه في حوزته لئلا يلهو الله روحه ونور صريحه قريباً من صلاة عصر.

(1) يعود هذا الحديث عن نزاعه صلاح الدين ونقطة الوليع ولم لهم فيما دفع الدين والصين في هذا الموضع. (المترجم يجوز أنهما مما يستعمل في بدء الخبر)
(2) من الشائع أن صماتر وعقائد المسلمين تشغل كثيراً بالأصل الشرعي الحلال لمصادر البخر والتمياء التي يستعملها المزمس في حياته وليس موته.

القسم الثالث

الأيوبيون والهجمات على مصر

ساعد ابحراف الحملة للرابعة نحو القسطنطينية عام 1203 على تقديم هبة
 رمنية للإسلام طالبت خمسة عشرة عاماً تمكن الملك العادل أثناءها من إحكام
 يديه على ميراث أخيه صلاح الدين، ونظيم معتكات الأيوبيين الممتدة من مابين
 المهرين بس مصر وصبطها تحت سيطرته. وقد استهدف العز الصليبي الجديد
 مصر بانداد لكونها مركزاً للمقاومة الإسلامية في وقت كان يتزايد فيه التهديد
 المغولي ليهيمن في الشرق بصورة كارثية. وقد انطلق ابن الأثير بما عهدنا فيه
 من سعة أفق من مختلف الوقائع المحنية يُنظر إلى كل مصائر الإسلام ويشير
 إلى ذلك الخطر المزيج الذي عبر عنه من خلال سرد كل من وقائع الغزو
 المغولي المساوية وإحداث الحملة الصليبية الخامسة، وبهذا جمع في رواية
 مسقة واحدة حملة السنوات الأربع على مصر 1217 1221. نجد تكملاً لرواية
 ابن الأثير في مقتطفات لابن وأصل مؤرخ الأيوبيين، ليس من السهل الوصول
 إليها في نسخها الأصلية خاصة لأنها غير معروفة كما يلزم.

الحملة الخامسة

تجمع الفرنجة في سورية وزحفهم على مصر والاستيلاء على دمياط ثم استعادة المسلمين لها

(ابن الأثير، 12/208-209)

بُكر مدينة دمياط وغزوها إلى المسلمين

كان من أول هذه الحادثة إلى أجريها أربع سنين غير شبر، (4، 6/1217) ورثم دُكرناها هاهنا، لأن طُهورهم كان ههنا ومُطافها سِياقة مُتتبعة لِيُنْثَلَوْ بِغُضْبِهَا بَغْضًا، لِلقول: في هذه السنة وصلت أمداد الفرنج في البحر من رومية الكبرى وههنا من بلاد الفرنج في المغرب والشمال، إلا أن المُتَوَلَّى لها كان صاحب رومية (البابا)، لأنه يَنْتَزِلُ عند الفرنج بعمرلة عظيمة، لا يَزُوفُ مُحالفة أمره ولا المُتَوَلَّى عن حُكْمِهِ ههنا سِرُّهم ومساءخهم، فجهز العساكر من عِندِهِ مع جماعة من مُفْدَمِي الفرنج، وأمر عِزَّة من ملوك الفرنج إِمَّا أَنْ يَسِيرَ بِنَفْسِهِ، أَوْ يُرْسِلَ جَيْشًا، ففعلوا ما أمرهم فاجتمعوا بعكا من ساحل الشام⁽¹⁾.

بُكر حصار الفرنج لدمياط إلى أن ملكوها

(ابن الأثير، 12/213-210)

لَمَّا عاد الفرنج من حصار اللطورية⁽²⁾ أقاموا بعكا إلى أن دخلت سنة خمس عشرة وستمانية، فصاروا في البحر إلى دمياط، فوصلوا في صفر (يار بعدو 12، 8)، فأرسلوا على بَرِّ الجيزة، بِيَدِهِمْ وِيَدِ حِمَايِط اللُّيْل، فإِذَا بِعَصِ النَّيْلِ يَصُبُّ

(1) مع الملك، Giovanni di Brienne, Andrea II d'Ungheria، وملك قبرص Igo di Lusignano

(2) حصن إسلامي قرب عكا

في البحر المالح عند دمياط وقد بُني في النيل بُرْجٌ كبيرٌ منيعٌ، وجعلوا فيه سلاسل من حديدٍ غلاظٍ ومدُّوها في النيل إلى سور دمياط لئلا تمنع المراكب الوصول في البحر للمالح أن تصعد في النيل إلى ديار مصر، وتولا هذا البرج وهذه السلاسل لكانت مراكبُ العدو لا يقدر أخذ على مذهبها عن أقصى ديار مصر وإداسيها. فلما نزل الفرج على بر الجزيرة، وبيدهم وبين دمياط النيل بنوا عليهم سورا وجعلوه حندقا يمنعهم ممن يريدونهم. وشرعوا في قتال من يدميهم، وعملوا آلات ومرماتٍ ولجرجاء، يزعمون بها في المراكب إلى هذا البرج ليقبضوه ويمدكوه. وكان اللجرج مشحونا بالرجال، وقد نزل الملك الكامل بن الملك العدل، وهو صاحب دمياط وجميع ديار مصر، بمنزلة تحرف بالعدلية، بالقرب من دمياط، والعساكر متصلة من عدة إلى دمياط، لئلا يمنع العدو من العبور إلى أرضها.

وَأَمَّ الْفَرَنْجُ قَتْلَ الْبُرْجِ وَثَابَعُوهُ. فَلَمَّ يَطْعَمُوا مِنْهُ بَشِيءًا، وَكُسِرَتْ مَرْمَاتُهُمْ وَالْأَنْهَامُ، وَمَعَ هَذَا فَهُمْ مَا يَزِمُونَ لِقَاتِهِ، هَفُوا كُنْكَ لَزِيعةً أَشْهَرًا وَلَمْ يَقْدِرُوا عَلَى أَخْذِهِ؛ فَلَمَّا مَلَكُوا قَطَعُوا السَّلَاسِلَ لِيَحْكُمَ مَرَاجِبُهُمْ مِنَ الْبَحْرِ الْمَالِحِ فِي النَّيْلِ وَيَتَحَكَّمُوا فِي الْبُرْجِ. فَتَصَبَّ الْمَلِكُ الْكَامِلُ عَوْضَ السَّلَاسِلِ جَسْرًا عَظِيمًا مَشْتَعًا بِهِ مِنْ سُلُوكِ النَّيْلِ، ثُمَّ بَاتُوا قَاتِلُوا عَلَيْهِ أَيْضًا قَاتِلًا شَدِيدًا، كَثِيرًا مُتَابِعًا حَتَّى قَطَعُوهُ. فَلَمَّا قَطَعَ أَخَذَ أَلْتَمَلُ الْكَامِلُ عِدَّةَ مَرَاجِبٍ كِبَارٍ وَمَلَأَهَا وَحَرَقَهَا وَغَرَقَهَا فِي النَّيْلِ. فَصَلَبَ الْمَرَاجِبَ مِنْ سُلُوكِهِ. فَكَمَا رَأَى الْفَرَنْجُ ذَلِكَ قَصَدُوا حُلُوجًا هُنَاكَ يَغْرَفُ بِالْأَرْقِ، كَرِ النَّيْلُ يَجْرِي فِيهِ قَدِيمًا، فَحَفَرُوا ذَلِكَ الْحُجِجَ وَعَمَقُوهُ فَوْقَ الْمَرَاجِبِ الَّتِي حَفَّتْ فِي النَّيْلِ، وَأَخْرَجُوا الْمَاءَ مِنْهُ إِلَى الْبَحْرِ الْمَالِحِ، وَأَصْعَمُوا مَرَاجِبَهُ مِنْهُ إِلَى مَوْسِعٍ يَقَالُ لَهُ بُورَةٌ، عَلَى أَرْضِ الْجَزِيرَةِ أَيْضًا، مُقَابِلَ الْمَنْزِلَةِ الَّتِي فِيهَا سُلُوكُ الْكَامِلِ لِيَقْبَضُوهُ مِنْ هُنَاكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ إِلَيْهِ طَرِيقٌ يَقْبَضُوهُ فِيهَا، كَانَتْ دَمْرُطُ تَحْجَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ، فَلَمَّا صَارُوا فِي بُورَةِ حَالَتُهُ قَاتَلُوهُ فِي الْمَاءِ، وَزَحَفُوا غَيْرَ مَرَّةٍ، فَلَمَّ يَطْعَمُوا مَصَاتِرَ. وَلَمْ يَشْعُرْ عَلَى أَهْلِ دَمِيَاطَ شَيْءٌ؛ لِأَنَّ الْمِيرَةَ وَالْأَمْدَادَ مُتَّصِلَةً بِهِمْ، وَالنَّيْلُ يَحْجَرُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْفَرَنْجِ، فَهُمْ مَمْتَشِقُونَ لَا يَصِلُ إِلَيْهِمْ أَدَى، وَتَوَسَّيَ مَفْجُحَةً، وَلَيْسَ عَلَيْهَا مِنَ الْحَصْرِ صَيِّقٌ وَلَا ضَرَرٌ.

فاتفق، كما يريد الله عز وجل أن الملك العادل توفي في جمادى
 لأخرة من سنة خمس عشرة وسبعمائة (أب/أغسطس 1218) على ما تذكره إن
 شاء الله فضعفت نفوس الناس لأنه للسلطان حقيقة، ولولادته وإن كانوا ملوك
 إلا أنهم بحكمه، وأمر إليه، وهو ملكهم البلاد، فاتفق موثته وإسحال هك من
 مقاتلة لغزو. وكان من جنتية الأمراء بمصر أمير يقال له جمال الدين أحمد بن
 علي، وغرف بنس المشطوب، وهو من الأكراد للثغرية، وهو أكبر أمير بمصر،
 وله نيف كثير، وجميع الأمراء يتقانون إليه ويتطيعونه لا سيما الأكراد، فاتفق ها
 الأمر مع غيره من الأمراء، وأرسلوا أن يخلعوا الملك الكامل من الملك، ويملكون
 أبا الملك العادل بن العادل نصير الحكم إليهم عليه وعلى البلاد، فبلغ الخبر
 إلى الكامل، ففارق المنيرة لئلا جريئة، وسار إلى قزبة يقال لها أنصوم طناح،
 فلزل عدها، وأصبحت العسكر وقد قدوا سلطانهم، فركب كل إنسان منهم هوة، ولم
 يقف لأخ على أخيه، ولم يقدروا على أخذ شيء من حياتهم وذخائريهم وأموالهم
 وأسلبتهم، إلا البيبر الذي يخب حمله، وتركوا الباقي بحاله من ميرة، وسلاح،
 ودواب، وخيام وغير ذلك، ولحقوا بالكامل.

وأما الفرنج فإلهم أصبخوا من الفد، فلم يروا من المسلمين أحدا على شاطئ
 النيل كجاري عاداتهم، فبقوا لا يزدون ما العبر، ولذا قد ألقاهم من أخبرهم الخبر
 على حقيقته، فغبروا حينئذ الليل إلى بر بمياط أمين بغير مذارع ولا ممانع، وكان
 ظهورهم في العشرين من ذي القعدة سنة خمس عشرة وسبعمائة (8 شباط/فبراير
 1219)، فغلبوا ما في معسكر المسلمين، فكس عظيما بمصر للمعدين. وكان الملك
 الكامل يذوق الذيار المصرية لأنه لم يتق بأحد من عسكره، وكان الفرنج ملوكوا
 الجميع بغير شعوب ولا مشقة، فاتفق من لطف الله تعالى بالمسلمين أن الملك
 المعظم عيسى ابن الملك العادل وصل إلى أخيه الكامل بعد هذه الحركة بيومين،
 والناس في أمر مريح، فتقوى به قلبه واشتد ظهره، وثبت جلاله، وأقام بمنزله،
 وأخرجوا ابن المشطوب إلى الشام، فالتصّل بالملك الأشرف وصدّر من جنده

(1) سكر العادل من توحيد مختلف البلاد التي كانت تحت سلطة أخيه صلاح الدين وجعله
 تحت مملته.

فلما عبر القرنج إلى أرض دمياط اجتمع العرب على اختلاف قبائلها، وبهزم الثلاثة المجاوره لدمياط، وقطعوا الطريق، وأقعدوا، وبالقوا في أنفسهم، فكانت أشد على المسلمين من القرنج، وكان أصغر شيء على أهل دمياط أنها لم يكر بها من الأسكر أحد، لأن السطان ومن معه من الصاكر كانوا عنده بمنعوا العدو عنها، فاشتبهت هذه الحركة بقتلهم، فلم يدخلوا أحد من أسكر، وكان ذلك من فعل أبي المستطوب. لا جرم لم يفعله الله، وأخذة أخذه رابية، على ما تذكره ابن شاة الله. وأما القرنج بدمياط، وقائلوها برا وبخرا، وعملوا عليهم حنقا يبيعهم من يريدهم من المسلمين، وهذه كانت عادتهم، وأياموا القتال، واشتد الأمر على أهلها، وتعذرت عليهم الأقوات وغيرها، وسمنوا القتال وملازمة. لأن القرنج كانوا يتدربون للقتال عليهم لكثرتهم. وليس بدمياط من الكثرة ما جعلوا القتال بينهم مذوبة، ومع هذا فقد صبروا صبرا لم يسمع بمثله، وكثر القتل فيهم والجراح والموث والأمراض. ودان الحصار عليهم إلى السليح والعشرين من شعب سنة ست عشرة وسثمائة (8 تشرين ثاني/نوفمبر 219)، فحجر من بقي من أهلها عن الحائط لقاتلهم، وتعذر القوت عندهم، فسمنوا اللند إلى القرنج، في هذا التاريخ، بالأمر، فخرج منهم قومه وأقام أحزون لعجزهم عن الحركة، ففرقوا أيدي سبائهم.

ذكر ملك المسلمين دمياط من القرنج

(ابن الأثير، 12/216-213)

لما ملك القرنج دمياط أقاموا بها، وبثوا سراياهم في كل ما جاورهم من البلاد، يذهبون ويقتلون، فحلب أهلها عنها، وشرعوا في عمارتها وتخصيبها، وبالقوا في ملك حتى إنها ذهبت لا تراه.

وأما الملك الكامل فإنه أقام بالقرب منهم في أطراف بلادهم بجميها منهم. وبما سمع القرنج في بلادهم بعج دمياط على أصحابهم ألقوا إليهم يهرعون من كل فج عميق، وأصبحت دار هجرتهم، وعاد الملك العظيم صاحب دمشق إلى الشام

(1) ترجمها غابرييلي بما معناه (في كل حنب وصوب).

فحرب البند المعنوس. في ذي القعدة من السنة، وإنما فعل ذلك لأن شأس كافه
 حافوا الفرنج^(١). وأشرف الإسلام وجميع أهله وولايه على خطة خسف في شرو
 لأرض وغربها: أفلت الفتر من المشرق حتى وصلوا إلى نواحي العراق وأربيجار
 وأزل وغيره، على ما منكره إن شاء الله تعالى؛ وأفلد الفرتج من المعرب فملكوا
 مثل دمياط في النبار المصرية، مع غنم الحصون للماعة بها من لأعداء،
 وأشرف سائر البلاد بمصر والسلام على أن تملك، وخلفهم للناس كفة، وصبرو
 يتوقعون البلاء صباحا ومساء. وأراد أهل مصر لاجلاء عن بلادهم خوفا من
 المعتو، أولات جن مناصبهم^(٢)، وأعدوا قذ أحاط بهم من كل جانب، وبو ملكهم
 الكامل من ذلك لتركوا البلاد خارية على عروشها، وإنما منعوا منه لفتن. وثابع
 الملك الكامل كتبه إلى أخويه المعظم صاحب دمشق، والملك الأشرف موسى بن
 العادل، صاحب نيسابن الجريرة ولزمينية وغيرهما، يستنجدونهم، ويخلفهم على
 الخصور بأنفسهم، فإن لم يكن فيزسلاني العساكر إليه، فصار صاحب دمشق إلى
 الأشرف بنفسه بهزائن، فراه مشغولا عن إيجادهم بما دهمته من اختلاف الكلمة
 عليه، ورواي الطاعة عن كثير ممن كان بطيعة، ونحن نذكر ذلك سنة خمس
 عشرة وستمائة - إن شاء الله - عند وفاة الملك الفاهر، صاحب الموصيل،
 فليطلب من هناك؛ فغدره، وعاد عنه، وبهي الأمر كذلك مع الفرنج.

فأما الملك الأشرف فزال الخلف من بلاده، ورجع الملوك الخارجون عن
 طاعته إليه، واستقدمت له الأمور إلى سنة ثمان مائة وستة، والملك الكامل
 مقابل الفرنج.

فلما نزلت سنة ثمان مائة وستة عظم برولاب مدي الملك الأشرف عن
 إيجاده، فأرسل يستنجد وأخاه، صاحب دمشق، فصار صاحب المعظم إلى
 الأشرف يحثه على المسير، ففعل، ومار إلى دمشق فومن معه من العساكر.
 وأمر الباهر بالحقاق به إلى دمشق، وأقام بها ينتظرهم، فأشار عليه بعض أمرائه

(١) أراد على الأقل الماء أهونها العسكرية، وذلك حجة من الاصطلاح إلى إعلاده المنجبه المعنوس
 اللهم، كما عررض عليهم بالقل

(٢) قرين (كريم) الآية 3 من سورة 38 (ص)

وحواصله ساعدت الأساطير والعود إلى بلاده خوفاً من اختلاف يحدث بعده، فلم يعل
 قوسهم، وقال قد خرجت للجهاد، ولا نذ من إتمام تلك العزم، فصار إلى مصر
 وكان الفرنج قد ساروا عن نفياط في القارس والراجل، وقصدوا الملك
 الكامل، ودلوا مقلعة، بينهما خليج من النيل يسمى بحر أشمودة، وهم يرمون
 بالمنجنيق والجرخ إلى عسكر المسلمين، وقد تيقنوا هم وكل الناس أنهم يهلكون
 الديار المصرية وأما الأتوم فإنه سار حتى وصل مصر، فلما سمع أخوه الكامل
 بفرجه عنهم توجه إليه، فلقية، واستنصر هو ومدبر المسلمين باجتماعهما، لعل الله
 يحدث بذلك نصراً وظهراً.

وأما الملك المعظم، صاحب دمشق، فإنه سار أيضاً إلى ديار مصر، وقصد
 دميطة طمناً أنه أن أحريه وعسكريهما قد دارلواها، وقيل بل أخبر في الطريق أن
 الفرنج قد توجهوا إلى دمياط، فسابقتهم إليها ليقاها من بين أيديهم، وأخبره من
 خلفهم، والله أعلم. ولما اجتمع الأتوم والكامل انتظر الأتوم بينهما على التقدم
 إلى خليج من النيل يغترف ببحر المحلة، فتقدموا إليه، فقاتلوا الفرنج، والاندو قرن،
 وتقدمت شواشي المسلمين من النيل، وقتلوا شواشي الفرنج، فأخذوا منها ثلاث قطع
 بمن فيها من الزجاج، وما فيها من الأموال والسلاح، ففرح المسلمون بذلك،
 وسننبروا، وقد دلوا، ولويت قوسهم، واستنصروا على عدوهم.

هذا بخبري والرسل مترددة بينهم في تقرير قاعدة الصلح. وبذل المسلمون لهم
 تسليم القيت المقدس، وعقلا، وطيرة، وصيدا، وجيلة، واللقية، وجميع ما
 فتحه صلاح الدين من الفرنج بالساحل، وقد تقدم ذكره ما عدا الكرك، لمسلمو
 دمياط، فلم يرهنوا وطنيوا ثلاثمائة ألف دينار عوضاً عن تخريب القدي
 لمغزوة به، فلم يتم بينهم أمر، وقالوا: لا بد من الكرك.

فبينما الأمر في هذا، وهم يمشعون، اضطر المسلمون إلى قتالهم

(1) في محاولة للتصالح من بلدنا المملوكة، كما سيروي لاحقاً

(2) بدع على هذا التمرص يمكن أن يعين أهمية دميطة وصحة صلابات الفرجة في مهاجمة

والكرك المستولى من عرض للمسلمين (وتصم تقريباً كل مكسب صلاح الدين) هو كرك محاب

الاي بشرف على طرق المواصلات بين سورية ومصر.

وكان الفرنج لا يعتادهم بنفوسهم لم يستصحبوا معهم ما يغوثهم عادة أيام.
 طئ منهم أن لصناكر الإسلاميه لا تقوم لهم، وأن القرى والسواد جميعه يبقى
 بأيديهم، يأخذون منه ما أرادوا من العيرة، لأمر يزيد الله تعالى بهم، فسر طاعة
 من المسلمين إلى الأرض التي عليها الفرنج، فعجزوا للنيل، فركب الماء أكثر تلك
 الأرض، ثم يبق للفرنج جوه يسلكون منها غير جهة واحدة فيها صيق، فصب
 الكسل حديد الجصور على النيل، عند أشموم، وعبرت للصناكر عليه، فمك
 الطريق الذي يسلكه للفرنج إلى أراؤ، العود إلى دمياط، فلم يبق لهم خلاص، وانفق
 في تلك الحال أنه وصل إليهم مركب كبير للفرنج من أعظم المركب يسمى
 مرمه، رحولة عدة حرائق تخميه، والجميع مملوء من العيرة والسلاح، وما
 يحتاجون إليه، هرع عريا سواني المسلمين، وقتلوه، فضعوا بالمرمه وبما معها
 من الحرائق، أخذوها، فلما رأى الفرنج ذلك سقط في أيديهم، ورأوا أنهم قد صلبوا
 الصوب بمفرقة دمياط هي أرض بجهلونها. هذا وعساكر المسلمين محيطة بهم
 يرمونهم بسناب، ويحملون على أضراسهم، فلما اشتد الأمر على الفرنج أخرو
 خيامهم، ومجدهم، وأقالهم، وأربوا الرجف إلى المسلمين ومقتلهم، لعلمهم
 يذرون على العود إلى دمياط، فرأوا ما أملؤ بعيدا. وحيل بينهم وبين ما يشتهون،
 لكثرة البوخل والمياه حولهم، والوجه الذي يعرفون على ملوكه قد ملكه المسلمون،
 فلما تيقنوا أنهم قد أحيط بهم من سائر جهاتهم، وأن ميرتهم قد تعدر عليهم
 ووصلها، وأن المدايا قد كثرت لهم عن أيديها، ذلت نفوسهم، وكسرت هيباتهم،
 وصل عنهم شيخانهم، فراسلوا الملك الكامل والأشرف يطلبون الأمر ليسمو
 بغيط بعير عوصي، فبينما المراسلات مترددة إذ أقبل جمع كبير، لهم رفق شديد،
 وجلبه عظيم، من جهة دمياط، فطلت المسلمون بجدة أنت للفرنج، فاستسعروا،
 وبه هو الملك المعظم. صاحب دمشق، قد وصل إليهم، وكان قد جمع طريقه
 على دمياط، لما ذكرناه، فاشتكت ظهور المسلمين، وازداد الفرنج حذالان ووه.
 وخمرو الصلح على تسليم بغياط، واستقرت القاعده والأيمان سبع رجب من سنة
 ثمان مائة وستمائة (77 آب/أغسطس 1221)، وانتقل ملوك الفرنج، وكهولهم،
 وخدمهم إلى الملك الكامل والأشرف رهائن على تسليم بغياط ملكا عك.

وَسَأَبُ نَابَا صَاحِبِ رُومِيَّةَ، وَكَثَدُ رِيَشَ، وَغَيْرُهُمْ، وَصَنَعَتْهُمْ عَشْرُونَ مَلِكًا، وَرَاسَلُوهُ
فَسَمِعَهُمْ وَرَغِبَانَهُمْ إِلَى دِمِشَاطَ فِي السَّلَامِ، فَلَمْ يَقْتَتِخْ مِنْ بَهَاءِ وَمَسْلُوحَاتِهَا إِلَى
الْمُتَمَلِّينَ سَاعَ رَجَبِ الْمُنْكَوَرِ، وَكَانَ يَوْمًا مَشْهُوَنًا. وَمِنْ الْعَجَبِ أَنَّ الْمُسْلِمِينَ لَمْ
تَسْلُمُوا، وَصَلَتْ الْقَرْنَجُ نَجْدَةً فِي الْبَحْرِ، فَلَوْ سَبَقُوا الْمُتَمَلِّينَ إِلَيْهَا لَامْتَنَعُوا مِنْ
سَلْبِهَا، وَكَانَ سَبَقَهُمُ الْمُتَمَلِّونَ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَسَ مَقْعُولًا، وَلَمْ يَبْقَ مِنْ
أَهْلِهَا إِلَّا أَحَدٌ، وَتَفَرَّقُوا أَيْدِي حِدَاءٍ بَعْضُهُمْ سَارَ عَنْهَا بِاخْتِيَارِهِ، وَبَعْضُهُمْ مَاتَ،
وَبَعْضُهُمْ أَحَدُهُ الْقَرْنَجُ. وَلَمَّا دَخَلَهَا الْمُتَمَلِّونَ رَأَوْهَا وَقَدْ حَصَّنَهَا الْقَرْنَجُ تَخْصِيصًا
عَظِيمًا بِحَيْثُ بَقِيَ لَا تَرَامَ، وَلَا يُوصَلُ إِلَيْهَا، وَأَعَادَ اللَّهُ، سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الْحَقُّ
إِلَى نَصَابِهِ، وَرَدَهُ إِلَى أَزْبَابِهِ، وَأَعْطَى الْمُسْلِمِينَ ظَفَرًا نَمَ يَكُنْ فِي حَسَابِهِ، فَزَيْدٌ
كَانَتْ عِيَّةُ أَمَانَتِهِمْ أَنْ يُسَلُّوا لِلْبِلَادِ الَّتِي أَحَدَتْ مِنْهُمْ بِالنَّشَامِ لِيُعِيدُوا دِمِشَاطَ،
فَرَفَّاهُمُ اللَّهُ بِعَادَةِ دِمِشَاطَ، وَبَقِيَ الْبِلَادُ بِأَيْدِيهِمْ عَلَى حَالِهَا، فَالَلَّهُ الْمُغْمُودَ
الْمَشْكُورَ عَلَى مَا أُنْعِمَ بِهِ عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ مِنْ كَفِّ عَادِيَةِ هَذِهِ الْعَدُوِّ،
وَكَقَاهُمُ شَرَّ الشَّرِّ، عَلَى مَا نَذَكُرُهُ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

تفاصيل أخرى عن هزيمة الفرنج

(ابن رسل، 209r-210r)

... (رسل العرج)... السلطان الملك الكامل وأخويه السلطان الملك الأشرف
وبملك المعظم يطلبون منهم الأمان لأنفسهم، ليسلمون لهم دميطة من غير
صوص. قال: فاستشار السلطان الملك الكامل ملوك أهل بيته في ذلك، فأشار
بعضهم بأن لا يؤمنهم ويأخذهم أخذ باليد، فإنهم قد صاروا في قبضته، وهم
جميعهم هل الترتب، وأنه إذا فعل ذلك أحد منهم دميطة وجميع ما تبقى بهم من
البلا سحنيه. فلم يرى السلطان الملك الكامل ذلك مصلحة، وقال: إن هولاى
(هؤلاء) ليس هم جميع الفرنج، ولذا أمتناهم⁽¹⁾ ثم تقدر على أحد دميطة ولا
بالمطولة وحروب كثيرة مدة، وتسمع ملوك ما وراء البحر من العرج ما ياتهم وما

(1) يعون غابرييلي إن هناك رواية أخرى تقول (استنابهم)

حرى عليهم، فيقدم إلينا أضعاف هؤلاء، وتعود للحرب حذرة⁽¹⁾. وقد صجرت
العسكر من الحروب وكُلت⁽²⁾، وكانت مدة مقدم الفرج بالذيار المصرية ثلاث
سنين وشهور. فاتفق رأى الكل على بذل الأمان لهم، وبأخذ دمياط منهم رهيناً
انفزع إلى ما طلبوا من الأمان، على أن يأخذ السلطان الملك الكامل وجمدة
أن يسلمو دمياط. وطلبوا هم أيضاً أن يأخذوا ولد السلطان الملك الكامل وجمدة
من حواصيه رهيناً. إلى أن ترجع ملوكهم إليهم فتقررت القسعة على ملك
والإيمان، سبع رجب من هذه السنة، أعني سنة ثمان عشر وستمائة. وكانت
رهين الفرج ملك عكا، والكاف نائب البابا صاحب رومية الكبرى، والملك
كندروس (نودوفيك) وغير هؤلاء من الملوك ثمة عشرين ملكاً. وكانت رهين
سلطان الملك الكامل، ولده الملك الصالح نجم الدين أيوب⁽³⁾ وجماعة من
حوصه، وكان عمر الملك الصالح يومئذ خمسة عشر سنة، لأن مولده سنة ثلاث
وستمائة. ولما قدم هؤلاء الملوك إلى السلطان الملك الكامل، جلس مجلساً
عظيماً، ووقف بين يديه الملوك وأخوته وأهل بيته جميعاً، فرأوا الفرج من عضمة
ملكه وبامومه ما هائلهم⁽⁴⁾...

... (سلمت دمياط).. وبعد ذلك رجعت رهين الفرج إليهم، ورهين المسلمين
إليهم. وولاهم الأمير شجاع الدين جنك المظفرى النورى، وكان رجلاً خيراً شهيداً.
وكان للفرج، لما وقع الصلح، سرارى عظام جداً، فارتادوا أعضائها وحملها معهم
إلى بلادهم، فممنعهم من ذلك شجاع الدين. فبعثوا إلى السلطان الملك الكامل
يشكونه ويقولون إن هذه الصوارى لما، وإن مقتضى الصلح أن ترد إليهم. فكتب
الملك المعادل إلى شجاع الدين يأمره أن ترد الصوارى إليهم، فأصر على الامتناع.

(1) يمكن أن تكون العبارة جافياً مدسوق من قول السلطان

(2) وقد حكم مصر بعدها بين 1240 و 1249

(3) في هذه التحمل وقبل هذا يقلل ظهر ليعظ في حصاره لسلطان الجيلة العيسى أو الشيسكو
أسبسي S.Francesco d'Assisi وقد اعتقدنا بالعثور على أثره من أشارة في المصادر
الشريفة نتحدث عن مستشار مسلم الملك المعادل "حول قصة لراهب" (المعجم هناك كثير
من الانبياء بل والرسوم حول لقاء جرى بين هذا الراهب المشهور وبين الملك المعادل أم
عبارة في حصاره السلطان الجيلة هو بيت شعر لدغنى البغيري في الكرمينيا الإلهية

وقال أن العريض أخذوا منير جامع نعياط وكسروه، وأهدوا كل قطعة منه إلى ملك
من ملوكهم، فبامرهم المنطان أن يردوا إليها المنير لتورد إليهم الصواري، فكذب
السلطان اليهم في ذلك، وذكر لهم ما ذكر شجاع الدين، فعجزوا عن ملك
وأعرضوا عن ذكر الصواري...

كان للحملة الصليبية الإسلامية التي شنّها هينريك الثاني على صورة معاوشتا ستوماسيه تدخلت بين مناهضات أمراء الأيوبيين من ورثة العنل أن تركت كثيراً من الذكريات المهمة لدى المؤرخين المسلمين في تلك الأونة. مصادر الرئيسية هي هم سبط ابن الجوزي الذي كان شاهداً ومشاركاً هو نفسه في ردة الفعل الإسلامية على عملية القتل عن القدس للإمبراطور سوابي، ثم ابن واصل الذي لم يعرف شخص هينريك لكنه أصبح فيما بعد سفيراً لدى صغدي في منطقة بونيا 'لايطالية' فترك لنا كثيراً من التفاصيل للمباشرة وبسطة والدقيقة عن السوابيين ومناصرتهم للمسلمين. تكشف هذه التفاصيل عن تلك الانطباعات التي كونها شخص استطاع الاقتراب من الإمبراطور خلال زيارته للقدس ووجه شخصاً متشككاً وساحراً من ناحية الدينية، ويناصر لإسلام من الدحية السياسية. لابد أن البابوية كانت سترحب لوماً ترحيب بمثل هذه الانطباعات لأنها كانت ستحرر من موقعها المعادي لفرنريك. هناك أيضاً وثيقة مازلت حتى اليوم فريدة من نوعها وجدت بين رسائل هينريك الثاني لدبلوماسية وهي عبارة عن رسالتين أرسلهما بالعربية بعيد عودته إلى إيطاليا إلى مير من أصدقائه في القصر الأيوبي، وقد تم الاحتفاظ بهما ضمن تاريخ سري مجهول. لابد أن حد معاوشتا الإمبراطور غير الجديرين كتب الرسالتين بخطه ركيكه ومع هد فهما يفصحان عن وقائع تاريخية محددة وعن الوعي بالكرامة لامبرطورية وحدة محصومة البابوية التي عرفت في كل الوثائق العديريكية

قدوم الإمبراطور فريديك - ملك الإفرنج إلى عكا

(ابن راصل، 242r+119r)⁽¹⁾

وفي هذه السنة (1228/625) قدم الإمبراطور ملك الفرنج إلى عكا في جمع كثير من الألمان وغيرهم من الفرنج. وقد ذكرنا مسير الأمير قهر الدين أس سنج شيوخ إلى الملك الإمبراطور من جهة السلطان الملك الكامل، وكان ذلك في يوم السبت المعظم⁽²⁾. وإنما قصد الملك الكامل بالإنفاق مع الإمبراطور ملك الفرنج واستدعائه لإشغال سر الملك المعظم، ولأن لا يتمكن من مساعدة السلطان جلال الدين بن علاي الدين حواريه عنه ومظفر الدين صاحب أربل، عليه وعلى الملك الأشرف. فاجهر الإمبراطور ووصل في عسكره إلى الساحل، وفعل بعك في هذه السنة، وكان قد قدمه جمع كثير من الفرنج، لكنهم لم يتمكنوا من الحركة، خوفا من الملك المعظم، ولا يظن أنهم تمكنوا من الإمبراطور، ومعنى هذا الاسم بالفرجية ملك الأمراء. ومملكته جزيرة صقلية، ومن البحر الصويل (إيطاليا) بلاد أبوليه ولامبرجية⁽³⁾. قال صاحب الكتاب جمال الدين بن راصل قد رأيت ذلك عمالك لم توجهت رسولا من جهة السلطان الملك الظاهر ركن الدين ببغداد، رحمه الله تعالى، إلى بلد الإمبراطور المسمى منبريا، وكان الإمبراطور من ملوك الإفرنج متميز عالم محبا للحكمة والمنطق والطب ميلا إلى المسلمين، لأن مقدمه في الأصل ومربى بلاد صقلية، وهو وأبوه وجداه كانوا ملوكها. وأهل الجزيرة غالبهم مسلمين. ولما وصل الإمبراطور إلى عكا (عجب) الملك الكامل به، لأن أحده الملك المعظم الذي كان السبب في استدعائه توفي، واستغنى عنه، ولم يمكنه دفعه

(1) هذه الرسالة هي أو أكثر بريدها غير في مخطوطة باريس

(2) صاحب حش وهو الكامل الذي رأينا كيف سارع إلى منصرفه من الفرنجة في سبيل ذكر علاقتهما تكبروت بعدها سنة التوفيق بعكا تقرب من سلطان خوارزم جلال الدين وإلى أمير أربل، مما همم الكامل التقرب من فريديك.

(3) في يوجد ما يحسن الخلط بين اسمي منطقي لومبارديا ولاهونديا وذلك بسبب السجلات الجغرافية العربية المسندة لذلك وقد ورد كلا الاسمين في رسالة أبو بكر بن تهميه التي سرورها لاحقاً.

ومحاربته لما تقدم بينهما من الاتفاق ولأنه كان يؤدي ذلك إلى فوات أعرضه التي كان في ذلك الوقت بصندها. مراسله ولاحظه، وجرى بعد ذلك ما سكره ابن ماء مع العالي . ولم يرَ الإمبراطور عكا. والرسول مترجمة بينه وبين الملك الكامل، إلى أن خرجت هذه السنة.

تسليم القدس إلى الفرنج

(ابن واصل 253R.V - 120R - 121R)

وبم نزل الرسول بتعدد بين السلطان الملك الكامل والإمبراطور ملك الفرنج وأطماع الإمبراطور ملك الفرنج منطقة بما كان تقرر بينه وبين الملك الكامل أولاً قبل موت الملك المعظم. وأبى ملك الفرنج أن يرجع إلى بلاده إلا بما وقع الشرط عليه من تسليم القدس إليه وبعض الفتوح الصلاحي (فتوح صلاح الدين) . وأبى الملك الكامل أن يسلم إليه كل ذلك. وأخر الأمر أنه قد تقرر بينهما أن يسلم إليه القدس على شريطة أن يبقى خراباً ولا يجند سورته، وأن لا يكون للفرنج شيء من ضهره البنية، بل يكون جميع قراياه للمسلمين، وللمسلمين واليا عليها يكون مقامه بالنهر من عمل القدس، وأن الحرم الشريف بما حواه من الصخرة المقدسة ولمسجد الأقصى يكون بأيدي المسلمين، ولا يدخله الفرنج إلا للزيارة فقط، ويتولاه قوم المسلمين، ويكون شعار الاسلاميه قائما على عاقته. واستثنى الفرنج قرايا معدودة في طريق عكا إلى القدس، تكون بأيديهم دون ما عداها من قرايا القدس.

ورأى السلطان الملك الكامل أنه إن شاقق الملك الإمبراطور ولم يصف به بالكنية، أن يفتح باب محاربة مع الفرنج ويوسع الخرق، ويعوت عليه كل ما خرج بسببه. فرأى أن يرضي الفرنج بمدينة للقدس خراباً، ويهاندبهم مدة، ثم هو قادر على انزع ذلك منهم متى شاء. وكان المتروك بين الملك الإمبراطور في الرسائل

11. يشير فيبريك إلى عروض تسليم المسطح التي قدمها الكامل للصليبيين في 220 تحت دعاه (راجع الصفحات السابقة). بل في الإمبراطور بسخر من مبعوثه Pelagius حين يقول إنه مبعوثي أي آخر خدمي. وعطيك لأن تقدموا لي الآن مالا يقل عما كنتم مستعدين لتقديمه له. (تاريخ منصوري 32 مغري 228-229)

لأمير بحر الدين بن الشيخ، وكانت تجرى بينهما محاورات في أشبه شتى. وسير ملك الفرنج الإمبراطور في إنشاء ذلك إلى السلطان الملك الكامل مسائل حكمية هندسية ورياضية مشككة، يُمتحن بها من عبده من الفضلاء، فعرض السلطان ما أورده من المسائل الرياضية على الشيخ علم الدين قبصر، مما هذه الصدقة وعرض الباقى على جماعة من الأفاضل، فأجابوا عن الجميع ثم حسب السلطان على ما وقع عليه الاتفاق، وحلف الإمبراطور ملك الفرنج، وعدوا عهد الهدنة مدة معلومة^(١). وانتظم بينهم الأمر، وأمن كل من الفريقين صاحبه. وتلقى الإمبراطور قال نكشير فخر الدين بن الشيخ لولا أنى أحاف بكسر جاهي عبد الفرنج، لما كلفت السلطان ذلك، ومالي غرض في القدس ولا غيره، وإنما قصدت حفظ ياموسي عندهم. ولما وقعت الهدنة، بحث السلطان من لادى في القدس بخروج المسلمين منه وتسليمه إلى الفرنج. فخرج المسلمون، ووقع فيهم صجيج والبكا والعيول، وعظم ذلك على المسلمين وحزبوا على خروج القدس من أيديهم، وأكبروا على الملك الكامل هذا الفعل واستشعروا منه (إذ كان هذا البلد الشريف (واستعدته) من الكفار من أعظم مآثر عمه السلطان الملك الناصر صلاح الدين، قدس الله روحه. ذكر علم السلطان الملك الكامل، رحمه الله، أن الفرنج لا يمكنهم الامتناع بالقدس مع خراب أسواره، وأنه إذا قصى غرضه واستتب الأمور له، كان متمكناً من تطهيره من الفرنج وإخراجهم منه. وقال "إن لم نسمح لهم إلا بكنايس ودار حراب، والحرم وما فيه من الصخرة المعظمة وسائر لممرات، والذي هو المقصود، بأيدي المسلمين على حاله، وشعار المسلمين والإسلام قائما على ما كان عليه، ووالي المسلمين متحكم في أعماله ورسائله^(٢)".

وبعد مع ذلك، استأنى الملك الإمبراطور في زيارة القدس، فأذن له. وبعد السلطان إلى القاصي شمس الدين، قاصي نابلس، رحمه الله، وكان جليلاً في

(١) عشر سنوات وخمسة أشهر وأربعين يوماً بدءاً من أول 24/6/26 شعبان/هـ 229. (معري)

(236)

(٢) ليدنه

الدولة متقدما عند ملوك بني أيوب، أن يلائم خدمة الإمبراطور ملك الفرنج إلى أن يرور القدس ويرجع إلى عكا. قال القاضي جمال الدين بن واصل صاحب التاريخ حكى لي القاضي شمس الدين، رحمه الله، قال لما قم الإمبراطور ملك الفرنج إلى القدس، لأزمته كما أمرني السلطان الملك الكامل، ودخلت معه إلى الحرم الشريف وما فيه من المزارات، ثم دخلت معه إلى المسجد الأقصى، فدعجه عمارته وعمارته قبة الصخرة للعقصة. ولما وصل إلى المحراب أعجبه حسنه وحسن المنبر، وصعد في درجه إلى أعلاه، ثم نزل وأحد بيدي، وخرجنا إلى الأقصى. فوجد رجلا قسيسا وبهذه الإنجيل يريد دخول الأقصى، فصاح عليه بملك الإمبراطور صيحة منكرة، وقال له: 'مالذي أتى بك إلى هاهنا؟ والله لنن عدد واحد منكم يدخل هاهنا بعد الآن، لأخذن ما هي عياده. نحن معاليك هذا السلطان الملك الكامل وعبيده، وعدم تصديق علي وعظيكم لهذه الكنايس على سبيل الأنعام منه، ولا يتعدى أحد منكم على طوره.'^(١) فعصى القسيس وهو يرتعد خيفة منه. ومضى الإمبراطور ملك الفرنج إلى انذار الذي عين له نزوله فيها، فنزل بها. قال القاضي شمس الدين وأوصيت الموديين أنهم لا يؤذون تلك الليلة احترام للملك. فلما أصبحت دخلت عليه، قال: 'يا قاضي لم لم تؤنس المؤنسون على المقابر على جاري عاديهم؟ فقلت لهم (نه): أن المملوك معهم من تلك إعضاما للملك واحتراما نه' فقال: 'أخطأت فيما فعلت، والله أنه كان أكبر غرصي في المبيت في القدس أن أسمع أذان الموديين وتسيحهم بالنيل'. ثم رحل بعد ذلك إلى عكا.

ولما ورد الخبر إلى دمشق بتسليم القدس إلى الفرنج، أمد الملك الناصر في التوسيع على عمه الملك الكامل ليندر الرعية منه. وتقدم إلى الشيخ شمس الدين يوسف سبط الشيخ جمال الدين بن الجوزي للوعظ وكان له هون عظيم عند الناس في باب الوعظ. أن يجلس في جامع دمشق للوعظ ويذكر فضائل القدس وما ورد فيه من الأخبار والآثار، وأن يحزن الناس عليه، ويذكر ما هي تسميته بنى بكاء من الصغار للمسلمين والذل، وقصد بذلك الملك الناصر دود تعبير

(١) ترجمها غابرييلي (يخرج عن حدوده).

الناس عن عمة الملك الكامل ليدانصروه في قتل له⁽¹⁾. فجلس شمس الدين بلوغد
 من أمراء، وحصر الناس لإستماع وعظه⁽²⁾، وكان يوماً مشهوداً، فعلى يومئذ
 صبح الناس ونكأؤهم وعولاهم. وحصرت لنا هذا المجلس، ومما سمعته، يورد
 ذلك قصيده عملها بانه، صنعها بيتاً من شعر دجيل الحزاعي الشاعر⁽³⁾ ومما
 علق منها بحفظي:

على قمة المعراج والصخرة التي تغلخر ما في الأرض من صحرات
 مدارس أوت حلت من تلاوة ومنزل وحي مفر العرصات
 قال قلم يرى في ذلك اليوم إلا بك وبأكية. ولما تقررت فوعد بعهده بين
 السطان والملك الكامل والملك الإمبراطور. ألق الإمبراطور ابني بلاده راجعاً⁽⁴⁾.

أسف المسلمين في دمشق فيديريك في القدس

(سبط ابن الجوزي، 432-434)

ووصلت لأخبار بتسليم القدس إلى الفرنج، فقامت القيامة في جميع بلاد
 الإسلام، واشتدت العوايم بحيث أنه أقيمت المآتم. وأشار الملك الناصر داود بن
 أجلس بجامع دمشق وأذكر ما جرى على بيت المقدس، فما أمكنني مخالفته،
 ورأيت من جملة أديانة الحسية للإسلام موافقه. فجلست بجامع دمشق وحصر
 الناصر داود على باب مشه علي، وكان يوماً مشهوداً، ثم ينحلف من أهل
 دمشق أحد، وكان من جملة الكلام انقطعت من البيت المقدس وعود الرنري، ي

(1) ربيع الصدام بين الكامل والمعظم صاحب دمشق مع فتح المجال أمام التقارب مع هيجريك
 وسرع هنا أن الناصر الذي خلف أبيه على دمشق يحاول أن يعمل الانطباع بتسليم القدس
 من أجل تدعيم حنكة تمهيز

(2) بحثت بهذا ابن الجوزي في صفحات من تزييمه قسماً بعد قليل.

(3) شاعر من زمن هرون الرشيد (تقرئ الناس - القاص)، وقد قام تواضع باستبدال بعض كلمات
 القصيدة لطبيعتها على وضع القدس التي لم تعد مسلمة.

(4) يحدد معري هذا في أولخر جمادى الثاني (أيار مايو 1229)

وحشه المجاورين، كم كان لهم في تلك الأماكن من ركعة، كم جرت لهم على تلك المسالك من دعة، ناله لو صارت عيونهم عيوناً لما وقت، ولو تقطعت قلوبهم أمد لما شفت، أحسن الله عز المؤمنين، يا خجلة ملوك المسلمين، تمثل هذه الحدثة نسكب العبرات، لعلها تنقطع الطوب من الرغرات، لعلها تنظم الحشرات وذكر كلام طويل، ولكن الشراء في حديث القدس ..

... ودخل الأيوبي (الإمبراطور) إلى القدس والحصار على دمشق⁽¹⁾ وجرى له عجائب، منها أنه لما دخل للصخرة رأى قسيساً قاعداً عند انبؤم يأخذ من الفرنج الفريسيين⁽²⁾، فجاء إليه كأنه يطلب منه الدعاء، ولكمه فرماه إلى الأرض وقال يا حريير، السلطان قد تصدق عليك بزيارة هذا المكان، تقصرو فيه هذه الأفاعيل! لأن عاد واحد منكم، نخل على هذا الوجه لأكله وحكى صورة الحال قوام الصخرة، قائلوا: ونظر إلى الكتابة التي في القبة وقد ظهر هذا البيت المقدس صلاح الدين من أمميين⁽³⁾، فقال: ومن هم للمشركين (من هم هؤلاء المشركين)؟ وقال للقوام: هذه الشباك التي على أبواب للصخرة، من أجل ليش؟ قالوا: لتلا تلخها المصاير⁽⁴⁾، فقال: قد أتى الله إليكم بالجبارين⁽⁵⁾، قائلوا: ولم تدخل وقت الظهر وأثن المولى قام جميع من كان معه من الفريسيين والعلماء، ومعهم، وكان من صغلة يقرأ عليه المطلق فصولاً، فسلو وكانو مسلمين، قالوا: وكان الإمبراطور أسقر، محط⁽⁶⁾، في عيبه ضعف، لو كان عبد ما ساوى ما بني درهم⁽⁷⁾، قالوا: والطاهر من كلامه، أنه كان هدياً (مسبباً)، ومن كان يتلاعب بالصرانية⁽⁸⁾، قالوا: وكان الكامل قد تقدم إلى الفاضلي شمس الدين

(1) من قبل الكامل والأشرف ضد ابن أبيهم الناصر

(2) لا ينسى هنا معرفة ماهية تلك الفريسيين التي كان يحصب هذه الرواية وأحد، ذلك الحوري الأفرنجي، (ولا يمكننا الطن بأنها كانت نزاهة روفية)، وقد رأينا في رواية ابن روضي أن الحوري هو الذي كان يحصن الأكجيل، أما (المستشرق) فيمكنني أن يظن أن بعض الجبابرة عشت من القدس

(3) يعبر عبري يني صافي "الجبار" بالتحريه ويعول إلى أن أماري يظن أن الإمبراطور قال حارير وذلك على سبيل التذكير وهي سجع مع "عصاير"، ويتدبر أنه قلها بالتحريه مما يشهد بمعرفة به حتى بأغراف المصائر الشرقية.

(4) يقون غابرييلي أنصر القوير وأصلح.

قاضي نابلس، أن يأمر المؤمنين بما دله الإمبراطور في القدس لا يصعدوا المذابح ولا يخدموا في الحرم'. فأنسى القاضي أن يعلم المؤمنين: وصعد عبد الكريم المؤنس في تلك الليلة في وقت السحر، والإمبراطور نزل في دار القاضي، فجعل يقرأ 'الآيات التي نحصل بالنصاري مثل قوله تعالى: [ما اتحد الله من ولد]'.⁽¹⁾ تلك عيسى بن مريم. ونحو هذا. فلما طلع الفجر استدعى القاضي عبد الكريم وقال له: 'أين عملت؟ للسلطان رسم كذا'. وقال: 'لما عرفتني، وانتوبة'. فلم كانت الليلة الثانية ما صعد عبد الكريم المائدة، فلما طلع الفجر استدعى الإمبراطور القاضي وكان قد دخل للقدس في حنمته، وهو الذي سلم إليه القدس، فقال له: لا يا قاضي أين ذاك الرجل الذي طلع البارجة المذارة ونكر ذلك الكلام؟ فعرّفه أن السلطان أوصاه، فقال الإمبراطور: 'لا أخطأكم يا قاضي، يحزنون أستم شعركم وشرعكم ودينكم لأجني. فلو كنتم عندي في بلادي، هل كنت أبطل ضرب ساقرس لأجلكم؟ الله الله لا تفعلوا، هذا أول ما تقصرون عندي'. ثم فرّق في القوام والمؤدبين والمجاورين جملة أعطى كل واحد عشرة دنانير، ونم يقيم بالقدس سوى ليلتين. وعاد إلى يافا، وخاف من الدونة⁽²⁾ فبهم طلبوا قتله.

العلاقات الأيوبية - السوابية وأواخر السوابيين⁽³⁾

(ابن واصل 121R - 123R)

واسمهم (الإمبراطور) مصافيا للملك الكامل مولدا له، وأمرسله إليهم متصنه إلى أن توفي الملك الكامل رحمه الله - وولي بعده ونده الملك المعادل سيف الدين أبو بكر⁽⁴⁾. مصافيا الإمبراطور الملك المعادل وولده ورأسله، ونما قبض

(1) قرآن (كريم) الآية 91 من سورة 13 (المؤمنين)

(2) بحر الدوبة أو 'الدوبة' بصب المحطوطه، إشارة إلى تموجات المسيحية ضد 'مسيحك' رجع مازق في تاريخ المسلمين في صقلية الطبعة الثانية الجزء 1 ص 666

(3) نسبة إلى (مختلف اللغات لالمانية): Svevia - Swabia - Schwaben - Souabe - Suebia. [مترجم]

(4) بين 1238 و 1240

(صاحب) على الملك للعادل، وملك السلطان أخوه الصالح نجم الدين أيوب .
استمر معه الأمر كذلك. وأرسل إليه الملك الصالح الشيخ العلامة سراج الدين
الأرموي الذي هو قاضي بلاد الروم اليوم، فأقام الشيخ سراج الدين عند
الإمبراطور منك الروم مكرما مده، وصنف له كتابا في المنطق وحسن
الإمبراطور إليه إحسانا كثيرا. وعاد سراج الدين إلى الملك الصالح مكرما . ولم
قصده ريدافرس (ملك فرنسا) الإفرنجي، وهو من أكبر ملوك الإفرنج، تدير
المصرية سنة سبع وأربعين وستمائة (1249) بحث إليه الإمبراطور بهذه عن ذلك
ويخوفه ويحذره عاقبه ذلك، فلم يقبل منه. قال فحكى من بربر⁽¹⁾ وهو مهتدر
منفرد بين الإمبراطور، قال أرسلني الملك الإمبراطور في السر إلى الملك الصالح
نجم الدين أيوب لأخبره على عزم ريدافرس على قصد تدير المصرية، وأحذره
منه وأشير عليه بالاستعداد له. فاستعد له الملك الصالح، ورجعت إلى
الإمبراطور، وكان ذهاني إلى مصر ورجوعي في رجايزة. ولم يشعر أحد
بجتماعي بالسلطان، خوفا من الفرج أن يعلموا معالاة الملك الإمبراطور
للمسلمين. ولما مات الملك الصالح وجرى لريدافرس ما جرى من هلاك عسكره
وسببهم قتل وأسرا، وأمر الملك المعتمد نوزن شاد له، ثم خلاصه من الأسر
بعد قتل الملك المعظم ورجوعه إلى بلاده⁽²⁾، بعث الملك الإمبراطور إليه
يذكره لصحته إليه وما جرى عليه لصاحبه ومخالفته، ويعفه على ذلك تعذرا
شديدا . وتوفي الملك الإمبراطور سنة ثمان وأربعين وستمائة (1290) بعد موت
الملك الصالح أيوب سنة. وولي بعده ونده، كذا ثم مات كذا وولي أخوه مغريدا،
وهؤلاء كلهم كانوا مفلوتين عند الباباء، خليفة الفرنج، لميلهم إلى المسلمين.
وجرت بين مغريدا وبين الباباء، خليفة الفرنج، حربا لتتصر هيها الإمبراطور على
الباباء .

(1) بين 1240 و 1249

(2) المهتدر هو منير المراسم المحتضن بالعلقة مع تسعراء وكبار الصوف في قصر
مانعير . أما عن اسمه فلم يصلح إلا سر بر ، فافترضت مجمعه المطبعة أنه كان
Sir Berdo .

(3) حملة سنن لويس على مصر ومجاني ذكرها

قال القاضي جمال الدين قاضي قصاء حماه المحروسة، صاحب هذا التاريخ، فوجهت رسولا إلى منبرينا من السططان الأعظم للملك الظاهر ركن الدين سرس، رحمه الله، في شهر رمضان سنة تسع وخمسين وستمائه (أب/أوغست 126)، قدمت عنده مكرما بمدينة من مائتات أيلول في البر الطويل (إيطاليا) المتصل بر الأندلس⁽¹⁾ بقائ لها درك، واجتمعت به مرارا فوجنته منبريا محبا للعلوم لعقلية، يحفظ عشر مقالات من كتاب لقلينس في الهندسة. وبثرب من البلد التي كنت مارلا مدينه تسمى لوحاد⁽²⁾، أهلها كلهم معتمرون من أهائي جزيرة صقلية، ويقدم الجمعة ههنا وتعلي فيها بشعائر الإسلام، وهي على هذه الصفة من عهد أبيه الإمبراطور. وكان قد شرع في بناء دار علم بها ليشتغل ههنا بجميع 'سواع العلوم النظرية'⁽³⁾، وأكثر أفعاله للنيل ببولس أمور الخاصة مسلسون، ويعمل في معسكره بالأذان والصلوة. ونما رجفا من تلك البلاد جاءت لأخبار بأنه تلقى على قصده البابا. صاحب رومية الكبرى، وببها وبين البلد الذي كان فيه خمسة أيام، وأحو ريدفرس، الذي تقدم ذكره⁽⁴⁾. وذلك أن البابا كان قد حرم منبرينا حينه إلى المسلمين وخرقه ساموس شرعهم. وكذلك أن كنا أخوه وأبوهام لإمبراطور محرمين من جهة البابا برومية. والبابا برومية يقولون أنه خليفة المسيح عليه السلام، عندهم والقديم مقامه، إليه الحريم والتحليل والقصع والفصل وهو الذي يمس الملوك تاج التملك ويقومهم، ولا يتم لهم أمرا في شريعتهم إلا به، ويكون راهب، وإنما مات قام مقامه من هو أيضا منصف صفه الرهبانية.

ولقد حكى لي وأنا ببلادهم حكاية عجيبة، أن مرتبة الإمبراطورية كانت قبل لإمبراطور فرديريك الذي تقدم ذكره، لأبيه قبله، وأنه لما مات، كان أبوه فرديريك

(1) من ينظر في خريطة الأندلس في بعض من قرون إيطاليا من اسمها بحسب المعروف الجغرافية لدى الشرقيين آنذاك

(2) البحر حسب هيريني

(3) هذه معلومة ثمينة حول الحياة الثقافية لمجموعة المسلمين في مدينة لوحاد (الوسيرا) وهم بكر من ممرودا ويتبو وأصبح أن مؤسس 'دار تعلم' للموسسة العلمية المذكورة لاحقا. هذا هو منبريني، كما أن كتاب قد شرع في إشارة للكتاب.

(4) Carlo d'Angio آخر ملوك نوبس التاسع

شأن في أول تعرضه، وأنه طمع في هذه المرتبة جماعة من ملوك الفرنج، وكل منهم رجا أن يوضعا إليه بابا رومية. وكان فرديك ملكا حبيب، وهو من الأكرام، جني من أجتان الفرنج، فاجتمع بكل واحد من الملوك الذين صمعو في مرتبة الإمبراطورية على انفراد وقال له: "أني لا أريد هذه العرشة فإني لا أصلح لها، فإذا اجتمعنا عند الملك قل له أنت أني قد قلنت فرديك هذا الأمر، ورصيت بما يوصي به قائد ابن الإمبراطور المعاصي، قل لا أختار من كل أحد إلا أسب، وقصدي الانتماس بك والاعتداد بك". قال فرديك هذا القول لكن واحد منهم على انفرد، فكل منهم وثق إليه واعتقد صدقه فيه. فلما اجتمعوا عند البابا بمدينة رومية الكبرى، ومعهم فرديك، وكان قد تقدم إلى جمع كثير من الألمانية الشجعان بأن يكونوا راكبين خيولهم قريبا من الكنيسة العظمى التي برومية، التي فيها المجمع المذكور. فلما اجتمع الملوك قال البابا ما تريد في أمر هذه المرتبة، ومن هو الأحق بها؟ ووضع تاج الملك بين أيديهم، فكل منهم قال حكمت فرديك في ذلك، وما يشير به فهو الذي قبله وأشير به، فإنه وإن الملك الإمبراطور وأحق الجماعة أن يسمع قوله في ذلك، فقام فرديك، وقال: أنا ابن الإمبراطور وأنا أحق بمرتبة وتاجه، والجماعة كلهم قد رضوا بي واختاروني، والباب لا يختار إلا ما تختار الجماعة ويتفقون عليه، ووضع التاج على رأسه، ولبسوا كلهم، وخرج مسرعا والتاج على رأسه، وركب، وركبت الجماعة معه الأكرامية الذين تقدم إليهم بأن يفخوا قرب الكنيسة، ولسر بهم على حمية إلى بلادهم، ثم بعد ذلك صدرت منه أمور توجب عندهم تحريمه. فحرموه.

قال وبلغني أنه كان الإمبراطور بمكا، قل للأمير فخر الدين بن الشيخ، رحمه الله، أخبرني عن هذا الحليفة للذي نكم. فقال فخر الدين: هو ابن عم سيد محمد صلى الله عليه وسلم^(١)، أخذ الخلافة عن أبيه، واحدها أبوه عن أبيه، وحلافه مستمرة في بيت النبوة لا تخرج عنهم، فقال الإمبراطور ما أحسن هذا لكن هؤلاء تغلبون العقول - يعني للفرنج - بأحقون رجلا من المريلة ليس بيه

(١) إشارته إلى حلفاء العباسيين من سلالة عباس عم محمد (صلى الله عليه وسلم)

وبين المسيح صليب ولا سبب، جاهلا (علاما)، يحاطونه حلقة عليهم إنما مقدم
المسيح فيهم، وهو لا يستحق هذه المرونة، وأنتم خليفةكم ابن عم نبيكم، فهو 'حق'
الناس يربيته⁽¹⁾.

وبما قصت الباب واحو ريداهن بن الإمبراطور محفرب ابن الإمبراطور،
قبلاه وهرما عسكريه وتخصا عليه، فتقدم البابا بتخحه فتدج، ومثلك أحوه البلاد⁽²⁾
استى كات بيد الإمبراطور واستولى عليها، وكان هذا سنة ثلاث وستين ومستمائة
(1269)، في غالب طي.

رسالتا فردريك العربيتان

(تاريخ المنصور، 24-37)

سنة 627 (1229) ... وفيها وصل بحزن⁽³⁾ الرسول الإمبراطور إلى الكامي،
وعلى يده كتب إلى فخر الدين بن شيوخ للشيوخ⁽⁴⁾ بما نسخته: بسم الله الرحمن
الرحيم، عرانه ترجمته

"قبصر المعظم، إمبراطور رومية فردريك بن الإمبراطور هريك بن
الإمبراطور ليزريك المنصور بالله، المفخر بقدره المستعلي بعزته، مالك ألمانيا
ونمبردية وتسقنه وإيطاليا وأنكردة وقلورية وصفلية ومملكة الشام القدسية، معز
بإمام رومية⁽⁵⁾، الناصر للملة المسيحية.

بسم الله الرحمن الرحيم

(شعر)

(1) ينصح من هذه المعاطع وغيرها أنه كانت تسرد آراء تقارب بين الحقيقة والباطل. ذلك رغم
لاختلاف التعريف الواضح بين هذين المنصنين من التواحي للثنية والتدريج.

(2) ومثلك أحوه البلاد' مهور في النص والصحيح: ومثلك أحوه ملك مرس البلاد، ي. Caviglioglio
d'Angio وهذا ما يوضحه حتى أبو القدا الذي نسخ عن ابن راصل.

(3) حزن في ما بين التهرين كانت تابعة لسيادة الأيوبيين.

(4) وقد رأينا أنه مرسوم لكامل وتليل/مستشر الإمبراطور في الأراضي المعظمة.

(5) من مهارل التروموكول.

رجلسا وحلفا للقلوب موعمة تظلت عن الأجسام والجنس والنوع
وأنت على ألا يخلّ بولكنكم ملأى الدهر وانصرفت تكف عن طوعى^(١)

لو ذهبنا إلى وصف بما نجد من عظم الشوق، وتكئده من اليم، الاستيحاء
والثوق. إلى المجلس المسمى القحري (قصر الخير)، لأرم الله أيامه، ومن أعوامه،
وثبت في الرئاسة لأدلمه، وحرّم مودته وأكرمه، وأجرى على سبيل المجاح
(البجاجة؟) عرامه، وسدد عهده وكلامه. وأجزل عن الدعم أفسامه وجسد مع
الجنين سلامه، الأزمان في الخطاب شططنا، وحدنا عن الصواب شطنا. إذا صب
بروعة استيحاء بعد سكن وإيسار، ولوعة فراق في أثر غبطة واشتياق، فرب
السلر ممتعا، وحبل النجل مصطفا، ومأصول التماثل قد عاد جرف، وشمل
الاصطبار منصدها، إذا رجلت^(٢).

ولقد كنت لو خيرت بين مراقكم وبين حمامي، فليت يتركني بحبي
وثمأ له، أكرمه الله ملك، واعتاص بغيري واحترافا، وتقالا وداد،
فعرينا أنصدا بقول أبي الطيب^(٣):

ب. ثرحت عن قوم وقد قدروا أن لا تفارقهم فالرحلون هم
وبعد، فعلمنا أنه محب لسماع السار عن أبنائنا وأخبارنا، والحمد من آثارنا،
فتشعر: حسب ما شرحده^(٤) بصياده، أن الباب بناء بالمر والنديمه^(٥)، أحد
إحدى فلاحنا المديحة، تسمى بنت قيس^(٦)، أسلمها نه أنطها الثعبين، وعد للأرم
لمريد، فلم يمكنه لانتظار أهل طاعتنا ترجوعنا السعد، فاصبر إلى أن زعم أنك
مست، وحف القرخانية على ذلك وعلى أن رحوضا مستحيل، وراووهوا حذاع العامة

(١) شعاب في هذا القسم الأول ليات الشعر والنثر المعجوج وتعبير، أسلوب العصر استصوري
المعروف في البلاغة العربية، عن الأسمى على حد التحقيق لكن النص غير موثوق على
الأطوار.

(٢) طبع ماري السطور الثانية على أنها نثر، لكننا نرى صوقه شعريه في هذا النص الساف
وخاصة في سطره الأول

(٣) الممتني الشاعر الأعظم من القرن العشر

(٤) Montecassino

مثل هذه الأساطيل، وأنه ليس أحد بعدك يحسن حواية ثلاثا وحفظها برسم ولد
مثل اليابا، فلايمان هؤلاء الذين هم أئمة الدين وحلفاء الواريين، اتحدت جمعة
من الطعام والمفستين، فعدت وصولنا إلى ميذا متدريس المصونة، ألقينا المنك جوان
واللعربيين، في الدحول في ملكنا معاندين⁽¹⁾ (ونما) وقع خير ورودنا متفكيكين،
بما قرره الفرحالة عدهم بآئيم. وكتبتا ورسلا بوصولنا سالمين، وأهل أعاد
الحجر وحس بهم الروع والفرع، وبكسوا إلى ورائهم حاسرين مسافة يوم (يومين)،
وارتد أهل طاعتنا طائين (طائعين) وذلك للميريين، الذين كانوا معظم عسكرهم لم
يرصوا لأنفسهم أن يوجدوا على سيدهم مخالفين مخالفين، وأصروا على سبهم
جمعين.

وأما المنك المذكور وأصحابه، فأحاط بهم الحياء والخوف، واجتمعوا إلى
موضع ضيق يحالفون التصرف عه والخروج منه، بل لا يفترقون على ذلك، لأن
بلاد بأسرها قد عادت إلى طاعتنا. ونحن في حال ذلك قد جمعنا عسكر مديدا
من الألمان، الذين كانوا معنا في الشم والندى انصرفوا قبلهم ورمتهم الريح إلى
بلاد، وغيرهم من أمثالك ورؤساء دولنا واستقلنا نجد السير إلى بلاد أهدت.
وبعد، فمما يؤثر من المجلس، مواصلة كتيه، متصنة شرح سعيد أحواله ومهماته
وحاجته، وأن يقرى سلاما على جميع أكابر العسكر وعلمائه ومملوكيه ودخلته،
والسلام عليه ورحمة الله وبركته. كتب بيرلث المصونة بتاريخ الثالث والعشرين من
شهر أوبس لاندنس (الاندننس) الثاني (22 آب/أغسطس 1224).

وهذا نسخة الكتاب الثاني، المترجمة كالأول، فيه من الأخبار ما

شعره...

أن قد جمعنا عسكرا كثيرا، وأنا بحد بالمصر إلى قتال من هم يسطروا ولم
يهرب منهم وجهتنا، والأش قد حدث من الأمر حسب خدمنا، وذلك أنهم قد

(1) بحث عن جيش ألينا جورج التاسع أو الكتيب المسلحة من حملة سيرة المعانيخ النبوية
التي غزت سنة 1226 بقيادة ملك النمس السابق (Johann de Brienne) ممكة بوب
وصفيته وانحسرتها خلال تعيب هودريك الثاني عنها لوجوده في الحملة الصليبية الثالثة
لامبراطور هذا الجيش وألزم اليابا بالاسلام عام 1230. (المترجم عن موسوعة بريكلي
Ireccan).

حاصروا قلعة من قلاعنا^(١)، ونصبوا عليها للمجيبات وما شئبها من الدبابات والآلات فلما أحصوا بإقياننا مع بعد المسافة بينهم، لم يتمهلوا إلى (٠٠) بل أحرقوا ما عملوه من سائر آلاتهم، وانهمزوا هاربين أمامنا، ونحن نجد السير في طلبهم ونفريق شملهم وتبديد جمعهم، وطلب الدانا حشر (حشرا ٢) ورده حاشي (حاشي ٢) عني قفاه، نادما على ما جواه. وما نجد من الأخبار، فحصل مكاتب المحسن من شاء الله.

العرض من اثبات هذه الكتب، تحقيق معاليك عمها الملك لإمبراطور، وقدرته. لما ملك من النصرانية مثله، من زمن الإسكندر وإلى الآن. لا سيما قدرته وإسهاله لحليفهم للبابا، وقصده له وأطراحه إياه.

(١) يسر الله، 120280، وحدث عسكري جرى في أيلول/سبتمبر 1229

كانت آخر الحملات الصليبية للحملة المصرية التي قادها لويس التاسع الذي عدد لوفغارغ بالصلاح تلك الأمانة التي لم تنعصت قبل ثلاثين سنة على المبعوث البهري بولاجو وجون دي بريس. أهم مؤرخي هذه الحملة المصرية الثانية من العرب كان ابن واصل ومقري، فالأول عاصر الحملة وكان شاهد عين على الوقع المروية، أما الثاني فكان متأخراً وهام كالعادة بالتصنيف عن مصادر سابقة، وقد تابع عن قرب رواية ابن واصل ثم أغناها وروى عنها بتفاصيل مختلفة استقاها من مصدر مختلف أو من مصدر مشترك مجهول. يستقي هنا لأحداث الأساس التي صاحبت الحملة الصليبية من ابن واصل، بينما نقدم عن مقرري بعض الوثائق والتعليقات الإسلامية على معامرة ملك فرنسا ثم نختم بالإشارة إلى حملته التوسية التي قادها بعد عشرين سنة وفارق خلالها الحياة.

حملة سان لويس وصول الفرنج إلى الديار المصرية وتملكهم ثغر دمياط

(ابن واصل 356R - 357R)

وبما كانت ثاني ساعة من دهار يوم الخميس لتسع بغير (عشرين) صفر من هذه السنة، وهي سنة سبع وأربعين ومنعابة (5 حزيران/يونيه 1249) وصلت مراكب الفرنج، وفيها حموعهم العظيمة، وقد انصمت إليهم أفرنج الساحل جميعها، فارتسوا في البحر ليلان المسنين. وفي هذا اليوم وهو يوم السبت شرعوا في المروب إلى البحر الذي فيه المسلمون، وصرفت حيمة الفلك أريد الفرس وكانت

حمر . وما وشوهم بعض المسلمين بعض المناوشة فاستشهد في ذلك اليوم لأمير نجم الدين بن شيخ الإسلام، رحمه الله وقد قنمنا ذكره، ولأنه كان هو وأخوه شهاب الدين يونس - يونس - الملك الصالح وهو بالكرك، بأمر الملك الناصر . ود لهما بذلك، وكان رجلاً صالحاً. واستشهد أيضاً مر أمير مصر أمير يوا إلى له الوريث، فلما آمن المسلمون رحل بهم الأمير . فحمر الدين يوسف بن شبح الشيوخ⁽¹⁾، وقطع بهم الحمر إلى الجانب الشرقي الذي فيه دميطة، وحلوا البر العربي للفرنج، ولما عدوا فخر الدين يوسف بن الشيخ، وحصل عند العسكر منع بسبب مرض السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب، فلم يكر لهم من يردهم ولا يردعهم، فرحل فخر الدين يوسف بن الشيخ، إلى جهة أشمون صباح، والعسكر إلى البر الشرقي. وحلوا البر الشرقي من عساكر المسلمين.

وخاف أهل دميطة على أنفسهم أن يحصروا وكان فيها جماعة من الكنانية شجعان، فألقى الله سبحانه وتعالى الرعب في قلوبهم، فخرجوا هم وأهل دميطة على وجوههم طول الليل، ولم يبق بدميطة أحد بل تركوها صفر من الرجال والنساء والصبيان. ورحلوا في الليل مع العسكر هاربين إلى أشمون صبح، وكان هذا فعلاً قبيحاً منهم ومن فخر الدين والعساكر. فخر الدين يوسف، لو منع العسكر من التهرب وأقام لا تمتعت دميطة. فإن دميطة في الكرة الأولى لم يزلها الفرنج أيام الملك الكامل، كانت أقل دحار وعد، ولم يقدروا للفرنج عليها، لا بعد سنة، فلما توريت سنة خمسة عشر ومستمائة (1218) وأخذت سنة ستة عشر ومستمائة (1219). ونم يتمكن العدو منها إلا بعد أن هي أهلها بالوباء والجوع. والكنانية وأهل دميطة، لو غلبوا أيوبها وتحصنوا بها بعد رجوع العسكر إلى أشمون صباح. لما قدر للفرنج عليهم، وكانت العساكر ردت إليهم ومنعت عنهم، والأقوات والآلات والتعدد كانت عندهم في غاية الكثرة، فكانوا قدروا على حفظها سنتين وأكثر من ذلك، ولكن إذا أراد الله أمراً فلا مرد له. ولكن أهل دميطة كانوا معوزين لأنهم لما رأوا هرب العساكر وعظموا مرض السلطان، حاسوا أن يستمر

(1) هو نفسه الذي روي أنه قبل عشرين سنة يسير المقلاصت مع هيتريت، وقد يصحح الال لادوي
الملك الصالح للمريض في قيادة الدفاع المصري.

عليهم الحصار مدة طويلة فهلكوا جوعاً، كما هلك أهل دمياط في المرة الأولى.

قال: ولما أصبح الصباح يوم الأحد لمسبح بغير (23) من صفر جاء الفريج إلى دمياط فوجدوها صفراً من الناس، وأبولجها مضخة، فملكوا صفراً وعصوا، واحتووا على ما كل فيها من اللعد والأسلحة والدخاير والأقوات والمساكين. وكانت هذه مصيبة عظيمة لم نجر مثلها. قال صاحب التزيح: ووردت يوم الأحد إلى الأمير حسام الدين محمد بن أبي عني الهندي، وأنا معه، بطاقة منك، فاشتد الجوع والخوف، ووقع اليأس بالديار المصرية بالكيفية، لا سيما والسلطان مريض، وقد صنعت قوادع الحركة، وليس قد بقا له قدرة على ضبط جسده، وقد شدد طمعهم فيه. ولما وصلت العساكر وأهل دمياط إلى السلطان، حقق على الكنانيين حقاً شديداً، وأمر بشفقهم، فشفوا جميعاً، وتكلم مما فعله فخر الدين والعسكر، لكن الوقت كان لا يحتمل إلا الصبر والإعانة عما فعلوه.

رحيل السلطان الملك الصالح إلى المنصورة ونزولهم بها

(ابن واصل ٢٠٧-٣٥٧)

ولم جرى ما ذكرناه، رحل السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب بالعسكر إلى المنصورة فزل بها، وهي للمنزل التي كان لهو الملك الكامل لزلها بوية بمياط، الأولى، وهي شرقي النيل في قبالة جرجر. وبينها وبين الجزيرة التي هي بر دمياط^(١) بحر أشمون طناح، وكنا نذكرنا أن الملك الصالح نجم الدين أيوب كان أمر ببناء الأبنية فيها وحفر بينها وبين البحر سوراً ولأبيه الملك الكامل فيها قصر، عتلي على بحر النيل، هنرته الملك الصالح وصرب دبلره إلى حدسه

وكان استقرار السلطان بالمنصورة يوم الثلاثاء خمس بغير (2٩) من صفر، وشرعب العساكر في تجديد الأبنية وقامت بها الأسواق وأصلح السور الذي على

(١) هي قطعة بنية طويلة غير كثيرة وبحيرة منزلة على طرف دمياط.

البحر وسر ما ستاير ، وجاءت الشولاني والحراريق وهما العدد الكاملة والمفصلة ، فأرسلوا قدم الصور . وجاء إلى المنصور من الرجالة والحرافضة والعمرة المطوعة من ساير النواحي خلق كثير لا يقع عليهم الإحصاء . وورد من العرب أعم كثيرة وشرعوا في الإغارة على الفرنج ومنازلهم ، وحصن الفرنج أسوار دمياط وشحوه بالمعونة . وفي يوم الاثنين سلخ (أحر) ربيع الأول ورد إلى القاهرة من أسرى الفرنج الذين قطعهم العرب وغيرهم ستة وأربعون أسيراً منهم فارسي ، وفي يوم السبت لحسن مصير (خمسة) من ربيع الآخر وصل أيضاً منهم سبع وثلاثون أسيراً أسرى العرب والخوانسارية ، ثم دخل منهم إلى القاهرة أيضاً ثلث وعشرون أسيراً أحدهم من غرة ، وكان دخولهم لسبع مصير (سبعة) من ربيع الآخر وفي يوم الأربعاء لأربع عشر ليلة بقيت من ربيع الأول (13) وصل أيضاً منهم خمسة وثلاثون أسيراً ، منهم ثلثه من الحيلة . وورد يوم الجمعة لخمس بقين (24) من ربيع الآخر ، بأن عسكر السلطان الملك الصالح بدمشق خرجوا إلى صيدا وتسلموها من الفرنج ، ثم كان بعد كل قبل يصل من الفرنج أسارى ، جمع بعد جمع ، ووصل منهم لاثني عشر ليلة بقيت من جمادى الأول (30 آب) خمسين أسيراً ، وهذا يجري والسلطان الملك الصالح يتزايد مرضه وقواه يصف ويتلاشى ، ولأطباء ملزمون له ليلاً ونهاراً ، وقد وقع بأسهم من عافيته ، ونفسه مع ذلك وعزيمته في غاية القوة ، ونعاصد عليه مرضى عظيمان الحرجة في مفاصله والسئل .

تقدم الفرنج ونزولهم قبالة عسكر المسلمين

(ابن راس 364r - 365r)

ولما تحقق الفرنج موت السلطان (15 شعبان 24/647 تشرين الثاني نوفمبر 1249) للملك الصالح نجم الدين أيوب ، رحلوا من دمياط بفارسهم ورجالهم ، وشرعوا في البحر تحاربهم . فنزلوا على فارسكور ، ثم تقدموا منها مرحلة ، وملك يوم انجميس نجمي بقين من شعبان (24) من هذه السنة ، وفي عدد هذا اليوم ،

وهو يوم الجمعة ورَّ من الأمير فخر الدين يوسف كتاب يهدد الناس ويأمرهم بالجهاد، وفيه علامة تقيده علامة الملك الصالح⁽¹⁾ نجم الدين أيوب، ليضرب الناس أنه كتابه، أوله: [انفروا حفاقاً وثقالاً وجاهدوا في سبيل الله بأموالكم وأنفسكم ذلكم خير لكم] كُتِبَ تَعْلَمُونَ⁽²⁾. وهو كتاب بليغ، أظنه بإنشاء بهاء الدين رهير⁽³⁾، وفيه موعظة جميلة، تحريض على قتال الكفار، ولأن الفرنج قد قصدوا السير المصريه والبلاد الإسلامية بجدهم وحديدتهم، وقد أطمعنهم أنفسهم بملك البلاد، وقد وجب على المسلمين كافة، للتدبر إليهم وتقوم عن البلاد فقري هذا الكتاب على الناس بالمندبر بالجامع بالصلاة بالقاهرة، فيكي الناس بكاء كثير، وانزعج الناس لذلك، وخرج من القاهرة ومصر وسائر الدواحي خلق عظيم. وعظم الخوف لموت لسلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب. وتمكن الفرنج بملك دمياط وكرهم، وتحققوا أنه إن انتفع العسكر الذي بالمنصورة إلى زيارتهم مرحلة واحدة، ملكت ديار مصر أجمعها في أسرع الأوقات.

ولما كان يوم الثلاثاء مستهل شهر رمضان (8 كانون أول/ديسمبر 1249) وقعت بين الفرنج والمسلمين وقعة عظيمة، استشهد فيها أمير مجلس معروف بالعلاني وجماعة من الأجدد. ومرت للفرنج بمرمياح (شرم شاه). وفي يوم الاثنين لسبع مئتين من رمضان (7)، مرت للفرنج البرصور، وكثر الاضطراب بسبب ذلك منك (الفرنج من عساكر المسلمين). وفي يوم الأحد لثلاث عشرة ليلة مضت من رمضان (13)، وصلت للفرنج إلى طرف جزيرة دمياط، وصاروا إلى مقابلة المسلمين ومعظم عسكر المسلمين في المنصورة، وهي في النهر الشرقي، وجماعة من العسكر وأولاد الملك الناصر داود بن الملك المعظم⁽⁴⁾، وهم لملك

(1) صواب: من إهداء خبر وفاة السلطان ريتف يصل إليه الملك المعظم، يعتقد المرء علامة

الملك هي توقيعه (أو ختمه) على وثائق الدولة.

(2) قرين (كريم) الآية 41 من السورة 9 (التوبة)

(3) شاعر ليبي وكتّاب (لاي للسلطان)

(4) المعظم الذي عرفناه وهو أخو الملك وفير الناصر داور (صاحب دمشق ثم الكرك) ويجب أن

يعرف بأنه ليس للمعظم نورثاشاد بن الصالح الذي يظن هذا إيراد وهو آخر غربي مصر

حاصره وأن لقب الأمراء الأيوبيين تحطت بحجب تشابه الأسماء

لأمجد، والملك الظاهر والملك المعظم والملك الأوحده، والأكبر فيهم في أسر
العربي، وكانوا أولاد الملك الناصر الأكبر والأصغر الذين قسما سفرة ثنتي
عشر ونداً ذكراً، وكان دليلاً أيضاً أحو الملك الناصر داود الملك الظاهر، والملك
المعيت. ولما برزت الإفرنج بجسوعهم في طرفة الجزيرة التي فيها دمياط، وصدروا
في معبته المسلمين، حنقوا عليهم حنقاً، وأدبروا عليهم سوراً ستروه بالسدير،
وعصوا لمباييق يرمون بها المسلمين. ونزلت شوائبهم في بحر النيل، وشوحي
المسلمين براء المنصورة، ونشب القتال بين الفريقين براً وبحراً.

مبايعة المسلمين في المنصورة، ومقتل الأمير فخر الدين يوسف ثم انتصار المسلمين بعد ذلك على الفرنج

(ابن واصل، 365v، 366v)

قد ذكرنا استقرار الفرنج في قبالة المسلمين، واتصال القتال بين الفريقين،
وبينهما بحر أشمون، وهو بحر صغير فيه محايض رقاق. فدل بعض المسلمين
الفرنج على مخاضة يسنمون. فركب الفرنج وقصدوا المحاضة ليكره الثلثا لحسن
مض من ذي القعدة (10 شاطبر/يناير 1250). فلم يشعر المسلمون بهم إلا وقد
خالطو معسكرهم، وكان الأمير فخر الدين يوسف من شيخ الشيوخ يعش في
الحمام، فداه الصريح بأن الفرنج قد دهموا المعسكر، فركب دهنأ غير مستعد ولا
متحفظ، فسأفوه جداة من الفرنج⁽¹⁾ فقتلوه رحمه الله. وكان أميراً مصلحاً عالم
مدبها جواد سمحاً عالي الهمة كبير النفس، وما كل في أهله مثله بل في ولا في
غير أهله، دل من الدنيا سعناً عظيماً ومكانة عالية، وانتهى إلى قريب رتبة
ملك الصالح نجم الدين أيوب، وكانت ختمته ترف إلى الملكة، وحسن الله له
بالشهادة⁽²⁾ رحمه الله ورصى صه.

(1) نفس رواية معززي أكثر وتقول فدم كلوا فرقة من الدلية (فرسان الهيكل)

(2) كان في الواقع الوصي على عرش مصر في الفترة بين موت الصالح وتوليحه ابنه المعظم قبل
أن يصل من مصر من مابين القهرين.

ودخل ملك الإفرنج ريدا فرنس المنصورة، ووصل إلى القصر الذي
 للسطن، وغرق الفرنج في أرقعة المنصورة، وهرب كل من فيها من الجند والعمه
 واسوقه بمبأ وشمالاً، وكانت ثقافة الإسلام تتأصل، وليس الفرنج بالطفر. وكان
 من معادة المسلمين تفرق الفرنج في الأرقعة: واشتد الأمر وأعصل الحطب،
 فأحت الطايفه التركيه، معاليك السلطان الملك للصالح نجم الدين أيوب من
 البحريه والجمداريه^(١)، أسود الحرب وفرسل الهجاء، وحملوا على الفرنج حمه
 وحده. فرعرعوا بها أركانهم وهتوا ببياتهم، وأخذت الفرنج السيوف والسبيس من
 كل جانب. فأتحنوا البحريه فيهم القتل والجراح وطرحوهم في أرقعة المنصورة.
 فكانت عدة ما قتل من الفرنج ألف وخمسمائة فارس من فرسانهم وصدديدهم
 وشجعدهم، وأما رجالة الفرنج فكانوا قد جاءوا على الجسر المنسوب على بحر
 أشمون ليعدوا منه. ولو تراخى الأمر وعدت الرجالة إلى المسمين وتكاملوا فيه
 لأعصل الداء، فإن الرجالة كانوا جمعاً عظيماً وكانوا حملوا فرسهم (لكن هذا لم
 يكن). ولولا ضيق مجال القتال، فإن الحرب كان بين الأرقعة والدروب، لكانوا
 ستأصلوا - استوصلوا - الفرنج عن احدهم. لكن سلم الباقون منهم ومضوا إلى
 جديلة، فاجتمعوا بها، ودخل الليل ففرق بينهم.

وصروا على جديلة سوراً، وحندقوا حندق طيهم، وأقامت طائفة منهم في
 البحر الشرقي، ومعظمهم في طرف الجزيرة المنصولة بدمياط، وعلى الطائفتين
 الحندق والسور. وكانت هذه للواقعة أول النصر ومفتاح الظفر. ووردت البطاقة
 إلى الدهرة، فأحصرت إلى حسام الدين محمد بن أبي علي^(٢) بعد الظهر من يوم
 نوقعة. ومضمونها أنه: سُرّج للطاير، وقد هجم العدو المنصورة والحرب قائمة،
 والقتال بين المسمين والفرنج شديد، وليس في البطانة غير ما هذا معه، فترجع
 وانزعج المسلمون كافة، وطلب على الظنون دوار الإسلام. وورد المسلمون آخر

(١) ... اشتد الحطب حتى هجبت الطائفة التركي... الخ (عن غابرييلي) والبحريه خرجت
 من بينهم أولاً مجموعة معاليك وسماو كذلك لأنهم كانوا يعكرون في بحر النيل في الدهرة.
 أما الجمندرية فكانوا نوعاً من الختم بين المعاليك.

(٢) مصروف القاهرة ثم وزير يعمل لوجه كتيبا ليس وليس

سهر ، وبقا باب بالنصر⁽¹⁾ معقوحاً طوال ليلته، وهي ليلة الأربعاء، والجسد والعممة والكتاب والمنصرفون يدخلون منه منهرمين، ولا علم لهم بما تجدد بعد دخول الفرج المصورة. وممن دخل تلك الليلة وحده إلى الأمير حسام الدين القاسمي تاج الدين المعروف بابن بنت الأعر، وكان متولي النظر بدويان للصحة وبقيت القلوب مبرجة إلى أن طلعت الشمس من يوم الأربعاء، فوردت للبشرى بالنصر، ورزى البلد مصروف للشارع وعظم للسروز والفرح بالانتصار على الفرج، وكنت هذه أول واقعة انتصر فيها أسود للتريك على كلاب الشرك، ووردت للبشرى على الملك المعظم بذلك وهو في الطريق، فجد في السير إلى الديار المصرية.

وقرع أسطول المسلمين على مراكب الفرج وضبط الفرج

(ابن واصل، 368r.v)

ولما استقر الفرج بمنزلتهم، كانت تأتيهم الميرة من دمياط في بحر النيل. فعمد المسلمون إلى مراكب شحوها بالمفانته، وحملوا على الجمال إلى بحر المحنة⁽²⁾، وألقوها فيه، وفيه ما من ريادة النيل واقعة، لكنه متصل بالنيل. فلما حاورت مركب الفرج، وهي مقلعة من دمياط في بحر المحنة، وتلك المراكب التي للمسلمين مكنه، خرجت عليها تلك للمكنه في بحر المحنة ووقع القتال بين الفريقين. وجاءت أساطيل المسلمين من جهة المنصورة متحدرة إليهم، والتقى لأسطول والمركب التي كانت مكنه، فأحاطوا بالفرج فأحرقوه ومركبهم أحد باليد. وكانت عدة المراكب المأخوذة للفرج لثنتين وخمسين مركباً، وأسر من كان فيها نحو ألف رجل، وأخذ جميع ما فيها من الميرة، ثم حملت «أسرى على الجمال وقدم بهم إلى المعسكر. وانقطعت الميرة بسبب ذلك عن الفرج، ووهوا وحما عظيم واشتد عدوهم للفلاح، ونعوا محبوسين لا يستطيعون المعام ولا الذهب. و (استصرى) عليهم المسلمين، وطمعوا فيهم.

(1) أحد أبواب القاهرة ومنزل قسماً

(2) نزع ميت من النيل ذكر في أحداث الحملة الخامسة

وفي مستهل ذي الحجة (7 آذار مارس 1250)، أحد الفريج من مراكب المسلمين التي هي في بحر المصطة سبع حرايق، وهرب من فيها من المسلمين وفي ثاني ذي الحجة، تقدم الملك المعظم إلى الأمير حسام الدين في الدحور إلى القاهرة، وفي المقام بدار للوزارة، ليجرى على عاقبته في نيابة السطوة، قال صاحب لتاريخ القاضى جمال الدين بن واصل: «وخلع على وعلى جماعه من الفقهاء الذين وردوا إلى خدمته، ووصل إحصان الملك المعظم إلى كل من قصد بابه». قال: وبحلت القاهرة مع الأمير حسام الدين وفي يوم الاثنين لتسع مئتين من ذي الحجة (9)، وهو يوم عرفه⁽¹⁾، خرجت شوالى للمسلمين على مراكب وصلت للفريج تحمل الميرة، والتفوا عند مسجد النصر، وأحدث شوالى المسلمين من مراكب الفريج اثنين وثلاثين مركباً، منها سبع شوالى، فارتاد عند ذلك ضعف الفريج ووهنهم، ولوى العلا عدهم. وعند ذلك شرعت للفريج في مراسلة المسلمين وطلب المهادنة منهم، ووصلت رسالتهم، فاجتمع بهم الأمير ريس الشير، أمير جدار، وقاضى القضاة بدر الدين، فرغب الفريج أن يسلموا دمياط إلى المسلمين على أن يأخذوا بذلك بيت المقدس وبعض الساحل، فلم تقع الإجابة على ذلك. وفي يوم الجمعة ثلث يمين من ذي الحجة (20) أحرقت الفريج أخسبهم كله وأبقوا مراكبهم وعزموا على الهروب إلى دمياط. وخرجت هذه السنة (647) وهم مقيمون بمنزلتهم في مقبلة المسلمين.

هزيمة الفريج واستئصالهم والقبض على ملكهم ريدافرنس

(ابن واصل 369r، 370r)

وبما كانت ليلة الأربعاء ثلث مئتين من المحرم من سنة ثمان وأربعين ومستمدة (7 نيسان/أبريل 1250)، وهي الليلة الغرا المسورة عن النصر الأعظم، والفتح الأكبر، رحب الفريج بغارسهم ورجالهم متوجهين إلى دمياط ليستصنعوا بها، وأحدث مراكبهم في الانحدار في البحر قبلتهم. وعلم المسلمون بذلك فتبعوهم وركبوا أعقابهم بعد أن

(1) يوم عظيم في الحج الاسلامى.

عدّو إلى برهم، فاتبعهم. وطلع الصباح من يوم الأربعاء المذكور، وقد أحاط المسلمون، وبنقوا فيهم سيوفهم وأحاطوا عليهم قتلاً وأسرّاً، فلم يسلم منهم أحد. فسكر أن عدة الفتي بلغت ثلثين ألفاً. وكان لعماليك السلطان، للملك الصالح نجم الدين أيوب، البحرية في هذه الواقعة، المهمة العالية والتقدم العظيم. فأدافوا العريج البلاء، وكان لهم الحظ الأول، كفوا قاتلوا قتلاً شديداً، وهم الذين قدموا على لشاع العريج، وهم كانوا دأوية الإسلام⁽¹⁾. قال: وفجار الملك ريدافرنس الملعون والأكابر من ملوك العريج إلى نل مونة (المنيا) مستسلمين طالبيين الأمان. فأمدهم الطواشي جمال الدين محسن الصالح، فزلوا على أمانه وأحيط عليهم كلهم، ومضوا بالملك ريدافرنس ومن معه من ملوك العريج إلى المنصورة. فصرخوا في رجل للملك الكبير ريدافرنس الفهد، وكذلك جميع من معه من الملوك، واعتقل في تدوار التي كان داراً بها كاتب الإنشاء فخر الدين بن لقمان، ووكل به الطواشي صنيح المعظمي، وهو أحد خدام الملك المعظم توران شاه بن الملك الصالح نجم الدين أيوب، وهو من قدم في صحبته من حصن كيفا، فقمه وأعلا شأنه وعظمه.

وفي هذه الكسرة، وفي اعتقال ملك الإهريج ريدافرنس في دار فخر الدين بن لقمان وتركيل الطواشي صنيح به. قال جمال الدين يحيى بن مطروح رحمه الله تعالى:

قل لفرسيس، إذا جنته، مقل حي عن قول نصيح؛
لجراك الله على ما جرى من قتل حباك يسوع المسيح؛
أنت مصرأ، تبني أخذها، تحسب أن الرمر بالليل ربح.
هذلك إلى موضع، ضاق له من ماضيك الفصح.
وكل أصحابك أورتهم، بحسن تدبيرك، بطن الضريح.
حمسون للعب، لا يرى منهم إلا قتيل أو أسير جريح.
وفكك الله لأمتائها، نعل عيسى منكم يستريح⁽²⁾!

(1) وهذا عظم سبيج بمدح عدو به القيمة القتالية لجماعة الدأوية

(2) يعبر المسلمون يسوع المسيح نبياً عاداً لله تعالى بالمعجزات ولهذا فإنه يعتبر هو بالذات كرماء عباد المسيحيين له.

إن كان بابلكم بنا راصياً، قرب غش قد أتى من صبيح!

وقل لهم إن أضرروا عودة لأحد تار لو نهد صبيح:

"أر بن ثعلبي على حلالها، وللقيد لق، وللطولشي صبيح."

قال. ولما جرى ذلك رحل للملك المعظم والصاكر من المصورة إلى جهة سمباط، فترثوا بغار من كور، وهي من أعمال دمياط، وضرب بها دهلير فسطية، ونصب إلى جانبه برج خشب كان للملك المعظم يصعد إليه بعض الأوقات، مخرجاً من نجر دمياط ولو لم يجر على الذرول عليها والدخول إليها، وطلب تسليم من الملك ريدافرس، وهو في قبسته نصل له ذلك في أقرب الأوقات. لكن أبعد عن ذلك سوء التدبير، الذي اقتضاه بما سبق له من التفكير.

مقتل الملك المعظم غياث الدين طوران شاه

(بين واصل 371e.v)

ولم جرى ما ذكرناه من تغير قلوب العسكر منه، خصوصاً مماليك أبيه البحرية، اتفق جماعته من مماليك أبيه⁽¹⁾ على قتله، فلما كان بكرة ثلاثين ليلة بقيت من المحرم من هذه السنة، أعني سنة ثمان وأربعين وستمائة (2 إبريل مايو 250) مذل الملك المعظم السمباط في دهلير، وجلس على طراحتة، وأكل الدس بين بيته، وأكل معهم على ما جرت عادته، ثم فرغت الداس من الأكل وتفرقت الأمر إلى وظائفهم، وقام من مجلسه فطلب الدخول إلى خيمة له صغيرة، فدخل عليه ركن الدين بيبرس، وكان أحد جندرية أبيه، وكل يعرف بتبندقاري، وهو الذي ملك مصر بعد ذلك وألقب الملك الظاهر، وهو الذي كمر المنتز مع الملك المعظم قصر على عين جالوت، ولما ملك، فتح بلاد الإفرنج مثل همد وأشقيف وأبطكة وغيرهم من البلاد. وفتح بلاد الاسماعيلية وكمر القتر مرات⁽²⁾،

(1) بعد أن ميز عناصر أخرى جنبها معه من معين شهرين مثل ذلك الطولشي صبيح ندي قواس
شيو صه

(2) يفسر هذا التقديم الفجائي لبيبرس أن كقبه خير وأصل كس عاملاً يأمره ومساعد بهائه.
فصل عن أن التتبع مطابق للحقبة التاريخية، ومع هذا فانه لا يفتح في تحقيق المظهر التالي (وعد
أر حروب فاصلة أخرى رهية مروعة) الذي شكك لسان قطاقة ملك سلطان مصر المعمل

فصرب الملك المعظم سيوفه، وجرحه في كتفه، وزمى ركن الدين السيف من يده، ورجع الملك المعظم بن الملك الصالح إلى مجلسه واجتمع حوله الناس وأصحابه وبعض مماليك أبيه، فقالوا له: أي شيء جرى؟، فقال: أخرجني أحد البحريه، وكان ركن الدين يمسس التندقاري ولقأ، فقال: زبما فعل هذا بعض لإسماعيلية⁽¹⁾ فقال: أما فعل بي هذا إلا البحريه، فحلفت البحريه حينئذ وأسسعروا منه. ثم قدم وصعد إلى الترح وأحضر الجراحى ابن داوي يده، فاجتمع مماليك أبيه، فحاضوا لما سمعوه ينسبهم إلى أنهم قصفوا قتله، فانقسم هذا إلى ما كان في نفوسهم من إطرأحه لهم، فأحاطوا بالترح، ففتح طائفة واستغاث بالناس فلم يجبه أحد ولا عنه أحد، ولم تاتي إليه أحد من الأمراء المصرية، لأن الجميع كنت قلوبهم باقرة منهم وأحصرت دار ليجرق بها الترح، هزل من الترح، فحمل عليه التندقاري الذي كان جرحه، فهرب على جهة البحر، فكانت فيه حريق له، فأراد أن يسبق لها ويفتصم بها، فأمره فارس الدين أقطايا وصرية بالسيف فقتله، رحمة الله عليه، وكان شاباً ما أطه كان استكمل ثلاثين سنة، ولم أخط علماً بتاريخ موته، وكان مدة ملكه نمصر شهرين (وأياماً)

الاتفاق على تمليك السر العالى، والددة خليل، شجرة الدر وعز الدين التركمانى ليكون أتابك العسكر

(ابن راضى 372c.v)

ولم جرى ما جرى من قتل الملك المعظم، اجتمعت الأمراء والبحريه عند اذهير السحماني، واتفقت كليتهم على أن تكون شجرة الدر والددة خليل الملك الصالح نجم الدين أيوب⁽²⁾ هي للقائمة بأمر السلطنة والملك، وأن الدوايق السلطانية

(1) الطائفة المنتمية التي رأينا أنها متخصصة بالانغليات الميامية.

(2) جارية تركية ولدت للملك الصالح ابنه خليل الذي مات طفلاً. وقد رأى ابن راضى أن بسند هذه المرة للسلطنة كان حدثاً لا سابق له في تاريخ الإسلام، وقد شكل فترة انتقاله بين حرص «داويسوز» على تبرئة منكم وبين النظام العسكري المملوكي الذي حرم عليه على مصر حاصه بعد أن تزوج كثير حسكرهم أيك من شجرة الدر مبتكراً حكم سلاله المماليك

تخرج بأمرها وأسمعها وعليها علامتها. وكانوا عرضوا هذه التقدمة^(١) على حاتم الدين محمد بن أبي علي، وقالوا: كيف كان فمالك الصالح نجم الدين يعتمد عليك، هات أحق بهذا الأمر^(٢) فاستمع، وأشار بأن يكون للطوائفي شهاب الدين الرشيد هو القائم بهذا الأمر، فعرضوا ذلك عليه، فاستمع. فوقع الاتفاق على الأمير عر الدين أيبك التركماني الصالح، فحلف الجماعة كلهم على ذلك. وورد إلى القاهرة لأمر عر الدين أيبك للصالح، وصعد إلى القلعة، وأنهى ذلك إلى والده خليل بن الملك المنصور نجم الدين أيوب، فصارت الأمور كلها معلقة بها، وصارت تترى من جهتها علامة م صورته وألده خليل^(٣). وخطب^(٤) لها بالسنة بالقاهرة ومصر وسائر الديار المصرية، وهذا أمر لا يعرف أنه جرى مثله في بلد من البلاد في أيام الإسلام. وأما الحكم والتصرف فقد جرى مثله، فإن صحيفة ختوي بنت الملك العادل^(٥)، بطرت في أمر الملك خليل وبلادها بعد موت ولدها الملك العزيز، إلى أن توفيت، لكن الخطبة بالسلطنة كانت في أيديها الملك الناصر رحمه الله. قال، ولما قتل الملك المعظم بن الملك الصالح، بقي مطروحا على ساحل البحر، لا يجسر أحد بتقديم إليه، فعدى بعض الملاحين من الجانب الغربي، ودفنه في بر الغرب.

فتح دمياط

(ابن راضل 372v، 373v)

ولما حلف الأمراء والأجناد، واستقرت القاعدة على ما ذكرناه، ووقع الحديث مع ملك الفرنج ريدافرس في تسليم دمياط للمسلمين، وجعل المنتهذ هي ذلك

(١) فهم من التطور السابقه إلى العرض كل ينطق بالسنة، لكن التطور التاليه يظهر أن العرض كان لقيادة الجيش، وسخرى على كل الأحوال أنه عرض مالا جمع هناك المنصور في يد رجل واحد.

(٢) خطبه الجمعة من على منبر الجمعة حيث يدعى لولي الأمل الحاكم.

(٣) روضة انظر سلطان طبع التي مفت في 1216 ومات ليهما التعير في 1236 عندما بدأت ولاية لجدده باسم حجة.

لأمير حسام الدين محمد بن أبي علي، الاتفاق الجماعية على الإقضاء برأيه ومشورته لما يعلمون من عدله وعرفته، واعتماد منكم للملك الصالح نجم الدين أيوب عليه. فجرت بينه وبين رينافرس الملك محاورات ومراجعات، حتى وقع الاتفاق في تسليم دمياط، وأل يذهب بنفسه سالماً. قال للقاضي جمال الدين بن واصل صاحب هذا التاريخ: حكى لي الأمير حسام الدين قال: كان رينافرس ملك لإفريخ عاقلاً طيباً إلى العلية. قال: حكمت له في بعض محاوراتي في م مصاه. كيف خطر للملك، مع ما أرى فيه من فضله وعقله وصحة بهيه أن يتقدم على خشب ويركب متن هذا البحر ويأتي إلى هذه البلاد المملوءة خفياً من المسلمين والعساكر، ويعتقد إنما يحصل له ويملكها؟ وفيما فعل غاية التفرير بنفسه وبأهل مملكته. قال: فضحك، ولم يزد جواباً، فقلت له. إن من شريعتك من ركب هذا البحر مرة بعد أخرى معراً بنفسه وصاله، لا تقبل شهادته إذا شهد فقال الملك: "ولم ذلك؟" قال: فقطب أنا نستدل بذلك على نقصان عقله، ومن كان ناقص العقل لا ينبغي قبول شهادته". قال: فضحك وقال: "إيه قد صدق هذا لقائل وما قصر فيما حكم به". قال صاحب التاريخ وهذا الذي ذكره حسام الدين من قول منقول عن بعض العلماء، لكنه ليس يقوى، لأنه الغالب في ركوب البحر سلامة. وأما ها هنا وجهان: إما لم يكن للألمان وصول إلى مكة إلا بركوب البحر، هل يجب عليه الحج؟ فأحد الوجهين لا يجب، لما في ركوب البحر من الخطر والتفرير بالنفس، والثاني يجب، لأن الغالب إنما هو السلامة.

ولم وقع الاتفاق بين رينافرس والمسلمين على تسليم دمياط، أرسل رينافرس إلى من بمدينة دمياط بأمرهم بتسليم البلد إلى المسلمين، فأجابوا إلى ذلك بعد مشاع ومراجعات بينه وبينهم، وسلموا دمياط إلى المسلمين، ودخل العلم السلطاني في يوم الجمعة لثلاث مصبين من صفر من هذه السنة، أعني سنة ثمان وأربعين وستماية (7 أيار 1250)، ورفع العلم السلطاني على سورده، وأعلن فيها بكلمة الإسلام، وأخرج عن رينافرس، وانتقل هو ومن بقي من أصحابه إلى البر العربي، ثم ركب البحر غداة هذا اليوم وهو يوم السبت، هو ومن معه،

وأُقلعوا إلى عكا. ولَقِم بالماحل مدة، ثم رجع إلى بلاده. وظهر الله أسرار
 المصرية منهم. وكانت هذه النصرَة أعظم من الأولى (١) بأصعاف مصاعفها، لكثرة
 من قتل منهم وأسروا، وامتثلت الحشود بالقاهرة من الفرنج. ووردت البشائر بسك
 إلى سائر الأقطار وأعلن فيها بالفرج والسرور. ونما رحل ريدافرس رحل
 العساكر منرجة إلى القاهرة فتحطوها وقد صرحت البشائر بها أياماً متوالية لنصرة
 المسلمين على الفرنج واسترجاع ثغر دمياط، وهي عجلة الإسلام وثغر البحر
 المصرية. وكانت هذه ثافية لأحد التكفار لها واسترجاعها منهم وبصرفهم
 مكسورين معنولين.

مقدمة حملة سان لويس وخاتمتها

(مقرلي، 334 - 335، 356 - 358)

(وبينما كان في طريقه إلى مصر) سير ملك الفرنج إلى السلطان (الملك
 الصالح) كتاباً، نصه بعد كلمة كرههم (٢):
 أما بعد فإنه لم يخف عليك أني لأمير الأمة العيسوية، كما أني أقول إنك
 أمير الأمة المحمدية. وإنه غير حاف عليك أن أهل جزائر الأندلس يحملون إليك
 لأموال والهدايا، ونحن نسوقهم سوق البقر، ونقتل منهم الرجال ويرمل النساء،
 ونستأسر البنات والمسيحيين، ونحلى منهم الديار. وقد أبديت لك ما فيه الكفاية،
 وبذلك لك النصح إلى النهاية. فلو حثت لي بكل الأيمن، ودخلت على القسوس
 والرهبان، وحملت قدامى الشمع مذعة للصلبان، ما رديت عليك عن الوصول إليك،
 وقد أنك في 'عر البقاع عليك. فإن كانت البلاد لي بها هدية حصلت في يدي، وإن
 كانت البلاد لك والعليّة عني، فيذك العلما ممتدة إلي. وقد تعرفتك وحدثتك، من
 عساكر قد حصرت في طاعني، تملأ السهل والجبل، وعندهم كعدد الحصن، وهم
 مرسلون إليك بأسيايف القصا.

(١) من الحملة الخامسة.

(٢) أي بعد المدائح المسجحة

فلما وصل الكتف إلى السلطان وقرأ عليه، إعرزفت عيه بالشموع
واسرجع. فكتب الجواب بخط القاضي بهاء الدين زهير بن محمد، كتب الإشاء،
وبسحته بعد التسعة وصلواته على سيدنا محمد رسول الله وآله وصحبه أجمعين.
أما بعد فإنه وصل كتفك، وأنت تهتد فيه بكثرة حيوشك وعبد أبطسك.
فبحر أرباب السوء، وما قتل منا قرن إلا جنتناه، ولا نغى علينا باع، لا نغراه
فلو راب عيناك أيها المعرور! حد سيوفنا، وعظم حروبنا، وفشبح منكم
الحصون والسواحل، وأجراينا منكم ديار الأواخر والأوائل، نكلن لك أن تعض على
أمامك باسم، ولا أن نزل بك القدم، في يوم لوله لنا وأجره عليك. فهناك تسيء
بلك الطغور، لوسيطم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون^(١). فإذا قرأت كتابي هذا،
فكر فيه على أول سورة النحل: [أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلْهُ]^(٢)، وكس على آخر
سورة من: [وَلَنَقُومَنَّهُ نَبَأً بَعْدَ حِينٍ]^(٣). ونعود إلى قول الله تبارك وتعالى، وهو
أصدق القائلين: [كَمْ مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلَةٍ عَلِمْتُ أَنَّ كَثِيرَةً مِنْ آلِ اللَّهِ مَعَ الصَّابِرِينَ]^(٤)،
و(إلى) قول الحكماء: إن الباغي له مصرع، وبعبك بصرعك، وإلى الهلاك بقلبك،
والسلام.

(وبعد النصر في المنصورة. السلطان طربش شاه) كتب إلى الأمير جمال
الدين بن بغمور نائب دمشق كتابا بخطه نصه:

"(من) ولله تورا شاه. الحمد لله الذي أنهى عنا الحرب، وما النصر إلا من
عند الله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، وأما بنعمة ربك فحدث، وإن تعدوا
نعمة الله لا تحصوها. يبشر المخلص الشامي الجمالي، بل يبشر المسلمين كافة،
بما من الله به على المسلمين من الظفر بعنو الدين. فإنه كلن قد استكمل أمره
وستحكم شره، ويثمن العباد من البلاد والأهل والأولاد، ففوتوا لا تياسوا من روح
الله. ولما كان يوم الاثنين مستهل السنة المباركة، تمت الله على الإسلام بركته.

(١) قرآن (كريم) الآية 277 من السورة 26 (الشعراء)

(2) قرآن (كريم) الآية 1 من السورة 16 (النحل)

(3) قرآن (كريم) الآية 88 من السورة 38 (ص)

(4) قرآن (كريم) الآية 149 من السورة 2 (البقرة)

فحب الحرائر وبنك الأموال وفرقا السلاح. وجمعنا العربان والمطوعة وحلف لا
يعلمهم إلا الله، فجاؤا من كل فج عميق ومكان سحيق. فلما كان ليلة الأربعاء
تركوا حديسهم وأموالهم وأثقالهم، وقصدوا دمياط هاريزن. وما زال السيف يعمل في
دبارهم عامة الليل، وقد خذهم الخزي والريل. فلما أصبحنا يوم الأربعاء، فقتل
منهم ثلاثين ألفا، غير من تلقى نصه في الحج، ولما الأسرى فحدث عن البحر
ولا حرج. وسجنا الفرنسيين إلى المنية، وطلب الأمل وأمناء وأحب وأكرمهم،
وبسمب دمياط يعون الله وفوته، وجلاله وعظمته.

ونكر كلاما طويلا.

رعت (المعظم) مع للكتاب غفارة الملك الفرنسي، فلبسها الأمير جمال
سين بن يغور، وهي لشكرلاط أحمر بغرو سحباب، (ههنا بكلة ذهب). فقال
شيع جم الدين بن اسرائيل:

إلى غفارة الفرنسي التي	جاءت جاء السيد لأسره
كبير لفرطاس لوبا واكر	مبعثها سيولنا بالدماء

وقال (أخر):

سيد أملاك الرومان بأسره	تجزت مر نصر إله رغوته
فلا زال مولانا يبيع حتى تعدى	ويجس اسلاب العلولة عبيده

سان لويس في تونس

(مقرزي، 364 - 365)

واعق أن الفرنسيين هذا، بعد خلاصه من أيدي المسلمين، عزم على الحركة
إلى تونس من بلاد إفريقية⁽¹⁾، لما كان فيها من المجاعة والموتان. وأرسل يستنصر
ملوك نصارى، ويحث إلى الداه حليفة الصيغ بزعمهم. فكتب (البابيه) إلى ملوك

(1) صاحبة روما الإفريقية، أي تونس.

النصارى بالمسيح معه، وأطلق يده في أموال الكنائس يأخذ منها ما شاء فأناه
من الملوك ملك الإثنتار، وملك إسكوسنا، وملك ثورل، وملك برشلونة وسمه
ريداركون⁽¹⁾، وجماعة أخر ملوك النصارى.

فاستند له السلطان أبو عبد الله محمد المستنصر بالله⁽²⁾ ابن الأمير أبي
ركب يحيى ابن الشيخ أبي محمد عبد الواحد ابن الشيخ أبي جعفر عمر، ملك
تونس، وبعث إليه رسالة في طلب الصلح، ومعهم ثمانون ألف دينار، فأجده
(الفرنسيس) ولم يصالحهم، ودار إلى تونس آخر دي الفعدة سنة ثمان وستين
وستمئة (21 تموز/أولوية 1270)، ودار بساحل قزطاجنة في ستة آلاف فرس
وثلاثين ألف راجل. وأقام (الفرنسيس هناك) سنة أشهر⁽³⁾، فقتله المسلمون -
لنصف من محرم سنة تسع وستين (آخر آب/أغسطس) - قتالا شديداً، قتل فيه
من الفرنج عالم عظيم. وكاد المسلمون أن يطبوا، فأذاهم الله بالفرج وأصبح ملك
الفرجة ميتاً، فحريت أمور أئمة إلى عهد الصلح ومسير النصارى. ومن الغريب
أن رجلاً من أهل تونس، اسمه أحمد بن اسماعيل الريات، قال:

يا فرنسيس هذه أخت مصر ها أقب لنا إليه نصير
لك هيب دار ابن لقمان قبرا وضواشيك مكر وكير⁽⁴⁾
فكان هذا فالأ عليه ومات.... وكان ريدهريس هذا عاقلاً ذاهباً حيثما مفكر.

(1) ملوك الإثنتار، إسكوسنا، ثورل : برشلونة (السعى Re d'Aragon)

(2) ملك تونس بين 1240 و 1277

(3) هي 25 آب/أغسطس

(4) اسأره إلى محبته من قبل في مصر . ومفكر وكير هما الملكان الذي يعتقد المسلمون أنهم
أول من يحسب الميت حسناً عجباً.

القسم الرابع

المالك وتصفية الصليبيين

بين الأعوام 1265 و 1291 تمكن ثلاثة سلاطين مملوك هم بيبرس (260)،
(1277) وقلاوون (1279- 1290) والأشرف (1290-1293) تمكنوا من تفكيك كل
ماتبقى من أعمال الحملات الصليبية. المصدر الرئيسي عن جميع الثلاثة هو
معاصره ابن عبد الزاهر. رغم أنه لم يصلنا من روايته إلا بعضها وأن أكثره
سأزال غير منشور. هناك عن فتوحات بيبرس سيرة ابن عبد الزاهر الموجودة في
المختصر الذي جمعه ابن أليه شيع، هنا فضلا عن وقائع متأخرة كتبها ابن
الفرات والمقرري والعبسي. المعاصم التالية مأخوذة من المصادر المنكورة وفيها
أيضاً رسالة النصر المشهورة المرسلة إلى بيمند السادس بعد فتح أنطاكية.

بيبرس ضد طرابلس وأنطاكية ورسالته إلى بيمند السادس

(ابن عبد الزاهر الأوزق v103 - v111)

هذا تحسن (طرابلس الشام) كان للإسلام قديما وآخر من كان به بنو
عمر وحاصره بعض ملوك الفرنج عدة سنين، وبني أمنه حصنا لطول مدة
المحاصرة، فلما أعيا بني عمر ذلك، تركوا فيه واحدا منهم وذهبوا ليستنصرو
ويستنجرو وكان الذي تركوه معهم بها محتلا، فلما بأعلاها، وبأدى الفرنج أن
يحلوا وتسلموا، فتسلموها، وآخر من ملكها بيمند السادس بن بيمند الأرس. ولما
أقصت نوبة الملك المنطغان الملك الظاهر، صاحب هذه السيرة، وأيد الله به
لإسلام، وصار يلح به عن بيمند هذا، من سوء الجيرة وكثرة التعدي والتعرض إلى

(١) Mont Pelicau بناء Raymond de Saint-Gilles في 1103

من يقصد أبوابه، حتى أنه ظفر يرمز أتو من الكرج، وقد انكسرت مركبتهم، فأحدهم وأحد ما على يدهم من الكتب الواردة إلى السلطان، ومسيرهم إلى هولاكو ملك التتر، فأتى على نفوسهم ونفوس مرسلهم، إلى غير ذلك من مجاهرة. فاقنصت العيرة الإسلامية والحمية الإيمانية، أن نهياً لقصدها، وأسر في التهية خلاف فاضهر منها، واقتمح إليها الحلال والأوتية. وهرق العساكر الإسلامية، فأحاطوا بها الهلاك، وأسروا وذهبوا، وأرعنوا وأبرقوا، واستولى على أكثر بلادهم، وتركها بما نقصاء الحرم، وعاد.

قد نذكر الإغارة على طرابلس وإتهاك قواها، ورجله عنها، من غير أن يُعرف إلى أين مره السلطان، فحضر عدة دهاليز، جعل باب كس - هير إلى ناحية لتجدير لأحطار، ثم هرق عساكره قاصداً أنطاكية، وهي في مملكة الإبريس صاحب طرابلس، فتوجهوا موعلين في القتل والأسر وحرب الديار وتعبقة لأثار. وقصد لسلطان أنطاكية بنفسه، فنزل بها مستهل رمضان سنة ست وتسعين وستماية (15 أيار - مايو 1268). وكان أسناد داره الأمير شمس الدين أفسنغر الفارقي، قد وجد في توجهه، جماعة من فرسان أنطاكية، فحضر معهم رأساً، فأهلكهم من آخرهم، وأسر كت اسطبل، وابيها. واحتضعت العساكر على أنطاكية من كل جانب ومكان، وحصل الرخوب، وملكت الأسوار، وأحدثت البلد، وقتل من بها من الجمع الكثير. ثم حُصرت للقطعة، فأخذت بالأمان، واستقرت في قبضة الإسلام.

وأمر السلطان بالكتابة إلى الإبريس، عزاء بفتحها، وخسراً به بريحها، من إيشاء مؤيد، رحمه الله، ما كان نذراء بمواقع للكتابة، وأطفره مضاً لإصابة، وامكه بديسين كتبه ودواين تقيشه عن مقاصد ملكه وتطلبه. وعف العريخ أنه لا يجعل ابريس إلا صاحب أنطاكية، فحاطبه مؤلفها بالفومص، لحروج أنطاكية عنه⁽²⁾. ويتعرض ذلك ما حكاه لي، رحمه الله قال: كان السلطان قد جهري

(1) المسند هو ابن أخ ابن عبيد الزاهر مشوق اصلا صه.

(2) مع يرمي الرابع (1277-1233) نوحنا امرأة أنطاكية وكينقية طرابلس تحت الملاكه الأنطاكية.

رسولاً، صاحبه الأمير فارس الدين أتبك إلى طرابلس عند تقرير هبة طرابلس^١. وإن السلطان للملك الظاهر دخل معها متكرراً في صورة سلاح دار، ليكشف حال سلده ويحبر جهاتها ومكلى أخذها. وأنه لما أحصره الأندلس للحديث فيم وصلاً فيه، واستقر الأمر والملك واقف ينظر على رأس الأتابك، ويسمع، أنه أخذ (أحد) فكتب^٢ واستقرت الهدية بين مولانا السلطان، وبين القومص. ولم يكتب «لأبريس» إلى صاحب طرابلس تمجدها، واستشاط وقال: «من هو القومص؟ هنت له: أنت» قال: «لا، أنا أبريس»، فقلت له: «لأبريس السلطان الملك الظاهر، لأى «إبريسية» هي لصاحب القدس وأنطاكية واسكندرية، وهو مولانا السلطان»، فنظر إلى جيشه للواقف، فارتج المجلس. قال: فغمر السلطان الأتابك برجله، فقال لأتابك: «يا يحيى الدين، صدق، وإنما مولانا السلطان قد أنعم على هذا بلغة لأبريس، كما أنعم عليك بتوطيه في مملكته»، فقلت لأتابك: «إذا علمت هذا فلا بأس»، وكتب عوض القومص لأبريس. قال مؤلفها: ولما انفصل، وحل مولانا السلطان لمحيمه، أخذ مولانا السلطان بحكيمها لأمرأ تولته ويضجك، ويشتت إني يقول: «هذا كان وقتاً بعد الله الأندلس والقومص». انقصت الحكاية، وسعود إلى إثبات نسخة الكتاب وهي:

قد علم، القومص فذل^٣، أكبر الطنفة العيسوية، والمثقل إلى ألففة القومصية - ألهمه الله رشم، وفرق بتأخير قصده. وجعل النصيحة محفوظة عنده - ما كان من قصداً طرابلس. وغروا له في عقر الدار، وما شاهد بعد رحيل من حراب العمائر وهدم الأصمار، وكيف كنست تلك الكدس من له بساط

(١) في 1271 بعد أحد أنطاكية بثلاث سنوات.

(٢) هو محي الدين ابن عبد الزاهر المؤلف والنروي.

(٣) كما في مصحف ابن عبد الزاهر لكن مصادر أخرى تظهر الشروية أكثر احتراماً (الخراب النهر الجليل، الأسد تشجاء، قهر الأمة مسيحية، وعيد أمة الصليبيين، اندي أصبح له بعد النصر بخصاكية أميراً بعد أن كان كونت... إلخ). رغم اللهجة الحديثة السخرة قد كانت تلك الألفب كثيرة فألفها المصنف. وقد نم في ترجمتنا هذه تعديل رواية ابن عبد الزاهر حينما هي تالفة وفق رواية النوري (في Ql A KEMIRE. Sultans Mamlouks, I, II ص 190-91).

لأرض، ودارت للدواوير على كل دار، وكيف جهلت ثلث للحصاير على جانب
النهر من الأجسام كالجوايز، وكيف هلت الرجال الحرار، وكيف قصفت الأشجار،
ولم يترك إلا ما يصلح لأعواد المحلقين^(١)، إن شاء الله، ولستأير. وكيف نهبت
لأموات، والحريم والأولاد والموتى. وكيف استغنى الفقير وتاهل للعارب واستحتم
نحنهم، وركب العاشق، هذا وأنت تنظر المغمى عليه من الموت، وإذا سمعت
صوت كنت فرعاً على هذا العوط وكيف رحلنا عنك، لكن رحيل من يفر .
وأخرباك وما تأخيرك إلا لأجل معنود، وكيف قارقت بلادك وما بقيت فيها ماشية،
إلا وهي بين أنبياء ماشية، ولا جارية إلا وهي في ملكها جارية، ولا سارية إلا وهي
بين أيدي المعاول سارية، ولا زرع إلا وهو محصود ولا موجود لك إلا وهو منك
مفقود، وما منك تلك المعالير التي هي في رؤوس تلك الجبال لتشفقة، ولا تلك
الأونية التي هي في التخوم محترقة، والعقول حارقة. وكيف سقت عنك، ولم
يسبقك إلى مدينتك أنطاكية خبر، وكيف وصلنا إليها، وأنت تصدق أننا نبعد
عنك، وأنت بعدنا فستعود على الأثر. وما نحن نعلمك بما تم، وبفهمك بالبلاء
الذي عم: كان رحيلنا عنك من طرابلس في يوم الأربعاء رابع عشرين شعبان،
ونزلنا أنطاكية في مستهل شهر رمضان المعظم، وفي حالة النزول، فرجت
عساكرك للمبررة، فكسروا، وتناصروا فما أنصروا، وأسر من بينهم كـ "سطل"،
فسأل في مراجعة أصحابك، فدخل إلى المدينة، فخرج هو وجماعة من رهبانك
وأعين أعيانك، فتحدثوا معاً، فرأيتهم على رأسك من إتلاف العروس بالعرص
الفسد، وأسر رأيتهم في الحير مختلف وقولهم في الشر واحد. فما رأيتهم قد فات
فيهم الموت، وأنهم قد قدر الله عليهم الموت، ربحهم، وقلنا نحن الساعة لكم
بناصر، وهذا هو الأول في الإنتدار والأخر، فرحموا متشبهين بفعلك، ومعتقدين
أنك نجدهم بحيلك ورحلك فقي بعض ساعة (...). شأن المرشاه^(٢) وذاهل
الرهب الرهبان (...). البلاء القسطلان وحاءهم للموت من كل مكان وفتحهم
بالسيف في الساعة الرابعة من يوم السبت رابع شهر رمضان المعظم (٨ أيار

(١) نكهم كتهديد بعودة جيش الاسلام على طرابلس.

(٢) شقوى ما للعالم القاطن بشكل (لايهم) ولا يترجم، وهذا مما افتخر به عسا الذين الاصغفاني

(مايو) ، فشا كل من اخترته لحفظها والمعاملات عها . بما كل واحد منهم إلا
وعده شيء من الدنيا . فما بقي أحد عا إلا وعده شيء منهم وعدا ، فلو رأيت
حيالك وكهم صرعى تحت أرجل الحبول ، وديارك والنهاية هها تصول وكسامة
هها تحول . وأموالك وهو توزى بالقطار ، ودلماتك (مساؤك) في كل أربع مها تب ع
هشعري من مالك بديار ، ولو رأيت كتابك وصلبانها وقد كسرت ، وصحوب من
الأحجس المروره وقد بشرت ، وتبور البطارقة وقد عثرت . ولو رأيت عدو المسلم
وقد رأس مكن القدامى والمذبح ، وقد ذبح فيه الزاهب والقسيس والشمامس والبطارقة
وقد دهموا بطرقة ، وأنباء المملكة وقد نحلوا في الممكة ، ولو شاهدت البرر وهو
في مصورك تحرق ، والقتلى فكم بدار الدنيا قبل دار الآخرة بحرق ، وتصورك
وأحوالها قد هانت ، وكبسة بولص وكبسة الفصيان^(١) وقد برلت كل مها وزيت ،
لكنك تقول " لا ليتني كنت تزياء ، باليتني لم أوت بهذا البحر كتاباً " ولكنك نفسك
دبت من حركك ، ولكنك تطعي تلك النيران بماء عبرتك . ولو رأيت معانك وقد
أفرت من معانك ، ومراكبك وقد أعنت في المويديّة بمراكبك ، فصارت شوانك
من شوانك ، ولتفتنت أن إله الذي أنطاك أنطاكية ، منك استرجعها ، والرب الذي
أعطاك قلعتها ، منك قلعتها ، ومن الأرض لقلعتها . ولتطم أنا قد أكننا ، بحد الله ،
منك ما كنت أحدثه من حصون الإسلام وهو دركوش وثقف كفرنبيين وجميع ما
كان لك في بلاد أنطاكية ، واسترلدا أحمالك من الصياصي ، وأخذناهم بالمواصي ،
وفرقناهم في الداني والفاسي . ولم يبق شيء يطلق عليه اسم المعصيان إلا النهر ،
فلو استصاع لما تسمى بالمعاصي^(٢) ، وقد أجرى نموعه بدم ، وكس ينزلها هبرة
صافية ، فه هو أجراها بما عفكناه فيه نماً . وكتابنا هذا يتضمن البشرى لله بما
وهبك لله من السلامة وطول العمر ، يكونك لم يكن لك في أنطاكية في هذه المدة
إقامة ، وكوبك ما كنت بها ، فتكون إما قتيلاً وإما جريحاً وإما كسيراً ، وسلامة
النفس هي التي يفرح بها الحي ، إذا شاهد الميت . ولعل الله ما أحرك إلا أن
تسترك من الطاعة والحنعة ما فات . ولما لم يسلّم أحد يحيرك بم جرى ،

(١) كاسريه انقهن بطرس مركز الحجة النقية والمدنية في قلعة المعجزة

(٢) يسمى النهر بـ Oronte بالمعاصي نظراً لأنه يجري من الجنوب إلى الشمال .

حبرتك وإنما لم يقدر أحد يشارك بالنشرى بمسألة نصك وهلك ما سواه .
شرباك بهذه المعايضة ويشرباك، لتتحقق الأمر على ما جرى، وبعد هذه
المكانبة، لا ينبغي لك أن تكتب لنا حبراً، كما أن بعد هذه المحاطبة يجب أن لا
تسأل غيرها محبراً.

ولما وصل (هذا الكتاب) انقضى الكتاب بهذه ورعده، (وتم يصله حبر
أطاكية إلا بهذه الوسيلة).

الاتفاق مع أوك الثالث، ملك قبرص

(ابن الفرات، 6، 146r - 147r)

لم فتحت الشرف، أراد الفرنج أهل عكا أن يملكونا عليهم ملك يصنع
أمورهم. وكان بقيرص (بقيرص) ملك صغير⁽¹⁾ وله بال مقدم على عسكره اسمه
أوك بن هنري (أوك بن هنري) وعمره ثون الثلاثين سنة، وهو ابن عم صاحب
طرابلس، وهو ابن أخت صاحب قبرص⁽²⁾ (السابق). والد الصبي الذي ذكرناه.
هأيق أن الصبي مات، وهذا اللبال فروج عبد أصحاب لرسوف⁽³⁾، ومرجع لملك
لهذا شباب، ولابن خالته⁽⁴⁾، وولد حاله أحو بالملك منه، لأن أمه الكبرى؛ وهذا
في اصطلاح الفرنج أنه مقدم ولد الكبرى. وإنما كر غائباً في بلاد سيس⁽⁵⁾،
فاستولى هذا الشاب على قبرص. ثم استدعاء الفرنج إلى عكا، والمملكة لمكارية
مصافة للملكة القبرصية. فوصل إليها، وحلف له أهل عكا. وورد (في هذا الوقت
إلى قبرص بيبرس) كتاب ملك صور يذكر وصول هذا الملك، وأنه رجل عاقل،
وأنه لما وصل (عرض عليه) آراء الفرنج في (أن يطمئنون) ما أحسنوا محاولة
المسلمين، وأنه قال ما جرى مني ما يوجب عدلوة. وسأل صاحب صور في أن

(1) Ugo الثاني مات عن 14 سنة في 1267

(2) Isabel & الأخت الصغرى لهنري الأول

(3) هو غو الثالث روجيه Isabella d'Ibelin

(4) Ugo di Prienne الثاني ماريا لخت هنري الأول الكبرى

(5) هي كيبكيا أو لرميتيا الصغرى

سبطين بصلالحة. ولما عاد السلطان من (حرب) أنطاكية إلى دمشق. كما قسمنا شرحه، وصنعت رساله وجماعة من خيالاتهم قريب الماية نفس. وأحضره هبة ومصوغ، وجوارح وغيرها. وحصل الاتفاق بين السلطان الملك الظاهر (بيبرس) وبين هذا الملك على شيء يسير، وهو مدينة عك وبلاتها. وهي أحد وثلاثون صبعة، وتفرز أن جميعا تكون للفرنج وفيها ثلاث صباع، وفيها بلاد ماصفة، وبلاد انكرم. تكون ماصفة وعسليت تكون (للفرنج؟)، لها ثلاث هري وباقى ماصفة، والذين عشر هرايا (للفرنج؟). والباقي للسلطان وبلاد صيدا، بوصاة (اسهول) للفرنج والجبليات للسلطان، واتفق الصلح على مملكة قبرص. هذا ما استقر عليه الحال في البلاد كلها، وأن تكون الهدنة لعشر سنين، وإنها لا تنقص برجل غريبة ولا ملك محضرة في البحر. واشترط (السلطان) عليه إطلاق رهايا البلاد.

قال القاصي محي الدين بن عبد الظاهر. مؤلف سيرة الملك الظاهر (بيبرس): وتوجهت رسولا أنا والامير كمال الدين ابن شيت، لاستعلاف الملك. وسير السلطان هنا هدية: عشرين نفرا من أسارى أنطاكية قسيسين وراهباناً. فهدد إلى عك في رابع وعشرين شوال (7/666) تموز يولييه 1298) واحتفل بنا حفل لا كثيراً. وكان السلطان قد وصى بأن لا يتوضع له في جلوس ولا مداطبة فلما دخلنا إليه، رأياه على كرسي هو والمقننير. فلم نحس إلى أن وضع لنا كرسي قبائله، ومد الوزير يده لئأخذ الكتاب. فلم يعضه حتى مد الملك يده، وأخذته. وتوكل في أشياء منها: أنه رغب في مملكة قبرص، يكون لها صلح بمردها، وأن الصلح يستقر ما لم تصل رجل غريبة أو أحد من ملوك البحر، وأن الإسماعيلية لا يكون لهم حديث في الهدنة، واستغنى من حديث الرهايا، وفصول أخر وعادت رسل السبط من ملك الفرنج، ولم يحلف ونعت الأمور ساكنة. وكان هذا الملك بعد كلما تكلم يقول: أنا أحاب من الملك جازلا (كارلو) أحي ريدافرس، ولا أقدر أن صلحاً حرفاً منه¹¹³. والله أعلم.

113 بدأ Carlo d'Angio حذا جميع الحقوق في ذات القدس الاسمي (أي مملكة عك الحقيقية) والتي حصلها Maria d'Antiochia وأعطت رسمياً في 1277

كانت هذه عكا، حين المهادنة، بلا ملك، فملك شخص من فريج قبرص فلما وليها هذا المذكور، كتب إلى السلطان منارياً إليه، حاضياً مودته، سائلاً استفرار الهدية على ما هي عليه، وسير هدية نفيسة مثمّة. فما كره السلطان منه ذلك، وقبل مودته وعوّضه بهدية. فمال الملك المذكور أن تكون المهادنة باسمه، ودخل في الطاعة والفراعة، فأجاب السلطان. فطُف له على انمهاسية وسير لتحليله الصاحب محي الدين⁽¹⁾ مؤلفها، وكمال الدين بن شيث. وحكى لي محي الدين لمشار إليه، قال: لما استحصرنّا هذا الملك، وجدناه على سرير مرتفع، وأراد أن يكون فوق ربح أسفل، فلبى لنا الإسلام ذلك، فرجعاً إليه، وأحده معه في الحديث، فأحد بمعلط، ويدخل حديثاً في حديث. فأغلظت عليه، فنظر إلي بعين المغضب، فقال للترجمان: قل له ينظر إلي من وراء، فطرت، فرد به قد صلب جنده وحملهم، وقال له: قل له، انظر إلى هذه الكثرة، فنظرت وأطرق، فقال للترجمان: قل له: أيّس تقول فيما رأيت؟، فقلت: كانه وسي لأمار؟ فقال له نعم قلت "عرب الملك أن عينا في خزائن البثود، وهو حبس بمملكة السلطان بمصر، أسارى من الفزج أكثر من هؤلاء"، فأعصب وصب وجهه وقال: "رحق نبي ما أسمع لهم رسالة في هذا اليوم" فانصرفنا ثم استحصرنّا، فلعنا. واستقرت الهدية إلى الأبد السلطانية الملكية المنصورية القلاوية⁽²⁾.

١. الكلام ذلكاكتب

2. ثم تويع هدیه مع هوشو (الوك) الثالث في 1268 هـ بخلاف ماورد في رواية ابن قرات السابعة مع أنه استشهد بعين عك الزاهر لكن الاشارة الى استمراره حتى زمن قلاوون فانما يتعلو بهدية Cesarea (أبو إسارو 1272) بن بيزن وعكا والتي جددت بمعاهدة قلاوون وعكا التي منكر لاحقاً.

نكر بعض أخبار حصن الأكراد وفتحها⁽¹⁾

(ابن الفرات 1189 - 1190)

كان هذا الحصن قديماً يسمى حصن السبع. منتحب الذين يحكي عن أبي طلي أنجار الخنبي⁽²⁾، في تاريخه في عيب سيئته إلى الأكراد أن الأمير شبل الذين حصر بن مرداس صاحب حمص أسكن في هذا الحصن قوم من الأكراد في سنة اثنين وعشرين وأربعماية (1031) فغلب إليهم. فلما لم يكتف لهم الأتراك ضحكهم بدمشق وقعت الهدنة بينه وبين الفريج على أن يكون حصن الأكراد وحصن مصياف داخلين في العوادة، ولحمل أهلها مالا معيذا في كل سنة إلى الفريج، فأومروا (فدوموا) على ذلك مدة. وذكر ابن عساكر⁽³⁾ أن صنجيل (ريموند)، لعنه الله تعالى، منذ (سار) لطرابلس الشام كان لا يقطع الفرات عن هذا الحصن وما قاربه من الحصون. ثم أنه قصد في سنة ست وتسعين وأربعماية (1103) وحاصره وضيق عليه وأشراف على أخذه. واتفق قتل جندح الدولة، صاحب حمص، فطمع في حمص ورجل عن حمص الأكراد، واتفق هلاكه. وتولى ولده بنزاي (برتراند)⁽⁴⁾، فحرق على عادة أبيه في أبنية هذا الحصن لم يفسد أعماله، فخاف من كان فيه. وتوجه لحصار بيروت. فخرج طنگلي صاحب بطكية واستثنى على أكثر البلاد، وداراه أهل بلاد الشام، فزل على هذا الحصن، وأهله في غاية ما يكون من الضعف. فسلمه صاحبه إليه، وكان يروى أنه بقيه فيه لأنه اختاره على صنجيل، فأمر أهل منه وأخبره صاحبه، وكتب فيه من يحفظه من الفريج. انتهى ما ذكره (ابن عساكر).

وقيل أن طنگلي، صاحب أنطاكية، خرج من أنطاكية ومثل على حصن الأكراد، وسلمه من أهله في نية سنة ثلاث وخمسمماية (1110)، ولم يزل بينه

(1) وهو قعة الأكراد Krak de Chevaliers وكان حصن دائرية لكبر مواقع شمال شرق طرابلس.

(2) مؤرخ شهير مغمور من القرن الثاني عشر حفظ لنا منه ابن الفرات بعض الاستشهادات

(3) مؤرخ دمشقي من القرن الثاني عشر

(4) راجع الهمش رقم 48 في القسم الأول من هذا الكتاب

الفريج إلى أن كان ما يتكروه إن شاء الله تعالى. وتكرر ابن منقذ في كتاب
البيان ، أن الشهيد للملك العدل نور الدين محمود، صاحب الشام، رضي الله
عنه كان قد عامل بعض رجاله التركمان المستنصرين في جهة الفريج أصحاب
حصن الأكراد، على أنه إذا قصدوا الشهيد يشور هو وجماعة من أصحابه في
الحصن، ويرفعون علم نور الدين الشهيد على الحصن، ويدعون باسمه وكان هذا
التركمانى له أولاد وأخوة قد وثق لهم الفريج في هذا الحصن، وكانت العلامة به
ربيع الملك العدل نور الدين الشهيد، أنه يقف على رأس باشورده، فينقأ أن الشهيد
لم يطلع حداً على هذا الأمر، وتقدمت الحساكر، قرأوا التركمانى فرموه فقتلوه،
واشتغل أهله بوفاته وبطلت الحيلة.

ولم يفتح السلطان صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب هيب فتح من
بلاد الفريج، ولم يزل الحصن بيد الفريج إلى أن أغار الملك الظاهر ركن الدين
بيبرس الصالح على طرابلس في هذه السنة (669/1271) ما قدمنا شرحه، وفي
سابع شهر رجب (2 شباط/فبراير) انفرد من هذه السنة، دار السلطان بملك
حصن الأكراد، وفي العشرين منه (4 آذار/مارس) أحدث ارباص حصن الأكراد،
ووصل الملك المنصور، صاحب حماة، بمسكوه، فالتقاء السلطان، وترجل
شترجله وساق السلطان تحت صباغ صاحب حماة بغير جمدارية ولا سلاح
داريه، تأدياً مع صاحب حماة، وسير إليه دهلير أمر بصبه، ووصل الأمير
سيف الدين، صاحب صهيون وصاحب دعوة الإسماعيلية القبايج نجم الدين.
وفي آخر شهر رجب، الشهر المذكور، كمل نصب هذه محانيق، وفي سابع
شعب (22 آذار/مارس) من هذه السنة، أحدث الباشورة بالسيف، وجعل للسلطان
مكر يرى منه الشهاب، وصار يعطي المال والخلع، وفي عشرين عشر شعبين،
أنشأ المنصور، (31 آذار/مارس) تشقق برج من أبراج القلعة، وحف لسن
فطلعوا على القلعة وتسلموها، وطلع الفريج على القلعة، وأحصرت جماعة من

(١) عمل مقنن من تأليف لسانة ابن منقذ المشهور الذي كتب أيضاً سيرته الذاتية، يصهر كـ
هذه الاستشهادات طريقة التصحيح التي يطبقها ابن العز.

(2) عبر المزج ليو نقدا.

العرب والعساري، فأطلقهم للسلطان صدقة من الملك المسعود⁽¹⁾. وبقت المجانيق إلى أفلعه وبصيت بها على التلة. وكتب للسلطان كتاباً على نس ر مقدم العرب بطرابلس إلى من نائلة يأمرهم بالتسليم. ثم طلبوا الأمل، فكتب لهم امر على أن يوجهوا إلى بلادهم. وفي يوم الثلاثاء راسع وعشرين شعبان (7 نيسان/أبريل)، للشهر المذكور، خرج العرب منها وجهروا إلى بلادهم، وتسلم السلطان الحصن.

وكتب إلى مقدم بيت الأسطار، صاحب حصن الأكراد، كتاب بالنبشرة، منه هذه الكتابة: إلى عزيز لوك⁽²⁾، جطك الله ممن لا يخترع على القدر، ولا يعت من سخر لجشه للنصر والظفر، ولا يعتقد أنه يجي من أمر الله الحذر ولا يحمي منه حجر انباء ولا مبني للحجر. بطله مما سهل الله من فتح حصن الأكراد الذي حصنته وسبته وحلته. وكنت الموفق لو اطلته⁽³⁾. واتكلت في حفظه على آخرته، فما بعوك، وصيغتهم بالإقامة فيه، فصيغره وصيغرك. وما كانت هذه العساكر تنزل على حصن ويبقى أو تحم سعباً ويشقى. ورب السلطان الأمير صارم الدين الكافري ديباً لحصن الأكراد، وهو من عمارته للأمير عز الدين الأكرم ولأمير عز الدين أبيك الشيخ وقبض السلطان وهو يحاصر حصن الأكراد نقرين، كان سير من العليقة⁽⁴⁾ إلى صاحب طرابلس، وقد رتب معهم اغتيال السلطان الملك الظاهر. فلما حضر صاحب نجم الدين، أنكر السلطان عليه ذلك، ثم أطلقهما.

1) الأمير الكبير ليبريس وهو نائب خاقه على عرش مصر لمسيح (1277-1279)

2) Frere Hugues - Hugues de Revel

3) السلاخ المسعود باللفظ كما سيجري باسم الأمير ولي العهد

4) العليقة من حصون الاسماعيلية الذين غابت قوتهم المحيطة بعد صديقات لغزوهم من المغول وهم هنا يحركون بين الصليبيين والبيبرس وينفرون أحياناً نكبتها للعبة رغم لهم مزالو على عيهم الجارية في الاغتيالات.

الهجوم الفاشل على قبرص

(العيني 239-242)

وقال ابن كثير⁽¹⁾: لما فتح الملك السعيد بن الظاهر حصن الأكراد جعد كبسها جامعا وأقام فيه الجمعة، وولى السلطان فيه نائبين وقاصدين، وأمر بعمارة البلد. ثم أنه بنى السلطان وهو مخيم على حصن الأكراد ابن صاحب جزيرة قبرص قد ركب بحيشه إلى عكا، ليبيصر أهلها خوفا عليهم من الملك الظاهر، فأراد السلطان أن يعين هذه الفرصة، فبعث جيشا كثيرا في سبعة عشر شوال، فدخلوا جزيرة قبرص في غيبة صاحبها عنها. فسارت المراكب مرسعة، فلما قربت الجزيرة جاءت بها ريح قاصف، وصادفت بعضها بعضا، فتحطم منها أحد عشر مركب بإذن الله عز وجل، فغرق خلق وأسر الفرج من الصناع والرجال قريب من ألف وبالمائة إنسان، إنا لله وإنا إليه راجعون.

وقال بيبرس⁽²⁾ في تاريخه: هذه الطامة التي حصلت على المسلمين بعد فتح القبرص، فقال: خرج السلطان من دمشق بعد فراغه من الجهات التي ذكرناها في العشر الآخر من شوال، (أوائل حزيران/يونية 1271) وسار إلى القبرص⁽³⁾ وبأزمه في ثاني ذي القعدة (13 حزيران/يونية)، وأحدث بشورته، وسأل من فيه لأمان، فكتب لهم أمانا، ونقّز خروجهم وتوجههم حيث شاءوا، وأنها لا يستصحبون مالا ولا سلاحا. وتسلم السلطان الحصن وأمر بهدم قلعته، ثم سار عنه ونزل اللجون، وتقدمت مراسمه إلى النواب بالديار المصرية وتجهيز الشواني وتسفيرها إلى قبرص، فجهزها النواب، ومفروها صعبة مقدم البحر ورؤساء للخلافة علما وصلت إلى مرسى المسمون تحت قبرص جنبا ثلثيل، وتقدم الشويي الأول فحلا على أنه يقصد المبياء، فصادف الشعب في للظلماء، فأنكسر. وتبعه الشواني واحدا فوحده. ولم تعلم بما أصابه، فأنكسروا في نحي الليل جميعا، وأسره أهل قبرص.

(1) مؤرخ من القرن الرابع عشر، والمعني هو أيضا مصنف عن مسعود سابقة

(2) مير مملوكي بنصر اسم السلطان الذي عاصره لكنه كان أصغر سنا، وهو مؤلف تاريخ مهم حوى أحداث زمانه.

(3) مرسى قبرص، الألباني شمال شرق حيفا، تابع للتولية

وكان ابن حنبل المصنف قد أشار برأي، نظير للنفس منه، وهي أن تطلى شواشي بالغار، ويعمل عليها الصلصال لتثبتته على التفريخ بشوائبهم، فيتمكن من موبهم، فافتصى تعبير شعارها بما أراد الله من انكسارها. وورد كتاب صاحب قبرس إلى السلطان بحبر بل شواني مصر وصلت إلى قبرس، وكسره للريح وأحنتها، وهي احد عشر شبيها، فأمر السلطان بأن يكتب جوابه. فكتب إليه هذه المكاتبة:

إلى حصرة الملك لوك، حطه الله من يوفى الحق لأهله، ولا يحجر بمصر إلا أنى قبله أو بعده بحير منه أو مثله، بطله أن الله إذا أسعد إنسانا دمع عنه الكثير من قصده باليسير، وأحسن له التدبير فما جرت به المقادير^(١)، وقد كتب عرفنا أن الهواء كسر عدة من شواشينا وصار بذلك يحجج. وبه يفرج. ونحن الآن بشرة بفتح القرين، رأين البشارة بملك القرين من الإشارة بما كفى الله ما كنا من العيب، وما العجب أن يفخر بالاستيلاء على حديد وحشب، الاستيلاء على الحصينة هو العجب، وقد قالى قلنا، وعلم الله أن قولنا هو الصحيح، وانكل وانكل، وليس من انكل على الله وسيفه كمن انكل على الريح، وما النصر بالهواء مليح، إنما النصر بالسيف هو المليح، ونحن نشئ في يوم واحد عدة قطائع، ولا يشأ لكم من حصن قطعة، ونجهز مائة قلع ولا يجهز لكم في مائة سنة قطعة، وكل من أعطى مقذاف قنف، وما كل من أعطى سيف أحسن لتصرف به لو عرف، وإن عمدت من بحرية المركب أحاد فعندنا من بحرية المركب لوف، وأبر الذين يطعمون بالمقذوف في صدر البحر من الذين يطعمون بالرماح في صدر للصوف، وأنتم حيولكم المركب ونحن مركبا التحول، وفرق بين من يجريها كالبحار ومن تقف به في الوحول والرق بين من ينصب الصقور من الحيل للعراب، وبين من إذا افتخر قال: تصيدت بحراب^(٢)، فلئن كنتم احذتم لنا قرية مكسورة حكم أحننا لكم قرية معمورة، وإن استوئتم على سكا فكم أحلي بلانكم من سكا، وقد كسبت وكسبا، هيرى ابت أغم، ولو أن في امك سكوتا كان الواجب عليه أن سكوت وما تكلم.

(١) تنوع وتغير المعهومات الكائنات في القديم عن غيره الآلهة (والانكل بل كثره تحير على لائن منة على غصب الآلهة المبرج من موقع اتفرقت)
(٢) العراب كان نوع من الروايق الخفية، وقرأها كمن قبل وهما بعد التلاعب المعاد
بـ اللفظ والمعاني

لم تكن سلطنة قلاوون أقل قيمة من سلطنة بيبرس، لا بل إنها كانت أكثر السيادة. كما أن قلاوون اشتهر بعلاقاته مع ملقي من دويلات مسيحية في سورية، ويتوقع سلسلة من المعاهدات مع الديوية وعكا ومرجريت صاحبة صور، والتي حفظ نصوصها كلها ابن عبد الزاهر في كتابه عن ذلك السلطان (تشریف، الأديم والعصور). لكن قلاوون تابع أيضاً تقنيات الممتلكات اللاتينية في الأراضي المقدسة وتوج عملياته بأحد طرابلس (1289) وكان المزارع أبو الفدا شاهد عيان على ذلك (وهناك رواية أخرى أقدم، نقلها مقرني). بعد سقوط طرابلس لم يبق للعربية إلا منطقة عكا وبعض المدن الساحلية.

اتفاق قلاوون مع ديوية طرطوس

(ابن عبد الزاهر، تشریف، 38 v - 44 v)

وفي هذه السنة (1282/681) استقرت الهدنة بين مولانا الملك السلطان المنصور (قلاوون) وولده السلطان الملك الصالح علاء الدين، وبين المقدم الرئيس كليم ديباجورك مقدم بيت الديوية بعكا والساحل، وبين جميع الأخوة الديوية بإصطرطوس⁽¹⁾، لمدة عشر سنين كوامل متتاليات وعشرة شهور، أو أن ذلك يوم الأربعاء خمس المحرم سنة إحدى وثمانين وستماية للهجرة النبوية المحمدية، الموافق لخمس عشر من نيسان/أبريل سنة ألف خمس مائة وثلاثة وتسعين لئلا يمسك بين هلبس اليوناني⁽²⁾ (15 نيسان/أبريل 1282)، على بلاء مولانا السلطان وملك المنصور، وبلاء ولده السلطان الملك الصالح علاء الدين

(1) نص الوثيقة مشوة

(2) التعويم السلوقي يبدأ في 311 قبل المسيح

على "، وعلى كل ما هو داخل في مملكتيهما من التدار المصرية وأعمالها
 وشعورها وموانئها، والبلاد الشامية وثغورها وحصونها وقلاعها وسواحلها وموانئها،
 والمملكة الحمصية وبلادها وأعمالها، وقلاع الدعوة وبلادها وأعمالها، ومملكة
 صهيون وبلادها، وحلة واللاكية وما أضيف إلى ذلك، والمملكة الحمصية
 وبلادها وأعمالها، والمملكة الحنينة وأعمالها وبلادها والعرابيه وبلادها وأعمالها،
 والفتوحات الساحلية وبلاد حصن الأكراد وبلادها وأعمالها داخل فيها ومنسوب
 إليها ومنسوب منها حين استقر أن هذه الهدنة، من بلاد وهري ومزارع ومزاجات
 وأرض وأبرج وطواحين وغير ذلك، ومملكة صافيتا وبلادها وأعمالها وقراها
 وأسوارها، وما استقر لها، وأنصاف القرى والبلاد إلى آخر وقت، والميعاد
 وأعمالها، والفرجة وأعمالها وما هو مستقر لها ومنسوب إليها، وحلب وأعمالها،
 وعرقا وأعمالها، ومبيوا وأعمالها، وقلعة حصن الأكراد وأعمالها وبلادها،
 وانقيعات وأعمالها وبلادها، بكماها وبلادها وما وقع الاتفاق عليه في مفاوضات
 بلاد عرقي، وكل ما تضمنته الهدنة لهم المستقرة في الأيام المنصورية، وكلما
 في هذه البلاد القريب منها والبعيد، والمحاذ والمجاور وغير ذلك من عامر
 ودثر، وسهل ووعر، وبر وبحر وموانئ وسواحل، وما هو في هذه البلاد من
 طواحين، وأبراج وبساتين وأنهار ومياه وشجيرات ودهل (أبار)، وكل ما سيجتبه
 الله، على يد مولانا السلطان الملك المنصور، وبذ ولده السلطان الملك الصالح،
 وعلى يد مقدمي جيوشه وعساكره، من حصون ومدن وقلاع وقرى، وما تطل ذلك
 من سهل وجبل وعامر ودائر وأنهار وبساتين وموانئ وسواحل وبرور، وعلى
 أنطرطوس الجارية في بيت الديوية، وعلى بلادها المستقرة إلى آخر وقت، عند
 استقرار هذه الهدنة العذبة، وما أنصاف إلى بلادها من بلاد الفرجة وميعاد،
 بمقتضى الهدنة الطاهرية^(١) التي حصل الأمر على حكمها. وهي سبعة وثلاثون
 ناحية، على ما فصل في الهدنة على كل ما يحويه بلاد مولانا السلطان جميعها
 من المقام أقرير كقيام نياحوك، مقام بيت الديوية، ومن سائر الأوجه

(١) تورث الذي عليه قلاوي لكه مات في 28٨. وانتقلت الورثة إلى الأشرف أبيه لاصغر

(٢) لا يوفق لنديا من حنة بيبرس المذكور

بأنطوطوس، من جميع الحبال والتركيبية والفرسان وسائر أجناس العرجية.
لا تخطي أحد من أنطوطوس وبلادها ومينائها وسواطها إلى بلاد مولانا
المنصور الملك المنصور وبلاده وند السلطان الملك الصالح، ولا إلى قلاعهم ولا
إلى حصونهم ولا إلى بلادهم ولا إلى أراضيهم، ما عدا في الهدية وما لم يعين
وتكون بطرطوس وبلادها المعينة في الهدية، ومن بها من الأحرار والفرسان
والزعماء وغيرهم، الفاطميين والمترددين، أمنين مطمئنين من مولانا المنصور الملك
المنصور أو من ولده، ومن عساكرهم، ومن هو داخل في حكمهم، لا يتخطى
أحد إلى أنطوطوس ولا إلى بلادها ولا أراضيها، بمكره ولا غارة، إلى انقضاء
الهدية، وعلى أن المنوعات تستمر على قاعدة المنع.

وعلى أنه متى انكسر مركب أو إنعاب من بلاد مولانا السلطان، ومن
المترددين إليها، وغيرها من سائر البلاد والأجناس والناس، في ميثه بطرطوس
وسواطها وبروزها للناطقة في هذه الهدية يكون كل من فيها أمنين على النفوس
والأموال والمتاجر والبضائع والرجال، فإن وجد صاحب الذي انكسر أو إنعاب،
يسلم إليه مركبه وماله، وإن عثر بموت أو عرق، فيحتفظ بموجوده، ويسلم لبواب
مولانا السلطان. ويكون هذا الحكم لما يكسر في بلاد مولانا السلطان من مركب
أنطوطوس.

وعلى أن لا تجدد في بلاد أنطوطوس، المعينة في هذه الهدية، قلعة ولا برج
ولا حصن، ولا ما يتحصن به من حفر خندق، ولا غير ذلك.

الاتفاق مع عكا

(ابن عبد الزاهر، 69r - 85v)

وفي هذه السنة (1283/682) أجاب مولانا السلطان مسألة أهل عكا، عندما
تكررت رسلهم إلى خدمته في الشام ومصر بسبب الصلح، وبعدهم من الحضور
في البر، وأنها لا يحضرون إلا في البحر إلى أراضي الحضور، فحصبوا في البحر
وأحر الأمر أنهم نزلوا على حكمه، بعد أن كانوا امتنطوا عند انقضاء الهدية

لصهرية⁽¹⁾. (وهي صفر من هذا العلم (أيار/مايو 1283) وصل رمل الإفرنجية وأعمال عك ووقعوا على للهندة) وحطف مولانا السلطان عليها بحصور رسر الفرنجية، وهم نفران من بيت النبوية أخوة، ونفران من بيت الأسبتر أخوة، ومن المملوكية فرسان هيام: والي لولاية والوزير فهد. وهي (نص الهندة):

استقرت الهندة بين مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الناصر علاء الدين النيا والدين علي. حطد الله سلطانهما، وبين الحكم بمملكة عكا وصيد وعكايت وبلادها التي لفقت عليها الهندة، وهم السنجاب أود، كميل لمملكة عك⁽²⁾، والمقدم اغرير كليام ديباجول، مقدم بيت النبوية، والمقدم اغرير بيكول للورني، مقدم بيت أسبتر الأمن (الأرمن)، لمدة عشر سنين كوامل وعشرة شهور وعشرة أيام وعشرة ساعات. أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول سنة اثنين وثمانين وسمائة للهجرة النبوية، الموافق للثالث من حزيران/يونية سنة ألف وخمسمائة أربعة وتسعين لئلا سكندر بن هلبيس اليوناني (3 حزيران/يونية 1283). على جميع بلاد مولانا السلطان الملك المنصور وولده السلطان الملك الناصر علاء الدنيا والدين، على جميع العلاع والحصون والبلاد والممالك والأعمال والمدن والقرى والمزارع والأراضي، وهي⁽³⁾ مملكة الديار المصرية وما بها من الثغور والعلاع والحصون الإسلامية، وثغر دمياط وثغر الإسكندرية ونسثروه ومسنثرية، وما ينسب إلى ذلك من المواني والسواحل والبروز، وثغر هوه وثغر الرشيد والبلاد الحجرية. وثغر غرة المحروس، وما معها من المواني والبلاد والمملكة الكركية والشوكية وأعمالها، والصلت وأعمالها، وبصري وأعمالها،

(1) لاينوفر نيا نص هدية بيبرس المذكور

(2) Odo dei castelli قائد مقام 'Carlo d'Angio'

(3) سبع على وبيرو واحدة فكتمة طويلة بمسلكات سطل ممالك مصر مزية تكريد من الجنوب في الشمال ونقص الأمور عن حاقها عندما نظروا هذه الفكتمة مع وصف الأراضي الموجرة في سراد لاحقا في فكتمة طرف الحظ الثاني، ولنتيجة هي أن مملكة القدس قد مسحت إلى عكة هربية نفا من شمال عكا إلى الكرمل. وهناك خارجها صور وصيد وبيروت وطرابلس وبعض فلاع الدلوية والاسبتلوية في سورية وهي كل متبقى من أعمال الصليبيين من قدامه بولات فلارون بدعا من المدينة الفكتمة فقصم كل الأراضي التي حصروها أو هجموها الصليبيون عبتا خلال قرن من الزمان

ومملكة الحلب، صنفوات الله وسلامه عليه، ومملكة القدس الشريف وعمالها،
و لارن وبيت لحم وأعماله وبلادها وجميع ما هو داخل فيها ومحسوب منها،
وبيت جبريل، ومملكة نابلس وأعمالها، ومملكة الأنطون وأعمالها، وعسقلان
وأعمالها وموتنيها وسواحلها، ومملكة يافا والرملة ومينائها وأعمالها، وأرسوف
وأعمالها ومينائها، وقيسارية ومينائها وسواحلها وأعمالها، وقلة قاقون وأعمالها
وبلادها، وند وأعمالها، وأعمال الحوجا وما معها من الملائحة (المملحة)، وبلاد
الفتح العبد وأعمالها ومزارعها وبيبان وأعمالها ومزارعها، وأصوير وأعمالها،
والجور وأعمالها، وجنين وأعمالها، وعين جالوت وأعمالها، والعيمون وأعمالها وما
يتنسب إليه، وطبرية وبحيرتها وأعمالها وما معها، والمملكة الصغرية وما يتنسب
إليها، وتبين وهونين وما معها من البلاد والأعمال. والشقيف، المعروف بشقيف
أرنون، وما معه من البلاد والأعمال وما هو محسوب إليه، وبلاد القرن وما معه،
خارجاً عما عين في هذه الهدية، وبصف مدينة لسكندرونة وبصف صيغة مارون
بقراها وكرومها وبيساتيها وحقولها، وما عدا ذلك يكون جميعه بحدوده وبلاد
لمولانا السلطان وتوابعه، والنصف لمملكة عكا، والبقاع للحريري^(١) وأعماله، ونشقر
وأعمالها، وشقيف قيزون وأعماله، وقلة الصغرية وما معها من البحيرات
وأعمالها، وكركب وأعمالها وما معها. وقلة عجلون وأعمالها، ودمشق والمملكة
الشمقية ومالها من انقلاخ والبلاد والممالك والأعمال، وقلة بعلبك وما معها
وأعمالها، ومملكة حمص وما لها من الأعمال والحدود، ومملكة حماة ومدينها
وقلعتها وبلادها وحدودها، وبلاد طس وأعمالها، ومهرون وأعمالها، وبنزلة
وأعمالها، وفتوحات حصن الأكراد وأعماله، وصافيا وأعمالها، وميعاز وأعمالها،
والعزيمة وعمالها، مرقية وأعمالها، وحلب وأعمالها، وحصن عكا وأعماله وبلادها،
ونقلية وأعمالها، وقلة شيرر وأعمالها، وأفامية وأعمالها، وجبله وأعمالها، وأبو
قيسر وأعماله، والمملكة الحلبية وما هو مضاف إليها من القلاع والمدن والبلاد
والحصون، ونطاكية وأعمالها وما نخل في الفتوحات المباركة^(٢)، وبعراس

(١) نسخة لدى الملك العزيز ابن صلاح الدين

(٢) فتوحات بيبرس الجديدة نوعاً ما، لكنه غير واضح ما هي الفتوحات الجديدة المذكورة لاحقاً

وأعمالها، والنريساتك وأعماله، والارويدان وأعمالها، وحارم وأعمالها، وعيساب
 وأعمالها، وعيرين وأعمالها. وعيج للحديد وأعماله، وقلة نجم وأعماله، وشقيف
 سير كرش وأعمالها، والشفر وأعماله، ويكاس وأعماله، والسويدا وأعمالها، والبب
 وبراع' وأعمالهما، والليرة وأعمالها، والليرة وأعمالها، والرحبة وأعمالها، وسنمية
 وأعمالها. وشميمس وأعمالها، وتكمز وأعمالها، وما هو مفسوب إلى جميع سك م
 عير وما لم يعير.

(لأمس مكحول في كل هذه البلاد) من الحكام بمملكة عكا، وهم: كميل
 المملكة ومقدم الفرير كليم دي جول مقدم بيت للديوية، والمقدم الفرير بيكول لوزن
 مقدم بيت الأسبار، والمرشال الفرير كزرت دي ب مقدم بيت أسيار الأمن، ومن
 جميع الفريج الأحوة والفرسان اثناطين في طاعتهم وبحريه مملكتهم الساحلية،
 ومن جميع الفريج على اختلافهم الذين يستوطنون عكا والبلد الساحلية الداخلة
 في الهدية، من كل واصل إليها في بر وبحر على اختلاف أجسامهم وأندامهم، لا
 ينال بلاد مولانا السلطان الملك المنصور، وبلاد ولده السلطان الملك الصالح -
 ولا حصونها ولا قلاعها ولا بلادها ولا صباغها ولا عساكرها ولا عربها ولا
 تركمانيها ولا رعاياها على اختلاف الأجناس، ولا ما تحويه أيديهم من المواشي
 والاموال والغلات وسائر الأشياء - صرر ولا سوء ولا غارة ولا تعرض ولا أدية،
 وكذلك كلما يستفتح مولانا الملك السلطان المنصور وولده السلطان الملك
 الصالح، على يدهما ولا عساكرهما وثانيمهما من بلاد وحصون وقلاع وملك
 وولايات، برأ وبهرأ، سهلاً وجبلاً.

وكذلك جميع بلاد الفريج التي استقرت الآن عليها الهدية من البلاد
 الساحبية، وهي منبجة عكا وبساتينها وأراضيها وطواحيها وما تحصن بها من
 كرومها، وما لها من حقوق حولها، وما تقرر من بلاد في هذه الهدية، وعندها بما
 فيها من مزارع، ثلثة وسبعون ناحية، خاصاً للفريج. وكذلك حيف وكرور
 والبمانيين، وأربعة بحيفا سبع نواحي، وكذلك مارييا لأرصها، المعروفة بها، تكون
 للفريج. وكذلك دير للسياج (٢) أو دير مار إلياس يكون للفريج ويكون لمولات
 لسطان من بلاد الكرمل خاصاً عكا والمنصورة، وهي ثلثة عشرة ناحية، للفريج

وعثيث، القلعة والمدينة والنسبتين التي قطعت، والكروم وفلاحتها وراصيتها، يكون بها، ويكون لها من البلاد ستة عشر ناحية. وتكون خالصا لمولاي السلطان ما يذكر، وهو قرية الهراميس بكاملها وحقوقها ومزارعها، وبقيّة بلاد عثيث تكون مناصفة، حارجا عما للحاصر الشريف، وعما لحاصر عثيث تكون مناصفة، وهي ثمان نواحي. وفلاحة الأسباز يعمل قيساريه يكون خالصا للفرنج بم فيها . ونصف مدينه اسكندرية ونصف قرية مارون بما فيها للفرنج، وما عدا ذلك يكون لمولانا السلطان. ومهما كان في اسكندرية وقرية مارون من الحقوق والعملة، يكن مناصفة، وصيدا، القلعة والمدينة وصراحيتها وجميع ما ينسب إليها، يكون خالصا للفرنج، ويكون لها من البلاد خالصا خمس عشرة ناحية، وما في النوبة من أنهار ومياه وعيون وبساتين وطواحين وقنى ومياه جارية وسكور (سدود)، لهم بها عادة قديمة تسفي أراضيهم، يكون خالصا لها. وما عدا ذلك من البلاد الجبلية جميعها، تكون لمولانا السلطان ولولده بكاملها. وتكون هذه البلاد العكارية، وما عين في الهسة، أمانة من مولانا السلطان ومن ولده ومن عساكره وجيوشه، ما هو خاص وما هو مناصفة أمانة مطمئنة، ومن بها.

وليس للفرنج أن يجندوا في غير عكا وعثيث وصيدا، مما هو خارج عن الأسوار في هذه الجهات الثلاثة، سورا ولا قلعة ولا برجاً ولا حصن قديم ولا مستجداً.

وعلى أن شواني مولانا السلطان وشواني ولده متى عمرت وفرجت، لا تتعرض لأذية البلاد الساحلية التي انقضت الهندية عليها، وإذا قصدت الشواني المنكورة جهة غير هذه الجهات، وكان صاحب تلك الجهة معاهدا للحكام بمملكة عكا، ولا تنحز إلى البلاد التي انقضت للهندية عليها، ولا تتروّد منها، وإن لم يكن صاحب تلك الجهة التي تقصدها الشواني، معاهدا للحكام بمملكة عكا، فلم تنحز إلى بلادها وتتروّد منها؛ وإن انكسر شيء من هذه الشواني والعهد بالله - في ميد من المواني التي انقضت للهندية عليها وسواطها، فإن كنت قاصدة إلى من به مع مملكة عكا عهداً أو مع مقدمها، فيلزم كميل للمملكة بعك ومقدمي سيوت حفظها. ويمكن رجالها من الروادق واتصال ما انكسر والعود إلى نخلاد

الإسلامية، ويبطل حركة ما انكمسر منها أو قُرميه في البحر - فإن لم يكن لدى
تقصده الشواشي معهم عهد واتكسرت، قلها أن تتردد وتعمر رجالها من البلاد
المسعدة عليها الهندة، وتتوجه إلى الجهة المرسومة بقصدها، ويجهد هذا الفصل
بين الجهتين.

وعلى أنه متى تحرك أحد من ملوك البحر للفرنجية، وغيرهم من جوار البحر،
لغصد الحصور لحصيرة مولانا السلطان، أو حصيرة ولده، في بلادهم المسعدة
عليها الهندة، فيلتزم نائب المملكة والمقدمون بعكا، تعريب مولانا السلطان
بحركتهم، قبل وصولهم إلى البلاد بعدة شهرين، وإن وصلوا بعد نصف مدة
شهرين فيكون كفيل المملكة بعكا والمقدمون بتراب (برينين) من عهدة البعين في
هذا الفصل.

وإن تحرك عدد من جهته التتار وغيرهم، فأى من سبق إليه من الجهتين،
فيعرف الجهة الأخرى، وعلى أنه إن قصد البلاد الشامية - العباد بالله - عدد من
التتار وغيرهم في البر، انحلت للعساكر قدامهم ويوصل الثعد إلى الغرب من
البلاد الساحلية الداخنة في هذه الهندة، وفصدوها بمضرة، فلكفيل المملكة بعكا
والمقربين بها أن يدروا عن نفوسهم ورعيته وبلادهم بما تصل قدرتهم إليه. فإن
حصل جفل - والعياد بالله - من البلاد الإسلامية إلى البلاد الساحلية الداخنة في
هذه الهندة، فيلزم كفيل المملكة بعكا والمقدمون حفظهم والنفع عنهم ومنع من
تقصدهم بصر، يكونون أمين مطمئنين بما معهم وعلى باب المملكة بعكا،
والمقدمون يوصون في سير البلاد الساحلية التي وقعت للهندة عليها، أنهم لا
يمكنون حرمية البحر من الرزادة من عندهم، ولا من حمل ماء، وإن طفر بأحد
منهم بمسكوه، وإن باعوا عندهم بصائع بمسكوا، حتى يحضر صاحبها وتسلم
إليه، وكذلك يعتمد مولانا السلطان في أمر الحرلية هذا الاعتلا

وعلى أن تكون كنيسة الناصرة، وأربع بيوت من أقرب البيوت، لزيارة
حج ح وغيرهم من نبي الصليب، كبيرهم وصغيرهم، على اختلاف أجناسهم
واسفارهم من عكا والبلاد الساحلية الداخلة في هذه الهندة. وبصلى بالكيسة
لأقسة والرهبان، وتكون البيوت لزوار كنيسة الناصرة حاصنة، ويكونون أمين

مطمئنين في توجوهم وحضورهم إلى حدود البلاد الداخلة في هذه الهدنة. وثبتت الحجارة التي بالكثيصة، ترمى برأ، ولا يحط منها حجر على حجر لأجر بناء، ولا يتعرض إلى الأعتاء والرهس في ذلك على وجه الهدنة بعير حق⁽¹⁾ وتصممت الهدنة بقرار الشروط الجاري بها العادة. ولما حلف مولانا السلطان على هذه الهدنة، توجه الأمير فخر الدين أمير حاجب، والقاضي بدر الدين بن زرين، لمخليف الفرج، فحلوا واستقر ذلك.

صيغة قسم السلطان في هذه الهدنة

(ابن الفرات 7، v 181 - r 182)

والله والله والله، وباعه وباعه وباعه، وتاعه وباعه وباعه، والله العظيم المطالب الغالب الصار النافع الصالح المهلك، عالم ما بدا وما خفا، عالم السر والعلانية الرحمن الرحيم، وحق القرآن ومن أنزله ومن أنزل عليه، وهو محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم، وما يقال فيه من سورة سورة وأية أية، وحق شهر رمضان اني أفي بحفظ هذه الهدنة المباركة، التي استقرت بيني وبين ملك عكا والمقدمين بها على عكا وعسليت وصيدا وبلائها، التي تصممتها هذه الهدنة، التي مدتها عشر سنين وعشرة أشهر وعشرة أيام وعشرة ساعات، أولها يوم الخميس خامس شهر ربيع الأول، سنة اثنين وثمانين وستماية للهجرة، من أولها إلى آخرها، وأحفظها وألزم بجميع شروطها المسرودة فيها، وأجري الأمور على أحكامها إلى نقصاء مدنها، ولا أتأول فيها ولا في شيء منها، ولا استفتي فيها عليها بنقصائها⁽²⁾ ما دام الحاكمين بمدينة عكا وصيدا وعسليت، وهم كامل المملكة بعكا ومقدم بيت شبرية ومقدم بيت الأمستار ودايب بيت استنار الأرمن، الآن ومن يعولي بعدهم في كعالة مملكة أو يقدم بيت يهدد المملكة المذكورة، ولعين باليمين اني يحقرون

(1) سمح الشريعة الإسلامية بوجود كنائس مسيحية على أراضي إسلامية، لكنها لا تسمح بدرمية، وبنائها من جديد. إلا أن السلطات المحلية كانت تعصر تبرعات من الكهنة (شأن كثير من حر العباد للخدمة لكل الأنبا بتبرعات أتباعها) المترجم

(2) حلل قديم في عادات المسلمين وغيرهم للتدخل من اليمين واليسار.

سنة ألف وخمسمائة أربعة وتسعين لئلا سكندر بن فليبس اليوناني، والعمل بجميع شروطها، شرطاً شرطاً، ولتزم الوفا بكل فصل في هذه الهدنة المذكورة إلى انقضاء مدتها. وإني والله والله وحق للمسيح وحق للصليب وحق ديني، لا أحرص لبلاد لسلطان وولده ولا إلى من حوته وتحويه من سائر الناس اجمعين، ولا إلى من يردد منها إلى البلاد للدخلة في هذه الهدنة، تأبئة ولا صرر، في فس ولا في مال وإني والله وحق ديني ومجودي، أنلك هي المعاهدة والمهاجرة والمصفاة والمصدرة وحفظ القرعية الإسلامية، والمتروكين من البلاد السلطانية والصبي من منها وإليها، طريق المعاهدين المتصادقين المنتزمين كف الأذية والعور، من النفوس والأموال، وألتزم للوفا بجميع شروط هذه الهدنة. على أقصاها، ما دام الملك المنصور وأبنا بالتؤمن التي حلف بها على الهدنة، ولا أنقص هذه يمين ولا شيئاً منها ولا أستثنى منها ولا شيء منها طلباً لنقصها، ومثي حالها أو بقضتها أكون بريء من ديني واعتكادي ومجودي، وأكون مخالف للكنيسة، ويكون على الحج إلى القدس الشريف ثلثين حقه حافيا حاسرا، ويكون علي فك ألف أسير مسلمين من أسرى الفرج وإطلاقهم، وأكون من ((من الأهوت (اللاهوت) لحال في الناسوت، واليمين يميني، راسا فلان والدية فيها بأسرها (مثل) بية السلطان الملك المنصور وولده الملك الصالح، ودية مستعظي لهم بهب على لأجبل المكرم.

لا بية لي غيرهم، والله والمسيح على ما نقول وكول.

فتوح حصن القرب

(تشرين 149r - 160 r)

وهو حصن عظيم مبيع، ما زال مولانا السلطان الملك المنصور، تصره الله، يدأب في أمره ويتحيز في تحصيله للإسلام، ويستنفذ الرأي والتدبير في فتحه ويحدث حماحه، لأنه كل قد أعذر الملوك، ولم يفتر أحد منهم على التقرب منه، فكيف انزول عليه. واجتهد الملك الظاهر (بيبرس) في الإغارة عليه مررا،

فما قدر الله ذلك ولا سهله، ولا حاج على قسمته ولا عجله. وتوجه إليه مرة من حمدة، مصدقته تلوح ويرد وأسطار، وحجبتة عنه، وحجزته المضائق والأوعار ومرة من غير حمام، ولم يحصل له منه قصد بالحيلة للكافية، وخباء الله لمولات السلطان، ليكون من فتوحاته للميرة وأنظرز به أحسن سيرة. وكان بيت الأسير الذين به قد راد بعينهم وعدواتهم، وكثر قسدهم، حتى بقيت أهل القلاع المجاورة لهم كاسهم في حبس، بن في رمن وكان للفرنج يعتقدون أنه لا يدرك بحول ولا حيلة، وأن الحيلة فيه قليلة واستمروا على هذا الطعنان، ولم يقفوا عند الإيمان، وعموا في نوبة للفتيات⁽¹⁾ كل فتح من الغدر والأسر والنهب، ومولات السلطان المنصور رابص بهم كالأسد المنصور، وهو يهتم بأمر هذا الحصن من غير إظهار، وكلما أوقفوا باراً لحرب أمنت من الهداية الربانية الأنوار، وجهاز المناجيق من دمشق، ولا يعلم أحد إلى أين سير، ولا إلى أين المصير، والرجال من البلاد مجهرة بأرودهم ومقمتهم وعندهم. وهي كثيرة لا تحصى كثرة، ومن الناس من يقول أن سمر إلى قلعة الروم⁽²⁾، ومنهم من يقول إلى غير ذلك. وكان قد جهز مولان السلطان وردحانة عظيمة من مصر، بها أحمال كثيرة من أشناب وغيره، وكذلك فرق على الأمراء والجند مشاب يحملونه معهم، ليجسروونه إذا طلب منهم. وجهزت آلات من الحديد والبعض مما لا يوجد إلا في دحايره وخزائن سلاحه. كل ذلك سبق تجهيزه قبل سفره. وتوجهه، واستعدمت جماعة كبيرة من الصديق الذين لهم خبرة بالحصارات ودريه بالمنازلات، وجهزت المجانيق التي في القلاع المجاورة، وخزت رجالها من غير رجع ولا إظهار شيء. وحملت المناجيق والآلات على لأعالي والردوس، ورجل مولانا السلطان من على معزلة عيون القصب مجبأ. هزل حصن المرقب، في يوم الأربعاء العاشر من شهر صفر (684/7 نيسان/أبريل 1283).

ونسفت حملت المجانيق على الأكتاف في تلك الأكتاف، وكس البلاء بهدا الحصن من كل مكان. وتغنوا في حصاره بأعظم سلطان، ونصب المجانيق

(1) هي «دالتين» قرب عرفة وقد تعرضت قبلها إلى غزو الاستتارية

(2) قلعة الروم في على أنقرة

الفرجية والعرايع، ومن جملة تلك مجانيق فرجية كبيراً ثلاثة، ومجانيق قوسية ثلاثة، ومجانيق شيطانية أربعة، بحيث أنها طافت بها من كل مكان، واستمرت برمي من الحجارة بما يتطاير شرره ويتوقع ضرره، وأخذت الثقوب من كل جانب وانفق أن للمجانيق الفرجية كسرت مجانيق الفرج، وتفتتت الإسلامية إلى قرب انقلعة، فأصلح الفرج مجانيقهم، ورموا للمجانيق الإسلامية، فكسروا بعضها، وقيل تحتها جماعة من المسلمين. ولا خلاف في أن الحرب سجال، وما في كس موطن نسلم في الحرب للرجال، وانتهى للنقب السلطاني وحشي بالأخطاب، وأوقف في يوم الأربعاء سابع عشر شهر ربيع الأول (25 أيار/مايو): فعملت أسوار في وسط النقب في البرج الذي في قرية الباشورة، ورحب للمسلمون ليطنعوا الباشورة، واشتد القتال، وقصد المسلمون للصعود فما تمكنوا، فبطل الزحف وانعصر هذا النهار، وسقط البرج، وتوهم الناس عسر التوصل إلى الحصن وبات الناس في قلق عظيم لأجل ذلك، لأن العيلة من المجانيق بطلت بسحب ما عرص، والثقوب انتهى الحال فيها، وما بقي تدبير إلا من الله عز وجل. فلما كان يوم الجمعة، أنزل الله تعالى لطفه وأجمل عطفه، وأنجد بملائكته المقربين وجنوده أجمعين، فبرزت بنصرة الإسلام مسرعين: وحيل الله للفرج أن الثقوب في بقية الأسوار على هذه الصورة، وأن الثقوب تخرج إلى الحنادق، ومنها إلى الأبراج، وتتعلق حينئذ في الأسوار. وكانت الثقوب قد أحدثت من تحت الحنادق في أسرية إلى تحت الأبراج، والفرنج لا يشعرون بذلك، فأطلعوا على ذلك، سقط في أيديهم، وحل الخذلان في أيديهم، وتحققوا أنهم قتلوا بعير شك، وأن أسيرهم لا يملك، وطنبوا الحديث في الأسار، والمعدلة بالعور والاحسل، وبعد أن كانوا يؤثرون الموت على الحياة، صاروا يؤثرون الحياة على الموت، وتحققوا أنهم إن ضلوا عن أنفسهم، فإن هبهم العوت، فحلبوا رحمة مولانا السلطان وعونه، فالتفتت إلى الحال أن مولانا السلطان رأى إختيار شعيمة بهذا الحصن العظيم أولى من التطويل في حصاره، ومن التأخير له نجات، والأولى الاهتمام بما هو آت، وأن الفرج الذين بهد نحصر، إن سلموا من نار السيوف، لا يسلموا من نار الخنوف، فأجابهم إلى العفو والأسر، ووثقوا بأن قول مولانا السلطان هو أعظم من الإيمان. فسيروا أسيرهم

إلى اد هليز المنصور ، ولم يسألوا غير الأملن على النعموس لا غير ، وإن لا يجرح
 منهم لا مل ولا سلاح متعلق بالحصن خاصة ، ومن لم نه مال يتعلق بنفسه بسعد
 عليه به وشفع الأمراء فيهم ، وقللوا الأرض بين يدي مولانا السلطان ، ورغبوا في
 إجابته سؤلهم ، فطلى نهم مركوب أكابرهم من الحيل والبعال خمسة وعشرون رأساً
 وملتوساً ، وما عديوه من مال ليعصمهم ، وهو ألقى دياراً صورية ، وكثبت لهم
 امانات ، وصنعوا ومعهم الأمير فخر الدين انقري الحاجب ، فحلف الجسطيس
 وبقية العريال . وسلموا الحصن جميعه في ثامن ساعة من بهار الجمعة ثامن
 عشر شهر ربيع الأول (25 أيار مهليو) . وصعد للصديق الشريف السلطاني
 المنصوري المنصور . وارتفعت ألسنة للعالم بالأدعية لمولانا السلطان الذي أرتهم
 أيامه هذا الفتح الذي طالما تقاصرت عنه اللهم . وشابت دون الإمام به العلم .

وطلع المسلمون وأعلن أعلاء بالأذان والتسبيح والشكر لله على إهلاك عبدة
 المسيح وإحلاء ديارهم منهم ، وأبهم لم تغر نيتهم شقاء عنهم ، وكثبت البشائر إلى
 جميع الأنظار ، وسيرت به البريدية إلى كل جهة . وطلع مولانا السلطان إلى
 الحصن ، يوم السبت ، واجتمع الأمراء الأكابر في حرمته ، وضرب مشورة بين يديه
 في هم نقلة أو إبقائها ، فمنهم من أشار بهذا ، ومنهم من أشار بهذا ، ومنهم من
 أشار بهذا . ورأي مولانا السلطان يتد توره فعلا ، فرأي إبقاءها لصدانها ومعتها ،
 وتحسينها وتزيينها . وصمم على إبقائها حسرة في قلوب الكفار ، وعصداً للحصون
 التي لها عنها حق الجوار ، ورتب بها ألف زاجل لتجئة (٩) وجرحية ومقاتلة ،
 وأربع مائة من أرباب الصبايع ، ورتب بها جماعة من الأمراء أصحاب الطبال
 حاسن ، وجماعة من البحرية الصالحية والمنصورية^(١١) ، مائة نفر وخمسون نفرأ .
 وعب المنجنيقات التي كانت ترمي عليها ، فصارت ترمي منها ، وكذلك الآلات
 ولاحطب و لأحطاب والشباب والترنحات والبعض ، ومن كل شئ كان في
 المصلحة اسريعة من أصناف الحصن والآلة . ورتب لها حاصداً من بلا كهر طاب

(١) اصحاب الطبال حاكم امراء عدهم اوركسترا عسكرية ضخمة السرب . المماليك البحرية هم
 كم اسف قاطرو بحر لنزل ، واصلاحية والمنصورية شكلهما كل من الملك الصالح والملك
 المنصور اي قاتلون نفسه

ومدينة انطاكية ومدينة اللاذقية والمينا وبلاد المرقب التي كانت خاصا لها
وماكن معظما قيل للفتح، وجملة ما يتحصن منه عند عمارته ألف ألف درهم.
ورب كلف عمارته^(١) ونقلت رحالته على البلاد إلى أن تنصر وتراجع أهلها، وبعد
تمت هذه الأمور رحل فزل بالوطاة على مدينة لانياس.

فتح مرقية

(تشرين ١٧٢ هـ - ١٧٨ هـ)

ولما فرغ مولانا السلطان، نصره الله، من مهمات المرقب، وشرى بالوطاة،
على ما نكره، وشرع في أمر حصن مرقية، وأعمل الرأي في اقتدحه، وتحقق
أنه بين أحشاء تلك الحصون داء نحيل، وأنه لا يحصل راحة ولا أمن بوجوده
وبقائه. وصاحبه يعرف ببرتيا (بارتولوميو)، أحد أكابر الفرنج. وكان لم (لم)
فتح حصن الأكراد، لم يطق الإقامة بهذه البلاد وصاقت به، فهج على رأسه،
ودخل إلى التتار مستنجراً ومستنجراً ومستنجراً، وأقام سنين على هذه
الحالات. ولما مات الملك الطاهر، رحمه الله، عاد إلى هذه البلاد واشتم الفرصة
وطلب عمارة مرقية، فعجرت قدرته وحاف أن يؤخذ منه، فعمر حصناً قبالتها،
وحصنه وجسسه، وأعانه الإبرس (الأمير) صاحب طرابلس، عليه. وأمدّه وأعانه
آخرون من الفرنج الاسبتارية، أهل المرقب، وغيرهم. وهذا البرج (هو) بين
انطربس وبين المرقب، في البحر المالح، قبالة مدينة مرقية، وبينه وبين البحر
رمش السهم السريع وأكثر. وصفته، أنه برج مربع، عرصه قريب من طوله، كل
جانب منه خمسة وعشرون ذراعاً ونصف (يتضمن) وعرض سور سبعة أذرع.
وهو سبع طباق، وبني على مراكب، غرقت في وسط البحر، فيها أحمال كثيرة من
نحجارة، تحت كل قطر معرق تسع مائة مركب (٩!) فيها حجارة، وبين كل
حجرين، في أسوارها، قضيبين من الحديد متصلين وعليهما شبك الرصاص،

(١) أنهم من هنا أنه من الصعب وضع الكلفة المالية لإعادة الاعمار على المنطقة المعينة نفسها
وبذلك من حائل مطالعة التجملة للعلماء في الوحدة الاقتصادية-العسكرية القائمة

ورحبه صهريج عظيم، وفوق للصهريج قبو، وفوق القبو أضراب، وفوق الأضراب حصي صغار، وفوق الحصى خيش، وفوق الخيش حبال قنب مشدودة، حتى إذا نصب المنجنيق من أنبر ورمى به لا يبالى مما يرمى فيه، ويقع الحجر من أعلاه في الماء. وفيه مائة مقاتل. وخلف هذا البرج برج متصل به، وفيه ثلاثة مجاري مصوبة لا يؤحد هذا الحصن بحصار ولا بضائفة. وكان الدواب (المسلمون) يحصن لأكراد وثلك للجهات، لما بي هذا الحصن وعجزوا عن منعهم من عمارته. لأن الأضراب والآلات إنما تحضر في البحر، ألجأهم الحال إلى عمارة برج بالقرب منه، بعريّة، تسمى ميعار. وجرّد جمعون راجلاً بالبدل، هم أفاد ثلك ولا أغنى غناء.

وبما شاهد مولانا السلطان هذا الحصن، على هذه الصورة من الحصانة والمنعة، وأن البرج المبنى قبله صرّ بانيه وما بعده، وأن حصاره لا يمكن لكونه في البحر، وما للمسلمين مراكب تقطع عنه الميرة، ولا تمنع الدخول إليه ولا الخارج منه، وأن أمره يطول ومساكنه تعول، وأن الأمر الذي منه بدأ إليه يعود، وأن افتتاحه بجنود التدبير لا بالجود. فسير إلى صاحب طرابلس، فقال له أن العساكر قد تفرغت وما بقي لها إلا أنت، وهذا البرج أنت عمرته في الحقيقة، ولولا هاتك بما بُني، وأنت الواحد به، وإما أن يهنم وإلا أخذنا قبائله من بلادك ما لا ينفعك في تنفع عنه صاحب مرقية، وتقدم حيث لا ينفعك الندم، ويكشف الغطاء ويُسرد العطاء فما علم الأبرس ما التصميم العظيم⁽¹⁾، وتحقق ما يترتب على هذا من إخراج بلادهم وحصونه وتلاف أحواله، وأن ملكك البسيطة وجيوشه العظيمة على أبواب مدينته، وأنه يردوعه قد خيم، وأن القصد له أو هدم هذا الحصن قد تحتم، ترصد في تسليمه وهدمه، وأرضى صاحبه بما وصلت قدرته إليه بجملة من المال وتمليك صياح بعد صعوبة من صاحب مرقية. وكان وقد صحب مرقية قد حصر منخفاً إلى أبواب مولانا السلطان، وترك حصيلة هذا المعصر وتسليمه لمولانا السلطان، وتوجه إلى عكا محتفياً على البريد، فامسكه

(1) أعيدته هنا لغة الذي فكر عليه قبله على أنه للصنح السابق لانتدكبه

أهل عكا، واتصل خبره بإبيه فحضر من طرابلس إلى عكا وتسلمه وقتله بيده في وسط عكا، وبطل ذلك الصبح، وبعد ذلك وافق على تسليمه بواسطة لابرس وأدع عن وأجاب إلى تسليمه للمسلمين. وسير الأبرس جماعة من الفرح لمساعدة في هدمه، فكانوا كما قال الله تعالى ليخربوا بيوتهم بأيديهم وأيدي المؤمنين⁽¹⁾. وسير صاحب طرابلس شخصاً من أعيان أصحابه، للحضور على هدمه، مقدماً للجماعة المصيريين من الفرنج لذلك، ومزياً للاعتار في سكره آلات الهدم من حديد وغيره. وجرد الأمير بنر الدين يكتاس النجمي، أمير جندار، وصحبته مائة حجاراً، لهدمه. وكان الأمير الأسفلسار ركن الدين طقصور المنصوري، وصحبته جملة من العساكر. المجردين قبالة جبله، ورسم مولانا السلطان له ولهم بالحضور إلى قبلة البرج، للمساعدة والمساعدة على هدمه، فهدم حجراً فحجراً، وما لبقي الاجتهاد له عبأ ولا أثراً، وذلك بعد تعب عالت المعاول من شنته، وقست الحجارة من حشته، وتصريحت القوي من منته، ولطف الله في إزالة آثارها ولدائه قزارها، وكفى الله المؤمنين شره، وكف ضره، وأبطل مكره، وبقي مكانه في قلوب الكفار حسرة.

سقوط طرابلس

(أبو الفداء، 162)

.. إن السلطان الملك المنصور قلاوون خرج بالعساكر المصرية في المحرم من هذه السنة (688/يناير 1289) وسار إلى الشام، ثم سار بالعساكر المصرية والشامية، ومازل مدينة طرابلس الشام يوم الجمعة مستهل ربيع الأول (25 مارس) ويحيط البحر بعالمب هذه المدينة، وليس عليها قتال في البر إلا من جهة الشرق، وهو مقدار قليل. ولم تارنها السلطان نصب عليها عدة كثيرة من العجايب الكبار والصغار ولأزمها بالحصار واشتت عليها العذل حتى فتحها

(1) قرآن كريم (الاية 2 سورة 59 (الحشر)

(2) يترشح المعنى بين قطاعي الاحجر ورملة الاحجار

يوم الثلاثاء ربيع الآخر من هذه السنة (27 نيسان/أبريل) بالسيف، وحبسه
العسكر عبوه، هرب أهلها إلى الميناء فحبا أفلهم في المركب، وقتل غالب رجائه
وسبيت ذرائعهم وغنم منها المسلمون غنيمة عظيمة.

ولما فرغ المسلمون من قتل أهل طرابلس وبهيم، أمر السلطان، فهبت وركت
إلى الأرض. وكل في البحر قريبا من طرابلس جزيرة وهي كنيسة تسمى كنيسة
سبطوس (سار توماس) وبينها وبين طرابلس الميناء، فلما أخذت طرابلس هرب إلى
الجزيرة المنكورة وإلى الكنيسة التي فيها عالم عظيم من الفريج وأسياده، فالتحم
العسكر الإسلامي البحر، وعبروا بخيولهم منبحة إلى الجزيرة المنكورة، فقتل جميع
من فيها من الرجال وعموا جميع من فيها من النساء والصغار والعمال. وهذه الجزيرة،
بعد فرغ الناس من النهب عبرت إليها في مركب فوجدتها ملاء من الفلى وقد جاءت
بحيث لا يستطيع الإنسان الوقوف فيها من ثقل الفلى. ولما فرغ السلطان من فتح
طرابلس وهزمها، عاد إلى تديار المصرية... فيكون منه لبثها (لبث طرابلس) مع
الفريج نحو مائة سنة وخمسة وثمانين سنة وشهوراً^(١).

(ملزوي، 746 - 487)

في يوم الخميس عاشر المحرم (4 شباط/فبراير 1289) حُجِم السلطان بظاهر
القاهرة، ورحل في خامس عشره. واستخلف ابنه الملك الأشرف خيلاً بالقلمة⁽²⁾،
ولأمير بيدرا نائباً عنه ووزيراً، وكتب عند الرحيل إلى سائر مماليك الشام بشهيد
العسكر لقتال طرابلس. وسار إلى دمشق فدخلها في ثلث عشر صفر، وخرج
منها في العشرين منه إلى طرابلس فإرلها، وقد قدم لفخدة أهلها أربعة شوب من
جبهه ممتلك قبرص. فوالى (السلطان) الرمي بالمفاجيق عليها والرحف والقوب في
الأسوار، حتى افتتحها عنوة في الساعة السابعة من يوم الثلاثاء ربيع
الآخر⁽³⁾، بعد ما أقام عليها (1190) أربعة وثلاثين يوماً. ونصب عليها تسعة

(١) بحسب التقويم الهجري القمري (٦٠٢-٦٨٨) أي ١٨٠ سنة شمسية (١١٦٩-١٢٨٠)

(٢) قلعة جين المقطم مع السلاطين في القاهرة.

(٣) في المخطوطة "أول" تصح من نفس السياق ويصوب إلى "لقد".

عشر مجيئاً، وعمل فيها ألف وخمسمائة نفس من الحجارين والبراقين، وفر أهلها إلى جزيرة تجاه طرابلس، فخاض الناس فرساناً ورجالاً وأسروهم وقتلوهم وغنموا ما معهم، وطفروا الغلمان والأوشاقية بكثير منهم كانوا قد ركبوا البحر فألقاهم الريح بالساحل، وكثرت الأسرى حتى صار إلى زرتحانة السلطان ألف ومائتا أسير.

واستشهد من المسلمين الأمير عمر الدين معين، والأمير ركن الدين منكور من لعارقاني، وخمسة وخمسون من رجال الحلقة، وأمر السلطان بمدينة طرابلس فهدمت، وكان عرص سورها يمر عليه ثلاثة فرسان بالحبيل، ولأهلها سعات جبلية منها أربعة آلاف نول قزازة. وأقر (السلطان بنده) جبيل مع صاحبه على مال أخذ منه، وأخذ بيوتاً وجبلية وما حولها من الحصون.

وعاد (السلطان) إلى دمشق في نصف جمادى الأولى، واستقر العسكر على عانته بحصن الأكراد مع نائبه الأمير سيف الدين بنبال الطباخي، ونزل الأيرك إلى طرابلس من حصن الأكراد وأصيب إلى الطباخي، واستقر معه خمسة جندى وعشرة أمراء طينغاغا، وخمسة عشر أمراء عشرا، وأقطعوا إقطاعات. ثم عمر المسلمون مدينة بجوار النهر فصارت مدينه جليلية، وهي التي تُعرف اليوم بطرابلس.

(1) تذكر المخطوطة "من الإفرنج" وأحص Quatremere بتصلبها
(2) الواقع أن سقوط هذه النتيجة أقيم بحثين من سقوط عكا. راجع بعدها

في عام 1291 اكمل الأشرف بن قلاوون عمل أبيه الذي مات وهو يحصر الحملة على عكا وكثرت عمل كل أسلحته في حربهم على العزاة المسيحيين. وقد روى أبو الفداء الوقائع الدموية التي تم بواسطتها استعادة عكا بعد معرعة عارمة. وكان أبو الفداء قد شارك في تلك العملية في تبع السلطان وتكامل روايته مع "دوي صور" التي شكلت أهم مصدر غربي حول الأحداث التي أدت إلى نهاية السيادة المسيحية على الأراضي المقدسة. أما منحة الكفرة التي بغدت بحق المدافعين الأبطال بعد إسلامهم فجاءت أخبارها عن أبو المحاسن وهو مؤرخ مصري متأخر وهي ترتبط بمذبة مماثلة قام بها قبل قرن من الزمان ريتشارد قلب الأسد ضد أسرى مسلمين بعد أن حدث بوعوده لهم. ويتصيق هذا القانون القديم بنسب المستار على الفصل الأخير من مأساة الحروب الصليبية.

سقوط عكا

(أبو الفداء، 162-163)

في هذه السنة في جمادى الآخرة (1291/690) هتكت عكا وسبب ذلك أن السطان الملك الأشرف سار بالعساكر المصرية إلى عكا وأرسل إلى العسكر الشدة وأمرهم بالحضور وأن يحضروا أصحابهم المحدثين فوجه الملك المعظم صاحب حماة وعمه الملك الأفضل⁽¹⁾ وسائر عسكر حماة صاحبه إلى حصن الأكراد. وسلمنا منه منجيقاً عظيماً يسمى المنصوري، حمل مائة عجلة لغرف

(1) هذا ابن عم وأن الميثل الذي يصبح بدوره صاحب حماة.

في العسكر الحموي. وكان المسلم إلى منه عطة ولحقه، لأنني كنت إذ ذاك أمير عشرة . وكان سيرنا بالعجل في أواخر فصل الشتاء فاتفق وقوع الأمطار واستلوح علينا بين حصن الأكراد ودمشق فقلعنا من ذلك بسبب جر العجل وضعف سحر وموتها بسبب البرد شدة عظيمة. وسرنا بسبب العجل من حصن الأكراد إلى عكا شهر . وذلك مسير نحو ثمانية أيام للخيل على العادة. وكذلك أمر المستنصر الملك الأشرف بحر المحافيق الكار والصغار ما لم يجتمع على غيرها، وكان سرور العساكر الإسلامية عليها في أوائل جمادى الأولى من هذه السنة (أوائل أيار/مايو 1291)، واشتد عليها القتال ولم يعلق الفريج غالب أبرابها، بل كانت مفتحة وهم يقاتلون فيها. وكانت سرلة الحمويين برأس الممحنة على عاتقهم، فك على جانب البحر والبحر عن مدينتنا إذا واجهنا عكا. وكان يحصر إلينا مراكب مقلية بالخشب المثبس جلود الجواميس وكانوا يرمونها بالنشاب والجروح. وكان القتال من قدام من جهة المدينة ومن جهة مدينا من البحر. وأحضروا بطسة فيها منجنيق يرمى عليه وعلى خيما من جهة البحر. فك منه في شدة، حتى لفتق في بعض الليالي هبوب رياح قوية فارتفع المركب واحط بسبب الموج وانكسر المنجنيق الذي فيه بحيث أنه انحطم ولم ينصب بعد ذلك. وخرج الفريج في أثناء مدة الحصار بالليل وكبسوا العسكر، وهزموا البركية، واتصلوا إلى الخيام وتعلقوا بالأطواب، ووقع منهم فارس في جورة مستراح بعض الأمراء فقتل هناك. وتكاثر عليهم العسكر فولى الفريج مهربين إلى البلد. وقتل عسكر حماة عدة منهم. فلما أصبح الصباح علق الملك المظفر صاحب حماة عدة من رؤوس الفريج في رقاب خيلهم ليكسبه العسكر منهم، وأحضر ذلك إلى السلطان للملك الأشرف. واشتدت مصابفة لعسكر عكا، حتى فتحها الله تعالى لهم في يوم الجمعة السبع عشر من جمادى الآخرة (17 حزيران/يونية 1291) بالسيف. ولما هجمها المسلمون هرب جماعة من أهلها في المراكب. وكان في دحل البلد عدة أبرجه عاصمه بمرية قلاع حولها عنم عظيم من الفريج وتحصنوا بها. وقتل المسلمون وغموا من عكا شيد يهوت الحصر من كثرتة. ثم استنزل السلطان صبيح من عصى بالأبرجة ولم

يتأخر منهم أحد، فأمر بهم قصرية أعزقتهم عن آخرهم حول عكا . ثم أمر بمدينة عكا فهدمت إلى الأرض ونكت نكاً.

ومن عجائب الاتفاق أن الفرنج استولوا على عكا وأحبوها من صلاح الدين طهر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة سنة سبع وثمانين وخمسمائة واستولوا على من بها من المسلمين ثم قتلهم فقدر الله عز وجل في سابق علمه أن يفتح في هذه السنة في يوم الجمعة سابع عشر جمادى الآخرة على يد السلطان الملك الأشرف صلاح الدين (2).

لم تفتح عكا أنى الله تعالى الرعب في قلوب الفرنج الذين بساحل الشام، فأحس صيد وبيروت، وتسلمها للشجاعي في أواخر رجب (آخر آب/اغسطس)، وكذلك هرب أهل مدينة صور فأرسل السلطان وتسلمها، ثم تسلم عكا في مستهل شعبان (30 آب/اغسطس)، ثم تسلم أنطربرس في خامس شعبان. جميع ذلك في هذه السنة أعني سنة تسعين ومائة.

واتفق لهذا السلطان من السعادة ما لم يتفق لغيره من فتح هذه البلاد العظيمة الحصينة بغير قتال ولا تعب، وأمر بها فحريت عن آخرها. وتكاملت بهذه الفوجات جميع البلاد الساحلية والإسلامية، وكان أمراً لا يظمع فيه ولا يرم. وتظهر الشام والمواحل من الفرنج بعد أن كانوا قد أشرفوا على أخذ الديار المصرية وعلى ملك دمشق ونجوها من الشام. فلهذا التحف والمنة على ذلك.

(أبو المحاسن 24 v 25 r)

وبما انتهت سنة تسعين وستمائة أخذ الملك الأشرف في تجهيزه إلى السفر للبلاد الشامية، وانتمام ما كان قصده والده من حصار عكا، وأرسل إلى البلاد الشمالية (3)، وجمع الصاكر وعمل آلات الحصار، وجمع الصفاع إلى أن تم أمره حرج بمعاكدة من الديار المصرية في ثالث شهر ربيع الأول من سنة تسعين المذكورة

(1) لا يذكر أبو الفتح الأمل الذي أعطاه السلطان للمدافعين ثم نكت به وذهبه، راجع فيما يلي رويه أبي المحاسن حول هذا.

(2) أي أنه كان يصف من سلفه تكبير لقب صلاح الدين.

(3) راند عن غبريني

(6) (دار بهارس 1291)، وسار حتى نازل عكا في يوم الخميس ربيع شهر ربيع الآخر، ويوافقه خمس نيسان (أبريل)، فلجتمع عنده على عكا من الأمم ما لا يحصى كثرة، وكان المتطوعة أكثر من الجند ومن في الحتمة، ونصب عليها المحارب الكبار العربجة خمسة عشر مجنبا، منها ما يرمى بقطار نحشفي وأكبر، ومنها بوبه، وأم المحارب الشيطانية وغيرها فكثير، ونقب عدة نقوب، وأجد أهل عكا صاحب قبرس بيته، وفي ليلة قدمه عليهم أشعلوا بيوتنا عظيمة لم ير مثيها، هرحا به، وأقام عندهم قريب ثلاثة أيام، ثم عاد بعد ما شاهد انحلال أمرهم، وعظم ما دهمهم. ولم يزل الحصار عليها والجد في أمر قتالها إلى أن انحلت حرم من به وضعف أمرهم واجتفت كلمتهم. هذا والحصار عقال في كل يوم، واستشهد عليها جماعة من المسلمين.

لَمَّا كَانَ سحر يوم الجمعة سابع عشر جمادى الأولى⁽¹⁾ ركب السلطان والعساكر ورحلوا عليها قبل طلوع الشمس، وصربوا الكوسات فكان لها أصوات مهولة وحس عظيم مزعج. فحال ملاصقة العسكر لها وبأسوار، هرب الفرنج وملكت المدينة بالسيف. ولم تمض ثلاث ساعات من النهار المذكور إلا وقد استولى المسلمون عليها ودخلوها، وطلب الفرج البحر فبعثهم العسكر الإسلامية تقتل وتأسر فلم ينج منهم إلا القليل، وبهت ما وجد من الأموال والدخائر والأسلح، وحمل الأسر والقتل في جميع أهلها. وعصى الذبوبة والإسكندر وأسبس الأرمن في أربعة أبراج شوارع في وسط البلد فحصبوا فيها. فلما كان يوم السبت ثامن عشر أشهر، وهو ثاني يوم فتح للمدينة، قصد جماعة من الجند وغيرهم الدار والبرج الذي فيه الذبوبة، فطلبوا الأمان فأمنهم السلطان وعيّر لهم مسجد، فأخذوه ورفعوه على رءسهم وفتحوا الباب، فطلع إليهم جماعة كثيرة من الجند وغيرهم فقتلهم عند رءسهم شعرض بعض الجند والعوام للنهيب، ومثوا أيديهم إلى من عندهم من النساء والأصاغر، فطلق الفرج الأبولاب ووضعوا فيهم السيف، فقتلوا جماعة من المسلمين، ورموا الصنحق وتمسكوا بتحصيان. وعاد الحصار عليهم. وفي

(1) (جمادى الثاني لدى غفريلي). يسوق للنص هـ وخمسة "الأولى" (راجع لهم من 467) ملاحظ أيضا في التاريخ لقلعه عدم توافق بين أيام الشهر وأيام الأسيرة.

اليوم المذكور نزل من كان مخرج الإسماعيل الأرض بالأمان فأمنهم السلطان على أنفسهم وحرّهم على يد الأمير زين الدين كتنا للمصوري. وتمّ القتال على برج الديوية ومن عنده إلى يوم الأحد التاسع عشر من جمادى الأولى^(١) طُلب نذويّه ومن بقي في الأبراج الأمان، فأمنهم السلطان على أنفسهم وحرّهم على أن يتّوحيوا حيث شاءوا. فلما خرجوا قتلوا منهم فوق الأتقين وأسروا منهم، وساقوا إلى باب الدهشير النساء والصبيان، وكان من حيلة جنك السلطان عليهم مع ما سرّ منهم أن الأمير أقبعا المصوري أحد أمراء الشام كان طالع إليهم في جملة من طلع فأمسكوه وقتلوه، وعرقوا ما عندهم من الحيّ، وأذهبوا ما لمكنهم إذهبته، فتزيب سحق عليهم. وأخذ الجند وغيرهم من قسبي والمكسب ما لا يحصى.

ولما علم من بقي منهم ما جرى على إخوانهم تمسكوا بالعصيان، وامتنعوا من قبول الأمان وقتلوا لشدّة قتل، واحتفظوا خمسة نفر من المسلمين ورموهم من أعلى البرج لاسلم منهم نفر واحد ومات الأربعة. ثم في يوم الثلاثاء ثامن عشرين^(٢) جمادى المذكورة أحد أبرج الذي تأخر بقاء، ونزل من فيه بالأمان، وكان قد غلق من مائز جهاته. فلما نزلوا منه، وحولوا معظم ما فيه، سقط على جماعة من المسلمين المتفرجين ومن قصد النهب هلكوا عن آخرهم. ثم بعد ذلك عزل السلطان النساء والصبيان بحية وضرب وقت الرجال أجمعين، وكانوا حلائق كثيرة.

والعجب أن الله سبحانه وتعالى قدر فتح عكا في مثل اليوم الذي أحدها لخرج فيه، ومثل الساعة التي أحدها فيها، فإن الفريخ كانوا استولوا على عكا في يوم الجمعة صايع عشر^(٣) جمادى الآخرة [سنة سبع وثمانين وخمسمائة] في

(١) يسوقها غبريلي: (الأحد ٢٠ جمادى الثاني)

(٢) يسوقها غبريلي (ثامن عشر)

(٣) في ١٩ / ٦٨٦ بعد الحصار لتشيير، راجع ملجاء في هذا الكتاب عن استيلاء العدو على عكا

(٤) يعون غبريلي (١٦ جمادى الثاني). كما يذكر أن فتح عكا في شهر جمادى الأولى بخر ملاحضة التوافق مع الفتح الأول على يد صلاح الدين (١٦ جمادى الثاني) مرجع كعه راجع إلى ابن سعد التوافقه بـ "جمادى الثاني"، هذا إن لم يكن هو بتأليف قد أخذ بالتوافق عن مصدر على ما نقل بواحد من هذين التاريخين فإن مسألة عكا تكون قد حدثت في قبله لم يرد في حرملة بيزنطة من ١٢٩١.

الساعة الثالثة من النهار ، وأتموا من كان بها عن المسلمين ثم قتلوهم غدرا ، وقر الله تعالى أن المسلمين استرجعوها منهم في هذه المرة يوم الجمعة في الساعة الثالثة من النهار ، ووافق للصبح عشر من جمادى الأولى^(١) ، وأمنهم لسلطان ثمة قتلهم كما فعل الفرنج بالمسلمين ، فانتقم الله تعالى من عاقبتهم .

وكان السلطان عند مباراته عكا قد جهز جماعة من الجند معهم لأمير علم الدين سبجر الصوابي للجاشنكير^(٢) إلى صور لحفظ الطرق وتعريف الأحرار ، وأمره بمصايفه صور . فبينما هو في ذلك لم يشعر إلا بمراكب المهرمين من عكا قد وافق المباء التي لصور ، فحال بيدها وبين المباء ؛ فطلب أهل صور الأمن فأمنهم على أنفسهم وأموالهم ويسلموا صور فأجيبوا إلى ذلك . فتسّمهم . وصور من أجل لأماكن ومن انحصور للمبيعة ، ولم يفتحها السلطان صلاح الدين يوسف بن أيوب فبم فتح من الساحل . بل كان صلاح الدين كلما فتح مكان وأمنهم أوصلهم إلى صور هذه تحصانها ومنعتها ، فلقى الله تعالى في قلوب أهلها أنزعج حتى سلموه من غير قتال ولا مبارنة ، ولا كان الملك الأشرف في نفسه شيء من أمرها البقية .

وعند ما تسلمها جهز إليها من أحرها وهدم أسوارها وأبنيته ، ونقل من رجامها وأنقاصها شيء كثير . ولما تيسر أحد صور على هذه الصورة قوى عزه لملك الأشرف على أخذ غيرها (من أراضي الفرنجة)^(٣)

(١) يسوق غارييلي : جمادى الثاني .

(٢) يعرف غارييلي إلى "الدواق" "التحات" هي من سلسلة الأتقاب الفخية في العصر

(٣) أي بيروت وصيدا والثلث وطرطوس التي أخذت كلها أو تخليت دون حرب في صيف نفس العام ملكا كما رايد في أبي الفدا . تكن جزيرة لرواد مفضل طرطوس بعثت في بد الدوبة حتى عم ١٣٥٦ .

قهرمان الأعلام والبلدان

ابن حصون : 317	ابن هبيرة بن طرغيب : 97
ابن زولحة : 2118	ابن : 93
ابن زهير : 133	ابن أبي العتي : 44، 127
ابن سنجول : 76	ابن الأثير : 18، 23، 28، 40، 43، 55، 60، 62، 63، 67، 68، 85، 86، 89، 95، 97، 99، 100، 101، 107
ابن عبد الزاهر : 18، 46، 47، 47، 49، 305، 306، 312، 318، 320	111، 112، 148، 152، 161، 163، 167، 172، 185، 193، 197، 199، 206، 211، 212، 221، 244، 246، 259، 260، 263
ابن عساكر : 313	ابن الأرمي : 57
ابن قرة لرسائل : 134	ابن الجوالي : 229
ابن لقمان : 302	ابن الجوري : 45، 101، 275
ابن مارية أخت هنري الأول تكبري : 370	ابن التركي : 254
ابن منقذ : 314	ابن الخطيري : 40
ابن هنري : 156	ابن الخضر : 65
ابن واصل : 18، 23، 44، 47، 259، 267، 270، 272، 276، 277، 281، 285، 287، 288، 290، 292، 293، 295، 296، 297	ابن القزاق : 18، 47، 305، 310، 313، 313، 326، 327، 48
أبنة لملك أماري : 181	ابن القلائسي : 39، 48، 49، 43، 45، 55، 74، 76، 77، 78، 79، 84، 87، 88، 91، 95، 97، 101، 107
أبنة فليب لم هنري : 181	ابن المصطوب : 262، 263
أبو الطيب : 282	ابن محمد : 240
أبو القضا : 314، 334، 337، 339، 342، 281، 318	ابن اسحاق : 234
أبو القضا : 48، 49	أبو الطهيري : 237، 240
أبو القضا يعلم الدين بن علي الأيوبي : 48	أبو دبي طي : 48
أبو الفضل : 46	أبو يارزان : 179، 180، 240، 245، 247
أبو المحسن : 33، 339، 49، 49	
أبو المحسن بن طغر بيردي : 49	
أبو العظفر الأيوبي : 62	
أبو القنصر ملود : 289	

اسمة بن منة: 41، 115، 314	ابو بكر: 1، 2
اسجانيا: 55، 74	ابو بكر الصديق: 132
اسد الدين: 108	ابو جعفر امام الكلاسة: 255
اسد الدين شيركوه: 108، 208، 231	ابو حفص عمر: 302
اسكندرونة: 302، 322، 324	ابو ركريا يحيى ابن الشيخ ابي محمد عبد الواحد: 302
اسكوتلتا: 302	ابو شامة: 18، 43، 225، 43، 48، 127
اسماعيل: 141	ابو عبد الله محمد المستنصر بالله: 302
اسماعيل للمكبي: 208	ابو قبيس: 322
اسماعيل بن الانشعبد: 64	ابو يعنى حمزة بن مد النعمي: 39
اسوان: 116	ابونية: 271
اسيا الوسطى: 183	ابي سعد الهروي: 62
القوم: 266	ابي شامة: 220
القوم طاج: 262، 286، 287	اتابك: 80
الصبغ صدارية: 72	اتابك ركي: 9؛ اتابك ركي بن الحسن: 72
الصبهان: 42، 78	اتراك: 19
الامية: 322	احمد بن اسماعيل الزيات: 302
الانصار الدولة: 61	الارباجس: 264
الاريسس: 247	ازن: 264
الاريل لوك: 315	ازيل: 202، 213، 271، 150
الاريل كلام بيجاروك: 8، 9، 3، 32، 323	ارتوق: 15
الاريل كوريات: 323	ارجيش: 133
الاريل نيكول اللوي: 321	اسك: 86
الاريل نيكول اللين: 323	ارسلان بن شلاج: 86
الاريفية: 55، 56، 301	ارسلان قاش: 99
الاريفي المنصوري: 341	ارسوف: 310
الاسفر: 90	322
الاسجلى: 72	234
الاقليم: 279	ارضا: 13
الكم لاشريف بن قلاوون: 13	ارمينا المصري: 310، 57
ال خاتم: 63، 63	ارمينية: 264
الايريس: 307، 334	اريد افراس: 285
الايريس ارتباط: 163	اسمه: 16، 20، 20، 41، 48، 116، 117
الايريس الأمير: 332	118، 120، 121، 122، 123، 219
الايريس: 279	

أبر: الطويل فوطاليا: 271، 279	الأصغر: المعصية: 281
أبرمو: 289	أبرس: 77
أبرس: 144، 151	ألكندر: 284
أبرس: أرباط: 145، 149، 150، 156	ألكندر بن عباس اليوناني: 318، 321، 328
أبطرك: 152، 167، 180، 199	ألكسرية: 130
أبطرك الأعظم: 173	ألمبراتور: 279
أبطرك الكبير: 171	ألمبراتور: 271
أبقاع: 91، 103	ألمبرية: 271
أبقاع العريزي: 322	ألكندر: 225، 232، 236، 237، 238، 239
أبلاد: الإسلامية: 325	أبرس: 306
أبلاد: الحجازية: 321	أندريس: 98
أبلاد: السلطانية: 323، 325	أبرور: الأمبراطور: 276
أبلاد: السلطانية: 328	ألتارب: 85
أبلاد: قشامية: 319، 325، 339	ألكيبي: 84
أبلاد: الشريف: 276	ألدس: 159، 160، 205، 235، 322
ألبانيخ: 69	ألسقف: 245
ألبث: المقدس: 61، 64، 90، 149، 167، 172، 176، 182، 194، 199، 200، 204، 221، 222، 264، 265	ألتريف: 49، 265، 266، 276، 305، 319
ألبيرة: 97، 181، 272، 323	ألفصل: 67، 151، 195
ألتوكمني: 314	ألفصل بن بدر الجمالي: 61
ألتوتاش: الأبري: 72	ألفرانة: 152، 153
ألتيت: 342	ألفسي: 131، 171، 176
ألتسع: ألتقي: 99	ألمبر: 208
ألتسع: ألتوي: 113	ألمبر: ألتروش: 212
ألتشر: 212	ألمبر: ألتولو: 207
ألتجيرة: 64، 85، 97، 100، 113	ألتدلس: 45، 279
ألتسطين: 331	ألتكتار: 112
ألتج: ألتشطوب: 229	ألتويويون: 19
ألتجيرة: 260، 261	ألتجيج: 9
ألتخط: 130	ألتب: 323
ألتخط: ألتصفياني: 130	ألتباب: ألتدهي: 177
ألتخط: ألتدهي: 102	ألتباي: 239، 260، 280، 281، 282، 283
	279، 278، 284
	ألتباي: ألتجيرة: ألتسبيج: 301
	ألتشيرة: 228

الصرداني: 74، 75
 تسليجوقي: 19
 تسلط: الأعظم، الملك، الظاهر، ركن، السير
 تيرين: 279
 تسلط: المنصور: 327، 329
 تستجبل لود: 321
 التهروردي: 130
 السويدي: 323
 السويتية: 76
 السويدي: 309
 التسم: 55، 56، 62، 64، 64، 66، 67،
 72، 78، 79، 89، 90، 98، 99
 104، 105، 111، 12، 113، 3، 1،
 148، 150، 197، 200، 221، 223،
 247، 262، 263، 264، 267، 283،
 313، 320، 334، 339
 التخر: 323
 النصف: 295، 310
 التسمب شريف اربو: 322
 السويدي: 151
 السويدي: 321
 الصالح: 290
 الصالح ميم الدين لوب: 278
 الصالح: 331
 الصخرة: 62، 69، 171، 176، 8، 80،
 188، 276
 الصخرة المعظمة: 274
 الصخرة المعظمة: 274، 276
 الصلوات: 321
 الطوائف قليمات النجمي: 207
 الطور: 260، 322
 الظاهر سلطان حبيب: 297
 الظاهر غازي: 195
 الظهير: 204

المحافظ أبو القاسم بن عسكر: 145
 محبشة: 416
 محجار: 112، 149، 272
 الحرم الشريف: 274، 112
 الحرم الشريفين: القاع: 69
 محو: 8
 انحرابية: 110
 انحرابية: 226
 انحرابية: 211
 الخليفة الثاني: 172
 الخليفة الثاني: 116
 الخليفة عمر: 177
 الداروي: 170
 الدائم محمد بن محمد المفلحي: 66
 الدريمانك: 323
 الدند: 265
 الدولي اعقبه: 256
 الدبار المصرية: 297، 316، 319، 339
 الرازي: 142
 الرحبة: 70، 73، 323
 الرسون (ص): 87
 الرلة: 97
 الرمة: 66، 132، 167، 170، 240،
 247
 الره: 13، 59، 64، 66، 70، 70، 71، 72،
 95، 95، 97، 98، 99، 101، 151،
 181، 201
 السرداني: 323
 السرج: 85
 الرمكي: 5
 الساحر السوري: 225
 الساحل المصري: 247
 السمر: 241
 السر المصري ولادة خليل: 296

العاصم: 6، 235، 253، 270

العاصم بن أيوب: 195

العاصلية: 261

العاصمي: 85، 309

العلل: 240

العلل الريداني: 230

العراف: 61، 79، 264

العرصة: 99

العرصة: 319، 322

العرير: 297

العقبلي: 99

العلائي: 289

العليقة: 315

العوام: 231

العوام الواصل: 230

العوام عيسى: 214

العوجا: 322

الحياصية: 209، 233

الحبي: 48، 305، 316

الحوضة: 91

الحراقي: 92، 96

الحاروث: 177

الحراث: 6، 71، 84، 85، 97، 97، 98، 329

الحراثية: 319

الحرايس: 92

الحرايسين: 224، 302

الحصه عيسى: 208، 209

الحفائس: 55

الحفلاوي: 101، 105

الحفلاوي أبو الحجاج يوسف بن توماس

الحفري: 102

الحفلاوي يوسف الحافكي: 102

الحفصي الفضل: 42، 44، 129، 251، 252

256، 255، 254

الحافضي أبو الفضل بن الحبيب: 86

الحافضي محي الدين ابن الركي: 256

الحافض: 44، 45، 46، 47، 48، 49، 288

289، 290، 291، 292، 293، 297

335

الحجر المعظم: 174، 184، 220

الحكم: 16، 15، 19، 45، 55، 55، 61، 62

67، 90، 130، 127، 132، 138

144، 148، 168، 170، 172، 173

177، 178، 181، 183، 184، 85

190، 191، 192، 196، 199، 200

220، 227، 235، 236، 238، 24

242، 265، 270، 272، 273، 274

275، 276، 277، 307

الحكم الشريف: 130، 133، 134، 138

143، 232

الحكم بن بطرس: 309

الحراي: 97

الحري: 316، 317

الحراطينية: 105، 221، 56، 57، 259

الحراطين النشوي لنعيم: 113

الحراطين: 319

الحراطين: 216، 220

الحراطين: 59، 66، 69، 70، 71، 73، 148

149، 151، 152، 153، 155، 157

193

الحراطين: 16، 19

الحراطين: 161، 166، 306، 307

الحراطين صاحبة طيرة: 148

الحراطين: 322

الحراطين: 253، 275، 276، 281، 289

الحراطين: 145، 149، 150، 151، 153، 156

163، 171، 265، 286، 289

الحراطين: 321، 323

المعظم: 290، 301	الكنيسة: 177
المعظم صاحب دمشق: 264، 275	الكنيسة: 57
المعظم الكبير: 244، 247	الكنيسة الجوز (كوسيت الجوز): 88
المغرب: 264	الكنيسة هري: 240، 245، 247
المعززي: 18، 47، 47، 305	الكنيسة: 161
الملك القزويني: 223	الكنيسة: 67، 222، 223، 265، 319، 332
الملك الاميراطور: 275، 278، 284	الكنيسة: 322
الملك الكشوف: 262، 264، 267، 271، 335	الكنيسة: 240
337، 338، 339، 342	الكنيسة باب الزاوية: 268
الملك الكشوف صلاح الدين: 339	الكنيسة: 281
الملك الكشوف: 137، 140، 150، 190، 194، 207، 240، 251، 253، 254، 255	الكنيسة: 15
337	الكنيسة: 282
الملك الأمجد: 290	الكنيسة: 12، 157، 177، 223
الملك الأرواح: 290	الكنيسة المقدسة: 321
الملك السعيد: 315	الكنيسة: 93
الملك السعيد بن الظاهر: 316	الكنيسة: 332
الملك الشرف موسى العادل: 264	الكنيسة كوردا: 199، 220، 244
الملك الصالح: 116، 286، 287، 288، 299	الكنيسة: 193، 194، 195، 231
320، 323، 327، 327، 328، 318	232، 236، 237، 238، 239، 245
الملك الصالح حياء الدين علي: 318، 321	247، 246
الملك الصالح نجم الدين: 297	الكنيسة الفرنجية: 246
الملك الصالح نجم الدين يرب: 268، 286	الكنيسة كوردا: 245
289، 290، 291، 294، 298	الكنيسة: 193
الملك الظاهر: 46، 130، 140، 143، 213	الكنيسة بأنت: 78
240، 290، 295، 305، 307، 307	الكنيسة الأكسي: 62، 120، 169، 172
315، 316، 332، 271	176، 177، 185، 188، 189، 191
الملك الظاهر بيبرس: 311، 311، 318	274، 272
الملك الظاهر ركن الدين بيبرس الصالح: 314	الكنيسة الحرم: 177
الملك التتلي: 117، 131، 138، 139، 141	الكنيسة: 85
192، 211، 215، 229، 234، 235	الكنيسة: 106، 121، 155، 200، 236
238، 239، 240، 246، 253، 259	279، 281، 318، 328، 328
261، 262، 277، 278	الكنيسة الصليبية: 174
	الكنيسة المقدسة: 177، 177
	الكنيسة: 90، 91، 119

الملك غويدو : 237
 الملك فريسيوس : 224
 الملك قطب الدين ملكشاه بن قلع لرمسان : 221
 الملك كندروس (أوجوبك) : 268
 الملك مسعود : 117
 الملك نصر الدين : 128
 الملكة روجة المركوم : 245
 الملك : 19
 الملكة الطيبة : 319، 322
 الملكة الحسنة : 319
 الملكة الحموية : 319
 الملكة المشعفة : 322
 الملكة الصالحة : 322
 الملكة العكارية : 310
 الملكة القبرصية : 310
 الملكة الكركية : 321
 المنصورة : 289
 المنصور : 15، 46، 288
 المنصورة : 23، 287، 290، 291، 292، 294، 300، 323
 المنصور : 46، 281، 331
 المنيرة : 117
 المنهدار : 278
 المنيرة : 97
 المنيرة : 15، 40، 42، 58، 69، 70، 70، 72، 72، 89، 99، 100، 100، 111، 112، 112، 113، 14، 40، 140، 197، 201، 213، 223، 264
 المنيرة الأخصر : 104
 المنيرة : 319
 الملك الصالح : 331
 المنيرة : 332
 المنيرة : 276
 المنيرة : 144، 139

الملك عادل سيف الدين أبو بكر : 190
 الملك عادل سيف الدين أبو بكر : 206
 الملك عادل نور الدين : 108، 109، 116
 الملك عادل بن أبي محمد : 314
 الملك المنيرة غويدو : 246
 الملك المنيرة : 297، 322
 الملك المنيرة عمالي : 191
 الملك المنيرة بن عادل : 262
 الملك المنيرة : 301
 الملك المنيرة : 264
 الملك الكامل : 261، 262، 263، 264، 265، 266، 267، 268، 271، 272، 273
 274، 275، 277، 278
 الملك المنيرة : 279، 280، 281، 282، 283
 الملك المنيرة تقي الدين : 208
 الملك المنيرة قطر : 295
 الملك المنيرة : 296، 261، 264، 266، 267، 271، 272، 289، 290، 292، 293، 295، 296
 الملك المنيرة بن الملك الصالح : 296، 297
 الملك المنيرة ترواندا : 253
 الملك المنيرة ترواندا شاه : 278
 الملك المنيرة : 290
 الملك المنيرة : 210، 314، 318، 320
 321، 323، 328، 331
 الملك المنيرة قاتر : 334
 الملك المنيرة : 48
 الملك المنيرة : 254، 273، 274، 290، 297
 الملك المنيرة داود : 274، 275، 286
 الملك المنيرة داود بن الملك المنيرة : 289
 الملك المنيرة : 317
 الملك المنيرة : 237، 234
 الملك المنيرة : 284
 الملك المنيرة : 72

لوك بن هنري لوك بن هنري: 310	انسى (ص): 63، 128، 131، 132، 135، 144، 177، 242
لوكسورد: 34	اسرج: 77
لوك: 296	اسطرون: 143، 244
لوك الامطس: 254	السويدي: 307
لويج: 279	الدي: 261، 264، 266، 287، 290، 291
لوز: 79	الهندة العنصرية: 321
لوطيا: 281، 279، 271، 279	الهزميس: 324
لوحان: 61، 70، 84، 85، 86	الهونشواوس: 16، 19
لبن ولعل: 271	الوزير عهد: 321
ب	الوزير: 286
باب الرحمة: 177	الوطاء: 324
باب العرندس: 42	الهمس: 112
باب النصر: 292	اماري: 277، 282
بجب لمجالت: 192	امام الدين: 18، 43
بجب هوندا: 168	امام الدين الاصمغاني: 42
بجب مشهد علي: 275	امام رومية: 281
بجا رومية: 281	امبراطور رومية فرنريك: 281
ببا صاحب رومية: 267	امد: 100، 97
باري: 34، 35	امير زهيل: 271
باريس: 33، 42، 45، 47، 49، 49، 271	امير حماة: 190
باندوس الثالث: 109	اسطاكبة: 119، 144، 203، 243، 295، 306، 307، 308، 310، 313، 355
باندوس الثاني: 23، 34، 36، 21	57، 58، 59، 60، 61، 63
باندوس الخامس: 149	64، 66، 69، 71، 72، 72، 73
باندوس الرابع: 148، 149	76، 84، 85، 87، 88، 93، 222
باندوس للرعا: 68، 70	311، 311، 322، 332
باليان بن مارزلي: 135، 173، 240، 67	اسطرموس: 65، 318، 320، 332، 339
169، 170	انكيرة: 28
باليان دي ايبيل: 170	انكلس: 302
بالياس: 75، 80، 80، 93، 94، 108، 99	انكورية: 63
115، 116، 248	اروما: 49، 244، 122
بحر اشمون: 290	اوك: 63
بحر العطة: 265، 292، 293	اوك الثالث: 310
بحر القيل: 292، 331	

بحر لشم: 265	بحر لشم: 121، 80، 79
بحيرة مربة: 287	بحرين الثاني: 88
بداي: 84	بحرين الترويس: 88
بحر الدين طبعي: 48	بحرين: 322
بحر الدين بن رزيق: 326	بكتاش التهورتوي: 77
بحر الدين تادوم: 240، 230	بلاد الانعاميلية: 295
بحر الدين قاضي القضاة: 293	بلاد الإفرنج: 295
بحر الدين مورو الشحنة: 253	بلاد طبرية: 201
بحراني بكتاش الشامي: 364	بلاد تارخين: 134
بحران بزرگ: 74	بلاد تاروم: 278
بحران بن سنده: 72	بلاد تامل: 231
بحر نهج: 257	بلاد التوح: 322
بزرگ: 74	بلاد القرب: 327
براقم دوقلوميو: 332	بلاد الكرميل: 311
برج الاسبار: 341	برج المرقب: 310
برج النبوية: 212، 341	بلاد نسب: 310
برج القتال: 212	بلخس: 319
برج دود: 61	بلخس: 322
بردويل: 55	بلدين الأول: 59
بردويل: 59، 66، 67، 69، 70	بر لعد: 295
برشتوية: 302	بها: 67
برط: 84	بني عمر: 79
برلب: 279، 283	بهاء الدين: 18، 22، 42، 43، 127، 148
بريس اوسط: 53	199، 220، 223، 226، 232، 234
بررية: 57	239، 244، 251
برغا: 323	بهاء الدين بن شاد: 42
بررية: 322	بهاء الدين زهير: 289
بصري: 9، 32	بهاء الدين زهير بن محمد: 401
بطرسبورغ: 45	بهاء الدين قراقوس: 277
بعرين: 11	بوزة: 261
بعبك: 92، 111، 223	بوتيا: 270
بعد: 45، 62، 68، 71، 78، 78، 79، 84	بوس: 322
15، 27	بوس: 22، 44، 46، 47، 295، 308، 3
بعدين: 64، 72، 74، 75، 76، 77، 77	315، 315، 318، 322

باب المعنوي: 74، 77، 78، 88، 101، 120، 293، 294	باب المعنوي: 74، 77، 78، 88، 101، 120، 293، 294
تكميم: 56	تكميم: 56
تكميم بن ممر: 56	تكميم بن ممر: 56
توارثه ابن الصالح: 289	توارثه ابن الصالح: 289
توارثه ابن الملك الصالح نجم الدين ايوب	توارثه ابن الملك الصالح نجم الدين ايوب
294	294
توارثه: 300	توارثه: 300
تولون: 302	تولون: 302
تونس: 23، 301	تونس: 23، 301
تولون: 323	تولون: 323
ث	ث
ثابت: 117	ثابت: 117
نظر الاسكندرية: 321	نظر الاسكندرية: 321
نظر الرشيد: 321	نظر الرشيد: 321
نظر سميد: 321	نظر سميد: 321
نظر عرك: 321	نظر عرك: 321
نظر لواء: 321	نظر لواء: 321
شاه: 321	شاه: 321
ج	ج
جنزلا كارلو: 311	جنزلا كارلو: 311
جامع دمشق: 275	جامع دمشق: 275
جلندار: 334	جلندار: 334
جاويي: 70، 71، 72، 73	جاويي: 70، 71، 72، 73
جاوني حافور: 72	جاوني حافور: 72
جبل عملة: 80	جبل عملة: 80
جيلة: 75، 222، 223، 265، 319، 322	جيلة: 75، 222، 223، 265، 319، 322
جيل: 67، 67، 75، 75، 117، 156، 163، 167، 336	جيل: 67، 67، 75، 75، 117، 156، 163، 167، 336
جرجس: 287	جرجس: 287
جرائر الأتراك: 299	جرائر الأتراك: 299
جزيرة: 201	جزيرة: 201
جزيرة لروا: 342	جزيرة لروا: 342
بيد جبرين: 322	بيد جبرين: 322
بيد لحم: 322	بيد لحم: 322
بيد عيه: 130	بيد عيه: 130
بيدر: 335	بيدر: 335
بيروت: 74، 76، 77، 93، 194، 196، 214، 216، 313، 321، 336، 339	بيروت: 74، 76، 77، 93، 194، 196، 214، 216، 313، 321، 336، 339
342	342
بيلاجو: 784	بيلاجو: 784
بيمد: 63، 66	بيمد: 63، 66
بيمد الابرس: 305	بيمد الابرس: 305
بيمد الرابع: 306	بيمد الرابع: 306
بيمد الصالح: 305	بيمد الصالح: 305
بينك: 69	بينك: 69
ت	ت
تاج الدولة: 96	تاج الدولة: 96
تاج الدين تقي: 61	تاج الدين تقي: 61
تاسو توكواتو: 13	تاسو توكواتو: 13
تيس: 191، 322	تيس: 191، 322
تقش: 99	تقش: 99
تكميم: 323	تكميم: 323
تركيا: 134	تركيا: 134
تسلانة: 281	تسلانة: 281
تقي الدين: 133، 141، 196، 201، 202	تقي الدين: 133، 141، 196، 201، 202
تقي الدين المقرري: 47	تقي الدين المقرري: 47
تقي الدين عمر: 155، 190، 203	تقي الدين عمر: 155، 190، 203
تكريت: 100	تكريت: 100
تل العيصية: 201، 216، 233	تل العيصية: 201، 216، 233
تل بشر: 70، 71، 72، 73، 76، 84	تل بشر: 70، 71، 72، 73، 76، 84
تل خالد: 84	تل خالد: 84
تل عريش: 84، 85	تل عريش: 84، 85
تل كيسلي: 201، 233	تل كيسلي: 201، 233

381
 حرسنا الدين: 93
 حصار الدين: 298، 299
 حصار الدين بن تهرجاء المصنف: 302
 حصار الدين القاسمي تاج الدين بن يثت الأعر: 292
 حصار الدين بشارة: 236، 254
 حصار الدين بن تاجين: 207
 حصار الدين بؤنر الحاجب: 163
 حصار الدين محمد بن أبي علي الهبدي: 291، 287، 297، 298
 حصن الإكراد: 315، 336، 337، 338، 66
 76، 200، 313، 314، 316، 322، 332، 333
 حصن الدلوبة الكبير: 313
 حصن المنفج: 313
 حصن السود: 80
 حصن الطوبل: 65
 حصن الكوف: 248
 حصن المرقب: 328، 329
 حصن باندياس: 105
 حصن بعين: 90
 حصن خيرية: 166
 حصن قسطوب: 85
 حصن كيفا: 69، 100، 114، 244
 حصن صيات: 313
 حصن منصور: 84
 حطين: 16، 20، 20، 145، 148، 152، 155، 167، 193، 244
 حطب: 41، 42، 58، 58، 71، 71، 2، 84، 85، 87، 87، 90، 91، 99، 5، 1
 107، 113، 172، 203، 222، 223، 227، 250، 253، 297، 9، 3
 حماة: 48، 89، 90، 113، 120، 224، 250

جزيرة سميد: 289
 جزيرة صقلية: 271، 279
 جزيرة قبرص: 246، 316
 جزيرة قبرص: 274، 225
 جزيرة ابن عمر: 73
 جسر الحديث: 85
 جسر طبرية: 209
 جلق: 63
 جكرمش: 11، 10، 73
 جكرمش: 70
 جلال الدين بن علاي الدين حلايم شاه: 271
 جمال الدين: 279
 جمال الدين ابن راصل: 243
 جمال الدين إلباق: 252
 جمال الدين أبو علي بن زواحة الحموي: 204
 جمال الدين بن التجوزي القواعط: 274
 جمال الدين بن راصل: 11، 271، 274، 298
 جمال الدين بن منصور: 301، 300
 جمال الدين حنين بن مطروح: 294
 جمال الدين محسن الصالح: 294
 جمال الدين محمد بن تاج الموك: 92، 121
 جمال الدين محمد بن تاج الموك بوري: 91
 جناح الدوبة: 58، 60، 60، 64، 65، 66
 جنين: 322
 جهاد العراق: 28
 جورج التاسع: 283
 جرسير: 70، 71، 72، 73، 76، 95، 97
 جوب دي بيزين: 283

ح

حارس الجبهة: 244، 247، 248
 حارم: 224، 323
 حار: 78
 حر: 68، 69، 70، 151، 201، 264، 281

279، 329، 337

حمص: 46، 59، 64، 65، 66، 72، 92،

105، 113، 113، 203، 250، 313

حملين: 97

حوي: 93

حيد: 64، 139، 311، 323

خ

خرايه النبوة: 312

خشتريين حسن الهكاري: 253

خياط: 90

خليج الأزرق: 261

خليج القسطنطينية: 221

خليل الهكاري: 204

خليل بن الملك الصالح نجم الدين أيوب: 297

خوارزم جلال الدين: 271

د

دار الاستاذ: 194

دار البطرك: 192

دار السندان: 99

دار الطرابيع: 124

دارب: 91، 93

دائقي: 103

دائقي البجيري: 22، 268

دائقي البغل: 85، 87

داود: 171، 191

داود الملك المظفر: 290

داود بن معمر: 100

داوي مسور: 337

داويش: 309

دجيل الخراساني: 275

دقاق: 64

دقاق بن تثن: 58

دقفا: 100

دقرايم البروقي: 151

دمشق: 15، 21، 29، 39، 41، 45، 58، 61،

64، 65، 67، 75، 78، 79، 80،

83، 84، 89، 91، 92، 93، 94،

95، 100، 101، 104، 104، 105،

106، 107، 110، 113، 115، 121،

121، 123، 133، 134، 144، 147،

167، 171، 203، 209، 212، 216،

227، 250، 255، 263، 264، 265،

266، 271، 274، 275، 276، 288،

289، 300، 311، 316، 322، 329،

335، 336، 338، 339

دمياط: 116، 117، 203، 260، 261، 262،

263، 264، 265، 266، 267، 268،

269، 271، 272، 285، 286، 287،

288، 290، 291، 292، 293، 295،

297، 298، 301

دمياط النيل: 260

ديار الجوزية: 111، 150، 213، 264

ديار بكر: 69، 97، 111، 201، 203، 207

ديار مصر: 84

دير السباح: 323

دير حار الواس: 323

ر

رشد الدين: 249

250

رأس بشورة: 314

رأس عين: 97

رشدية: 20

رجز: 56

رجز الطقي: 98

رجز الفرنجي: 55

زركا: 57
 زرنبا: 85
 زكريا: 123، 177
 زكي: 19، 21، 23، 40، 48، 90، 90، 91
 95
 زهر الدولة الجيوشي: 67
 زين الدين أمير جندار: 293
 زين الدين كتيبا المنصوري: 341
 زين الدين يوسف: 213

س

سابق التبر: 141، 230، 236
 سابق الدين صاحب شير: 253
 ساحل الشام: 260
 سارذاني: 74
 سالم: 119
 سالم بن مالك: 70
 سامي الدهش: 41
 سالي نويس: 45، 278، 285، 301
 سبطية: 123
 سبط ابن الجوري: 45، 47، 105، 270، 279
 سيف الدين أبو بكر: 277
 سري: 278
 سراج الدين الازموني: 278
 سرجاني: 84، 85، 86
 سزداني: 74
 سزندا: 84، 85
 سزمناج: 289
 سزرج: 44، 70، 71، 97، 98
 سعد الدين مسعود: 253
 سفيان: 61، 64، 68، 69، 70، 100
 سفيان بن زريق: 60

رسائل بعد: 208

رسول الله (ص): 204، 211
 رشيد الدين: 44
 رشيد الدين مسار: 244، 248
 رصوان: 66
 رعد: 71
 رهبة: 69
 ركن الدين: 296
 ركن الدين بيزيس: 271، 279
 ركن الدين بيزيس البنداري: 295، 296
 ركن الدين طغصو المنصوري: 334
 ركن الدين منكورين العرفاني: 336
 روجر: 84، 87
 رويب: 9
 روسيا الصربية: 16
 روما: 24، 29، 31، 301
 رومية: 267
 رومية الكبرى: 260، 269، 280
 ريفالراس: 279
 ريتشارد: 19، 234، 239
 ريتشارد الكنترا: 199، 214، 244
 ريتشارد قلب الأسد: 143، 224، 337
 ريتشارد ملك انجلترا: 193
 ريد فرانس: 193
 ريد ركون: 302
 ريد فرانس: 278، 281، 291، 293، 294
 295، 297، 298، 302، 311
 ريمند: 93
 ريمند الثالث الكوريت: 148
 ريمند بن ريمند الصنجيلي: 148
 ريمند بن هنجيل: 74، 75
 ريموند سالي جيل: 65

سيف الدين غازي بن زكي: 104، 104، 104، 105
 سيف الدين مشطوب: 227
 سيف الدين يازكج: 208
 سيلولس: 63

ش

شقيق: 47
 شمع السعفاني: 46
 شمس الدين نصر بن مرداس: 313
 شعاع الدين: 269
 شعاع الدين جلك المصغري الطوري: 268
 شجرة الدر: 296
 شرق الأرنؤ: 149، 204
 شرم شاه: 289
 شرمنا: 85، 87
 شمع: 305
 شفيق نهر كولس: 323
 شهاب حنون: 20
 شهاب قلوب: 322
 شفيق كوردس: 309
 شمس الدولة بن أيوب: 112
 شمس الدولة جكرمش: 69
 شمس الدين: 273، 276، 277، 274
 شمس الدين القسفر العارقي: 306
 شمس الدين يوسف: 274
 شمس: 323
 شهاب الدين الرشيد: 297
 شهاب الدين: 286
 شهاب الدين أبو القاسم أبو شامة: 43
 شهاب الدين محمد بن تاج الملوك: 92
 شيرزور: 100
 شيخ الجبل: 244
 شوزر: 41، 460، 76، 113، 115، 221، 230
 240
 شيكاغو: 45

سعد بن ارتق التركماني: 61
 سلطان كوبه: 117
 سميه: 121
 سجم: 13، 177، 191
 سليمان بن الأتق: 59
 سليمان بن مبارك بن توبل: 86
 سمرقند: 183
 من أبي صليب: 97
 سنان: 247
 سكرية: 321
 سنجار: 139، 201، 208، 213
 سلجة: 84
 سفر: 134، 254
 سقر الصلطي: 133
 سقر المشبوب: 254
 سقر الوشافي: 229
 سقر برار: 72
 سور الباشيرة: 228
 من صقلان: 241
 سورة مريم: 174
 سوريا: 41، 43، 61
 سورية: 16، 21، 48، 89، 149، 190، 220
 248، 253، 260، 265، 318، 321
 سرق الخراسين: 111
 سويج: 61
 سورية: 41
 سبع الحديد: 323
 سحر روجير: 85
 سيرجال: 85
 شهاب الدين: 314
 سيف الدين المشطوب: 228
 شهاب الدين بلبل الصياحي: 336
 شهاب الدين علي المشطوب: 208
 سيف الدين غازي: 112

من

صاحب الشتم: 314
صاحب جيرة فرص: 316
صاحب حصص الأكراد: 315
صاحب حماة: 314
صاحب حمص: 313
صاحب دعوة الاسم تعزية العجايب نجم الدين:
314

صاحب رومية: 260
صاحب رومية الكبرى: 266
صاحب سهيل: 314
صاحب سور: 310
صاحب صيدا: 245
صاحب طرابلس: 310
صاحب قبرس: 317، 340
صاحب مزقة: 333
صارم الدين الكاوي: 315
صارم الدين ليهماز النجفي: 166، 229
صافيت: 322
صبيح: 295
صبيح المعظمي: 294
صفاء الدين: 190
صفاء: 141، 295
صفريّة: 151، 152، 201
مقبلة: 16، 55، 55، 56، 98، 190، 236،
271، 276، 277، 281، 283

صلاح الدين يوسف بن أيوب: 342
صلاح الدين: 15، 18، 20، 20، 20،
2، 22، 24، 34، 40، 41، 42،
42، 43، 43، 44، 45، 48، 53،
107، 112، 125، 127، 129، 130،
148، 149، 150، 151، 152، 153،
154، 155، 156، 157، 160، 167،
168، 169، 170، 171، 172، 175

186، 190، 193، 194، 95، 196،
199، 200، 201، 202، 203، 204،
205، 206، 207، 208، 212، 213،
216، 220، 221، 222، 223، 225،
234، 238، 241، 244، 247، 248،
249، 250، 251، 253، 256، 259،
262، 265، 272، 273، 276، 322،
339

صلاح الدين يوسف بن أيوب: 111
صلاح الدين يوسف بن نجم الدين أيوب: 314
منجول: 59، 65، 66، 66، 74
منجول الفرجي: 67
سند حنة: 192
سهيون: 61، 322
سور: 74، 76، 77، 79، 80، 81، 82، 83،
93، 101، 136، 157، 171، 184،
193، 194، 195، 196، 197، 199،
200، 203، 220، 236، 237، 243،
245، 246، 247، 321، 339، 342
سورصفلان: 194
صيدا: 74، 76، 77، 78، 81، 136، 144،
193، 200، 230، 236، 237، 238،
239، 247، 265، 282، 288، 311،
321، 324، 326، 327، 339، 342

من

سيمة ماريون: 322
سيمة خاتون بنت الملك الناصر: 297

ط

طبرية: 20، 100، 109، 137، 148، 149،
151، 152، 153، 154، 157، 159،
160، 161، 166، 205، 240، 265،
322

عشمان: 112	طربنس: 21، 49، 49، 65، 65، 66
عشمان للطلحة: 106	67، 74، 74، 75، 75، 76، 82
عجراة: 93	98، 148، 152، 157، 193، 203
عرس: 120	222، 243، 306، 307، 308
عرفات: 187	313، 315، 318، 321، 332، 334
عرفة: 138، 293	334، 335، 336
عركا: 319	هرابلس الشام: 305
عرفة: 74، 76، 329	طرصرس: 80، 318، 342
عر الدين: 141	طعنكس: 15، 21، 39، 58، 83، 84، 85
عر الدين ابن الأثير: 40	80، 91، 313، 104
عز الدين الأكرم: 315	طلاني بن روريك: 116
عر الدين التركماني: 296	طابطة: 55
عر الدين النديمي: 100	طاطري: 69
عر الدين أريث: 229	طاطري الحاكبة: 68
عر الدين أبيك الشيع: 315	طكري: 64، 71، 74، 75، 76
عر الدين أبيك التركماني اتصالحي: 297	طكري الفرنسي: 72
عر الدين بن المقدم: 236	طكري الحاكبة: 70
عر الدين جرديك النوري: 229	طنكي: 313
عر الدين جرديك: 198	طول شاه: 90
عل الدين مصر: 336	طوبوز: 65
صفلا: 62، 66، 138، 167، 167، 170	طوبوا: 9، 3
173، 196، 233، 234، 236، 239	
242، 246، 265، 322	
هسلت: 326	
هسلوت: 311، 327	
عسد الدولة أبي سعيد أبق بن جمال الدين	
محمد: 92	
عكا: 20، 20، 49، 49، 49، 61، 61	
64، 67، 83، 89، 101، 123	
130، 135، 138، 149، 151، 151	
152، 193، 194، 195، 196، 197	
199، 200، 201، 202، 204، 205	
206، 207، 210، 212، 214، 219	
216، 220، 222، 223، 224، 226	
	ظهر الدين بن البسكري: 207
	ظهر الدين: 80، 81، 209
	ظهر الدين أبيك: 79، 87، 88
	ظهر الدين طعنكس: 89
	ع
	عجاس: 280
	عبد الرحمن الحطبرلي: 102
	عبد المكرم المراس: 277
	عبد الله بن راحة: 284
	عديث: 321، 324، 339

عيسى: 294	226، 229، 230، 231، 232، 234،
عيسى بن الملك العادل: 262	236، 243، 244، 247، 248، 260،
عيسى الخرم: 215	271، 272، 272، 274، 274، 280،
عيسى بن مريم: 271، 321	310، 310، 311، 311، 312، 312،
عين جالوت: 16، 19، 295، 322	316، 318، 320، 321، 321، 323،
عينتاب: 323	326، 334، 336، 337، 338، 339،
عيون العصب: 29	340، 342
غ	عكار: 117
غزة: 56، 288	عكة: 66، 249
عروة مؤتة: 204	علاء الدين ولد هر الدين مسعود بن مودود بن
غولمه دمشق: 93	رنكي: 213
غوللم: 21	عكس: 253
غوللم الركي: 236	علم الدين سليمان: 141، 235
غوللم دي لورديانو: 149، 156، 170	علم الدين سليمان بن جندر: 233
غياث النفا والدين محمد بن ملك شاه: 78	علم الدين منجر السوابي الجاشنكير: 342
غياث الدين طوقان شاه: 295	علم الدين قيسر: 273
ط	علي: 112
طبرستان: 185	علي بن أحمد: 308
طبرستان الملك: 307	علي بن أحمد المشطوب: 240
طبرستان الملك: 296	عماد الدين: 21، 22، 42، 127، 139، 148،
طبرستان: 288	157، 164، 171، 173، 174، 176،
فخر الدين من حمز: 65	191، 211، 219، 234، 241، 244،
فخر الدين: 282، 287، 271	245
فخر الدين للمعري الحاجب: 114	عماد الدين الأصمعي: 308
فخر الدين بنز حاجب: 326	عماد الدين أحمد بن علي: 262
فخر الدين بن الشيخ: 273، 280	عماد الدين أتابك: 91، 92، 94، 95
فخر الدين بن شيخ الشيوخ: 281	عماد الدين ركي: 89، 99
فخر الدين بن تيمال: 294	عماد الدين ركي بن أفسر: 97
فخر الدين يوسف: 289، 290	عماد الدين ركي بن مودود بن ركي: 213
فخر الدين يوسف بن شيخ الشيوخ: 286	عمر: 112، 192
فخر الملك بن عمار: 75	عمر الخطمي: 133
فرانكيسكو لسيبي: 268	عمر بن الخطاب: 172
	عمر بن عبد العزيز: 112
	عقاب: 48

فريديك: 45، 280، 281

فريديك الثاني: 16، 19، 23

فريديك: 74، 101

فريديك الثاني: 46، 270

فريديك ياربارو: 220

فكتور عمانوئيل: 79

فلسطين: 15، 58

فلانك بن فلانك: 115، 121، 122، 123

فلورينس: 14

فلورينس: 222، 270، 271، 272، 273، 286

فلورينس: 221

فلورينس: 33، 35

فلورينس: 199

فلورينس: 224

فلورينس: 48

ق

قاضي القضاة: 129

قاضي القضاة: 273

قاضي القضاة: 151

قبة الصخرة: 171، 188، 189

قبر المسيح: 103، 220

قبرين: 317

قبرين: 260، 316، 335، 312

قبرين: 310

قبرين: 68

قبرين: 2، 3

قبرين: 302

قبرين: 330

قبرين: 45

قبرين: 189

قبرين: 59

قبرين: 222

قبرين: 207

قلاع الدعوة: 319

قلاوي: 20، 46، 47، 305، 2، 1، 2

318، 319، 321، 331

قلب الاسد: 23، 220

قلج أرسلان بن مسعود بن سليمان بن قلمش

بن سلجوق: 221

قلج أرسلان بن سليمان بن قلمش: 65

قلعة الاكراد: 31

قلعة الروم: 329، 329

قلعة الصبيحة: 322

قلعة بانهاوس: 109

قلعة بصرى: 92

قلعة بصرى: 89، 90

قلعة بعلبك: 122، 122

قلعة جبل المقطم: 335

قلعة جمر: 70، 73، 99، 168

قلعة حصن الاكراد: 319

قلعة دمشق: 111

قلعة دير: 322

قلعة حبلون: 322

قلعة عرطصية: 100

قلعة قافق: 322

قلعة دابلس: 1

قلعة نجم: 373

قلورية: 281

قلج أرسلان بن سليمان بن قلمش: 57

قلعة: 171، 184

قنبرين: 66، 85

قوله كريك: 58

قونية: 57، 65، 221

قوسارية: 64، 143، 243، 322، 324

قصر: 281

قصر بيسر: 310

ك

- كاتباني: 24، 27، 45، 47، 48، 49
 كربونة: 59، 60
 كرسي سليم: 177
 كز، معاب: 149، 265
 كمر صاب: 90
 كلرهدا: 14، 219
 كليم جيبا: 121، 122
 كمال الدين: 18، 21، 11، 84، 100
 كمال الدين ابن السيم: 41
 كمال الدين ابن شيت: 311، 312
 كمال الدين بن الشهور: 113
 كمشتكين بن الداشمت بلبلو: 63
 كنديش: 247
 كنزفرند: 224
 كنزفري: 53، 59، 64
 كنيسة القصبان: 309
 كنيسة القامرة: 325
 كنيسة بولص: 309
 كنيسة سطلحان سن توماس: 335
 كنيسة صهيون: 168، 192
 كنيسة قلعه: 174، 192
 كوراد: 239
 كوكب: 137، 322
 كوت طرابلس: 244
 كوشية صرابلس: 106
 كوراد: 23، 193، 244
 كوراء الثالثة: 101
 كي: 163
 كيسرد: 71، 84
 كيبيكي: 3، 0

ل

- لاهور بن اسطعفة بن لير: 222
 لاقويارنيا: 271
 ليدان: 91، 117
 لدا: 322
 لشعرا: 322
 لكس: 323
 لميردية: 281
 لندي: 35
 لورهادي: 279
 لورفا: 327
 لومارنيا: 271
 لويش القلع: 23، 279، 285
 لويش السليم: 101
 لين: 35، 39
 لينجراد: 46
 م
 م. ريانا: 47
 م. شال: 45
 ملين النهرين: 81، 197، 259، 281، 290
 295
 منر بطرس: 99
 منر يوحنا: 139
 مارين: 15، 84، 84، 97، 100
 ماركو بولو: 244
 مارون: 324
 ماريا: 327
 مارينا: 323
 منكمين: 70
 ملك شاه: 56
 منفردي: 270، 279
 مبارك: 133
 ميلانو: 35

مسجد النصر : 293
 مسجد عمر : 171
 مسعود : 100
 مصحف عثمان : 106
 مصر : 16، 15، 19، 47، 48، 49، 56، 66،
 67، 76، 77، 80، 111، 2، 3،
 113، 116، 117، 138، 145، 49،
 150، 167، 174، 176، 186، 190،
 191، 195، 197، 200، 203، 206،
 227، 250، 254، 259، 260، 261،
 262، 264، 265، 268، 269،
 289، 290، 294، 295، 296،
 297، 299، 302، 312، 315، 3،
 320، 321، 329
 مطهر الدين : 271
 مطهر الدين بن زين الدين : 201، 208
 مطهر الدين بن علي كوجك : 181
 مطهر الدين كوكچري بن زين الدين : 15
 مرة للنعمان : 60
 معين التوبة سلطان : 69
 معين الدين : 93، 94، 105، 121، 121، 123
 معين الدين أقر : 93، 101، 104، 124
 مقدم الأسيار : 259
 مقدم الأسد عليه : 247
 مقدم للدوية : 156، 163، 167
 مقدم بيت الأسيار : 315
 مقدم عسكر الأفرسيين : 215، 216
 معما للدارية والاسيتر : 180
 مغربي : 272، 273، 275، 285، 290، 299،
 301، 318، 335
 مكة : 112، 116، 157، 177، 177، 87،
 مكة للمشرقة : 327
 منطية : 63، 64
 ملك اسكوتنا : 302

منى : 27
 مجاهد الدين بركتش : 208
 مجا الدين بن عمر الدين فخرشاد : 223
 مجلي بن مرد : 204
 مجيز الدين أبق بن عوي بن طعكير : 104
 محراب "القصبي" : 190
 محراب داو : 61، 177، 191
 محمد : 40
 محمد (ص) : 62، 98، 112، 132، 174،
 176، 177، 200، 204، 280، 300،
 326
 محمد الأصبهاني : 68
 محمد بن آقو ارسلان : 134
 محمد بن لاجين : 150
 محمد بن مالك شاه : 72
 محي الدين بن عبد الزاهر : 307
 محي الدين بن الركي : 171
 محي الدين بن عبد الزاهر : 46
 محي الدين بن عبد الظاهر : 311
 محيي الدين : 312
 محيي الدين أبي المعالي محمد بن زكي الدين
 علي، القرشي : 187
 رمضان : 327
 مرتعبي : 327
 مرج دابق : 58، 85
 مرج عكا : 135، 136، 139
 مرسى الحسوة : 316
 مرغريت صاحبة صو : 318
 مرهش : 327
 مرقية : 332، 333
 مركزر مونغيرات : 244
 مريم : 12،
 مريم : 327
 مسجد الصحرة : 171

ملك: لافريج: 248، 249

ملك الافرنسيس: 228

ملك الانكندر: 225، 241، 243، 245، 246،

238

ملك: «فريج»: 109، 121، 143، 156، 272،

298، 291

ملك: «انكار»: 302

ملك: «الامين»: 104، 105، 200، 221، 221،

222

ملك: «الانكار»: 224

ملك الروم: 221

ملك السهل: 236

ملك مفرج: 148، 167، 271، 274

ملك القدس: 281

ملك القدس ملك: 115

ملك: «الانكار»: 247

ملك: «الانكار»: 221، 234

ملك برشونة: 302

ملك تونس: 302، 307

ملك ثورل: 302

ملك شاه: 61

ملك صور: 310

ملك عكا: 266، 326

ملك فرنسا: 223، 281

ملك قبرص: 110

ملكة المسخرة: 236

ملك القدس: 170

ملك رومية: 181

ملكة: 68

ملكة «برص»: 306

ملكة لأطرون: 322

ملكة الحبر: 322

ملكة الشام القديمة: 281

ملكة القدس: 15، 321

ملكة القدس الشريف: 322

ملكة بوليا: 283

ملكة حصا: 322

ملكة حصص: 322

ملكة صافينا: 319

ملكة صهيون: 319

ملكة عكا: 311، 322، 327

ملكة قبرص: 311

ملكة نابلس: 322

منج: 72

مقت فتن: 282

منقط الذين يحيى بن أبي طي السجار عيسى:

313

منصوري: 272

منقرد: 44، 271، 278، 279، 281

مكنا: 253

مودود: 76، 100

موسليمي: 79

موسى: 174

موت قوريت: 316

معمار: 333

معمار: 322

ميكلي لماري: 46

ميكلي لماري: 276

ميمون القصري: 253، 254

مينا منقروم: 283

مبأء سور: 196

ن

نابلس: 118، 123، 207، 277

نابولي: 54

نصر الذين صاحب صهيون: 253

نجم الدين: 315

نجم الدين ايوب: 296

و

ولدي القتيب: 93
والدة خليل: 297

ي

يلخر: 65
يلور: 234
ياغي ميس: 57، 58، 66
يما: 64، 67، 143، 143، 234، 236، 243،
246، 277
ياقوتي: 61
ياقوت: 84
يحا: 327
يحيى الدين: 307
يحيى الممجد: 123
يحيى بن ركب: 123
يسوع المسيح: 155
291
يوحا: 327
يوسف: 42
يوسف بن ذي ناس الفندلاوي المغربي: 104

A WASS 35
Alhajr 93
Alessio Commen: 79
Amaur 18.
Amaury 170
Andrea di d'Ungheina: 260
Aene: 34
Aynaru 93
B Lewis 34
Bajan d'ibelm: 167
Bajan II di Ibelm: 240، 115
Barbier de Meynard: 24
Bar: 15
Baudouin du Bourg: 59

جم الدين ايبغاري: 87

جم الدين أيوب: 287، 288

جم الدين بن إسرائيل: 301

جم الدين بن شيخ الإسلام: 286

سروا: 21

بصر الشيخ بن الفراء: 47

نصيرين: 97

نهر أرس: 377

دربة القليعات: 329

نور الدين: 13، 21، 39، 40، 42، 43، 95،

109، 110، 112، 171، 171

نور الدين الشهيد: 314

نور الدين بن رنكي: 107

نور الدين رنكي: 89

نور الدين علي: 190

نور الدين محمود: 105، 172

نور الدين محمود بن رنكي: 111

نور الدين محمود بن رنكي بن السقر: 111

نوشرواں التريزادي: 253

■

هنة بيزنس: 319، 321

هروب الرشيد: 275

هريك بن الامبراطور هورديك: 281

هلال الصافي: 39

همدان: 78

هنري الأول: 310

هنري: 163، 167

هوغر الثالث: 310

هوغو فوك الثالث: 312

هولاكو: 106

هوس: 108، 322

I Marchese di Monferrato: 199
 imad ad-din: 34
 Isabe'ia: 310
 Isabella d'Angio: 237
 Isabella d'Ibelin: 310
 KRAEMER: 34
 Jerusalem: 34
 John Rylands: 34
 King Folco: 122
 Krak de Chevaliers: 66, 113
 La Monte: 33
 Landberg: 43
 Leiden: 33, 35, 43
 Leipzig: 46
 Lessing: 251
 Lucera: 279
 Marchese di Monferrato: 244
 Maria Comnena: 170
 Maria d'Antiochia: 311
 Michaud: 24
 Michele Aman: 24, 46
 Moinesire: 117
 Mont Ferrand: 89
 Montecassina: 282
 Mont-Pelerin: 105
 Odo Pouchien: 321
 Oronte: 309
 Ousama ibn Mounakidh: 42
 Pelagios: 272
 Pierre Barthelémy: 59
 Quatremeris: 327, 336
 R. CROUSSET: 31
 La mondo di Portiers: 93
 Raymond de Saint-Gilles: 74, 305
 Re d'Aragon: 302
 Renaud: 24
 Renaud de Châtelon: 145, 181
 René Crousset: 15
 Roger des Moulins: 151

Biregik: 98
 Caccagunda: 103
 Caerani: 24
 CAHEN: 35
 Casozzo: 284
 Calat: 329
 Cambridge: 33
 Carlo d'Angio: 281, 311
 Carlo d'Angio: 321
 Carlo d'Angio: 279
 Celestina: 91
 Cesarea: 312
 CL CAHEN: 33
 Cont d'Aujour: 88
 Corrado di Monferrato: 237
 Echive: 148
 Enrico di Champagne: 210
 Eraclio: 167
 F. Rosenthal: 184
 Fagnasso: 35
 FROSENTHAL: 13
 Filippo Augusto: 224
 Filippo di Milly: 181
 Firenze: 34
 Folco: 90
 Frere Hugues - Hugues de Raver: 3, 5
 Gerard de Radfort: 156, 205
 Giovanna di Sicilia: 236
 Giovanni di Brignano: 260, 283
 Giovanni II Comneno: 90
 Guido di Lusignan: 149
 Guilfaute Jourdain: 74
 H.A.R. GIBB: 34
 Henri di Champagne: 245
 Hohenstaufen: 16
 Honfrui de Thorez: 171, 181
 Honfrui de Toron: 109
 Honfrui Thoron: 237

Sir Roger 85

SIR RICHIMAN 33

Stefania: 173, 181

syrx du Nord: 33

Teodoro Sofiano: 119

Tornberg: 40

Ugo di Lusignan: 260

Ugo di Prienne: 310

Ugo II 310

Z.OLDENBOURG: 33

S.Francesco d'Assisi 268

S.GUYARD. 44

Saladin: 34, 44

San Giovanni: 192

Sarmada: 85

Sarmi. 85

Setton. 33

Sibilla: 149, 170, 181, 237

Sigurd: 77

Sir Hertog 278

نماذج المرحلة الأولى من الكتاب العربي

نماذج من صور طبق الأصل (فونوكوبي) وميكروفيلم التي شكلت أساس هذا العمل للمصنعي القائم على صور الصفحات الأصلية التي جمعها من أصولها في مكتبة مؤسسة كاتاني للدراسات الإسلامية، Fondazione Caltani Per gli studi musulmani، في روما، ثم رتبها بحسب ما وردت في كتاب غابريلي الإيطالي. تمت بعدها بترجمة كل ما كتبه غابريلي من مقدمة وهوامش وفهارس وأصغفها إلى هذا العمل. كما أصغت إلى النصوص العربية المقتصة للتواريخ الميلادية التي وسعها غابريلي إلى جانب التواريخ الهجرية الموجودة في النصوص الأصلية.

THE
HISTORY
OF
THE
CITY
OF
NEW-YORK
FROM
THE
FIRST
SETTLEMENT
TO
THE
PRESENT
TIME
BY
J. C. COVIL
IN TWO VOLUMES
VOL. II
NEW-YORK
PUBLISHED BY
J. C. COVIL
1851

THE
HISTORY
OF
THE
CITY
OF
NEW-YORK
FROM
THE
FIRST
SETTLEMENT
TO
THE
PRESENT
TIME
BY
J. C. COVIL
IN TWO VOLUMES
VOL. II
NEW-YORK
PUBLISHED BY
J. C. COVIL
1851

موجز مسيرة المترجم

نبيل رضا المهائني

Nabil R. Mahaini

- من مواليد دمشق 1944.
- أقام في إيطاليا للدراسة ثم العمل بين عامي 1963 و 1986.
- تخرج عام 1969 من فرع دكتور المسرح والتلفزيون في أكاديمية لليون الجميلة في مدينة فلورنسة،
- ثم تخرج عام 1973 باختصاص علوم الرأي العام - إخراج تلفزيون وسينما من جامعة الدراسات الاجتماعية في روما.
- عمل أئنها وبعدها في مجلات التلفزيون والسينما في إيطاليا.
- ومرسلاً لكثير من المجالات الأنسية والعلمة العربية، من فلورنسة وروما.
- ترجم وأنتها وفيما بعد عدة كتب عن الإيطالية. وقد نشر كثير منها في بيروت ودمشق.
- أخرج كثيراً من الأفلام للتلفزيونية في مختلف المجالات الوثائقية والإرشاد الزراعي، حار بعضها على جوائز في مهرجانات دولية وعربية.
- يعمل منذ عام 1983 حبيراً لدى الصندوق الدولي للتكمية الزراعية - بغداد، في روما بداية ثم في دمشق.
- يعمل الآن كممثل ميداني لإيفاد في سورية.

رفع

مكتبة تاريخ وأثار دولة المماليك

فتح القدس وحصار عكا وسقوط طرابلس وصدى أحداث سوريا في بغداد هذه وغيرها وقائع تاريخية تم تسجيلها بأمانة من قبل المؤرخين العرب خلال قرنين من الحروب الصليبية، وقد تمت ترجمة تلك الروايات عن القتال بين المسلمين والمسيحيين إلى لغات أوروبية متعددة، مما مكّن القارئ الغربي من التعرف إلى «الجانب الآخر» في تلك الحروب المقدسة.

«المؤرخون العرب للحروب الصليبية»، كتاب «قديم» و«حديث» في آن واحد، إنه كتاب عن الحروب الصليبية بقلم مؤرخي العهد، وقد لبس لباس عصرنا وتحلى بروحه. قام غابرييلي في هذا الكتاب بإعادة صياغة مواضيع عمله صياغةً افتراضية، قوازي وقارن ودمج مواد مختلف المؤلفات التي كتبها مسلحون في تلك العهد عن تاريخ تلك العهد، واستخلص مقاطع من مؤلفات سبعة عشر مؤرخاً مسلماً منها ما هو تاريخي بحت، ومنها ما هو سجلات مدن ومناطق وسلالات حاكمة، ومنها ما لا يبدو عن كونه سيرة ذاتية أو سيرة لبعض الشخصيات، أو حتى وصفاً لا يخلو مما قد يسمى اليوم بأنه «بورتوغرافي» لأحوال نساء تطوعن وركبن البحار وجئن للتزلف عن الجنود.

تشهد كل هذه المقاطع على أن المؤرخين العرب تمكنوا من مقارعة أقرانهم الغربيين في تجميع المعلومات المالية والتاريخية وسردها. هذا فضلاً عما امتازوا به من صقل الوصف وإيجاز البيان والعمق الصورة التي يرسمون بها قيادة العدو. فهناك دهاء بالدوين الثاني، وبراعة ريتشارد قلب الأسد الحربية، وإعدام الشريكز كونراد، ودبلوماسيّة فريديك الثاني. هناك أيضاً طبيعة الحال سخاء الأخبار التي تشيد بأبطال المقاومة الإسلامية، وخاصة صلاح الدين الأيوبي الذي استولى فوق كل الزعماء الآخرين، واحتمل مكانة بطولية خارقة بينهم.

هذا كتاب عن الحروب الصليبية، يقدم رؤية عربية وجهة نظر شاملة ومثيرة عن الحروب الصليبية، وإن نُقِسه بالعربية سيساعد القارئ العربي هذه المرة على معرفة شيء من الرؤية الغربية المعاصرة لجعل تلك الحقبة من الزمن، إذاً، إنه كتاب عن الحروب الصليبية بقلم مؤرخين عرب لتلك الحقبة، لكنه منسّق ومنظّم بطريقة علمية حديثة، ومن قبل عربي يحاول أن يكون موضوعياً في رؤيته وعمله.

يقال إن الجشال غورو عندما دخل دمشق في بداية الغزو الفرنسي لسورية صرخ أمام ضريح صلاح الدين قائلاً: «أنهض يا صلاح الدين، فقد عاد الفرنجة». والواقع أن بلامتنا العربية تشهد اليوم فترة عصيبة لا تخلو من بعض استبدادات الغزو الأجنبي الذي اجتاحتها إبان الحروب الصليبية، ومن هنا أهمية ظهور مثل هذا الكتاب في هذه الفترة من التاريخ.

ولد فرانسيسكو غابرييلي في روما في 27 نيسان / أبريل 1904، وكان من المستشرقين وعلماء العربية. وهو ابن جوزيبي غابرييلي أمين مكتبة «أكاديمية لينسي» تعلم العربية من أبيه، قبل أن يدرس الأدب العربي الكلاسيكي في جامعة روما ليتخرج منها بأطروحة عن أبي الطيب المشي.

عمل غابرييلي بين 1928-1935 محرراً في الموسوعة الإيطالية، ثم عمل بين عامي 1935 و1938 أستاذاً في جامعة نابولي الشرقية. في عام 1938، أصبح أستاذاً للغة العربية والأدب العربي في جامعة روما، وبقى في هذا العمل حتى تقاعده عام 1979، لكنه بقي مهتماً بالدراسات العربية حتى وفاته عام 1996.

